
Bibliotheca Alexandrina
0050204

تراثنا

ديوان
صالح الشرنوبي

تحقيق
د. عبد الحي دياب

مراجعة
د. أحمد كمال زكي

دار الكاتب العربي بالقاهرة

الإهداء

إلى زوجتى ثنـــاء ...

فى صمتهـا العبقرى

ونظرتها الشـاعرية

الممتزجة بالواقـع .

إلى الحيـــاة ...

عبد الحى دياب

تقديم

بقلم

الدكتور أحمد كمال زكى

عندما يؤرخ للشعر العربى المعاصر سيوضع صالح على الشرنوبى فى مقدمة مرتاديه ، ولن يكون صغر سنه بين الروّاد إلا دليلا على صدق موهبته .

لقد عاش لا يربط نفسه الطموح بأثقال حياة معينة ، لكنه كان مؤمناً بالشعر من حيث هو رسالة ومن حيث هو أداة تفريج عن كُرَب طالما لاحقته . وما من عمل اضطر إلى توليه — بحكم الظروف — إلا وجعله على الهامش من مسئولياته المعيشية .

كان إنساناً فذاً

وكان فناناً لا يشغل نفسه بأكثر من أنه يريد أن يقول ، وسيقول برغم كل شىء ، وسيسمع الناس منه اليوم أو غداً . ولما مات بكاه معارفه ، وقال بعض النقاد : إنه لو عاش لبذّ أعلام الشعر المعاصر قاطبة !

ولقد تعرّض شعره أكثر من مرة للضياع ، وبذلت أكثر من محاولة لنشر عيونه ، إلا أن المحاولة الجادة فى ذلك هى التى نراها بين أيدينا فى هذا الكتاب — وهو يجمع تراث الراحل جميعه — بلا تدخل قط ودون ترك شىء بدعوى مخالفته للعرف والتقاليد .

وقام بالمحاولة صديقنا الناقد الدارس الدكتور عبد الحى دياب يدفعه حماسه وإخلاصه وحبٌّ للشاعر بزغ وهو يطرق مجالس الأدب التى كان يعقدها أمثال العقاد والمعداوى : وهو يقرر أنه لم يتصل بالشاعر فعلا إلا عام ١٩٥٩ وكان يذكر اسمه مع فؤاد بليبل

والهمشرى والشابى وغيرهم ممن ماتوا وهم فى شرخ الشباب ، وشجعه المعداوى على أن يحتشد له كما اعتاد أن يحتشد لما ينبغى أن يقدَّر .

وإذ يراه هو واحداً من الذين ظلموا — وما أكثرهم وما أعقد عوالمهم وما أكثر حبه لهذه العوالم — يعقد عزمه على جمع شعره كله . وبدأ بدراسات عنه ظهر بعضها فى كتابه « مع الشعراء المعاصرين » وكان أمامه إذ ذاك « نشيد الصفاء » مطبوعاً و « ديوان الشرنوبى » الذى أصدره المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ، يجمع ثمانمائة بيت فقط ، فأبى إلا أن يظفر بالباقى ، وتم له ما أراد بعد طول تحرٍّ وتقصٍّ .

وبعد ، فلا أريد فى كلمتى هذه أن أمتدح صنيع دياب من جمع وتحقيق ومراجعة — فالشرنوبى يستحقه — لكنى أريد أن أنبه إلى أن تراث الراحل شعراً ونثراً يحتاج إلى أضعاف ما بذله المحقق ، وإن يكن فى الحق يضع الشاعر موضعه الذى هيىء له ويناقش شاعريته فى إطارها النفسى والاجتماعى مناقشة موضوعية عادلة ، ويقدم عملا لا أظن إلا أنه يستحق عليه كل تقدير .

مقدمة المحقق

هذا الديوان



ديوان الشرنوبي على احدى عشرة كراسة من الكراسات المدرسية العادية ، جعل لكل منها عنوانا وسماها جزءا ، وهي على التوالي: «أصداف الشاطىء عبرات سبحات .. بسمات»، وأتمه مع الجزء الثـاني « الأمواج » في عام ١٩٤٤ والثالث « نسمات وأعاصير » في عام ١٩٤٥والرابع « في موكب الحرمان» في عـامي ١٩٤٥ – ١٩٤٦ ، والخامس« وطنيات» في عام ١٩٤٦ والسادس« أقاصيص في الحب والحياة» في عام ١٩٤٦ والسابع : «أشعار ورسوم» في عامي١٩٤٦، ١٩٤٧، والثامن: «ظلال وألوان» في عامي١٩٤٧، ١٩٤٨ والتاسع والعاشر تركهما بغير عنوان، وقد أنشأهما في الأعوام التالية ١٩٤٨–١٩٥٠ ، والحادي عشر: «مع الريح » في عامي ١٩٥٠ ، ١٩٥١ حتى وفاته .

كتب الشاعر هذه الأجزاء كلها بخطه ما عدا بعض القصائد التي أملاها على ابن عمه فتحي الشرنوبي في الجزء العاشر .

ومما هو جدير بالذكر أن الشاعر قطع من أول الجزء السادس تسع ورقات كان مكتوباً فيها قصيدتان تحت عنوان « قلبان . . وانتظار » ، في حين صدر الجزء العاشر بأربعة أبيات تحت عنوان « أنا في شعري » وأوصى بأن توضع فوقها صورته .

كما كتب بعض الخواطر النثرية بين قصائد الجزأين الأول والثاني تحت عنوان « أمشاج » وفي الجزء الثالث كتب قطعة نثرية تحت عنوان « صلوات» كما كتب قصيدة من الشعر المرسل تحت عنوان «أطياف» هي من بحر « الوافر » في عام ١٩٤٥ ، وبذلك يكون أول من أراد هذا الضرب من الشعر الحر في مصر، إن لم يكن في الشعر العربي بصفة عامة »

وفى الجزء الرابع قطعة نثرية تحت عنوان « بينى وبين نفسى » و«أفكار» أهداها «إلى لحظات الاشراق الخالدة فى تاريخ الظلام» . وفيها اختلط الشعر بالنثر على نحو ما اختلطا فى قطعة أخرى باسم « حياتى » ثم تمثيلية من فصل واحد تحت عنوان : «مطعم التاريخ» .. وفى هذا الجزء أيضا قطعة نثرية بعنوان « لك يامصر » ..

وفى الجزء الخامس من النثر « ظلال وألوان » وقصة بعنوان « ذهب وتراب » وأسطورة من أساطير الواقع على حد تعبيره تحت عنوان « البقر الآدمى » وقصة حب مظلوم تحت عنوان : بنت الحاكم .

ولا يوجد فى الأجزاء الأخرى نثر سوى الأمشاج التى كان يدونها بين القصائد ..

وقد قام الشاعر بتنقيح شعره وتعديله، وأحيانا كان يضرب على قصيدة بأكملها وينقلها فى مكان آخر كاملة ناضجة مضيفا اليها أو حاذفا منها مايرى أنه يحفظ لها وحدتها العضوية كما فى قصيدته « كأس » التى كتبها فى أول الجزء الرابع .. فقد شطبها ونقلها كاملة فى آخر الجزء الثامن .

ووجدت على غلاف الجزء الثامن منه هذه الأبيات كتبها الشاعر بخطه وكانت من شعر عبد العليم خطاب ، وهى تعالج مأساة مثل المأساة التى كان يعيشها شاعرنا الطموح الى المجد المترفع عن الدنايا :

واحتارت النفس واظلمّت مطامحها ... حتى مدحت الذى أشبعته هجوا
عبد العليم أسأت الظن فى زمن ... حارت لياليه فى آمالك القصوى
فأنت فى بلد يفنى الضعيف بها ... ويؤخذ الحق من أبنائها سطوا
والشعب قسمان مغصوب ومغتصب ... لكل سيئة فى دينه فتوى

كما وجدت أبياتا أخرى للشاعر نفسه يرثى فيها أبا الطيب المتنبى :

أنت الذى سحرت جند الزمان به ... ياليت شعرى هل تلهو وتسخر بى
ما الناس فى هذه الدنيا سوى كتب ... وأنت فى الناس كالقرآن فى الكتب

وكتب كذلك من شعر خطاب على نفس الغلاف قوله :

عذاب الأهل أو ظلم القريب ... أحنُّ علىَّ من عطف الغريب

***

وقد نشر من هذا الديوان طائفة من أشعاره فى عام ١٩٥٢ تحت هذا العنوان « نشيد الصفاء » وقد جمعها الشعراء صالح جودت وحسن عبد الوهاب وأحمد خميس ، وقد

اختار هؤلاء الشعراء من دواوينه الكثيرة هذه الطائفة من الشعر لنشرها ، وهم آسفون لعدم تمكين الظروف لهم لكى ينشروا كل دواوينه ، واعتبروا نشر « نشيد الصفاء » جهد المُقل كما يقول الشاعر صالح جودت فى مقدمته .

«وكم تمنينا لو واتتنا الظروف والوسائل لنشر هذه الدواوين جميعا ، ولكن جهد المقل حملنا على الوفاء بأقل النذر . ذلك أننا تخيرنا من بين هذه الدواوين مالا نزعم أنه أحسن شعره ، فشعره كله جميل » (١)

ويضيف جودت الى ما سبق قوله : « وأجمل آمالنا بعد أن حققنا لروحه الشاعرة بعض أمنيتها بنشر هذا الديوان المختار من شعره أن تتهيأ لنا الظروف لنشر دواوينه جميعا واحدا بعد الآخر حتى نضيف الىسجل الخالدين فى العربية شاعرا يستحق البقاء والتمجيد»(٢) .

ومهما يكن من أمر فان « نشيد الصفاء» على ما بذل فيه من اخلاص هؤلاء الشعراء الذين قدموه الى القراء لا يمثل شاعرنا ، لأنه لايشتمل الا على بعض القصائد التى أنشدها الشرنوبى فى أخريات أيامه ، والشاعر لابد أن يكون ممثلا – فيما نعتقد – فى شعره كله جيده ورديئه ، بل ان رديئه قد يكون أدل عليه وعلى شاعريته من جيده ، وأدنى الى التعريف به والنفاذ اليه ، لأن موضوع فنه هو موضوع حياته، والمرء يحيا فى أحسن أوقاته ، ويحيا فى أسوأ أوقاته ، ولقد تكون حياته فى الأوقات السيئة أضعاف حياة فى أحسن الأوقات. (٣)

ولقد أحس أستاذنا الراحل الدكتور مندور عدم تمثيل هذا الديوان لشاعرنا حينما قارن بين قصيدته « الوجودية » وبين « الطلاسم » لإيليا أبو ماضى فقال بعد هذه المقارنة :

« ونحن لايمكن أن نبخس حق الشرنوبى فى الأصالة والابتكار والصدق وبخاصة فى شعره العاطفى الخالص الذى قاله فى شكوى الحياة والتبرم بها والاستغاثة بالله »(٤).

على أننى فى دراستى عن شاعرنا التى نشرتها فى كتاب « مع الشعراء المعاصرين فى مصر » والتى استقيتها من ديوان « نشيد الصفاء » أحسست أنها مبتسرة ، وذلك بعد معايشتى لشعره كله ، وكان على أن أراجعها فى طبعة الكتاب الثانية ..

ومن هنا كان لابد من أن أتوجه إلى دواوينه كلها لأعمل على إخراجها إلى النور ، لكى تكون تحت يد الدارسين للشعر الحديث فيقفوا على هذا التراث الضخم الذى تركه

(١) مقدمة نشيد الصفاء . . . . . .

(٢) مقدمة نشيد الصفاء د

(٣) راجع : ابن الرومى للعقاد ص ٤ ط الرابعة سنة ١٩٥٧ .

(٤) راجع : الشعر المصرى بعد شوقى بالحلقة الثالثة سنة ١٩٥٨ القاهرة .

شاعرنا وقمت بتحقيقه والتعرف على المواقف التى أنشد فيها قصائده وهى ماتسمى غالبا بما « حول النص » ، ثم جمعت مالم يدونه الشاعر فى كراريسه، والأغنيات التى كان يؤلفها ولم يدخلها فى تقديره الشعرى برغم أنها جيدة فى عالم الأغانى ، اذا قيست بمستوى الأغانى المعاصرة . وعلى الرغم من قيمتها فانه كان يتعجب لاحتفال الناس بها لأنه كان يرى أنه لن يخلد إلا بشعره !

ثم دونت نثره الأدبى الذى كان يضمنه خواطره الشعرية والذى كان يحمل عنوان « أمشاج » ونثره الذى اتخذ قالب القصة أو التمثيلية ، وغير ذلك من أنواع النثر التى عثرت عليها فى تراثه ..

***

والدارس لشعر الشرنوبى يجد أنه كان يمتاح تجاربه الشعرية — فى أغلبها — من لحظات إشراق صوفى يعبر فيها عما يجيش بنفسه وذلك حينما يرصد تجاربه التى قد لاتكون لها صلة بالواقع مثل تجاربه عن فتيات المصيف فى بلطيم ، إذ يتخيل فى بعضها أن فتاة تحبه وتجلس معه ، ولم يكن هناك فتاة قط .

وقد يمتاح التجربة من أوهامه التى كانت مثار قلق وتوتر عنيفين مثال ذلك ماتراه فى « أوهام » ثم هناك التجارب التى يستمدها من قوة روحه وايمانه كنشيد الصفاء .

وقد يعيش تجربة بوساطة صديق ما ، وقصيدته فى نكبة الملاريا نموذج لذلك ، رثى فيها المصابين عن طريق ماحكاه له صديقه محمد العديسى .

لقد كانت حواسه ووجداناته متفتحة على كل شىء فى الحياة يلتقط منها بشاعريته كل ما يصلح موضوعا للشعر سواء أكانت عادية ، أم تجربة جمالية فهو يعيش مأساة كل إنسان يقابله . ومن هنا فهو مع « نبيلة » الخرساء الفاتنة ابنة احدى الأسرات المخالطة لأسرته فى طنطا .. وفى قصيدة أخرى مع « نجوى » صاحبة الكأس الحزين ، تلك الفتاة العربية الجميلة التى كانت تختلف إلى سوق بلطيم كل خميس لقضاء حاجياتها . وكانت تستريح بعد انتهاء السوق أمام منزلهم فرآها مرة بعد مرة وأخذ بجمال عينيها .. ومع الفتيات الفقيرات الجميلات اللاتى يعشن فى الأكواخ قريباً من المصيف ، وذلك فى قصائده من « أحلام الكوخ » .. ومع المجنون الذى يمشى مهلهل الثياب ملتاث الخطا وفى كفه قارعة من حديد يقرع بها نفسه والأطفال يحصبون رأسه صائحين (المجنون) وهو يرسل بصره فى السماء والأرض صائحا (عطشان ... عطشان) . فنافذته التى تطل على الحياة لاتترك هذا الإنسان دون أن تصوره وتعبر عنه .

ويعيش تجربة التمثيل فى فيلم « فتنة »، ويلتقى بالممثلين المسرحيين بعد سكنه مع ابراهيم السيد المخرج السينمائى، ومن هنا نراه يبدع قصيدة عن «الممثل» ويعبر عنه فى تأديته للأدوار المختلفة . وهى فى نظرى من روائع الشعر المعاصر .

وكانت المناسبات من روافد شعره أيضا ، فهو مثلا يحيّى عبد الحميد عبد الحق حينما ينزل إلى بلطيم ، كما يرثى غيره من كبار الوفد آنذاك ولم يقتصر رثاؤه على السياسيين والأهل والأصـــدقاء ، بل جاوز ذلك الى المشتغلين بالفن كقصيدته فى رثاء «أسمهان» التى انخلع قلبه لمصرعها .. وقصيدته فى زواج ابنة عمه ، وقصيدته بمناسبة الانعام على أم كلثوم فى عيد فنها الذى أقامه لها رجال الفن فى مصر ...

وأحيانا تكون القصيدة ثمرة لقراءاته وثقافاته كقصيدة «الإنسان والمعرفة» حيث يفنى الإنسان فى المعرفة ويخرج منها إلها صغيرا ثم يفنى إلى الأبد .

وهناك شعره الذى ترفده به السياسة فى مصر والبلاد العربية والشرقية بصفة عامة ، فهو فى مصر يطالب بتقويض النظام الذى كان قائما ، كما فى قصيدته الزجلية « يامالك الملك » وهو مع فلسطين كما فى النشيد الذى لحنه وغناه قسطندى خورى ، وهو مع الشرق كما فى قصيدته « ياشرق » ..

وهناك شعره الذاتى الذى يعبر فيه عن آماله وأمنياته وآلامه وعما يجيش بنفسه فى حالة فرحها وحزنها وغضبها ورضاها ، وهدوئها وصخبها وعن كل حالة من الحالات المختلفة التى تعتورها على حسب البواعث المثيرة لنفسه وشاعريته على سواء ..

***

ومهما يكن من أمر : فإننى أرجو بعكوفى على تراث الشرنوبى أن أقدم أديبا خلف ما يستحق منا من الجهد والعناء .

وحسبى بهذا العمل المتواضع أن أؤدى دينا على عاتقى إزاء شاعر لم أره ولكننى عشته فى كل خلجة من خلجاته ، وفى كل بادرة من أحاسيسه .

البيئة العامة

كيف ومتى عاش صالح على الشرنوبى ؟
ما أبعاد بيئته السياسية والاجتماعية والفكرية ؟

إن الاجابة عن ذلك ضرورية جدا للتعرف إلى بيئة الشاعر الخاصة وإلى تكوينه الفنى وإلى أسلوبه فى التعبير . ولقد ولد فى السادس والعشرين من مايو سنة ١٩٢٤ وهى فترة كانت من الخطورة بحيث تحتاج الى شىء من البسط والتنويه .

الحياة السياسية :

لكى نتحدث عن البيئة السياسية التى عاش فيها الشرنوبى ، لابد أن نتذكر أن نظام الحكم فى مصر كان فرديا قبل أن تضع لها دستورا .

ومن ناحية أخرى فإن شكل الحكومة فى مصر والشرق لم يكتسب شيئا من التجارب المتتابعة التى استهدفت تكوين الحكومة الصالحة فى كل من فرنسا وانجلترا وغيرهما من البلاد الأوربية ، وذلك يرجع — كما يقول العقاد — الى جمود ناشىء من عدم إسهام الشعب فى اختيار حكوماته المتوالية . (١)

على أنه كثيرا ما قامت محاولات ثورية للتخلص من نظام الحكم الفردى الذى كان يرين على مصر والمصريين على سواء ، فقامت ثورة عرابى فى مصر عام ١٨٨٢ حينما شعر الوطن بالوحدة القومية تحل محل القبلية فى الحياة الاجتماعية ، ولقد استهدفت هذه الثورة استبـــدال حكم نيابى عن طريق الانتخاب بين المواطنين بالحكم الفردى الذى كان ســـائدا حينذاك . ولم يكتب لهذه الثورة النجاح . وأسفر إخفاقهما عن إطلاق الحاكم المتجبر — على أعنف ما يكون التجبرُ — يده فى البلاد حتى مطلع هذا القرن العشرين ، وتتابعت الأحزاب فى الظهور منها : الحزب الذى كان يعمل لحساب الانجليز ، وكانت جريدة «المقطم» لسان حاله ، ومنها حزب الخديو ، وكانت جريدة «المؤيَّد» لسان حاله وكان هذا الحزب يدين بالولاء لتركيا عن عقيدة دينية .. وثمة حزب ثالث وهو الحزب الوطنى ، وكان يدعو لتركيا فى الوقت الذى كان يطلب فيه الاستقلال التام لمصر ، ويتضح ذلك من قول مصطفى كامل : «حقا إن سياسة التقرب من الدولة العلية لأحكم السياسات وأرشدها» . (٢)

وفى عام ١٩٠٧ أنشىء حزب الأمة ، عقب مغادرة « كرومر » للبلاد ، وقد شهد كرومر مولد هذا الحزب وأثنى على رجاله الذين يرغبون — من وجهة نظره — فى التعاون مع الأوربيين على إدخال المدنية الأوربية فى مصر (٣) ، وكانت صحيفة «الجريدة» هى التى تنطق بلسانه ، وقد آل تحريرها فيما بعد الى أحمد لطفى السيد ، وكانت أهداف هذا الحزب

---

(١) عباس العقاد : خلاصة اليومية ص ٦١ ط أدبى سنة ١٩١٢ مطبعة الهلال ..

(٢) عبد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل ص ٣٥٠ ط ثانية القاهرة .

(٣) تشارلز آدمز : الإسلام والتجديد ، ترجمة عباس محمود ص ٢١٤ ، ٢١٥ .

تتمثل فى الدستور أولا ، ويعنى هذا تنازل الخديو والأتراك الحاكمين عن الامتيازات التى كانوا يتمتعون بهـا للممثلين الحقيقيين للقوى الوطنية وهؤلاء الممثلون هم زعماء حزب الأمة كما كانوا يفهمون ..

أما الجلاء فلم يكن فى نظر هؤلاء الزعمـاء إلا تالياً للدستور ، وقد رفض هؤلاء الزعماء فكرة الوحدة الاسلامية ، ومن هنا ثاروا على التراث الفكرى العربى القديم ونقدوه ، واتخذوا الثقافة الأوربية بدلا منه ..

وفى تصورنا أنه على الرغم من أن زعماء حزب الأمة كانوا يمثلون الطلائع الفكرية — لأنهم يستهدفون تحرير الفرد والمجتمع على سواء ، فان تأثيرهم لم يصل الى مدى بعيد ، ولم يتجاوز دائرة محدودة فى الآفاق المصرية، وذلك لاعتبارهم المجتمع الأوربى والثقافة الأوربية مثلا أعلى ينبغى أن يحتذيه المصريون .

على أية حال كان لهذا الحكم أثر سىء على نفوس المصريين اذ شاع فى الناس سيئات الحكم الفردى ، فمن تجنيد إجبارى لفرقة العمال ، إلى اعتقال متكرر لشبهة وغير شبهة ، وإتاوات تفرض لعلة من العلل المخترعة تبرعا للصليب الأحمر ، أو ترفيها عن المرضى والجرحى فى الحرب العالمية الأولى ، أو مساعدة على مشروع كائنا ما كان من مختلف المشروعات ، وأصبح كل طلب انذارا بالتهمة المحكوم فيها بغير استئناف ، أو إنذاراً بالسداد فى غير تردد ولا مساومة . (١)

***

ولقد ظلت مصر فى حرب عوان بينها وبين المستعمر الغاصب فتألفت وزارات ، وسقطت وزارات ، ولكن هذه وتلك لم تستطع حكم البلاد ، وكثيرا ما مرت فترات حالكة على البلاد كانت فيها بغير حكومة ، وحينذاك رضخ المستعمر الى إجراء مفاوضات بينه وبين ممثلى الأمة ، وعلى الرغم من الفتن والدسائس التى كان يبثها العدو الغاصب بين سياسيى ذلك العهد الذين كانوا يتفاوضون معه . فإن المفاوضات أسفرت عن استقلال داخلى تمثل فى وضع دستور لمصر وأعلن فى ١٩ من ابريل سنة ١٩٢٣ . وبمقتضى هذا الدستور انتقل حكم البلاد إلى المصريين الذين كانوا قد تصدعت وحدتهم . وهى وحدة واجهوا بها المستعمر فى ثورة ١٩١٩ ، وتمثلت فى وقوف الشعب خلف الوفد المصرى بزعامة سعد زغلول . لقد تصدعت هذه الوحدة بسبب انفصال جماعة عن الوفد المصرى ألفوا بعد ذلك حزب الأحرار الدستوريين الذى أسس فى أكتوبر سنة ١٩٢٢ .

---

(١) الدكتور عبد الحى دياب : عباس العقاد ناقداً ص ٦٣

ومن جانب آخر اجتهد القصر فى الاحتفاظ ببعض مزايا الحكم لنفسه ، فألف حزب الاتحاد ، ثم حزب الشعب ، واندمج كلاهما فى حزب الاتحاد الشعبى .

والمتتبع للسياسة المصرية يرى أن ثورة ١٩١٩ على الرغم من أنهـا كانت تمثل نجاح فكرة القومية ، وذلك بتوحد القوى الوطنية ، وتعبيرها عن هذا التوحد واليقظة فى هذه الثورة ، وعلى الرغم من أنها أسفرت عن الاستقلال الداخلى ووضع دستور للبلاد وتنصيب ملك. على الرغم من هذا وذاك فان المحتلين ظلوا يمسكون بأسـباب الحكم ، وظلت القوات المعتدية تجثم على أنفاس الأرض المصرية . وراح المستعمر يضرب المصريين بعضهم ببعض وأشاع الفتن والدسائس بين الناس على اختلاف طبقاتهم ، وكان من الطبيعى أن يحس المفكرون فى ظل هذا الاستقلال السطحى باليأس وتحتل المشكلة السياسية أكبر قدر من اهتمام المفكرين . وظل الحال على هذا المنوال حتى قامت ثورة ٢٣ من يوليه سنة ١٩٥٢ فكانت تتويجا لكفاح شعب أراد أن يعيش .

الحياة الاجتماعية :

على أن الدعوة الوطنية عند زعماء الأحزاب كانت تتمثل فى اتجاهين يخضعان بدورهما لمبادىء الأحزاب السياسية نفسها ..

وخلاصة ما يقال فى الاتجاه الأول : عدم فصل الدين عن الدولة كما يتمثل فى مبادئ الحزب الوطنى :

ويتمثل الاتجاه الثانى فى عدم اختلاط الدعوة الوطنية بالنزعة الدينية ويتضح ذلك من مبادئ حزب الأمة وباقى الأحزاب الأخرى التى كانت تدعو إلى استقلال مصر تحت السيادة المصرية لا السيادة العثمانية . (١)

ومعنى هذا أن مفكرى حزب الأمة والأحزاب الأخرى عدا الحزب الوطنى كان لهم دور الريادة فى الاصلاح الاجتماعى ، ويظهر ذلك بوضوح فى الدعوة الى تحرير المرأة وفض الحجاب عنها على نحو ما ظهر عند قاسم أمين . وإن قضية الحجاب والسفور فى الواقع قديمة ترجع الى ملك حفنى ناصف حيث دعت إلى السفور المحتشم منكرة اختلاط الجنسين. (٢)

الحياة الفكرية :

كان السواد الأعظم من المصريين فيما مضى كثيرى الاعتقاد فى كرامات الأولياء

(١) الدكتور عبد الحى دياب : عباس العقاد : ناقداً ص ٦٤ ..

(٢) راجع باحثة البادية للآنسة «مى زيادة» ص ١٢٥ ومابعدها ، مطبعة المقتطف عام ١٩٢٠ ، القاهرة .

مرهفى السّمع إلى القصص الخرافية حتى صارت هذه الخرافات — وكانوا يسمعونها عن العجائز — تملأ كل مناحى تفكيرهم ، وغدت عالما كبيرا ملؤه السحر والعفاريت التى تدور حولهم فى كل مكان يحلون به . (١) وإذا كان فى تلك القصص ما يشحذ الخيال فهى تبعث من غير شك على التراخى والتواكل ، وترك تحقيق الأمانى — ولا سيما بالنسبة للصغار — الى المصادفة والاتفاق (٢) .

والمتتبّع للتطور الفكرى فى مصر يرى أن حركة الاصلاح التى قامت على يد جمال الدين الأفغانى ، وحمل مشعلها تلاميذه من بعده كانت ترمى فيما رمت اليه القضاء على تلك الخرافات والشعوذات ، وأخذ كثير من المصريين المثقفين يقبسون من ضوء تلك الحركة قبسا يضيئون به العقول المتخلفة من المصريين . لكن الانجليز سرعان ما أخمدوا هذا الضوء الفكرى فى مهده بسياستهم الاستعمارية فى الثقافة والتربية ، ولم ينج من شرهم إلا نفر قليل ممن ارتضعوا لبان هذه الثورة الفكرية فى عنفوان شبابها .

وليس أدلّ على الهوة السحيقة التى تردت فيها مصر على أيدى هؤلاء المحتلين ماقرره سعد زغلول فى الجمعية التشريعية فى ٣ من مارس سنة ١٩٠٧ ردًّا على اقتراح يتضمن تعليم المواد كلها باللغة العربية ، فى المدارس ، وإبطاء التعليم باللغة الانجليزية ، اذ قال : « اننا لو جعلنا التعليم باللغة العربية ، فاننا نكون قد أسأنا الى بلادنا ، لأنه لايمكن للذين يتعلمون على هذا النحو أن يتوظفوا فى كثير من المصالح التى تعتمد فى إدارتها على اللغات الأجنبية ، وذلك بالاضافة إلى أننا نصادف فى الوقت نفسه صعوبات مادية ، وهى قلة المعلمين الأكفاء الذين يمكنهم تعليم الفنون العربية ، فاذا كنتم توافقون على الاقتراح المقدم اليكم كنتم كمن يحاول الصعود الى السماء بلا سُلَّم . (٣)

ومن هنا غدا موقف المفكرين والأدباء المتطلعين إلى تحقيق الشخصية المستقلة فى الفكر والأدب موقفا عسيرا ، إذ كانوا لايعتمدون على قوة حقيقية تساندهم فى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ؛ وكثيرا ما كان هؤلاء المفكرون والأدباء يجدون أنفسهم معزولين عن الشعب وعن الجمهور القارئ الذى كان وما يزال مشبعا بالثقافة التقليدية وغير قادر على التجاوب مع هذه الاتجاهات الثورية ..

ولقد واجه هؤلاء المفكرون صعوبة أخرى تتمثل فى أن الحضارة الأوربية كانت تنتصب أمامهم شامخة ، وهم قد انتهوا إلى الثورة على التراث العربى القديم ، وإلى منافسة

(١) ، (٢) العقاد : خلاصة اليومية ص١٥ ، ٧٣ ، وعبد الرحمن شكرى : اعترافات شكرى ص٢١

(٣) الدكتور عبد الحى دياب : عباس العقاد ناقداً ص ٦٧ .

الحضارة الأوربية والتفوق عليها . ولكن اندفاعهم فى هذه الرغبة الأخيرة قد محا أصالتهم ووقعوا فريسة التبعية المطلقة للحضارة الغربية فى كثير من الأحيان ، وأصبحت قيمهم ومثلهم لاتنبع من واقعهم العربى قدر ما تنبع من الحضارة الغربية ، وذلك بمحاولتهم فرض قيم الحضارة الغربية ومثلها على الواقع العربى يعيشونه وبذلك أصبح موقفهم محيرا متناقضا ، إذ أنهم يتجهون إلى محاولة الارتباط بالواقع والتأثر — فى الوقت نفسه — بالثقافة الأوربية ولكن هذه المحاولة قد اصطدمت بمن يتمسكون بالتراث العربى القديم من الأدباء من أمثال مصطفى صادق الرافعى الذى خاض معارك ضارية مع المجددين(١) .

وعلى الرغم من تلك المعارك الضارية التى كانت تنشب بين الحين والحين فإن المجددين مضوا فى سبيلهم يهاجمون القيم البالية ولا يلوون على شىء . فهاجم على عبد الرازق فكرة الخلافة الاسلامية ، وفى الوقت نفسه هاجم العقاد والمازنى الشعر العربى القديم كما يتمثل فى شعر حافظ ابراهيم وشوقى وأضرابهما ، معتمدين فى هجومهم على أن هذا الشعر لايمثل مجتمعهم الحديث ولا واقعهم الذى يعيشونه ، ذلك أنه من نتاج ظروف اجتماعية مختلفة كما أنه لا يعبر من ناحية أخرى عن ذاتية صاحبه وعن أحاسيسه العميقة . وحاولوا تقديم أمثلة حية من شعرهم على الشعر الذى يعبر عن ذاتية صاحبه . (٢)

ومهما يكن من أمر فإن هذه الدعوة قد أكدت الجانب الذاتى فى شخصية الشاعر ، وخلصت الشعر الحديث من الخضوع المباشر للشعر العربى القديم مما نجد آثاره المباشرة فى شعراء المدرسة الرومانسية من أمثال على محمود طه وابراهيم ناجى وشاعرنا الذى نحن بصدد دراسته صالح على الشرنوبى .. (٣)

تلك هى معالم الصورة التى استوحيناها مما ترسب فى نفوسنا من قراءتنا للحيوات السياسية والاجتماعية والفكرية لعصر الشرنوبى . وكان لها أثرها على الناحيتين النفسية والخلقية لدى المصريين .

فمن ناحية الأثر النفسى نرى أن الاستبداد الذى عانى منه المصريون إبان الاحتلال ابتعث فى نفوسهم سوء الظن ، وبقى هذا الإرث فى نفوس الأفراد فيما بعد ، ومن ثم فقد دهمتهم موجة عارمة من اليأس خلدوا من أجلها الى الراحة والاستسلام والتواكل . وانعدمت روح التنافس بينهم .. (٤)

(١) الدكتور عبد المحسن بدر : تطور الرواية العربية الحديثة ص ٤٦ ، ٤٧ .

(٢) ، (٣) راجع تطور الرواية العربية الحديثة للدكتور عبد المحسن بدر ص ٤٧ . .

(٤) الدكتور عبد الحى دياب : عباس العقاد ناقداً ص ٦٩ . .

أما الأثر الخلقى فيتمثل فى فقد المصريين للشجاعة الأدبية ، واتصافهم بالرياء والنفاق وهما يستتبعان الغيبة والنميمة ، والجرأة على الناس فى غيبتهم كالتزلف إليهم فى حضرتهم « وهذه كلها من علامات الجبن والصغار »(١) .

ومن هنا غدا النجاح لدى المصريين – كما يقول عبد الرحمن شكرى – « رهنا باجادتهم للملق والدهان ، والرياء والنفاق ، والضعة ، والاهتمام بالأشياء الحقيرة والمكر والتطفل وارتقاب الفرص الوضيعة ، واتخاذ كل وسيلة مهما كانت دنيئة لاكتساب ثقة الناس والإلحاح فى طلب المنافع وإظهار الحاجة اليهم والتذلل لهم والتهافت عليهم ، وإخفاء مقابحهم مهما عظمت أو إظهارها فى مظاهر المحامد والفضائل ، وأن أكسر لهم سلسلة ظهرى الفقرية احتراما وتبجيلا ، وأن أضحك أو أهش اذا تبسط أحدهم بالفكاهة الغثة الباردة ، وأن أضعهم فى منزلة أفلاطون وسقراط اذا اجتهدوا أن يجدوا بالحكمة العالية ، وأن أبتسم إذا ابتسموا وأن أعبس إذا عبسوا وأن أجعل عرضى لهم خرقة أمسح بها أعراضهم النجسة ، كل هذه الصفات ليس عندى منها إلا القليل النادر ، وافتقادها هو سبب من أسباب فشلى فى كثير من المساعى »(٢) ، وعلى ما فى هذا الوصف من تطرف ومبالغة فقد ألحّ على الجميع حتى قال شاعرنا فى قصيدته « البعث » :

رأيت حظوظ الناس شتى فجاهل	أمير .. وأهل العلم فى كفه أسرى
ونابغـــة فـــذّ . . يعيش مشرّدا	يكابد من أيامه الذلّ والفقـــــرا
فإن مات هبّ النائمون . . فأمطروا	ثراه الجديب القفر مدمعهم ثرّا
وراحوا يحيّـــون الرميم بذكره	وهيهات أن تجدى على الميّت الذكرى
لقد كان يرجو القوت.. لامؤمنا به	فظنـــوه يرجو المستحيل أو الكفرا
فأيهما أختار لو كنت مثله ؟	لعلى بحظ القدم فى سعده أحرى

وفى قصـــيدة « السراب الخالد » يتساءل عن حقيقة وجوده ونهايته . وحقيقة الحياة وما وراءها ، وما غاية الدهر إلى آخر ما ينم عن حيرة وقلق وشكوك تعصر قلبه وعقله معا :

من أنـــا ؟ من أكون ؟ مابـــدء وجودى ؟ متى تكون النهـــــايه ؟
ما وراء الحيـــاة ؟ . . ما غـــاية الدهـــر ؟ وما كان قبـــل بدء الروايه ؟
كان من أوجـــد الورى من تـــراب وله فى الوجـــود أعظم آيـــه

(١) راجع : خلاصة اليومية لعباس محمود العقاد ص ٢٥ .
(٢) راجع : اعترافات شكرى ص ٤٢ القاهرة ط أولى سنة ١٩١٦ .

ثم ماذا ؟ .. صمت .. وعيٌ .. وعجز .. وظلام .. وحيرة .. وعمايه .

وشكوك تعب أيام عمرى وتريني ضلالتى كهدايه
ومقادير تستحث خطانا وهى تجرى بنا الى غير غايه
وتمر الحياة بين سؤال وجواب يزيد جهلى غوايه
ويفر السجين من قبضة القيد فتنسى عند الختام البدايه
ثم يسلو على المدى أبواه وهما كالفقيد .. بعض الحكايه
وكأن الذى مضى لم يجىء بعد فيستأنف الجناة الجنايه

كما أن قصيدته التى أنشدها فى مغارته فى جبل المقطم حينما لجأ إليه بعد ما عز عليه أن يجد سكنا يأويه ، أو هكذا شاء لنفسه حينما رفض الحياة مع الذين يغفلون عن أسى الفقير وعن لوعة المشرد المدحور والذين يلغون فى الدم المهدور من أعصاب الكادحين والأجراء .. فى هذه القصيدة نراه يقول لنا إنه لا يجد له نصيرا فى الأرض إلا ضميره الذى ألبسه الملابس الرثة الممزقة ، وألجأه الى القبور حيا يمشى لها على قدميه فيقول وهو يخاطب القاهرة من فوق المقطم بجبانة الغفير :

إنى هنا .. ياجنة الحقير آكل جوعى وأضم نيرى
وليس لى فى الأرض من نصير إلا ضميرى آه من ضميرى
ألبسنى ممزّق الستور وجاء بى حيا إلى القبور
أقرأ فى ظلامها مصيرى وأعرف الغاية من مسيرى
بعد احتراق الأمل الأخير وفرقة الصاحب والعشير

وفى هذه البيئة العامة التى كان يسودها السخط والسأم ، والتى كانت مليئة بالشكوى فى الأدب والحياة العامة ، حتى غدت تجربة من التجارب الشعرية فى ذلك الوقت بحيث لايقرع سمعك الا آهة متأوه أو نشيج محزون .

فى هذه البيئة نفسها عاش شاعرنا صالح على الشرنوبى بطموحه وتوثبه وتمرده على القيم المألوفة المتعارف عليها فى ذلك العصر ، فى الوقت الذى قد انسد فيه باب الأمل أمام طلاب العلا الذين أخذوا يسائلون الأفق من أين يكون منفرج الطريق .

البيئة الخاصة

على الرغم من اعتقادنا أن المقومات الفطرية أقوى من المكتسبة فإننا لانستطيع أن نغفل المقومات المكتسبة ، « لأنه لو كانت المقومات الشخصية هبة طبيعية فحسب ، لكنا ضحايا

الظروف وما كان للتربية أي أثر في تكوين العظماء من رجال العلم والأدب والفن ، ولكن أثرها لاينكر في تكوين الشخصية والعظمة في نفوس العظماء »(١) ، ولم تكن مقومات الشرنوبي الفطرية كل شيء في مقوماته الشخصية ، فقد ربى نفسه تربية لم يردها له والده ولا واحد من أسرته على الرغم من الاطار الديني الذى أحاطوه به ، وقد استطاع أن ينعتق من هذا الاطار إلى عالم أوسع وأرحب هو عالم الفن والأدب . كما أنه لم يهتم في تربيته لنفسه بتنمية الفرد فيه حتى تتأصل فيه الفردية بمعنى الإنسانية Jndividuality ، ولكنه كان مهتما بتنمية الشخصية الذاتية في نفسه Personality ، وذلك واضح في سلوكه وأخلاقه وفكره كما سنبينه فيما بعد .

وبمقتضى هذا الفهم سندلف الى الحديث عن مقومات الشرنوبي الشخصية سواء أكانت فطرية أم مكتسبة ، غير أننا نود أن نشير الى أنه ليس من الممكن بحال من الأحوال على الباحث الناقد أن يفصل بين المقومات الفطرية والمكتسبة . ومن ثم سيكون حديثنا عنهما في خط طولي يربط الخيط التاريخي مابين ولادته ووفاته الى آخر ماستتحدث عنه من تلك المقوّمات الشخصية .

مولده واسرته :

ذكرنا أن الشرنوبي ولد في السادس والعشرين من شهر مايو سنة ١٩٢٤ ونضيف أن أباه الذى كان يشتغل في تجارة الأسماك لم يتزوج سوى امرأة واحدة أنجب منها ابنه شرنوبي ، وبعد عشر سنين جاء شاعرنا بعد طول ترقب فكان بشير فرح ، وقرر أبوه أن يعلمه العلم الشريف على حد تعبيره في الأزهر ، ليقدم مايرضى الله إزاء نعمته عليه بالإنجاب مرة ثانية . ثم تتابع الإنجاب وان يكن على فترات تطول أو تقصر ، اذ ولد له بعد صالح بثماني سنوات ابنه عبد العزيز الذى يعتبر صورة طبق الأصل من صالح في التكوين الجسدي لولا أن وجهه خال من البثور التي كانت توجد في وجه صالح ، وطلعت الشرنوبي الذى ولد بعد عبد العزيز بسنتين ، كما ولد له ثلاث بنات .

وقد استقبل ولادة الشرنوبي بيت أنشأه والده على ساحل بحيرة البرلس ويقع في مساحة لاتقل عن ٤٠٠ متر مربع ، وهو مكون من ثلاثة أدوار ، الأول خصصه والده للضيوف وإقامة شعائر الدين في رمضان ، والثاني كان يقيم فيه والده وأخوه الأكبر شرنوبي . أما الطابق الثالث فكانت تقيم فيه بقية أفراد الأسرة . وكل دور منها يشتمل على جناحين بمحتوياتهما .

(١) محمد عطية الإبراشي : الشخصية ص ١٠ ، ١١ ..

وكان الركن المخصص لشاعرنا من الطابق الثالث يطل على بحيرة البرلس ، وعلى أبراج للحمام أقيمت فوق بعض المحلات التجارية التى يمتلكها والده . وحينما يصعد الداخل إلى الطابق الأول تطالعه هذه الجملة « مرحبا بالزائرين » كتبها الشاعر رحمه الله على الحائط المقابل للدّرج بخطه الجميل .

كان ذلك البيت نموذجا للبيت المصرى فى القرن التاسع عشر ، من حيث أن بعض نوافذه تطل على الشارع وبعضها الآخر على فناء البيت . ومن حيث الإحكام ومتانة البناء وارتفاع السقف ، واتساع الحجرات والأفنية والممرات والملحقات من دورات المياه وغيرها.

وكان والده معروفا بالشدة والصرامة ، شديدا فى الحق ، رابط الجأش حينما تحزبه الأمور ، متجملا بالصبر حينما تمتحنه المحن والخطوب ، وكان مع هذا كله تقيا ورعا تظهر عليه أمارات الوقار منذ صغره ، إذ كان الناس فى بلطيم يطلقون عليه منذ نعومة أظافره لقب« الشيخ على » وكان وفّاء للحقوق مؤديا للصلوات فى أوقاتها . كما تتصف والدته بالشدة على الأسرة فلا تقبل تراخيا فى عمل ، ولا اعوجاجا فى سلوك ، وكانت تأخذ نفسها بالشدة فى أداء الصلوات والصدقات .

ولم تكن النزعة الدينية مقصورة على والديه ، بل كانت أسرة شرنوبى تشركهما فى التدين والتقرب إلى الله ، إذ كانوا يتقربون إلى الله ببناء المساجد ، حتى أن جدهم شرنوبى عبد الله قد جدد أكثر مساجد بلطيم من نفقته الخاصة ، ومنها مسجد سيدى حسن الرفاعى وهو من المجاهدين فى « برمبال » ، وسيدى يوسف البهلول وهو من مجاهدى الفتح الإسلامى ، وسيدى فتح الأسمر أستاذ قايتباى ، وظل الشيخ على والد شاعرنا وإخوته الكبار ينفقون عليها جميعا — وخاصة محمود ودسوقى — من نفقتهم الخاصة .

والذى يغلب على اعتقادنا أن هذه النشأة الدينية ليست غريبة على البيئة المصرية لا سيما فى الأقاليم ، لأن النزعة الدينية فى هذه الأقاليم تسود كل بيت ، وتكمن فى نفس كل فرد . ومن ثم فإن تقديرنا لعبقرية الشاعر الفنية يزداد بمعرفتنا لنشأته الأولى بين هاتيك التقاليد التى لا تتيح للفرد خروجا عليها إلا فى قالب منها .

أما الشرنوبى فانه يرجع إلى عبد الله محمد عبد اللطيف جحا سنجق سرى وقد جاء مع حملة محمد على ونزل ببولاق الدكرور ، وكان عبد الله ملتزما بالبحيرة (البرلس) فى عهد محمد على ، وبعد أن انتهى نظام الالتزام اشتغل أولاده الأربعة فى تجارة الأسماك ولوازم مراكب الصيد وكان أكبرهم شرنوبى عبد الله ، وأنجب هذا تسعة رجال وثلاث سيدات ، إذ كان من دأبه أن يتزوج من كل بلد يحس أن فيها خطراً على مراكبه الممتدة

على شواطىء البرلس والتى تقع فى نحو ٥٤٠٠٠ ألف فدان بفرض تأمين مواصلاته التجارية وكان من أولاده محمود ودسوقى وأحمد والحاج على شرنوبى والد شاعرنا صالح . وأما أمه فهى من أسرة الرمادى التى تقطن « محلة البرج » بالمحلة الكبرى وتشتهر بالزراعة ، وجده لأمه يدعى ابراهيم الدسوقى الرمادى وجدته لوالدته من الأتراك المتمصرين . وكانت تتكلم التركية ، وتنطق العربية بلكنة غريبة .

مهد طفولته :

درج الشاعر فى بلطيم وكانت ولا تزال تتمتع بطبيعة أوربية ساحرة إذ تحيط بها المياه من كل جانب فى البحر المتوسط من جهة ، وبحيرة البرلس من جهة أخرى ، وبحر « تيرة » من جهة ثالثة ، وقد شيدت مساكنها على ربوات عالية بحيث لايطل المرء من مسكنه حتى يرى المياه أو المزارع من النخيل والأشجار المثمرة وغيرها ..

أما المناخ فمتقلب بين الصفو والغمام وهدوء الرياح وتقلباتها حتى تصل إلى حد العواصف الهوجاء ، والجو ممطر فى أكثر الأحيان ، بعد أن يسبق المطر الأنواء التى يتعرف عليها سكان هذا الثغر الجميل لا سيما الصيادون منهم . فكل شىء فى بلطيم جديد مع كل التفاتة ، ومع كل خطوة يخطوها المرء ، ومن هنا كان الشرنوبى لايفتأ يتنزه فى مزارعها وعلى ساحل البحيرة . أو على شريط الدلتا بحيث يكون بحر « تيرة » ذو المياه العذبة على يمينه والمزارع الخضر من النخيل على يساره ، لا سيما وقت الأصيل أو فى الليالى المقمرة ولطالما جلس شاعرنا على شريط الدلتا وهو مأخوذ بجمال النخيل، ويتسمّع إلى حفيف سعفه والريح تداعب وجناته .

كما كان يجلس هناك على أعلى ربوة فى بلطيم بجوار مسجد سيد فتح الأسمر مطلا على مقابر المدينة وهى متدرجة فى الرمال وعلى مد البصر المزارع من الجهة البحرية والبحيرة من الجهة القبلية ، وكانت هذه الجلسة تطول فى بعض الأحيان حتى تستغرق اليوم كله دون أن يتناول شيئا من الطعام ، بل يكتفى عنه بالتأمل فى الطبيعة التى تبدو من خلالها بلطيم كالعروس المجلوّة ليلة الزفاف ، وكان يشعر فى جلسته هذه أو تلك بالوحدة والانفصال عن عالم الناس . وما أكثر ما أوحت اليه تلك المناظر المتعارضة المتناقضة بالقداسة المحاطة بالأسرار العميقة فى النفس والشعور تلك القداسة التى نحسها ولا نحيط بها ، فتملأ الأعماق والشعور ، وتتحدى القوى وتسبر أغوار العظمة فى مكامن النفس حتى تأتى بالعظائم والتضحيات .

وكان يتمتع فى البيت بإعزاز والدته له ، لأنه أول مولود رزقت به بعد أن انقطع حملها بعد ولادتها لأخيه الأكبر شرنوبى ، ولذلك كانت تخاف عليه من الحسد وتضع

فى أذنيه قرطا وتطيل شعره . وكانت تخاف عليه من شروده وهو جالس فى البيت ، إذ تزوغ نظراته وهو يتأمل الأشياء ويتفحصها ، وكم حاولت ألا يسير بمفرده فى نزهاته أو يجلس منفردا ، فتروح تناديه وهو شارد عما حوله – وهى بجواره – ولكنه لايسمع نداءها . وقد دفعها خوفها عليه كذلك أن تسميه « يونس » وتناديه به بدلا من صالح الاسم الرسمى . ومن هنا اشتهر بيونس فى بلطيم كلها . وقد ظنت أن تغيير اسمه مانع له من الحسد ويُطيل فى عمره . ولطالما وهو الطفل الصغير – اصطحب الشيخ عبد اللطيف كامل المقرئ الذى كان يحيى ليالى رمضان فى منزلهم ، لأنه كان يضرب على العود بعد أن ينتهى من قراءة القرآن ، وكان صالح يردد معه أذان العشاء بصوته الرخيم برغم أنه لم يكن قد تجاوز العاشرة بعد .

وقد دفع به والده إلى الشيخ « على أبو دعلة » ليعلمه القرآن فى البيت ، وكان الشيخ دعلة يضربه ضربا مبرحا ، ليقنع والده أنه يحلل مايعطيه له من النقود بسخاء ، ولكن صالحا كان يتمرد على دستور هذا الرجل الضرير ، وكان ينفر منه حينما يأتى إلى البيت ليعلمه القرآن فيهرب ويختفى عن الأعين ، فيرسل إليه والده « عبد الجليل الدُّوَيك » الذى كان يعمل عندهم ويحبه صالح حبا شديدا ، ويظل « الدويك » يبحث عنه فى كل مكان حتى يعثر عليه بعد لأى وجهد ، وكان « الدويك » يتوسط لصالح لدى « أبى دعلة » لئلا يضربه .. وفى أغلب الأحيان كان « الدويك » يعثر عليه ، على أعلى ربوة فى بلطيم بجوار سيدى فتح الأسمر ، وهو يتأمل فى الطبيعة ، وينظر الى المقابر الماثلة أمامه فى خوف وفزع . وكان الشيخ على أبو دعلة يضرب ناشئنا حينما يأتى به « الدويك » من الربوة أو من لعب الكرة مع أصدقائه من الأطفال ، وتمضى به الأيام وهو يحفظ القرآن على يد هذا الشيخ الضرير الذى أدخل فى نفسه الرعب والفزع ، حتى استطاع فى إخلاص أن يجتث كل البواعث المحببة فى حفظ القرآن ، وعلى الرغم من ذلك فقد حفظ القرآن من أوله إلى آخره فى العاشرة من عمره تحت طائلة العقاب .

وفى هذه الفترة العصيبة ظهرت بوادر الشاعرية لدى صالح ، اذ كان يجلس مع حلاق أسرته فى بلطيم وهو يدعى محمد بيومى ، وكان هذا الحلاق زجالا ، ويكتب على لافتة صالونه « شاعر البرلس » فكان شاعرنا فى حداثته يألفه ويقضى معه وقتا طويلا كل يوم يستمع إلى زجله .

***

ولكن ماذا يصنع والده بعد أن حفظ شاعرنا القرآن فى هذه السن البكرة ، إنه يذكر أنه قد وهبه للعلم الشريف فى الأزهر ، ولكنه يذكر كذلك أن صالحا فى سن لاتسمح له

بأن يعيش وحده بعيدا عن الأسرة .. ماذا يصنع اذن ؟؟ حقيقة ماذا يصنع إزاء هذا الصراع الذى يعتمل فى نفسه بين حرصه على عقيدته فى هبته لابنه ليكون عالما ، وحرصه فى الوقت نفسه على هذا الإبن الذى لا يعرف أن يقوم بأمر نفسه . وبينما هو على هذه الحالة من الصراع يقلب الأمر على وجوهه المختلفة ، خرج برأى خاله محققا لآماله بالنسبة لولده وعقيدته ويتمثل هذا الرأى فى أن يقنع والد أحد الطلبة فى معهد دسوق بأن يعيده الى الدراسة بعد أن قطعه عنها لعجزه المادى عن أن ينفق عليه ، وألحقه بعمل زراعى فى بلطيم .. استطاع الشيخ على شرنوبى أن يقنع هذا الوالد باعادة ابنه إلى الدراسة ، وعليه هو أن ينفق عليه مع صالح ابنه .

وقبل الوالد هذا العرض وقام الشيخ على شرنوبى نفسه بإعادة هذا الطالب الى الدراسة وهو يقدم لابنه فى معهد دسوق الدينى واستأجر لهما سكنا فى دسوق ، وأخذ يتردد عليهما بين الحين والحين ليطّلع على أحوالهما ، وكان يعتبر هذا الطالب رشيدا على ابنه ، ومن هنا كلفه بأن يتابعه فى دراسته وأحواله على سواء .

وحينما انتقل هذا الطالب الى القاهرة ، تابعه والد شاعرنا بالرعاية أيضا ، وحول أوراق ابنه الى معهد القاهرة الابتدائى ليكون بجانب رشيده وتحت رعايته .

وحصل صالح الشرنوبى على الابتدائية فى عام ١٩٣٩ وظل فى معهد القاهرة الدينى بالقسم الثانوى حتى عام ١٩٤٤ وانتقل بعدها الى معهد طنطا الدينى ليكون مع والدته وإخوته الذين يتلقون العلم فى المدارس الابتدائية بها .

وفى ١٥ من يوليه عام ١٩٤٤ حدث وهو يقضى الاجازة الصيفية أن ماتت المطربة أسمهان ، فرجّ هذا الحادث شاعرنا رجا ، وأخذ يتردد على مقابر بلطيم عقب صلاة الفجر كل يوم حتى أنشد قصيدته « من وحى التراب » التى يقول فى مطلعها :

هات الدموع فأنت شاعر ما للدمــوع لديك آخرْ ! !
لم تلهم الأبراج قلـــبك بعض إلهام المقابر

ويقول فيها :

مثّلت دورك فى روا يتهم كما شاءوا .. عشيقه
قــدر تمثّــل مرتيــن على اختلاف فى الطريقه
فى شاشة الفن الجميــل وشاشة الموت الصفيقه
أفديك . . هل ألهمت أنك بعــد أيام . . غريقه ؟
فنقصت دورك فى الحيا ل .. لتكمليه . . فى الحقيقه

طفولته الأدبية :

ويحدثنا عبد الصبور مرزوق زميل الطالب فى دراسته فى معهد القاهرة الدينى أن صالحا كان يقطن إذ ذاك فى حجرة فى « لوكاندة الكلوب العصرى » فى سيدنا الحسين ، وكانت تكاليف اللوكاندة فى ذلك الوقت مرتفعة جدا اذا قيست بحياة طلبة المعاهد الذين كانوا يسكنون كل أربعة فى حجرة واحدة .

وكان صالح الشرنوبى فى هذه الفترة قد أغرم بالأدب إغراما ملك عليه قلبه ومشاعره حتى استحوذ على عقله وفكره ، إذ كان — وهو الطالب الصغير على حد تعبير عبد الصبور مرزوق — منارا يقبس من ضوئه الأدبى زملاؤه حتى استطاع أن يوجه عددا منهم إلى الاشتغال بالأدب كل على حسب أصالته وميوله تجاه الجنس الأدبى الذى يجد نفسه فيه .

ومن هنا نرى عبد الصبور مرزوق يقول : « أول ما وقعت عينى على معجم الأدباء ، وديوان مهيار الديلمى ، وديوان « صرّدرّ » فى يد صالح شرنوبى فى عام ١٩٤١ ، وكانت هذه نقطة تحوّل لى ولكثير من الزملاء فى جنوحهم الى الأدب ، اذ كنا نقرأ فى أول الأمر هذه الكتب منه وبدأنا نعشق الأدب عن طريق صالح الشرنوبى ومن هنا أدركتنا حرفة الأدب ، فأخذنا نشترى الكتب الأدبية وعكفت على قراءة الرافعى بعد أن جاء صالح يقرأ لى من مقدمتها : (هى رسائل الأحزان ، لا لأنها من الحزن جاءت ، ولكن لأنها إلى الحزن انتهت ، ثم لأنها من لسان كان سلما يترجم عن قلب كان حربا ، ثم لأن هذا التاريخ الغزلى كان ينبع كالحياة وكان كالحياة ماضيا إلى قبر ...) . فراقنى هذا التعبير واشتريت رسائل الأحزان وغيرها من كتب الرافعى ، وكانت هناك صعوبة تواجهنا فى أدب الرافعى فى أكثر من موطن ، ولكن هذه الصعوبة قد تبددت بعد أن عاودنا القراءة مع إدخال عامل الزمن » .

وفى ذلك الوقت كانت مجلة الرسالة والرواية تثيران المعارك الأدبية فاستهوت هذه المعارك هذا النفر من الشباب ووجهتهم وجهة أخرى ، إذ بعدت بهم نوعا من البعد عن أدب الرافعى وكان شاعرنا يتفق مع عبد الصبور مرزوق على الكتب التى يقرآنها فى الاجازة الصيفية وكان كل منهما يشترى كتب بعض الأدباء ويتبادلها مع صديقه بعد قراءتها .

على أن صالحا كان يؤثر فى قراءته الشعر ونقده ، على حين كان مرزوق يؤثر الأدب المنثور بكل ضروبه من قصة ومقالة وأبحاث وغيرها .

وكانت قراءة الشرنوبى للشعر وللشعراء القدامى بوجه خاص دافعة له إلى أن يقدم على معارضة الشريف الرضىّ فى بعض قصائده ، غير أن هذه الرغبة لم تتحقق وحلّ محلها إنشاده شعرا من قريحته وخياله ووجدانه هو ، لا محاذيا فيه الأقدمين .

وكان شعره جيدا على الرغم من قصر عمره فى الإنشاد ، وقد وظف شعره فى المطالبة بمدرسة ابتدائية لبلطيم حينما زارها عبد الحميد عبد الحق وكان وزيرا فى حكومة الوفد إذ ذاك ، فألقى أمامه قصيدته « تحية الشاطىء » ومطلعها ..

لك من كل مهجة ما تشاء   يا بشيرا غنت له البشراءُ

وفيها يقول :

نحن قوم نعيش فى أرض مصر   وترانا كأننـــا غرباء ! !
ظمأ محرق وجهل غشوم   وطغت فوق ذلك الأدواء
فأغيثوا قوماً جياعاً طواهم   فى الرزايا الإصباح والإمساء
إنّ فيهم عباقرا — علم الله — وفيهم إن يسلمـــوا نبغاء

وبعد إنشاد القصيدة طالب عبد الحميد عبد الحق بمدرسة ابتدائية فى بلطيم ، فأجابه إلى طلبه ، وكانت هذه المدرسة أول مدرسة تفتح فى بلطيم للبنات فى سبتمبر سنة ١٩٤٣ ، وكان والده يرسل إليه راتبه الشهرى الذى حدده له بانتظام وهو مبلغ عشرة جنيهات تقريبا ، ولكنه كان يرسل إليه دائما أنه فى حاجة إلى نقود ، وكان يطلب من والدته فى أغلب الأحايين بعض النقود لشراء الكتب الدراسية ، ولكنه كان يشترى بها كُتُباً أدبية لاعلمية مثل معجم الأدباء لياقوت وغيره من أمهات الكتب الأدبية فى اللغة العربية وآدابها ..

وحينما انتقل إلى طنطا سكن مع والدته وأخويه عبد العزيز وطلعت ومكث معهم ثلاث سنوات حصل بعدها على شهادة اتمام الدراسة الثانوية فى عام ١٩٤٧ .

وقد تعطل فى المرحلة الثانويه ثلاث سنوات ، منها سنة لقيادته للإضرابات ضد الحكومات التى كانت تحكم مصر حينئذ ، وسنتان لعدم حفظه القرآن ، وكثيرا مانجح من الدور الثانى فى المرحلة الثانوية بعد أن كان مبرزا فى علومه فى المرحلة الابتدائية ، وذلك لنسيانه ما حفظ من كتاب الله .

وهنا نتساءل ما السبب الذى من أجله أنسى القرآن ؟

فهل هو ما ظهر من العوامل الشعورية المكبوتة فى أعماقه من ضرب أبى دعلة الذى كان يحفّظه القرآن ، ذلكم الرجل الضرير الذى كان يتفنن فى إيذاء شاعرنا ، حتى استطاع أثر ضربه فى نفسه أن يمحو من ذاكرته القرآن .

أو أن اشتغاله بالأدب والشعر ، والسياسة إلى حد ما قد اجتذبته هذه كلها إليها ، ولم يبق للقرآن وقت ليعود إلى حفظه بوساطة ترداده على ذاكرته كل يوم ؟ قد يكون هذا أو ذاك هو السبب ، وقد يكونان معا .. ولا تعنينا حينئذ حقيقة السبب بقدر ما يعنينا أثره

ونتائجه . فالذى لاشك فيه أن شاعرنا قد أنسى ، القرآن ،والذى لاشك فيه أيضا أن نسيانه هذا سيدفع ثمنه من مستقبله فيما بعد .

* * *

على أنه وهو فى طنطا كان يغلق على نفسه حجرته ويمكث فيها طويلا وفى الوقت نفسه كان توتّره النفسى يعنف فى بعض الأحيان وذلك عقب انشاده للشعر ، حتّى ليخيّل الى أهله أنه يفقد السيطرة على قواه العقلية .

ومن هنا عرضوه على طبيب الأسرة وهو طبيب عام لا صلة له بدراسة علم النفس ولا يعرف عن حيوات الشعراء والفنانين شيئا .

ولما كان الطبيب — بوصفه صديقا للأسرة وطبيبها — يعرف كثرة رسوب شاعرنا فى دراساته الدينية ، ولما كان الشاعر أمامه قوى البنية مفتول العضلات ، فقد كان لابد من أن يشير عليهم بادخاله مستشفى الأمراض العقلية ، وكان لابد كذلك من أن ينزلوا على رغبته ، أليس هو الصديق للأسرة قبل أن يكون طبيبا ؟

ويؤكد طلعت الشرنوبى شقيق الشاعر أن أخاه الأكبر شرنوبى رحمه الله كان يتردّد عليه هو ووالده فى المستشفى ، ثم خرج من المستشفى حينما أنشد المسئولين فيها الكثير من شعره ، وثبت لهم من خلال ذلك أنه بكامل قواه العقلية .

ويحدثنا طلعت الشرنوبى أن هذه المرة التى دخل فيها شاعرنا مستشفى الأمراض العقلية ليست هى المرة الوحيدة ، لأنه دخلها بعد خروجه منها بأربعة شهور تقريبا ، وذلك على أثر نصيحة نفس الطبيب .

وحينما سمع الشاعر تلك النصيحة حاول أن يعتدى على الطبيب بعصا غليظة كانت فى يده ، غير أنها أخطأته ونزلت على وجه أبيه ، فنزف الدم من عينيه وأنفه وأحدثت بوجهه أثرا ظل باديا فى وجهه حتّى نهاية عمره . وحينئذ استدعى له الدكتور قوة من قسم ثانى طنطا ، ونشبت بين شاعرنا وبين تلك القوة معركة ، وكاد أن يتغلب عليهم جميعا — على حد تعبير طلعت — لولا أن خارت قواه فى النهاية، فأوثقوه بالحديد ، وألبسوه قميص المستشفى ورحلوه اليها ولكنه خرج منها بعد أسبوعين وذهب الى طنطا سيرا على قدميه وقد أنشد قصيدته التى يقول فيها فى المستشفى :

خذانى فغلاّنى وشُدّا وثاقيا ... ولا تسقيا الغبراء إلاّ دمائيا
ولا تذكرانى فى بنى الطين بعدها ... فقد عفت أرضى واجتويت سمائيا

ويحدثنا طلعت الشرنوبى أن توتّر الشاعر فى ذلك الحين لم يكن سببه إنشاد الشعر فحسب ، بل لأنه كان يتعاطى المخدرات بأنواعها كافة وليس هذا غريبا على عالم الشعر على المستوى العالمى ، فبالإضافة الى أن أغلب شعرائنا لا سيما فى أجيال الشعراء السابقة كانوا يتعاطون المخدرات إلى حد الاسراف فيها ، هناك نفر من الشعراء العالمين من كان لاتفارقه « زجاجة الأفيون » مثل « شيللى وكولبردج » .

وعلى الرغم من دخوله مستشفى الأمراض العقلية وهو فى طنطا فإنه كان يرتاد منتدياتها الأدبية والعلمية . وكان الناس يألفونه ويحبونه . ومنهم من كان يرتاح إليهم ويعيش بينهم وقتا طويلا كأسرة القرشى الفنية ، نظرا لصداقته بصلاح القرشى الملحِّن ، والذى كان يلحن لأخته سميحة بعض الأغانى من شعرِ صالح لتغنيها .

وقد اتصل كذلك وهو فى طنطا بالأستاذ توفيق قنديل التاجر وبالخطاط « أبو العلا » ، ودرس على يديه فن الخط حتى أصبح خطه جميلا كرسمه الذى زود به دواوينه الشعرية .

ويحدثنا عبد المقتدر خطاب ابن خالة الشاعر وصديقه وزميل دراسته أن والد الشاعر كان يوصى الحاج جوهر تاجر العطارة بطنطا لكى يعطى شاعرنا كل مايطلبه للكتب على أن يسدد هو المبالغ التى يأخذها صالح .

وكان هناك تاجر آخر للحدايد والبويات يدعى مصطفى عبد الخالق كان يأخذ منه الشاعر مايطلبه كتوصية والده ، وذلك على الرغم من أنه كان يعيش فى حضانة الأسرة .

وفى ذلك الوقت كان يتردد على رابطة الزجالين فى طنطا ويأتى فيها شعره ، كما كان يشارك فى كل احتفالات معهد طنطا الدينى بشعره .

فى التعليم العالى :

وبعد حصوله على شهادة الثانوية فى عام ١٩٤٧ تأهّب لدخول كلية دار العلوم لأن أمنيته فى إتمام تعليمه فى المرحلة الجامعية كانت تتركز فيها ، وكان يقول فى هذا الصدد لكل من يسأله وهو فى المرحلة الثانوية عن الكلية التى ينتوى أن يكمل فيها دراسته العالية .. كان يقول جملته الخالدة : « الى دار العلوم شددت رحلى ».. واجتاز امتحان مسابقتها التحريرى بنجاح مشرّف . غير أن الحظ قد خانه فى الامتحان الشفهى فى القرآن الكريم ، اذ قيض الله لآماله أن تتقوّض على مذبح رئيس قسم الشريعة بها آنذاك ، إذ ترصّده فى حفظ القرآن وبجرة قلم أحمر وأد آماله غير مكترث بما كانت تحققه الكلية من خير على يد هذا الشاعر العملاق الذى هو خير من عشرات ومئات من الطلاب العاديين الذين لايجيدون سوى حفظ القرآن وشوارد اللغة وشواذها قبل صحيحها وبليغها .

واضطر صالح الشرنوبي إلى دخول كلية أصول الدين ، ومكث بها ما يقرب من سبعة شهور . ثم نفر منها ومن طريقة التعليم فيها لأنها لاتوائم الشاعر الفنان الموهوب الذى يتعشق الجمال ويعبده .

ومن ثم رأى صالح أنه لا يمكن أن يفلح فى هذا اللون من الدراسة لأنه لون كلاسيكى لايمثله ولا يمثل المجتمع الذى يعيشه .. انه لايرى نفسه وفكره ووجدانه فى دراسته .. ولكنه يراها فى دار العلوم وقد عز عليه دخولها .. وهوالشاعرالفنان . ودخلها أناس كان من الممكن أن يدرسوا أى شيء ويجيدوه ، وهنا تعقدت المشكلة وكان لابد من حل ولن يكون هذا الحل إلا فى التمرد عليها والخروج منها . ولكن إلى أين؟ إلى لاشيء .. ويستمر شهرا فى مصر يبحث عن عمل من وراء أخيه شرنوبى ويظل يبحث ويبحث حتى يجد العمل فى مدرسة ابتدائية فى بلطيم ، ويرجع الشاعر إلى بلطيم بلا أمل بلا أمنيات ، بعد أن خرج منها وهو مفعم بالأمانى والآمال .

أجل ، وئِدتْ الأمنيات والآمال على مذبح الحظ العاثر الذى بات يترصده فى كل عمل يقوم به ، أوكل عمل تنزع إليه نفسه وتهفو إليه مشاعره ؟

وفى هذه الأثناء كتب عبد المقتدر خطاب الذى كان يسكن مع شاعرنا فى شارع ابن « كركون » بشبرا .. كتب خطابا الى شقيق الشاعر يقول له فيه إن صالحا نفر من التعليم وغـدا يتردد على السينما والمسرح ورابطة الأدب الحديث ، ويحرق نفسـه بيده فى « المكيّفات » ويحتاج إلى رعاية أقوى منى .

فردت والدته على لسان شقيق الشاعر قائلة إن صالحا ليس صغيرا وإنه لشاعر النيل .

***

والذى لا شك فيه أن انسانا تخيب آماله وأمنياته لابد أن ينحرف به التفكير عن جادة علماء الدّين كما يزعمون ، أو لابد من أن يخرج من هذا الإطار الدينى فى تفكيره ليلقى بنفسه فى غمار الفلسفات الحديثة بحثا عن الحقيقة التى يطمح إليها ، والتى يأمل فيها أن تريحه من العناء النفسى الذى يعانيه .

وعلى هذا قرأ الشرنوبى بعض الفلاسفة الغربيين ولا سيما نيتشة وأدّت قراءته هذه إلى أن يتساءل عن كل شيء وأن يشك فى كل شيء وأن يُنكر كل شيء . !

فترة من الشك أصابته ، كما أصابت من قبله كل قارىء للفلسفات الحديثة ، أوكل قارئ متبحّر فى الفلسفات بصفة عامة ، كما حدث لأستاذنا أبى حامد الغزالى صاحب « احياء علوم الدين » .

ويحدثنا محمود اسماعيل المخرج السينمائى أنه التقى به فى تلك الفترة فى قهوة الفيشاوى عن طريق الشيخ سعاد جلال — وكان محمود اسماعيل فى بداية التصوف — فراق له أن يتحدث معه وهما فى الطريق بعد خروجهما من القهوة فى المشكلات الدينية ، وانتهى حديثهما إلى أن يعتنق صالح الشرنوبى هذا اللون من رياضة الروح والنفس وأعنى التصوف .

فى عالم التدريس :

تسلم الشرنوبى عمله فى مدرسة بنات بلطيم الابتدائية مدرسا للمرحلة الأولى ، فكان يدرس كل شىء حسب ما يتفق ومناهج وزارة « المعارف » فى التعليم الابتدائى (الأولى سابقا) ، وأخلص فى عمله ، وانقطعت صلته بالأدباء ، وعاش مع أهالى بلطيم كما يعيشون مطرحا الآمال والأمنيات من وراء ظهره .

وإذا عرفنا أنه جاء إلى بلطيم وفى نفسه استعداد للتصوف كبديل عن الآمال الضائعة والأمنيات التى ذهبت أدراج الرياح ، واذا عرفنا أن هذا الاستعداد قد ولد فى نفسه بمقابلته لمحمود اسماعيل الذى كان يجره إلى ميدان التصوف .

وإذا عرفنا بالاضافة إلى ذلك انه كان سوداوى المزاج متشائما، والسوداء معروفة بأعراضها وهى الوجوم والحزن الملح المجهول السبب والإكثار من ذكر الموت وسوء الظن بالناس وبالنفس أحيانا فى أزمات النوبة التى تحرج الصدر وتقيم على العقل — وقد تهدى أحيانا إلى العزلة أونقيضها وقد تقترن بشذوذ العبقرية حتى ليقل الاعتدال فى العبقريين — إذا عرفنا ذلك ، فإننا لانستغرب من شاعرنا أن تعتريه وهو يقوم بالتدريس فى بلطيم نوبة تصوف عارمة جعلته يعفى لحيته ويتوب إلى الله .

ويحدثنا عبد العزيز الشرنوبى شقيق الشاعر أنه قد قص عليه سبب تصوفه فى بلطيم فيقول : إن صالحا سمع هاتفا يقول له : أما آن لعبدى أن يتوب ، ففزع الشاعر من نومه وقال : تبت يارب ، وقام وتوضأ وصلى ركعتين قبل الفجر ونزل من البيت يدعو الناس إلى الصلاة بصوته الرخيم ، وببعض الأدعيات الدينية ، وهنا التف حوله بعض الشباب الأشقياء ، فذاقوا حلاوة الإيمان على يديه . وكان يؤمهم إلى الصلاة بعد أن يفسر لهم القرآن فى الفجر قبل الصلاة وبعدها . وكان يسير فى شوارع بلطيم وهو يدعو الناس إلى الصلاة مصطحبا معه إخوته وأولاد عمه وأصدقاءه ومريديه .

وكان يعقد ندوة كل مساء فى بيته يرتادها مجموعة من الشباب والشيوخ على السواء يعرض فيها لكل شىء .. للدين وللأدب وللسياسة .. والفن بأجناسه المختلفة ، فكان يتحدث مثلا عن الرقص كوسيلة من وسائل العبادة ، وكان يتتبعه عند الأمم المختلفة كالبوذيين ....

والصينيين .... والمصريين القدماء ... والعرب وغيرهم من الأمم التى استخدمت الرقص فى الاتصال بالله ... وكانت هذه الندوة تستمر وقتا طويلا يصل فى بعض الأحيان إلى ستّ ساعات تقريبا .

وفى هذه الأثناء كان ينشد الشعر ، غير أن هذه النوبة الصوفية حينما إشتدت عليه حاول أن يحرق شعره ، ولكن والدته التى كانت تشجعه على تنمية مواهبه الفنية وتستمع إلى قصائده أنقذت دواوينه من الإحراق بإخفائها عنه. وحينئذ لم يجد بُدّاً من أن يبتهل إلى الله بقصيدة نثرية تدعى « صلوات » يقول فيها :

اللهم انى تبت اليك من ذنوب أنت تعلمها وقدّرتها فكانت
وأنا أعلمها ولم أقدّرها وكانت
اللهم فاجعلها كأن لم تكن
لأنى أريدها ألا تكون ، وأنت ربىّ وأنا عبدك

***

لاهمّ إنى ظامىء الى منهل صوّره لى حنينى إليك
جائع ملهم بوحى الخبز السماوى
الذى أتلقى فتاته حينما يزدردنى الحرمان
إلا قلبا يخفق بك ... ولسانا يذكرك ... وعينا تراك .

***

اللهم يامنقذى من التيه
وقاذفى فى القفـــر
ويا مطفئى بنـــوره
ومضيئى بنـــوره
ويا مُسعدى بإشقائى
ومُشقىّ بسعـــادتى
ياربّ
إلى من تكلُـــنى
إلى نفسٍ همها الخير للناس والنعمة
وهمُّ الناس لها الشر والعــدوان
أم إلى ورقة صفراء من ورق الخريف يقال لها القلب ؟

كما أنشد قصيدة شعرية على أثر ماعاناه من موجدة من مواجد السيد العارف الأستاذ محمد ماضى أبو العزايم وعنوانها لولا .. ولولا .

لولا .. ولولا .. ولولا عبدٌ قديم لمـــولى
لأصبح السر جهـــرا منى .. وأصبحت قولا
وغبت عن كل شىء مما بـــدا .. وتجـــلى
لولا عناية عين الرحمـــــن .. حين تجـــلى

ويحدثنا عبد المقتدر خطاب أن صالحا قد وصله فى هذه الأثناء خطابٌ من الشاعر صالح جودت الذى أبى أن يدفن الشاعر نفسه حيا فى بلطيم وطلب منه فى نفس الخطاب أن يوافق على أن تغنّى « لوردكاش » قصيدته « من أحلام الصيف » والتى يقول فيها :

خطرت كالنسمة السكـــــرى بأنداء الصباح
فكرةٍ من فكر الحســـــن تجلّت فى وشاح
عبقرىٍّ النسج رفا ف كأحلام المــلاح

المحنة :

شاءت إرادة شاعرنا أن يتّم دينه بالزواج ، لكى تكون الصورة للحياة فى نفسه صافية لاتكدرها شوائب الإثم صغيرة أو كبيرة .

ولكن من تلك التى يختارها زوجة له ؟ كثيرات وكثيرات يسعدن بالزواج منه ويأملن أن يمد يده إليهن ، فهو شاعر فنان . هادىء الطبع لاتخرج من فمه كلمة نابية ولا يغضب أحدا ، ومع هذا كله كان فى حيرة من أمره ، لأنه يريد أن يتزوج إنسانة يجد نفسه فيها .. إنسانة تؤمن بفنه وعبقريته ويحس ذلك منها ولا يتوافر ذلك إلا فى إحدى قريباته التى طالما أسمعها شعره وطالما استزادته منه .

إذن والحالة هذه فلا بد من تحسيم للموضوع ، وما عليه الا أن يشد الرحال الى أخيه شرنوبى — وقد كانت علاقتهما إلى هذا الحين طيّبة — ليستشيره فى هذا الموضوع ، وفى هذه الإنسانة بالذات ؛ فوافق شرنوبى على مشروع أخيه ، ولكنه لم يذهب معه بدعوى أنه لو كان سيتقدم إلى انسانة غريبة عن عائلة شرنوبى لذهب معه ، وأنه يعتقد أنهم لن يرفضوه لأن سمعته ومكانته تجعلانه كفئا لها .

وتحدّثنا السيدة فوزية غانم زوجة أخيه شرنوبى أن صالحا كان يستعد للسفر وهو يغنّى بشعره . وحلق ذقنه وجهز حقائبه ، وحمل فيها الهدايا التى كان قد أعدها لهذه المناسبة .

وسافر الشاعر يحدوه الأمل المرجّى فى قبول خطبته لمن يجد نفسه فيها ووقع فى حيرة من أمره أذهلته عن نفسه وهو فى الطريق .. وتتمثل هذه الحيرة فى الانسان الذى سيكلمه

فى هذا الشأن ؟ هل هو والدها ؟ هل هم إخوتها ؟ لكن بعضهم لم يصل فى العمر الى حد الفصل فى هذه الموضوعات ، ماذا يصنع حقيقة ؟

وأخيرا قرّ رأيه على أن يكلم أخاها الأكبر . على أن يوصل بدوره رغبة شاعرنا إلى عمــه .

ووصل الى البيت وأخرج هداياه وسلّمها للأسرة ، وراح يكلم الأخ الأكبر . فاذا به يذهل كل الذهول من إجابته .. لقد اتخذ هذا الأخ الأكبر رغبة ابن عمه مادة للمزاح ورفض بطريقة آلمت الشاعر وهدّته ، ولم يجد إجابة عن هذا المزاح سوى أن يحدق فيهم حتى وجموا وخافوا أن ينفجر فيهم بغضبه الذى لا يحدّ غير أنه اكتفى بالانصراف ..

إلى أين ذهب ؟

هل ذهب إلى بلطيم ؟ ان بلطيم لاتستطيع أن تستوعب الآلام التى تهدّه ، والعار الذى يحرقه ؛ وإذن فلابد أن يهجر بلطيم هى الأخرى ويذهب إلى القاهرة ليتخذها موطن إقامته .

ومعنى هذا أننا أمام مرحلة جديدة ، خرج فيها شاعرنا من ربقة التصوف وتزلزلت قيمه ، وهام على وجهه فى المنتديات الأدبية والملاهى وغيرها .

وظل هذا الجرح يحز فى نفسه ، وراح يتخيل إنسانة تحبه وتعطف عليه فى قصيدته « قلب بلا حب » وأهداها « إلى حواء أوهامى » ... ويقول فى مطلعها :

تعالى يا بنة الأحلام يا مجهــولة الذات
تعالى ياضياء لم ينــوّر أفق ليــلاتى
تعالى يا رحيقا لم يــزل يروى خيــالاتى
تعالى نجمع الماضى الذى راح إلى الآتى
تعالى ياغراما تاه فى دنيا الصبابات

ويختمها بقوله :

تعالى فالردى الجبّــار لايحنو ولا يرحم
وهذا سيفه المخضوب لايبلى ولا يثلم
يرينى ومضه مالا يرينى ظلّه الأقتم
تعالى فالغد المرهوب .. غيمان السنى مبهم
ويا ضيعة دنيانا إذا ولى ولم تعلــم

وهنا ظن الشاعر أن مأساته فى نفور الفتيات عنه بسبب شوهة وجهه وأن نحسه ومصائبه بسببه أيضا ، ومن ثم أنشد قصيدته « هجاء » وهو فى حالة نفسية متضاربة الشعور متناقضة ثائرا على نفسه راضيا عنها وقد هجا فيها وجهه فقال :

لك يا وجهى التعيس هجائى   فى صباحى ومغربى وعشائى!
أنت يا مُتحف الدمامة والقبـ   ـح تنزهت عن صفات البهاء
مع سبق الإصرار صاغك ربى   لعنةً فى نواظر الأحيـاء
حسب عيشى من سوء خلقك نحساً   وبلاءً مزوّداً ببـلاء
إننى كلّما لقيت فتـاة   صفعتنى بالنظـرة الشزراء

***

وابتلعت القاهرة شاعرنا فيمن ابتلعت حينذاك من فنّانين أصلاء آفتهم الضمير الحى والاحساس المرهف ، وأخذ يتردد على أصدقائه يستضيفه هذا ويؤويه ذاك ، وغدا نهاره ليل الناس وليله نهارهم .

وترامت هذه الأخبار إلى سمع والده لكن ماذا فى يده أن يصنع وكيف يعاقبه بعد أن أصبح موضع غمز ولمز بين أقاربه وأهل بلدته بلطيم . ولم يتصور الناس مطلقا انسانا مثله تنقلب حياته رأسا على عقب بين عشية وضحاها ، إذ بالأمس القريب كان معفيا لحيته وهاديا للناس . واليوم تتلقفه نوادى القاهرة وملاهيها .

حقيقة ماذا فى يد الوالد أن يصنع مع هذا الابن المتمرد ، بعد أن أصبح لايطيق سماع اسمه أو قصته التى غدت مضغة فى الأفواه ، وأخيرا توصل الى أحسن طريقة لعقابه وهى أن يمنع عنه النقود حتى يرغمه على ترك حياته الجديدة ويرجع إلى «بلطيم» فيقوم بالتدريس كما كان ، وليتوب عما اقترف من آثام .

وفى الوقت نفسه لايستطيع صالح أن يعيش فى بلطيم ، تلك البلدة التى خذلته فى حبه وسخرت من عواطفه ، ومن ثم لايطيق رؤيتها أو رؤية أهلها .

على أن أهله تركوه دون نقود ودون رعاية .. إذ منع عنه والده راتبه ، وأصبح أخوه الأكبر لا يمنحه النقود الا نادراً وبعد عذاب ومعاناة ولم يجد شاعرنا مفرا من أن يعيش عيشة أهل الفن ، لأن حياتهم تطفئ ناره وتلهيه عما به من قروح وآلام .

وغدا صالح يفكر فى مصيره ، لأن استضافة أصدقائه لايمكن أن تكون دائمة ، بل إن بعضهم أصبح يتنكر له فى محنته بعد ما محضه شاعرنا الود صرفا . وسقاه من حنانه ، وجعل نفسه فداء له ومن هنا نراه يقول فى هذا الصدد فى قصيدته « الصديق » :

ذهب الصدق والصديق فدنيا النـ   ـاس دنيا الذئاب والأغنـام
كم صديق محضته الـودّ صرفا   كان أقسى علىَّ من أيّـامى
وصديق سقيته من حنـانى   فسقانى كئوس عيش زؤام

وصديق جعلت نفسى فداه ذائدا عن حياضه بسهامى
ثم مال الزمان يوماً بحظى فإذاه فى الروع أوّل رام ؟
وصديق حميته من ضيــاع فبنى صرح مجده بحطامى ؟
وصديق جعلت أهلى له أهـ ـلا وعطفى لأهله وسلامى
وجعلت الوجود جنة قلبيـ ـن يعيشان فى ظلال الوئام !
فحياتى حيــاته فى المعانى الآ دميّات والوجود السامى !

***

ثم ولّى.. فلا تسلْ كيف ولّى وسل الدهر عن ضحايا اللئام

ومعنى هذا أن شاعرنا قد خسر أصدقاءه فى الوقت الذى خسر فيه أهله ، وأصبح يعيش يومه وليلته فحسب وتزلزلت قيمه وغدت حياته جحيما يتلظى ..

وعلى الرغم مما يعانيــه شاعرنا الأبىّ ، فانه لم ينزل بشعره حضيض التكسب به كما كان يفعل الأغلب الأعم من شعراء ماقبل الثورة . بل إنه ظل فى أفقه الرفيع لايكتب سوى الشعر معتبرا أنه هو الفن الغالى وما عداه من الأغانى الزجلية ليستفنا خالدا ، وان كانت مربحة عن الشعر ورائجة السوق فى مضمار الشهرة ، وهو لايريد أن يشتهر بالأغنية ، بل إنّه كان يتندّر بمن يحتفلون بها زاعما أنهم يحتفلون بلا شيء .

ومن هنا وجد محمود اسماعيل صعوبة فى إنزاله الى مستوى الأغنية حتى يستطيع مقاومة الفاقة التى يدّثر بها .

وحينما اقتنع بعد تمنُّع وإباء كلّفه محمود اسماعيل بأن يكتب له أغانى فيلم «فتنة» الذى ألفه وأخرجه محمود اسماعيل . فكتب له صالح أغنيتين وموالين ، ، ونقده عليها خمسين جنيها ، ويقول محمود اسماعيل: « ان صالحا لم يرضخ الا بعد أن صورت له المسألة على أنها خدمة خاصة لى لا له ، ولكنه بعد أن وجد المبلغ مغريا طمحت نفسه إلى تحويل شعره الغزلى فى ديوانه الى زجل لكى يبيعه للمغنين ولكى يقيه من غائلة الفاقة والحرمان ..

وحاول بعض أصدقائه أن يجدوا له عملا . وبعد لأى وعناء عثّروا له على وظيفة مدرس فى إحدى المدارس الأجنبية للبنات وهى مدرسة « سان جورج » وفى هذه الفترة كان ملتحيا ومتصوّفا ، اذ عاد الى شنشنته الأولى وهى التصوف واعفاء اللحية ولكنه فصل منها .

وتعدّدت الروايات فى أسباب فصله . فمن قائل : هو التفاف البنات حوله دائما وتطلعهن اليه واعجابهن به . ومن قائل : انه ضبط يتعاطى بعض المخدرات ، ومن قائل : إنه كان كثير التأخُّر عن مواعيد المدرسة ..

ومهما يكن من أمر ، فإننا نميل الى أن السبب فى الفصل هو تأخره عن مواعيد العمل لأنها مقدسة لدى المدارس الأجنبية ، وبالمحافظة عليها أو إهمالها يحكمون على شخصية المدرس . والذى لاشك فيه أنه فصل بعد شهور تعد على أصابع اليد الواحدة عدا. ومن ثم رجع الى الضياع والتشرد وطردته صاحبة البيت الذى يسكن فى إحدى حجراته المتواضعة فوق السطح ويقول أصدقاؤه إنها كانت عشة للطيور – بعد أن تأخر فى دفع الايجار ثلاثة شهور . ويحمل الشرنوبى متاعه المتواضع – ويتمثل فى حصيرة وبعض الحاجيات الضرورية – ويلجأ إلى جبل المقطم فيسكن فى مغارة بجوار جبانة الغفير .

ويعيش شاعرنا فى هذه المغارة شهرين كاملين ، وهو يتردد عليها فى الليل لينام فى حمى الجبل المضياف على حد تعبيره .

إن الخيال ليقصر عن تصور الهول والخوف الذى يعانيه الانسان حينما يذهب اليها الآن بعد سبعة عشر عاما ، أى بعد أن أصلح فى الجبل الطريق الجديد الذى أضىء بالكهرباء وبعد أن امتد العمران إليها أو كاد ..

وفى هذه المغارة أيضا سجل لنا الشرنوبى إحساسه الثورى فى قصيدة تعدُّ وثيقة هامة على الجانب الاشتراكى فيه .. وهى بعنوان : « على ضفاف الجحيم » وقد قدم لها الشاعر بقوله :

« اليك ياقاهرة .. الى أضوائك القاسية التى طالما عذبت عينى . وأنا قابع هناك فى الجبل المضياف .. بصخوره الحانية .. وكلابه العاوية ، وصمته الكئيب .

ثم الى هؤلاء المترفين الكسالى . . الذين ينكرون على إيمانى بالألم . . وعبادتى الدموع .. وإخلاصى للأحزان » .

ويقول فى مطلعها :

إنى هنـــا أيتها المدينـــه   الحرة الفاجـــرة المجنونه
أحبس فى جفنى الرؤى السجينه   والأدمع الواهـــة السخينـــه
إنى هنـــا أغربل السكينه   وأزرع الخواطر الحزينه
ملء ضفاف الوحدة المسكينه   وفى يـــدى فجر ستعبدينه
يوم تزول الوحـــدة الملعونه

ويحاول فى هذه المحنة أن يلتحق بكلية دار العلوم . ليحقق أمنيته من ناحية . ولأنها تمنح طلابها وجبـــة غذاء كل يوم والكتب الدراسية ومراجعها ومبلغ ثلاثة جنيهات شهريا ولكن الحظ العاثر يقف له بالمرصاد فى صورة شيخنا رئيس قسم الشريعة الذى وقف له سابقا فى عام ١٩٤٧ كالحارس الأمين فلم يسمح له بدخولها بدعوى عدم حفظه للقرآن .

« ويضطر شاعرنا – كما يقول الدكتور أحمد هيكل أستاذ الأدب بكلية دار العلوم – وهو الفنان الذى كان مرتبطا أوثق الارتباط بأصدقائه وزملائه من طلاب دار العلوم التى كان يأمل أن يكون من أحد أبنائها، والذى كان مرتبطا من ناحية أخرى بالمكان الذى كان أمله معقودا عليه فى إتمام تعليمه .. يضطر بعد هذا كله إلى دخول كلية « الشريعة » على الرغم من أنه لاتوجد بينه وبين دراسة الشريعة أية رابطة ، بل كان لايحفظ القرآن كما علمنا ... ومن ثم فإنه قد تمرد على الدراسة فيها ، كما تمرد على الدراسة فى سابقتها فى كلية أصول الدين .

وهنا تعقدت المشكلة، لأنه خسر الأهل والأصدقاء والأمل المُرجَّى وسيرته الطيبة فى بلطيم . وضاقت الدنيا فى وجهه بما رحبت . وأخذ يتطلع الى السماء علها تمده بعون يخرجه من المأزق الذى تردَّى فيه بالرغم منه .. وانطوى على نفسه وأصبح لايزور أصدقاءه إلا لماما، وفى زورته لهم كان يطلب ممن يرتاح اليهم ألا يشرب شايا أو قهوة وحسبه « ساندوتش » لأنه لم يفطر ، أو لأنه لم يتناول غداءه ، ولأنه فى مغارته يأكل جوعه ويقتات الظمأ على حد تعبيره .

وحينما ذاع التجاؤه إلى مغارة المقطم فى الأوساط الفنية والأدبية سعى إليه ابراهيم السيد الفنان الذى يحترف التمثيل المسرحى والإخراج السينمائى آنذاك ، وأرغمه على أن ينتقل إلى سكنه الكائن فى شارع البهاء زهير (رقم ١٥) .

فى البيت الجديد :

انتقل شاعرنا إلى هذا السكن . خاصة بعد أن ارتبط بابراهيم السيد بصداقة منذ فيلم « فتنة » . اذ كان ابراهيم ضمن الذين مثلوا فيه وعلى الرغم من أن السكن الجديد يمثّل مغارة أرضية فقد وجد الشاعر مشاركة انسانية من ابراهيم السيد وبكر الشرقاوى الذى كان يعيش معهما وكل من الشرنوبى وبكر الشرقاوى يعتبران ابراهيم السيد أبا ، لأنه كان يحنو عليهما ، وضم كلا منهما الى جانبه فى الوقت الحرج فى حياة كل منهما . واذن فالمغارتان مختلفتان . ويحسن أن نقف على معالم السكن الجديد الذى يمثل – كما يقول بكر الشرقاوى – « بدروما » . كان يسميه الشرنوبى « بدروم آخر الليـــل » لأنه مظلم ظلام القبور وذلك لأنه من الجهة الخلفية للبيت ..

وعلى عكس البيوت يصعد إليها الإنسان . أما هذا « البدروم » فإنك تنزل إليه على سلم ينتهى إلى ظلام تام تختفى فيه معالم المدخل إذ كانت حجرة البواب أعلى منه ، لأنها فى منتصف الطريق السفلى المؤدى إلى البدروم .

وما إن تفتح الشقة حتى تفاجأ بسلّم آخر مكوّن من درجتين أخريين ، وحينئذ يلفح وجهك هواء يخيَّل إليك أنه قد سبق تنفسه قبل ذلك ، لأن فيه معنى القدم ، ويتّسم فى الوقت نفسه بالهدوء ، لأنه فى مأمن من العواصف ، كما تشمّ منه رائحة تكاد تكون عطنة وإن كان أصحابه لايدرون بها ..

وكانت جدران « البدروم » كالحة بحيث تتجرد الألوان فيها ، ولا تتميز بمسميات فلا تجد الأحمر أحمر ولا البنى بنيا ، ولا الأسود أسود ، وكانت المياه تطفح من أعماق الأرض على الجدران حتى تصل إلى ثلاثة أرباع ارتفاعها . والمطبخ يقوم بدور الحمام ولكنه يتمتع بميزة أنه لكى تصل إليه لابد أن تصعد درجتين ، وذلك راجع لخطأ فى البناء الذى شكل نوعا من « الديكور » ، وخاصة أنه كان هناك « ديكور » آخر طبيعى ناتج من أن صاحب البيت قد بخل على « البدروم » بالأبواب لبعض الحجرات ، فترك البيت على شكل « آرش » وذلك شيء نادر لايتحقق إلا فى البيوت الكبيرة فيما مضى .

وليس هناك شيء يقال له أثاث بمعنى الكلمة ، فالكراسى ليست كراسى وإن كانت تقوم بوظيفتها ، ومن هنا فإن تسميتها من باب المجاز .

وكانت هناك منضدة تستخدم فى كتابة الشعر للشرنوبى ، بينما يستخدمها الشرقاوى فى أوقات فراغ الشرنوبى فى حل المسائل الرياضية وكتابة القصة والمسرح ، وفى وقت فراغ هذا وذاك يستخدمها صاحبها ابراهيم السيد فى كتابة « الديكوباج » [1] للأفلام ، وكان هناك سريران يمتلكهما ابراهيم السيد ، وان كانت حصته منهما نصف سرير فقط ، بينما يتنقَّل بكر وصالح على السرير والنصف الباقى .

ولم يكن بالشقة أدوات منزلية سوى « وابور » غاز وصفيحة لاستعمال الحمام وكانوا يطلبون ما يحتاجون اليه من المشروبات من مقهى [2] متواضع فى الشارع ، وذلك لأنه لم يحدث أنهم قد عملوا فى مسكنهم قهوة أو شايا ..

وعلى الرغم من أن هذا « البدروم » الخالد لا تتسع مساحته الا لعشرين مترا مربعا فإنه كثيرا ما استوعب عددا هائلا من عشاق الأدب والفن من شباب وشابات وشيوخ ، ويمثل هؤلاء وهؤلاء مختلف الاتجاهات السياسية والفنية ، وكانوا يقضون الليل والنهار فى معترك المناقشات الحامية حول الفن والانتاج الأدبى .

وعلى الرغم من هذه الحياة الضافية التى توجد فى سكنه الجديد ، وعلى الرغم من سعة صدر ابراهيم السيد وحبه لشاعرنا وعطفه عليه ، مما جعل صالحا يقول فيه فى قصيدة الصديق :

(١) وهى العملية التى تتمثل فى تقطيع المشاهد إلى لقطات تصور غداً .

(٢) كان هذا المقهى خاصا بالعمال والخدم .

وإذا ما سألتنى .. مَنْ صديقى بعد طول التجريب والإحكام
فهو من لم أطعمه زادى ولم أل بسه ثوبى ولم أقاسمه جـامى

نقول على الرغم من ذلك كله فان المشكلة لم تحل إلا من جانب واحد وهو السكن الذى يؤويه ، ويبقى بعد ذلك رغيف الخبز .. أجل رغيف الخبز .. الذى كاد يهده ويصرعه على مذبح مثاليته وإبائه ..

ومن هنا كان يجلس فى حجرته بالليل بعد إحكامه لرتاج بابها وبعد أن يغلق النافذة يجلس فى الظلام الدامس يحاسب الله حسابا عسيرا قائلا له : بعد أن يقدم له نفسه فى خشوع وبلهجة جادة وعنيفة تأخذ بالألباب ، وبصوت يوحى بأن روحه مسلوبة منه يقول لله : انى صالح بن على شرنوبى ، أمى فلانة بنت فلان ، وأكلمك وأنا بكامل قواى العقلية أن تحدثنى عن الذى جنيته ، وعما اقترفته حتى تجعل مصيرى هكذا ، ونهايتى مظلمة كظلام حجرتى هذه ...

وكثيرا ما كان يضىء شمعة ويجلس على ضوئها ولا يوقد النور . لأن أعصابه كانت دائما متوفزة لاترتاح إلا على ضوء خافت .

ويقول الشاعر فى هذه الحجرة قصيدته « الغرفة المهجورة » ومطلعها :

أراقت عليها معانى الفنـاء ظلال السكون الحزين الرهيب
ولفّت معالمهـا ظلمـة يصارعها النور حتى يغيب
يكاد الظـلام إذا جاءها يفرُّ فإن هممت لا يجيب
تفـزّعه دونهـا وحشـة مطلسمة كالشعـاع الغـريب
وتعول فى صمتها الذكريات فيفرق منها الوجود الكئيب

***

مروّعة الظل مقـــرورة تعـربد فيها رياح الخريف
تقاسمنى علّة فى الضلوع مسهّدة النار ظمأى العزيف
تسائلنى وهى مصلــوبة على مذبح سرمدىّ النزيف
متى كان عهدك بالراحلين وفيهم أساةُ المريض الشفيف
فأطرق حتى يضجّ السكون ويبكى علىَّ الظلام الكثيف

وفى هذه الحجرة أيضا كان يذرف دموعه من شاعريته لا من عينيه فعلى أفقه سحابات وفى نفسه أعاصير :

على أفقى سحـابات وفى نفسى أعاصـير
نهارى التائه الحـيرا ن تقـدير وتـدبير

وليلى الشارد اليقظـا ن أوهـام وتفكـير

***

وليـلى حائر الأنجـ ـم مخنـوق الخيـالات
صبغت بلونه عمـرى وأحـلامى الشريـدات
وفى مذبحـه المهجـو ر أحرقت ابتهـالاتى

ويحدثنا الدكتور الطاهر مكى مدرس الأدب الأندلسى بكلية دار العلوم ، أنه وثلاثة من أصدقائه كانوا يعملون محررين بجريدة « الكتلة » وكانت مرتباتهم ضئيلة بالنسبة لمرتبات من ينتمون إلى حزب الكتلة ..

وحينما علموا أن مكرم عبيد سيزور الجريدة فكروا فى أمر انصافهم عن طريق سماع مكرم لشكايتهم ، ولكن كيف يكون ذلك ؟؟ حينئذ اهتدى أحدهم وكان يعرف شاعرنا إلى البحث عنه ، وعثروا عليه نائما فى مسجد الجامع الأزهر ، فأخذوه وتناولوا الغداء معاً ثم قصوا عليه الحكاية ، وأنهم فى حاجة الى قصيدة مدح فى مكرم عبيد ..

وهنا ظل يملى عليهم مدحه فى مكرم بلسانهم وفى ختام القصيدة شكا لمكرم حال المحررين الخارجين على حزب الكتلة ، وألقى عليهم هذه القصيدة وهو مضطجع على جنبه فى مسجد الجامع الأزهر ..

وأخذوها وألقاها أحدهم وهو فريد عرمان على أنها من شعره وحينئذ أمر لهم مكرم عبيد بزيادة مرتباتهم إلى الضعف ..

ثم يدركه بعد ذلك عيد ميلاده الخامس والعشرين ، فكان لابد من أن يكون باعثا لشاعريته ، ولا بد أن يحتفل به ، فماذا أعد له ؟ لقد أعد له قصيدة تموج بالكآبة والحسرة إذ يصور فيها حياته ، ويطلب من الله أن يريحه من عناء الدنيا لأن راحته فى موته ..

خمس وعشرون عاما مرّت سحابا جهـاما
فما زرعـن صـفاء ولا حصـدن سلاما
وما زرعن سوى اليأ س ناضرا بسّـاما
ولا حصـدن سوى العُمـر أنجما تـترامى
يدور رأسى إذا مـا حسبتهـا أيـاما !
وأفقد العقـل إمّـا حسبتها أحـلاما
مشيت فيها على الشو ك لا أملٌ اعتزاما
أكافح الحقد .. والحا قدين .. والأوهـاما
واليأس .. والبؤس .. والهمّ .. والأسى والأناما
وأجبه الدهـر فردا ذا مـرة .. مقداما
أسقى المنـايا منايـا من همتى وسهامـا

ويقول فيها كذلك :

سئمت ذاتى وظلّى وصبوتى .. والغـــراما
وصـــار أقصى أمانىّ أن أذوق الحمــــــاما
وبات عيشى على الأر ض محنـــة وغـــراما
سئمت حتى التّمـــنى ! والدمـــع .. والإبتساما
والأرض والساكنيهـــا والأفـــق .. والأجراما
والحسن والعاشـــقيه والزهـــر .. والأناما
والشعر .. والفكر .. والفن .. والهوى .. والهياما
والليـــل يشبه حظى والنور يحكى الظلاما

ويكفى أن تصل إلى مسامع أحد أقربائه وهو فتحى الشرنوبى ، فيرسل له خطابا بتاريخ ٢٧ من فبراير سنة ١٩٥٠ يقول فيه :

« تحية كبيرة جدا تليق بتلك القصيدة التى فاقت ماكتب الشعراء وحرام عليك خلّيت الدموع تجرى من عينى ، وأرجو أن تكتب لى عن صداها فى الوسط الفنى ، وعن درجة حرارتها ، لأنها قصيدة من الدرر والنوادر وإنى لفى انتظار خطاب واف تحدثنى فيه عن مولد تلك الدرة وصداها الى آخره » ..

كلمات رقيقة ، ولكنها تنظر إلى المشكلة من الخارج ولا تغوص فيها فتسبر أغوارها وتتعمق بواعثها ، ولذا فقد لجأ الشاعر – حينما ضاقت به الأرض بما رحبت ، وادلهم الكون أمام ناظريه – إلى الأستاذ محمود اسماعيل ليكلم صديقه كامل الشناوى ليعمل مصححا فى جريدة الأهرام ولكن شاعرنا أبى أن يدخل معه على الشناوى ليوفر عليه عناء الإحراج على حد تعبيره ..

وما إن سمع كامل الشناوى القصة حتى عيـّنه على الفور واستلم عمله فى الحال ، وأظهر الشناوى أسفه لما وصلت إليه حالته .

ويحدثنا محمود اسماعيل بأن شاعرنا حكى له فى اليوم التالى أنه أرسل للشناوى بيتين من الشعر شكا له فيهما حالته المادية فرد عليه الشناوى ببيتين ومبلغ جنيهين ، وكان مرتبه حوالى اثنى عشر جنيها تقريبا ، وقال الشرنوبى حينئذ « إنه استراح من عناء التفكير فى رغيف الخبز » ..

وكان هذا المبلغ لايقوم بأعباء انسان كالشرنوبى ، لأنه مسرف متلاف للمال شأن كلّ فنان لايحسب للمال حسابا ، ومن هنا ، فإن حالة الإفلاس والإملاق كانت تعاوده

بين الحين والحين ، ويحاول أن يوفر احتياجاته من المال ولكن دون جدوى ، إذ كان يذهب إلى أخيه شرنوبى ، فكان يرده ردا غير جميل فى أكثر الأحيان – كما يقول بكر الشرقاوى الذى ذهب معه مرة إلى شرنوبى – وقليلا مانقده مايحتاج إليه وعلى الرغم مما يؤكده بكر الشرقاوى وأصدقاء الشرنوبى الذين لازموه فإن السيدة فوزية غانم زوجة أخيه تؤكد أن شرنوبى كان يعطى صالحا فى أغلب الأحيان النقود التى يطلبها ، غير أن صالحا كان يبددها فى أسرع وقت . وكان يثور فى بعض الأحيان ويحطم أى شىء يصادفه كالأطباق وغيرها ، ولكنها تؤكد فى الوقت نفسه أيضا أنها كانت غير مرتاحة للعلاقة بين شرنوبى وأخيه لأنه كان يسودها الفتور فى بعض الأحيان ، ولطالما شكا شرنوبى من تصرفات صالح التى لاتليق بأسرة شرنوبى .. ويحاول طلعت شرنوبى أن يقفنا على حقيقة الأزمة بين شاعرنا وشرنوبى فيقول : إنه كان يعتقد أنه تزوج مرتين وفى المرة الأخيرة أنفق والده على الفرح مبالغ طائلة تربى على ثلاثة آلاف جنيه ، لأن زواجه فى المرة الثانية كان من بنت مرسى غانم وهو فى جبروته وعزته .

ويضاف إلى ذلك المبلغ الكبير الذى منحه والده لشرنوبى ليؤسس به تجارته ، وكان يزيد على سبعة آلاف جنيه ، وكان والده يمنحه بسخاء ، لأنه يعلم أنه لن يتلف هذه المبالغ على العكس من صالح ..

وبجانب ذلك فإن صالحا كان يعتقد بأحقيته لمثل هذه المبالغ ، لأنه شاعر ويود منهم أن يجنبوه غائلة البحث عن رغيف الخبز ، ولأن شاعريته ستنبه بها أسرة الشرنوبى بأسرها فلم لايمنحه والده ما يحتاجه؟ ولم لايحاسبونه على تصرفاته لأنها ليست غريبة على عالم الفن والأدب.. ومن هنا كانت الأزمة ، وكان الصراع بينه وبين والده أيضا لابنيه وبين شرنوبى فحسب ..

ومهما كان تفسير طلعت للأزمة بين الأخوين فإننى أحسست من حديث شرنوبى – فى لقائى معه قبل أن يلقى الله بعامين – أنه يود أن يخلد ذكرى أخيه بإقامة مسجد باسمه وطبع دواوينه الشعرية على نفقته لأن شرنوبى أحس أن أخاه مات وفى نفسه منه شىء ..

وعلى أية حال فإن شاعرنا كان يشكو دائما من أخيه شرنوبى ويصفه – كما يقول ابراهيم السيد – بأنه غير بار به ، وكان يأمل فى أن يعوله شرنوبى فى القاهرة ، حينما يقطع عنه والده النقود . ولم يكن يضير شرنوبى ما يصرفه على أخيه ، لأنه كان على ثراء أمثل .

ويضيف ابراهيم السيد إلى ماسبق أنه على الرغم من أنه سكن معه لمدة عامين تقريبا فلم يدخل

عليه فيهما أحد من أهله وكان يحدث ابراهيم بأنه على غير وفاق مع والده ، وأن أخاه شرنوبى مقصر فى حقه ، ولا يساعده ويعطف عليه فى هذه الأسرة كلها سوى والدته وكان يظن أن ماترسله اليه من بعض الأطعمة ترسله إليه خلسة من وراء والده .

ويقول ابراهيم السيد : إنه لم ير أحدا من أهله يزور شاعرنا إلا بعد وفاته بحوالى أسبوعين ، إذ جاءه أخوه عبد العزيز يطلب حاجيات صالح ..

***

وقد كانت هذه الأشياء مجتمعة باعثة لأن يندب حظه فى الحياة فى قصيدته « حظوظ » التى يقول فيها :

مكانتى ... أصغر من حقى وحاجتى أكثر من رزقى
وحكمة الخالق فى خلقه أعماقها أبعد من عمقى
الناس .. هذا ثوبه سندسى وذاك يشكو الخرق للخرق
وبينما تلقى الذى نجمه عال دنىء النفس والخلق
تلقى فقيرا ملء أسماله فكر .. وفن .. معجز النسق
مقادر بالغيب محجوبة وحكمة أعيت على الخلق

ويمثل هذه الثورة على حظه فى الحياة فى الوقت الذى ينعم بالرزق والجاه كثير من الأدعياء المغرورين الذين يسخّرون فنهم لخدمة الحكام ويوظفونه لمصالحهم الشخصية فحسب... بمثل هذه الثورة نراه يتطلع إلى مقام الألوهية ليمحو الشرور والآثام وليسوى بين الناس فى الخير ، فغدت الدنيا كلها خير ، والناس كلهم خيرين أيضا . وهو خير محض كذلك ولم يستطع أن يتميز منهم ، وهنا أخذ يسائل الله عن الحل ولم يجد فى الإمكان أبدع مما كان ..

خلتُ نفسى يوما إلها عظيما قاهر الحول .. نافذ الأحكام
واستوينا — أنا ومجدى — على الخلق نسوّى ما بينهم من خصام
ورأينا الشرور أمّ البلايا ومعين الأحقاد والآلام
فاتفقنا — أنا ونفسى — على الخير ومحو الشرور والآثام
فانبرى كل ماحوى الكون والدهـ ـر يغنىّ لحن الرضا والسلام
واذا بى أحسُّ بعد عهود أن ذاتى موصولة بالأنام
أنا خير محض ومن هم عبيدى ليس للشر بينهم من مقام
لم تعد بيننا فروق سوى القد رة سر الإيجاد والإعدام
فتساءلت كيف أمتاز منهم وورائى خيارهم وأمامى
كان حلماً أفقت منه على صو ت قديم الصدى بعيد المرامى
لم يكن فى الإمكان أبدع مما كان .. فاخضع لحكمتى ونظامى

قلت يارب .. إن لى فى رضا العاجز ظلاً يطيب فيه مقامى
فاغتفر لى .. فقد تلاشت حماقا تى .. وعفوا إذا فقدت زمامى
واكفنى شر فكرة مثلتنى « قاهر الحول نافذ الأحكام »

ويخاطب الله فى « نشيد الصفاء » فى تواضع واستعطاف لرب العزة ، مغلبا جانب الرجاء على جانب الخوف والعصيان والنسيان ، طامعا فى التجاوز عن ذنوبه والغفران :

واذا ما ذكرتكم فاسمعونى واذا مانسيتكم فاذكرونى
اذكرونى اذكركمو . وإذا ما نمت يوما عن ذكركم .. أيقظونى
لاتقولوا : عصيت .. أوكنت .. أولا ترتقب غير أخذنا بالوتين
فرجائى فيكم .. رجاء ذليل فى عزيز بحوله .. ومتــين

على أنه يحمد الله على قضائه ، ويشكره على أمره وإن يكن وجوده إحدى الكبر ، وحياته ليل دميم الرؤى ، أشباحه مروعة ، وصوره كابية ، وترتوى أحداثه من دم آماله المنهمر ، وذلك فى قصيدته التى أنشدها فى الشهور الأخيرة التى سبقت وفاته ، وهى « حياته » :

الحمــد لله على ماقضى والشكر لله على ما أمــر
فما أظن الأرض تحوى فتى وجوده قد كان إحدى الكبــر
مثل فتى يدعونه شاعــرا وما بغير الموت يوماً شعــر
حياته ليل دميم الــرؤى مروع الأشباح كابى الصور
تفترس الأحــداث آماله وترتوى من دمها المنهمــر
أحمق منه وهو يبنى المنى تلك المنى إذ تتحدى القدر

ويقول فيها أيضا :

أتى فلم يفرح بميــلاده إلا نديمــاه الأسى والفكر
يبكى بلا دمع وفى قلبه ما يغرق الدنيا اذا ما انفجــر
لايعرف الصبر .. ولكنه لما رأى طول الظلام اصطبر
فعدت والحسرة فى أضلعى محطم العود .. عيى الوتــر
ألتهم اليــأس وأحشو به فم النصيح الفدم .. أما هــذر
وكلما ساءلنى صــاحب ماذا ترجى فى الغــد المنتظر
أقول مايرضيك يا خالقى ويسحق الوهم .. ويفنى الضجر
« الحمد لله على ماقضى والشكر لله على ما أمر »

***

فى تلك المرحلة تحلل صالح من كل القيم الدينية وانطلق على سجيته يعيش كما يعيش الإنسان الهائم الذى لايعرف مصيره ولانهايته ، شأنه فى ذلك شأن أصدقائه سكان شارع البهاء زهير (رقم ١٥) . لقد انقطعت صلته بالسلوك الدينى وأخذ يرتاد الملاهى ويجلس معظم وقته فى نقابة الممثلين المحترفين العمالية التى كانت موجودة بشارع توفيق ، وتلتف حوله الفتيات اللاتى يعملن فى الأفلام « كومبارس » ويقف على مشاكلهن ويحاول أن يساعدهن مع أصدقائه من المخرجين بل كثيرا ما أخذ بعضهن ممن لامأوى لهن إلى البيت الخالد ليبتن فيه .

ومن ثم فإننا نرى أن عبد العليم خطاب يتعرض لهذا التحلل من ربقة التقاليد الدينية التى كان صالح معروفا بها ، وصبره على الكوارث والخطوب التى تحتفى به ولا تفارقه وهى مداعبة طريفة تقفنا على حياة الشرنوبى فى تلك الحقبة من تاريخه :

فتى من نسل أيوب   نظيف الجيب شرنوبى
أضاع الدين والدنيا   وباع الدرَّ بالطـــوب
كمن غنَّت وهزّت خصـ   ـــرها بين السراديب
فلم يعبأ بها شخص   ولم تظفر بترحيـــب
كذاك الشاعر العربيـ   ـد بين الغاب والكوب
رأى الدنيـــا أعاجيبا   فغنى بالأعاجيــــب
وأحنى رأسه طوعـــا   بسلطان الألاعيـــب
وقضَّى عمره ضيفـــا   بمستشفى المجـــاذيب

وبالرغم من تلك المداعبة القاسية التى كان يتلقاها الشرنوبى من أصدقائه من الشعراء « فانه كان يتغلب على الألم بالضحك على كل شيء — كما يقول الدكتور هيكل — وكان يسخر من كل شيء » .

وفى اعتقادنا أن حياة الشرنوبى وهو يعمل مصححا بجريدة الأهرام لم تختلف عن سابقتها كثيرا ، لأنها كانت تشتمل على شيء من اللامبالاة ، وحسبنا فى ذلك ماتقوله السيدة فوزية غانم من أنه كان يأتى إلينا وهو فى حالة غير عادية مسترسل الشعر ، وعيناه غائرتان ، وفى حالة من الجوع شديدة . ويطلب أكلا ، لأنه قد مضى عليه — كما كان يقول — أسبوعان دون أكل ..

واذا ما اجتزنا عالم الأزمات إلى حياته كشاعر فنان بين مخرج ومؤلف رأينا أن حياتهم كانت ضافية تموج بالأحاسيس والمشاعر المشتركة إذ كان الواحد منهم فى « البدروم الخالد » يحس بإحساس

أخيه ، وطعامهم واحد وآنيتهم — إن وجدت — واحدة ، كأنهم انسان واحد يعيش فى هذا البدروم ..

وكان كل منهم رغم ما يعتوره من أزمات غير متشائم ، لأنه يعتقد أنه سيصبح شيئا حتى صالح الذى يفوح شعره بالتشاؤم كان يعطى الأمل دائما للآخرين — كما يقول بكر الشرقاوى — وخاصة البائسين الذين طحنتهم حوادث الدهر ..

وكان الثلاثة ينتفعون بآراء بعضهم فيما يعملون ، وكان الشرنوبى يؤثر فى إخوانه بآرائه وتوجيهاته ، ويتنبأ لكل منهم بنبوءة حققتها الأيام فيما بعد ..

حدث فى عام ١٩٥٠ أن عثر الشرنوبى فى بعض الكتب المودعة على الأرض تحت السرير على قصة لبكر الشرقاوى كان قد كتبها فى أوائل عام ١٩٤٨ وكانت تسمى « النبىّ الكافر »(١) فقرأها شاعرنا وأعجب بها ثم أخذ يقرؤها مرة أخرى على ابراهيم السيد بصوت مرتفع حتى استيقظ بكر على قراءته ، لأنه كان يقرؤها ويحللها لإبراهيم من حيث الأداء والتعبير والمضمون الأسطورى .

وبعد أن انتهى من هذه القصة قراءة وتحليلا قال : إن هذه الشقة لو نجحت فى أن تخرج شاعرا مجيدا ، ومخرجا كبيرا ، وكاتبا أسطوريا فإنها ستدخل التاريخ رغم أنفها .

ويحدثنا بكر الشرقاوى عن صدق هذه النبوءة بالنسبة لنفسه فيقول : إنه على إيمانه بالواقعية كمذهب أدبى ، فإنه حاول أن يجرب نفسه فى التجارب الواقعية فلم ينجح فيها مثلما ينجح فى كتابة الأعمال الأدبية الأسطورية .

وبجانب ذلك فإن هؤلاء الثلاثة قد حاولوا أن يقوموا بعمل « فيلم » يحارب الإقطاع باسم « أرض الأدباء » . وقد نمت فكرته فى نفس ابراهيم السيد عقب مشاهدته لمنظر أليم يمثل فلاحا يلطم خديه فى مركز طلخا . لأن أحد الإقطاعيين وأحد الأمراء قد اغتصبا أرضه على ضآلتها لتكون طريقا للمياه التى تغذى أرضهم . وكان الثلاثة يكتبون قصته ومعهم شاب آخر اسمه فوزى المصرى ، وكانوا يتناقشون فى كتابتها بصوت مرتفع وحماس شديد . ومع ذلك كانوا يزعمون أنهم يكتبون فيلما سريا ، لأنه يحارب الإقطاع ، مع أن الإقطاع فى ذلك هو الذى كان يحكم مصر .

وقد طلبوا منه أن يكتب أغنية للمولود الذى سيكبر ويسترد بيديه أرض والده فكتب :

(١) تمثل هذه القصة أسطورة خيالية عن نبى كفر بإلهه . وليس لهذا النبى أرض ولا سماء ولازمن ؛ وكانت هذه القصة مكتوبة فى كراسة ، وقد تراكمت عليها الكتب حتى كاد أن ينساها صاحبها قبل أن يعثر عليها شاعرنا .

يارب أعيش والاقيه والّى اللى باتمنـــاه
يحمى بإديه أراضيــه والخير يجينــا معاه
وتهنى بيه أهلـــه وابــوه ويسلم له
يارب ويـــدوم له ويكيـــد عـــدوّينى
إتمـــنى ياقلـــبى

وحينما انتهوا من كتابة « الفيلم » دار به المخرج ابراهيم السيد قبل الثورة على جميع شركات السينما فلم تتحمس له شركة واحدة .

ويحدثنا بكر الشرقاوى أنه من خلال المناقشات فى هذا « الفيلم » وكتابته ، بدا واضحا الجانب الاجتماعى فى مشاعر صالح وفكره ، ويتمثل فى تعاطفه مع جماهير الشعب الكادحين .

وكان يتمنى السعادة للبشر بصورتها العامة ، ويتمنى فى الوقت نفسه أن يوجد منطق للحياة الاجتماعية ، وكانت له أحلام عن الحياة المثلى التى كان يتصورها فى ذهنه ويتمناها وهذه الأمنية فى ذهنه كانت تتمثل فى الصورة الغائمة التى كانت مثارا لتمرده على المجتمع ..

وكان يتعاطف – على حدّ تعبير الشرقاوى – مع ثورة الجماهير ويحبها ويشعر بالسعادة حينما تثور تلك الجماهير معبرة عن أمانيها الوطنية أو الاجتماعية رغم أن المطالب الاجتماعية فى ذلك الوقت كانت ضبابية . أو أن التطور الاجتماعى كان تابعا للتطور الوطنى ..

ويتمثل تعاطفه مع ثورات الجماهير فى أنه حينما عرف أن قائد الثورة الصينية التى قامت فى عام ١٩٥٠ كان شاعرا . جعل يردد أن هذا انتصار شخصى للشعر والشعراء وأخذ يتتبع أخبار هذه الثورة بشغف خاص . ولا سيما حينما تواترت الأخبار بأن « ماوتسى تونج » كان حافى القدمين ، وكان فقيرا . ويزرع الصين من شماليّها إلى جنوبيّها سيرا على قدميه.

وكان الشرنوبى مولعا بالسينما بحيث أنه كان يذهب إليها مع إخوانه فى بعض الأحيان ثلاث مرات فى اليوم . وإن أدى بهم هذا التصرف الى أن يعيشوا على الفتات الذى يتمثل فى (السميط والجبن والبيض والسندوتشات) ويرجعون فى آخر الليل من السينما سيرا على الأقدام حتى يصلوا إلى البيت ..

على أن السينما الإيطالية كانت تستأثر باهتمامهم لا سيما الأفلام الأولى لمذهب الواقعية الجديدة .

وكان الشرنوبى يشاهد ابراهيم السيد فى صالة الشقة وهو يؤدى أدوارا كاملة من مسرحيات شوقى لا سيما مسرحية كليوباترا . وكان يستمع له فى ذهول . على حين كان بكر الشرقاوى يشده من ذهول الشرنوبى وتتبعه لحركات ابراهيم السيد وتصفيقه له

وخاصة حينما يتخيل أنه «انطونيو» ويطعن نفسه بخنجر فى يده (ملعقة) ويقع على الأرض من أثر الطعنة النجلاء وهو يتمثل بالشعر .

وقد كانت مشاهدته هذه ، وصحبته لابراهيم السيد الممثل المسرحى حينذاك بجانب كونه مخرجا للسينما كانت هذه وتلك باعثا لأن يتمنّى لوكتب مسرحية يمثّل فيها ابراهيم السيد . وظلت هذه الأمنية تشغل باله حتى قبل وفاته بيومين ، فقد أسرّ إلى بكر الشرقاوى حينما التقى به فى شارع شريف بجوار البنك الأهلى ، أنه مسافر الى باطيم، وسيكتب مسرحية شعرية بمجرد رجوعه ، وكانت رغبته – كما يقول بكر الشرقاوى – مبهمة بالنسبة اليه اذ لم يخبره عن حقيقة موضوع المسرحية ..

والتقى أيضا فى اليوم نفسه بابراهيم السيد فى قهوة « ركس » بشارع عماد الدين وأخبره بسفره وقال له : « إننى ذاهب إلى بلطيم ومعى إحساس غريب أننى لن أعود » .

ويتوجه شاعرنا الى بلطيم يحدوه أمل غريب فى أن يلتقى بأهله الذين لم يروه مدى ثلاثة أعوام .

ذهب إلى بلطيم وكله شوق الى رؤية والدته وأخته هيام واخوته وأخواته الآخرين وعندما رأوه رحبوا به ودخل الحمام ليزيل آثار السفر ثم اعتذر لوالده عن عدم الذهاب لأخيه شرنوبى فى هذا اليوم لأنه مجهد من السفر ولكنه خرج بعد ذلك الى الأماكن التى يألفها ويجلس فيها بجانب بحيرة « البرلس » ..

وجلس على شريط قطار الدلتا واستغرق فى جلسته فى ضوء القمر وأخذ يتأمل المناظر الجميلة للمزارع وبحيرة « تيرة » .

وحينئذ جاء قطار الدلتا ولم يكن له مواعيد ثابتة . وكانت الرياح تُضيّع صوته عن الجالس أمامه فى هذا المكان وتحمله معها فى متجهاتها، وفوجىء به صالح . وحاول أن يقفز من جلسته فلم يستطع . إذ صدمه القطار – وهو يقفز – فى رأسه وطرحه بعيدا إلا أن رجليه ظلتا على الشريط . وظل حتى الصباح إلى أن عثر عليه الناس ..

وانتشر نبأ الحادث فى البلدة دون أن يحدد النبأ شخصية القتيل . وما إن سمع شقيق شاعرنا هذا النبأ حتى دفعه الفضول إلى الذهاب إلى مكان الحادث . ولكنه خر مغشيا عليه حينما رأى أن القتيل صالح شقيقه وحبيبه . وأخذته نوبة صرع استدعوا له من أجلها الأطباء ..

وأبلغت الشرطة بالحادث وقام بالتحقيق فيه عبد الخالق صالح مأمور بلطيم حينذاك ..

تقول شهادة الوفاة التى حررها الدكتور عزيز سوريال : « إن القتيل مصاب بصدمة عصبية ونزيف عام وكسر فى الجمجمة » .

وخرجت بلطيم فى يوم ١٧ من سبتمبر سنة١٩٥١ تشيّع أعز أبنائها إلى مثواه الأخير الذى كتب عليه : دفن شهيد الشعر والشباب فى ١٥ من ذى الحجة سنة ١٣٧٠ – ١٧ من سبتمبر سنة ١٩٥١ وتحته هذا الكلام الذى يشبه الشعر :

يا زائـرين لقـبرنا لاتعجبن لأمـرنا
بالأمس كنا مثلكـم وغدا تكونوا مثلنـا

وحينما وصل خبر مصرعه الى القاهرة نعته الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية جميعها ورثاه إخوانه من الشعراء . فكتب الشاعر محمد مفتاح الفيتورى قصيدة بعنوان « قصة العبقرية » وأهداها إلى روح صالح على شرنوبى فى عام ١٩٥٢ .

كما أنشد الشاعر الدكتور كمال نشأت قصيدة تحت عنوان «شهيد» أهداها إلى روح الشاعر فى سبتمبر من عام ١٩٥٢ .

ولم يقتصر رثاء شاعرنا على من عاصره والتقى به من الشعراء ؛بل رثاه من لم يره رؤيا العين ، ولكنه رآه ببصيرته وإحساسه ووجدانه ، وعاش قصته من خلال ما عرف عنه من أصدقاء الشاعر ، والذى نشر من شعره على ضآلته ، ومن هؤلاء الشعراء الشاعر فتحى سعيد الذى أنشد قصيدة بعنوان « الشاعر » وأهداها إلى روح صاحب الأصداف (الشرنوبى) وذلك فى عام ١٩٥٧ .

مع الأدباء :

عرفنا فيما سبق أن شاعرنا كان متصلا بطائفة من الفنانين وكان يقطن مع اثنين منهما هما ابراهيم السيد وبكر الشرقاوى . وقد رفدته صداقته لهؤلاء وهؤلاء بتجارب كثيرة وعمقت عنده تجارب أخرى . والآن نتحدث عن شاعرنا فى عالم الأدباء وعلاقاته بهم .

والمتتبع لعلاقة الشرنوبى بالأدباء والشعراء يرى أنه «كان من المتمتعين بعطف العقاد – كما يقول ابراهيم السيد – بل كان الشرنوبى يعتبره أبا ، وكان العقاد لايرتاح لرؤية الشرنوبى فى حالة ضيق ولا يتركه إلا بعد أن يساعده على حالها » .

ويحدثنا عبد العليم خطاب فيقول : « ان العقاد قال لنا فى لقاء معه عقب وفاة الشرنوبى : لو عاش الشرنوبى لبزّ شوقى » .

وكان الشرنوبى على صلة بالشاعر عزيز أباظة الذى لايضن على شاعرنا بكل ما يطلبه وكان الشرنوبى يحبه ويعلن هذا الحبّ حينما يقول :

حبيتك فاعلم أن حبك باعـثى إلى المجد .. والحب العظيم أخو المجد

ثم يناديه حينما يصطخب بحر الحياة أمامه ، ويحتار زورقه فيه فيقول :

ضحايا السفوح الجرد مهما تسنموا ... فغاية مرقاهم إلى الكسب الجرد
أعيذك مما يملأ الدهـر عيشهم ... به من أفانين التعاسة والكيـد
يضيئون .. والأيام تشرب نورهم ... لتتركهم لليأس والبؤس والسهد
ويستنبتون الصخر .. والناس حولهم ... من الخـير فى ظل كظلك ممتد

وكانت هناك علاقة وطيدة بينه وبين أحمد حسن الزيات ، اذ كان ينشر له قصائده فى مجلة الرسالة تقديرا لنبوغه وعبقريته على الرغم من صغر سنه .

وقد أتاحت له محاولة دخوله كلية دار العلوم أن يلتقى بالشاعر الدكتور أحمد هيكل وكان معيدا بالكلية إذ ذاك ، كانت علاقتهما علاقة شاعر بشاعر ، وكان يسمعه شعره الذى ينشره ، ويقول الدكتور هيكل إن صالحا كان يجد عطفا من الشاعر ابراهيم ناجى ومن الشاعر صالح جودت ، إذ كان مشرفا على البرامج الأدبية وعلى مجلة الإذاعة ، وكان يقدم له شعره أمام « الميكرفون » فى الإذاعة ، وفى الوقت نفسه كان ينشره له فى مجلة الإذاعة ..

وكان يتردد مع الدكتور هيكل على الجمعية الأدبية التى كان مقرها فى ميدان سليمان باشا ، وكثيرا ما غاب أسبوعين أو ثلاثة ، واذا ما سأله الدكتور هيكل عن السبب فى تغيبه عنه يجيبه « بأنه كان فى جبل المقطم » .

واعتاد الشاعر على محمود طه أن يتردد عليه شاعرنا وكان يحبه ويتنبأ له بمستقبل عظيم فى الشعر ، وقد كانت وفاة على محمود طه باعثاً لأن يرثيه شاعرنا بقصيدة تعد من عيون الشعر العربى فى الرثاء ومطلعها :

لا أنا خالد ولا أمنيـــاتى ... فوداعا مسارح الذكريـــات
ووداعا مواكب الفتن الحمـــــر ودنيا الأحـــلام والصبوات
أقفرت واحتى .. وصوح كرمى ... وطغت علىّ .. ومات أساتى
ودنا الشاطىء البعيد .. فرفقا ... بسفينى يا آخر العاصفـــات

ويقول فيها عن على محمود طه :

أيها الشاعر الذى كان يوما ... قمة لاتنال بالنظـــــرات
أنت لازلت فى الضمائر حيـــا ... خالدا .. مشرقا .. برغم الممات
لك فى الكون دولة .. ومكان ... يتحدى تقلب الحادثـــات

كما أنه كان على صلة بعبد الحميد الديب ، ولكنها صلة من جانب واحد ، إذ كان يخاف من الديب ـ كما يقول ابراهيم السيد ـ ويقول عنه إنه شيطان فى إهاب انسان وإنه ليخيفنى بمنظره ونفسيته الطامحة إلى الشر دائما » ..

وقد التقى بصديقه وزميله الأديب عبد الصبور مرزوق فى نادى نقابة المعلمين بالجزيرة وكان معهما الدكتور أحمد هيكل وذلك فى عام ١٩٤٨ ومنذ ذلك الحين كانت علاقتهما لاتنقطع أبدا ..

على أن فيلم « فتنة » الذى كتب أغانيه أتاح فرصة الالتقاءله بعبد العليم خطاب ،وكان عبد العليم خطاب شاعرا ، وقد توطدت صلتهما حتى أننا رأينا أن شاعرنا يتمثل بأبيات لعبد العليم خطاب يشكو فيها الزمن ، وقد كتبها صالح كما كتب غيرها من شعره فى ظهر غلاف كراسته الثامنة ..

وقد التقى فى ندوة جمعية الشبان المسيحية بالقاهرة التى كان لايتخلف عنها أبدا بطائفة من الشعراء منهم خالد الجرنوسى الذى كان يقدم الندوة ، وقاسم مظهر ، ومحمد فهمى وابراهيم عيسى ، وروحية القلينى وغيرهم من الشعراء والشاعرات الذين كانوا يشتركون فيها ، وقد عثرت فى بيته على صورتين كان يحتفظ بهما ، احداهما لطاغور شاعر الهند الكبير ، والأخرى لتولستوى الأديب الروسى الكبير ، وكان يضعهما على الحائط فى الجناح الذى يعيش فيه من البيت ..

وكان يتألم لحال الأدباء والفنانين الذين كانوا يعيشون على الفاقة والحرمان والمكانة المهينة التى كان يضعهم فيها الحكام ، ومن ثم كان يتمنى أن ترعاهم الدولة بدلا من التشرد والضياع الذى يعانون منه ..

ويتضح ذلك من قصيدته التى ألقاها — فى نقابة المؤلفين بنادى نقابة الصحفيين — أمام الشاعر عزيز أباظه ، والتى وصف فيها الشعراء والفنانين بأنهم ضحايا السفوح وأنهم يضيئون والأيام تشرب نورهم ويستنبتون الصخر إلى آخر ما وصفهم به كما عرفنا ذلك من الأبيات التى ذكرناها من هذه القصيدة فيما سبق ..

ونضيف إلى ذلك أنه فى هذه القصيدة نفسها قال متهكما بحظه فى الحياة :

أبا الشعر ماجدوى يراعى وسحره — اذا لم أنل حقى .. ولم يأتلق سعدى
وما نفع مقدام تجهم حظـه — وفى راحتيه يضحك الصارم الهندى

مكتبته :

كان صالح يكثر من قراءة كتب الأديان المختلفة ، بل كان يجلس إلى الأب جرجس(١) الانطونى القس بكنيسة بلطيم ، كما كان صديقاً للقس « اغناثيوس فرازلى » — وهو مطران

(١) توفى فى عام ١٩٦٥ عن ١١٠ سنة فى دير المحرق بعد أن قضى فيه عامين ..

البرازيل الآن – إذ كان الشرنوبي يتردد عليه في كنيسة الفجالة حيث كان يعمل فرازلي بها ، وفي الوقت نفسه كان « فرازلي» يتبعه في الندوات الأدبية وغيرها وبالإضافة الى ذلك فإن الشاعر قد ارتبط بصداقة بين طائفة من الرهبان والراهبات ابان تدريسه في مدرسة « سان جورج » الأجنبية .. وكان يقرأ الانجيل ويحفظ منه الكثير ، كسفر نشيد الانشاد والمزامير .

والنّاظر في مكتبته يجد فيها بعض الأناجيل ، والكتب الّتي تتعرض بالدراسة للديانة المسيحية .

وتضم المكتبة كذلك بعض الكتب الّتي تتعرض لأخلاق العلماء والّتي تتعرض لنظرية التطوّر وأصل الانسان .

أما الكتب الأدبية فكان من أهمها كتاب « من الأدب الفرنسي » الذي ترجمه أحمد حسن الزيات، و«حياة الرافعي » لمحمد سعيد العريان ، «ومدينة الأحلام» للدكتور ابراهيم ناجي، «ومدامع العشاق» للدكتور زكي مبارك. و«اعترافات تولستوى وفلسفته» بقلم الأرشمندريت انطونيوس بشير ، ومعجم « لسان العرب » وغيرها من الكتب الّتي تعتبر من أمهات كتب الأدب سواء أكان عربيا أم مترجما إلى العربية من اللغات المختلفة .

وبالإضافة الى ذلك أهداه ناجي ديوانه «ليالي القاهرة» ، وقاسم مظهر «حفيف الغابة» وغيرهما من الكتّاب والشعراء الذين كانوا يهدون إليه كتبهم .

وقد اقتصرنا في الحديث عن مكتبته على التيارات الفكرية التي توضحها كتبه ، وذلك لأنه يعسر علينا أن نعدد الكتب وأن نسرد أسماءها كتابا كتابا ..

في عالم السياسة :

صحبنا الشرنوبي في نشاطه الأدبي واشتغاله بالحياة العملية موظفا في المدارس أو في الصحافة ، والآن نتحدث عن نشاطه السياسي ليتسنّى لنا الوقوف على مقوماته الشخصية بصورة مكتملة .

ويرى الدّارس أن الشرنوبي نشأ ميالا لحزب الوفد مفطورا على حبه نظرا لأنه نشأ في بيئة وفدية ، إذ كان والده من رجال الوفد منذ بدء الحياة النيابية في مصر ، وكان يرشح نفسه في الانتخابات لمجلس النواب .

ومما يدل على تفاني والده في حبه للوفد ، أنه حدث أن تنازل في الانتخابات لمرشح وفدي آخر هو محمد العبد في شبرا النملة ولكنه ظل ينفق على الانتخابات بعد تنازله حتى ينجح مرشح الوفد محمد العبد على حد قول طلعت الشرنوبي .

ونشأة الشرنوبى فى بيئة كهذه تدين للوفد بالولاء ، كان لابد أن تكون — بالضرورة — من البواعث لاختياره حزب الوفد وإيثاره بحبه وولائه .

ويؤكد هذا الفهم صالح نفسه فى قصيدته التى استقبل بها أحد أقطاب الوفد فى بلطيم فى عام ١٩٤٣ ، إذ يقول فيها :

أنا من معشر أحبوك حبَّ الزهـ ـر للطلّ فى الصبـــاح الوليد

يولد الطفل عندنا وهو وَفْدِىٌّ نغذيه حبكم فى المهـــود ..

وظل صالح على هذا الحب للوفد وذاك الولاء حتّى انتقل إلى معهد القاهرة ، وفى هذا المعهد تحوّل الحب الى سلوك سياسى حيث راح يتزعم الطلبة ويقود الاضرابات .

ويحدثنا طلعت الشرنوبى أن شاعرنا قاد مظاهرة واتجه بها الى قصر عابدين حينما قتل أمين عثمان ، واتّهم الملك فى هتافه بأنه القاتل الحقيقىّ لأمين عثمان ، وذلك بقوله : « أنت الخانى يا فاروق » وحينئذ لم ينج من قبضة البوليس السياسى ، اذ أوسع ضربا ولكزا حتّى أشرف على الهلاك .

ومن هنا لم يكن أمامه بد من الهرب فى غمار المظاهرات والفرار إلى طنطا حيث مكث فيها شهرا يعالج فيه من آثار الضرب .

ويضيف عبد العزيز الشرنوبى الى ماقاله طلعت بأن صالحا كان يخطب فى المسجد الأحمدى عقب صلاة الجمعة من كل أسبوع خطبة سياسية وكان المصلون ينتظرونه ليستمعوا الى خطبه التى يعارض فيها سياسة الحكومات التى كانت قائمة آنذاك ، وكان يتحدث عن الملك بصراحة ويحمله كل ما يحل بالوطن من مساوى وانتكاسات فى طلب الاستقلال . وقد أدى ذلك — كما يقول عبد العزيز الشرنوبى — إلى ترحيله إلى بلطيم مرتين وكانت تتراوح المرة منهما بين حوالى ستة شهور أو سبعة .

ويحدثنا مسعد وأحمد الشرنوبى أنه كان يشغل وقته فى بلطيم أثناء تحديد إقامته ومراقبته فى بيته بإقامة ندوة فى كل ليلة مع أصدقائه وأقربائه .

وقد هوجم بيته فى طنطا بصدد اعتقاله إبان زيارة اسماعيل صدقى لطنطا فى عام ١٩٤٦ ، وانتظر ركب رئيس الوزراء فى شارع « الملكة فريدة » آنذاك الى أن يتم القبض على صالح لأنه أشعل نار الإضراب المناوئ لصدقى وسياسته ، إذ أضربت جميع المدارس وفى مقدمتها المعهد الدينى الذى كان صالح يدرس فيه ، ولكن مهاجمة البوليس لبيته باءت بالفشل ، لأنه كان مختفيا وراء حركة الإضراب فى بعض الأماكن التى كان يلوذ بها ومن معه من قواد حركات الإضراب(١) .

***

(١) من حديث مع الأستاذين إبراهيم ومسعد الشرنوبى فى يوم ١٢ إبريل ١٩٦٦ .

وحينما حصل على الشهادة الثانوية ورجع إلى القاهرة ليلتحق بالتعليم الجامعى فى كلية دار العلوم . كان قد تخلى عن قيادة الإضرابات واتسع أفقه فى فهم الحياة ، وغدت تطلعاته السياسية إلى ما هو أوسع من الوفد وغيره من الأحزاب . اذ كانت هذه التطلعات تهدف إلى الثورة السياسية والاجتماعية وان لم تكن رؤيته فيها واضحة ، ولكن ذلك لم يفقده ميله إلى الوفد ، بل كان ينافح من أجله ويقول بعض القصائد فى أقطابه ، ولم يحاول الانتفاع بهؤلاء الأقطاب فى أيام محنته . ولم يبع لهم قصائده ، كما كان متبعا فى العهد الماضى .

ويرى بكر الشرقاوى صديقه أن حبه للوفد وميله اليه ، لم يكن فيه متّبعاً ، أو لم يكن ناشئا عن الطاعة العمياء التى كان يبذلها أغلب المنتمين إلى حزب الوفد من الشباب حينذاك ومن ثم كان الشرنوبى من يساره على حسب التعبير الحديث .

ويضيف الشرقاوى إلى ذلك أن الشرنوبى لم يكن من طبيعته الانضمام إلى تنظيمات سياسية ، لأن الانضمام اليها لم يكن ممكنا له ، لما طبع عليه من تمرد ولما يتمتع به من روح نقّادة لكل شىء فى الحياة .

وقد عثرنا فى أوراق الشاعر على مايبين موقفه من إلغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ ويبين من ناحية أخرى صدق ما ذهب اليه الشرقاوى وخلاصة هذا الموقف أنه يرى أن : « إلغاء معاهدة ١٩٣٦ ليس هو العمل الوحيد الذى ينتهى اليه كفاحنا عنده .. لا أقول هذا تهوينا لشأن الإلغاء كخطوة إيجابية فى سبيل استقلالنا وسيادتنا .. وانما هناك شئون أخرى أعظم منه وأخطر .. هنالك النظام القائم بين أيدينا .. بما فيه من فساد واضطراب وانحلال .. هنالك محنة الدستور ومحنة الأخلاق والفكر .. والحرية .. وحقوق المواطن الضائعة بين شهوة الحكم وسفه الحاكمين .. »

ومعنى هذا أن الشرنوبى كان على حبه للوفد ينقد تصرفاته ، وكان يعد إلغاء المعاهدة خطوة فقط على طريق الاستقلال ، ومن ثم كان يطمح الى تقويض النظام القائم من أساسه ، لأن الخرق اتسع على الرّاقع ، ولم يعد يصلح هؤلاء الحاكمون أيضا للحكم ..

ومن هنا كذلك نجد أن الشرنوبى كان يتطلع هو وأصدقاؤه إلى محاربة الإقطاع عن طريق « الفيلم » الذى كتبوه فى محاربة الإقطاع ، والذى عرفنا قصته سابقا ..

وأخيرا نجد أن الشرنوبى يتعاطف مع ثورات الجماهير ويحبها ، ويتمنى أن يثور الشعب ليعبر عن أمانيه الوطنية والاجتماعية ، وهذا سر متابعته ثورة الصين التى حدثت فى عام ١٩٥٠ وقد سبقت الإشارة إلى ذلك . وليس من شك فى أن ذلك كله يجب أن يدل عليه شعره وها نحن أولاء نقرأ على سبيل المثال قصيدته « نشيد الصفاء » فنراه يقول فيها :

فهنا مصر أمة مسختها كالتماثيل عصبة السامرىّ
وطن جامح وحظٌ مُشتٌ قصة خبّلت حجا القصصى
عامل يصنع الحياة ويرجوها فتاتا يجفوه كلب الثرى
يؤثر الناس بالبقاء ويفنى ومن البغى طينة الآدمى
وأخوالأرض ملّت الأرض كفيّه وباحث بكل سرٍّ خفىّ
أطعمته ترابها واستبدت بقواه فلم يَعُدْ بالقوى
يومه شقوة وجوع وعرى ومُناه حياة هذا الغنى
يتمنى الحياة للقاتل الغا صبِ دعوى عربيدة وغوى
ملهم بالفجور أفكاره الإثـ م وليل الساق ويوم الخلىّ
إنها قصة التناقض يا قو م فطوبى للثائر العبقرى
يالنيل الخلود تحرمه مصر وتهريقه يد الأجنبى
يالشعب عبدانه البيض أحرا ر يسومونه عذاب العصىّ
يالشعب عزّت عليه الأمانى فهو فى الدهر كالذليل الأبى

***

ويحارب الإقطاع والرأسمالية الشرهة ، ويتهم الإقطاعيين والرأسماليين بأنهم مصابون بالتخمة ، على حين لايجد السواد الأعظم فى مصر ما يأكله ، يقول :

بشم القوم بالطعام .. وجعنا وعرينا . . واستمتعوا بالبرود ..
وجهلنا .. وعُلّموا أن يرونا فى حماهم جحافلا من عبيد
وطنى مصر .. كيف أحيا عليها أنا فلاحها حياة الطريد
وطنى مصر .. كيف يصلى ابنها العامل فيها عيش الشقى الشريد
وبنو الطين يحلمون مع الليـ ل بنجوى أنثى ورنّة عود ..
همّهم فى الحياة أن يقتلوا الشعب ويلقوا آماله فى اللحود
عالم تفزع العدالة منه ووجود سئمت فيه وجودى
ليس فى الأرض سيّد ومسود فدعونا من سيّد ومسود

ويعبّر عن وجدان الشعب المصرى فى العهد الماضى ، كما يعبر عن الإرهاصات الثورية التى كان يدركها من خلال الحجب المضروبة حولها من الظلم العاتى وغياهب السجون التى كان يزج فيها بالأحرار الثائرين وغير ذلك من الحجب ، وكان تعبيره عن وجدان الشعب فى قصيدته « البعث » التى يقول فيها :

أطلب المجد بالكفاح وأبنى بعظامى مكانه المغصوبا
ومعى أمة ممزقة الحول تعانى التقسيم والتغريبا

ويقول عن الحكّام :

ومضوا يعبثون .. والغاصب العربيد يرجو لرشدهم أن يغيبا
كم أعانوه خفية وجهارا ليردوا به المصير الرهيبا
وأغاثوه .. واستغاثوه كيما يسحقوا ثائرا ويفنوا نجيبا

ولم تقتصر ثورة شاعرنا على السياسيين .. بل تجاوزت ذلك إلى الملك فقال فى قصيدته « المواكب » :

وهذا ابن أنثى غوىُّ الفؤاد رسالته أن يعيث الفساد
رقاب الأمانىّ منقادة إليه .. وطبع الأمانى العناد
حبته المقادير ملك الثرى وألقت اليه أمور العباد
فجنّ بأهوائه الآثمات يرى بحرها ماله من نفاد
فما خنقته دموع الأسى ولا طوّقته معانى الحداد

بل إنه كان أصرح من ذلك حينما أنشد فى الملك قصيدته «الزجلية» التى جعل عنوانها « ياماالك الملك » وفيها يقول :

الأُسْد فى غابها بيقرّر مصيرها النـوق وفى أوّل القايمه أبكم له لسان ملـووق
والشعب مفلوق وصوته فى مهجته مخنوق ولو يسيّر أمور الشعب أحبابه
بيبات ويصبح سعيد الحال وباله يروق
ألوف من الفلاّحين ما يملكوش فدّان وفرد يملك ألوف من مال ومن أطيان
وأولاده يتعلموا فى الجامعة بالمجّان وابن الفقير ينطرد م المدرسة ويصبح
وان جه يطالب بحقه ينسجن فى لومان

وبعد أن يتحدث عن العامل الذى دفن قبل مماته من غبنه بحيث لايرضى بحالته عاقل ولا مجنون ، وأنه لو مرض ساعة ، يبيع فى سبيل مرضه « الحلة والهون » ولو أراد أن يشترى لأولاده مقدارامن اللحم ، فان ذلك معناه أنه سيصبح مدينا »: وبعد أن يتحدث عن ذلك يلتفت الى الحاكم فيطالبه بأن يتخلى عن أوهامه ويبنى حكمه على رضا الشعب ، لأن مصر ليست ضيعة له والمواطنون خدم له فيها ، وذلك لأنّ الظلم له نهاية وسيكوى بناره ويبكى وينوح على عمره وأحلامه ويقول فى النهاية :

يامالك الملك عدلك تاه فى ظلم النـــاس   الكلب فى مصر له خُدّام وله حـــرّاس
وابن البلد حقه ضاع بين النسا والكـــاس   يارب قرّب نهاية الظلم واسعدنـــا
ويطلع « الكلب » م الدولة مع الأنجاس

وهكذا يتضح أن الشرنوبى كان اشتراكيا على نحو ما ، غير أن مصدر اشتراكيته كان وجدانيا ترفده الأحاسيس الشاعرة لا المذهبية ، فكانت الدعوة لديه تتمثل فى خلاص الإنسان من آلامه ، والفقراء من فقرهم ، والتعساء من تعاستهم ، والمحرومين من حرمانهم ..

على أنه لايقتصر فى عالم السياسة على الدفاع عن مصر وحقوقها ، بل كان يعيش مأساة فلسطين ، ويعبر عمّا دهاها من محن وخطوب وذلك حينما يقول فى نشيده «فلسطين» :

سنحميك من كل وغد أثيم   ونصلى أعاديك نار الجحيم
ونكتب بالسيف تاريخنـــا   ونبعث مجد الجدود القديم
محوتِ بنورك جنح الظـــلام   ولا زلت للنيـــل حدّ الحسام
فأنت هوى الشرق.. أنت الحجاز   وروح العراق .. وقلب الشآم

وتعمق نظرته أكثر حينما ينعى على الشرق تهاونه فى حقه ، وبلاهة أهله الذين يحسبون المجد كل المجد أن يذلوا لعبد ، ويكفروا بالحياة ويعيشوا عيشة السوائم ، وذلك حينما يقول فى « نشيد الصفاء » :

هذه الأرض شرقها خلق الغرب فلم يجـــزم جـــزاء الوفىّ
هذه الأرض غربها قتل الشرق ووارى الشرقّ بالشرقى
عُربٌ يأخذ الأعاجم عنهم كل فن من البلاهـــــة حى
حسبوا المجد أن يذلوا لعبـــد ومن المـــوت أن أذل لشىّ
ويرون الحيـــاة حلم غبى ويـــرون الإيمـــان حلم بغى
كفروا بالحيـــاة إذ آمن المـــوتى وعاشوا كالسائم الأرضى
فاذا حدّثوا عن الصخر لانوا   ومن الصخر رقّة العـــربى

وبعد أن يتحدث عن مصر وأهلها وما يعانونه من الذل الذى يفرضه عليهم المستعمر ورضوخهم هم إليه ولعصبة السامرىّ من حكّامها يقول :

وهناك الشآم أثقله القيـــ   ـــد طليح يفنى بكف قوىّ
وفلسطين جمرة الشرق باتت   مسرحا للمخبّـــل الموسوى
وللبنان فى يد الداعر الفـــذّ   انتفاضات فـــارس علوى
ولسوريا فى الخافقين صراخ   مضرىّ الأصداء شاجى الدوىّ

والعراق الهضيم والأردن الضائع كل لصحبه كالسّمىّ
أمم حطّمت بمعول شيطان ولفت بمجدها الوهمىّ
وحياة مريضة شاقها المو ت وضجت من سجنها الأبدىّ
أين مجد بناه نور الحياة نيتيم(١)الصحراء راعى الجُدىّ
أين فاروقها(٢) أمير المساكين وأين الصدّيق(٣)قلب النبىّ
لا حمى الشرق من بنيه ذليلا وهو الشرق أمة الهاشمى

وعلى الرغم من أنه أنشد « نشيد الصفاء » فى عام ١٩٤٤ إبّان عسف القصر وجبروته فإنه لم تأخذه رهبة ذلك العسف ولا هذا الجبروت ، بل كان يقول شعره السياسى ويحفظه الأدباء والمشتغلون بالسياسة دون أن يتراجع .

شخصيته :

له قامة مديدة كالعملاق ووجه أبيض يكدر وضاءته بعض البثور ولكنه مليح القسمات معبر عن كل مايجيش به وجدانه من انفعالات ، وتتوّج وجهه المستطيل هامة سامقة يزيد قطر جمجمتها طولا على قطرها عرضا بنسبة ظاهرة . وعيناه عسليتان مع سعة فى المقلة ثاقبتان فيهما سعة وتحس وأنت تنظر إلى عينيه كأن بهما عضلتين تحاولان أن تستشفا ماترياته فى استغراق عجيب وفيهما حيطة وزكانة ، ويترامى فيهما إعمال حزن وتفكير تحفهما أهداب طويلة تحت حاجبين أميل إلى الغزارة ، ورأسه أقرب إلى الكبر منه إلى الصغر مستدير الى حد ما ، وأما شعره فمنسرح منسدل منسوج الى الخلف دائما . وخدان خفيفان من اللحم والشحم يتوسطهما أنف أشم جميل ، يتسم بارتفاع قصبته مع استواء فى أعلاه عند اتصاله بالجبهة وصدغان مستقران ، وأذنان تنبسط كلتاهما من أعلى وتضيق من أسفل مع خفة فى إطارها الأعلى واطمئنان .. عارضان بسيطان وذقن بارز معقوف واستقامة وفم معتدل من حيث الضيق والسعة وشفتان رقيقتان ، ويحمل ذلك الوجه عنقا راسخا على منكبين عريضين يخرج منهما يدان قويتان مندفعتان تنتهى كلتاهما بكف عريضة الأصابع صلبة العضلات ، وتحت المنكبين صدر فسيح . وهو يسير بخطوات واسعة ، ويقتلع خطاه فى سيره اقتلاعا ، ويحرك ذراعيه فى عزم، ويتحدث وهو ساكن الأوصال بكل وجهه ويستعين فى الحديث بحركة يده وأصابعه .

* * *

(١) يشير إلى الرسول عليه الصلاة والسلام .

(٢) يشير إلى الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

(٣) يشير بقوله الصديق إلى أبى بكر رضى الله عنه .

قوة نفس وقوة بدن تطالعك من خلالهما مهابة بالغة تملأ ما حوله من فضاء ، ومهابته طبيعية فيه ، لأن جذورها متمكنة فى بنيته مع متانة تركيبه . وليست هذه المهابة مصنوعة غرستها فيه درجات علمية أو ألقاب .

ولم تكن تفارقه راضيا أو غاضبا،فرحا أو حزينا ، جادا أو متفكها ، فهى مهابة كتب لها الدوام أينما حل وأينما ارتحل ، وتغرى باحترامه والثقة به وكذلك كان يراها خلطاء الشرنوبى .

إننا اذن أمام رجل قوى لا مراء ، والقوة فى تصورنا تعنى العظمة ، وذلك لأن كل عظيم قوى بمعنى من معانى القوة ، وتستفاد تلك القوة من جملة مناقب الانسان وخلائقه ..

وخلائق الشرنوبى بارزة جدا بحيث لايسترها حجاب ، لأنه نمط فريد يظهر فجأة ويختفى فجأة ، بل يظهر فى وسط لا علاقة له بالفن والأدب ، لقد ظهر شاعرنا فى بيئة تجارية ومتدينة . فالانحراف عن القصد لديها كفر وبهتان ، والقصد فى تصورها يتمثل فى الخطوط الواضحة التى تنزل بالإنسان إلى الواقع وتختصم الخيال كما يحدث فى عالم التجارة والتجاريين .

وإذا أضفنا الى ذلك البعد الدينى ، وحرص والده على أن يكون من علماء الأزهر الذين يخطبون فى أيام الجمع والأعياد والمناسبات .

إذا عرفنا هذا فإننا نرى والده يقيسه إذن بمقياس رجال الدين وما يجب أن يكون عليه من سمت ووقار يليقان بالوظيفة التى يتمناها له .

ومن ثم كان الصراع بين شاعرنا وبيئته ، ومن هنا كان توتره الذى كان باعثا لتجارب عديدة فى عالم الشعر كما يراها القارئ فى شعره .

فالشرنوبى اذن كان فنانا بكل ماتحمله هذه الكلمة من معان .. فنانا من حيث الإحساس والشعور ، ومن حيث نظرته الى الحياة والكون ، ومن هنا فانه ليهتز فى مهاب نسائمها وعواطفها ، ولا يجد فى الحياة شاغلا لايشغله أو فتنة لاتجذبه أو خالجة لاتطرقه ، فهو يهتم بشئون العالم العامة كأنها شئونه الشخصية الخاصة .

ويحدثنا ابراهيم الشرنوبى أن شاعرنا كان مولعا بإنشاد الأشعار فى الحضرة التى كانت تقام فى زاوية أبى الوفاء بعد صلاة العشاء مرتين من كل أسبوع — ولم يكن قد تجاوز الثامنة بعد — وكانت هذه الأشعار صوفية كالأشعار التى تلقى فى مولد الشيخ ابراهيم الدسوقى وغيره من أولياء الاقليم .

وكان لايفتأ يردد أغانى أم كلثوم أو عبد الوهاب ويحفظ أغانيهما ويحاول أن يغنيها على قدر طاقته .

ويضيف الدكتور هيكل أن الشرنوبى كان يعبد أم كلثوم فى فنها ، وأن جلسته كانت لا تخلو من شعر يلقى ، أوشعر يسمع ، أو غناء لأم كلثوم يؤديه هو .

وقد عرف اخوانه فى بلطيم عنه هذه الظاهرة ، فكانوا يحاولون أن يخرجوه من شروده واستغراقه فى تأمله وهم يتنزهون معه على شريط الدلتا فى الليالى المقمرة ، وذلك بأن يدندن أحدهم — كما يقول مسعد الشرنوبى — فيستلفت حسّ صالح الفنى « هذه الدندنة » ، فيروح ينطلق مع اللحن الذى بدأ ويظل يغنيه طيلة سهرتهم .

وكان الشاعر فنانا أيضا من حيث الشكل والسلوك ، اذ كان يطيل شعره ويلبس « البابيون » السوداء ، ويتصرف فى سلوكه كما يتصرف أولئك الشعراء والفنانون :

ويحدثنا عبد المقتدر خطاب زميل الشاعر وابن خالته فى هذا الصدد قائلا : « إن تصرفات الشاعر ليس مسئولا عنها بقدر مسئولية المجتمع الذى كان يتردد عليه ويختلط به ، إذ لاحظت وأنا أرافقه أن كثيرين ممن يلتقون به يغريه كل منهم بنوع من المخدرات ، وبلون من السلوك ، زاعما أن هذا أوذاك يساعد على تعميق تجاربه وتنمية الجانب الفنىّ فيه » ..

ومن خلائقه البارزة الطفولة الدائمة ، إذ كان ينظر إلى الدنيا بعين الطفل الذى يألف الغريب ويستغرب المألوف ، ويلمح فى كل شىء جديدا .

***

وقد أوقعته هذه الطفولة فى روحه النقادة فى صراع دائم بين نقد الأشياء وحبها ، سواء أكانت هذه الأشياء مادية أم روحية ، فكأنه كان واقعا بين شقّى رحى كما يقولون .

وقد كان هذا المنهج ازاء نقد الأشياء وحبها يوقعه فى تناقض شعورى وفكرى معا ، حتى أصبح علامة عليه . فاذا ما قابله إنسان وهو فى حالة حب لشىء ما أو لامرأة فتراه يثنى عليها حتى ينطبع فى نفس سامعه أنه يحب هذا الشىء أوهذه المرأة ويخيل إلى السامع أنه لايمكن أن يكره هذا أو هذه .

ثم إذا ما قابله مرة أخرى وهو فى حالة نفور لهذا الشىء نفسه فلن يسمع منه الا نقدا لاذعا مريرا حتى يخيل اليه أنه لم يكن سمع منه عن حبه له فى يوم من الأيام ..

ويحدثنا بكر الشرقاوى : « أن نقد الشرنوبى كان موضوعيا لا ذاتيا مؤسسا على فكر وذلك لأنه كان عاجزا عن الكره ، فلم يكره اطلاقا ، ولو كان قد كره لتغير مجرى حياته الفنى والسلوكى » ومن هنا ظل فى مغارة المقطم حوالى شهرين ، وأنشد قصيدته « القاهرة » وكان فى هذه الفترة يفكر فى أن نهاية الحياة الموت ، وكان فى تصوره دائما — حتى فى أبعد لحظاته عن السلوك الدينى — أن كل شىء هالك إلا وجهه .

كانت مشكلته دائما أنه يبحث عن معنى الوجود سواء أكان الوجود ماديا أم انسانيا وكان يعتقد فى بعض الأحيان أنه لن يصل إلى شىء ، ومن هنا كان ينتهى إلى العبثية بمعناها

الحالى ، غير أنها كانت تتمثل عنده فى العبثية بمعناها الحالى ، أى أنها كانت تتمثل عنده فى العبثية الشخصية بمعنى أنه اذا كان للوجود معنى فهو يرى أن وجوده أحيانا ليس له معنى ..

من أنا ؟ من أكون ؟ ما كنت ؟ مابدء وجودى ؟ متى تكون النهايه
ما وراء الحياة ؟ .. ما غاية الدهر ؟ وما كان قبل بدء الروايه
كان من أوجد الورى من تراب وله فى الوجود أعظم آيه
ثم ماذا ؟ صمت وعى .. وعجز .. وظلام .. وحيرة .. وعمايه
وشكوك تعب أيام عمرى وتريني ضلالتى كهدايه
ومقادير تستحث خطانا وهى تجرى بنا إلى غير غايه

على أن منهجه فى نقده للأشياء قائم على أساس فكرى منبعث عن كبت جنسى ، ولذا فإنه كان يحب المرأة ويرفضها ولكنه لايكرهها ..

فحينما يكون راضيا عنها وهما على الشاطىء يغبط الموج على انسياب رغوه العاشق إلى قدميها :

ظنها الموج تحيـــه . . . فحــيّى قدميها
وترامى رغوُه العا شـــق منسابا إليهــا
فجرت تسبقه نحوى وعاطتنى يديها

وهى جنة حمراء تغرى بالنظر إليها ، لكنها تجفو للقديسين وتستبى الجناة الآثمين ذلك حينما يكون غاضبا عليها :

وتحسبها أنثى .. من الطـــين روحهـــا وتعشقها طيفا من النـــور ساميـــا
هى الجنـــة الحمراء تغريك ناظـــرا وتجفوك قديسا وتسبيك جانيـــا

ثم هى بعد أن تملأ سمعه وعينه بفنون الإغراء من جسمها البديع العبقرى شكلا وظلا الغوى الغنى عن كل حسن لدى غيرها ، تنقلب إلى آخر وترتمى بين أحضانه فكأنها حية رقطاء ترتمى بين أحضان أفعوان :

اشغلينى بما تريدين مـــنى واملئى بالغرام سمعى .. وعينى
بفنون الإغراء .. باللهب الثـــا ئر من جسمك البديع .. الأغن
جسمك العبقرى .. شكلا . وظلا الغوى .. الغنى .. عن كل حسن
اشغلينى . . فقد تنالين من عمـ رى يوما .. نقضيه كالحالمين
كرمك المشتهى..القريب من الأيـ دى .. وإن كان غاية المتمنى
خفيت فيه من أنوثتك الحمـــ راء .. دنيا حدودها فوق ظنى
يابنة الليل والخطيئة . . والآ فاق.. والسجن..والهوى.والتمنى
قصة أنت ألفتها الليـــالى من شذوذ وحيرة وتجـــن
اشعلينى نارا .. فلن تحرقى منى إلا ماجفف الدهـــر منى

وكان يعشق الحياة ويرفضها ويعيشها ، ولكنه يفكر مع ذلك فى الموت ، فحينما يكون راضيا هادئ النفس يقول فى الحياة :

آمنت أن الحيـــاة أنـــثى ... من طبعها الوصل والصدودُ
وأعجب الأمر فى هواها ... أنى إلى حبهـــا مقـــود
فيارفاق الطـــريق غنـّـوا ... فربما يقـــــرب البعيـــد

وحينما يكون غاضبا عليها يقول لنا بمرارة :

أنا أهفو الى الحياة وروحى ... تشرب الموت فى كئوس الحياة
أنا أرنو إلى الغـــروب بعـــين ... قبست نورها من الظلمات
أنا أستقبل الربيع بقلـــب ... هامد الحسّ ذاهل الخفقات
أنا أستشهد السماء على مـــا ... أمطرتنى السماء من نكبـــات
أنا ماض إلى السَّراب فحيوا ... ياضحايا الظما شهيد الفلاة
أنا ماض فلا تخفـّوا إلىٰ قبْـ ... ـرِى ولا تزعجوا سكون رفاتى

ولم يقتصر منهجه فى نقد الأشياء وحبها على الحياة والمرأة ، بل تجاوز ذلك إلى كل شيء ، ومن هنا تزلزلت قيمه بين القبول والرفض للأشياء جميعها ..

وفى تصورنا أن هذا المنهج يقوم — بالإضافة الى الطفولة الدائمة — على ما غرس فى نفسه من بيئته الطبيعية فى بلطيم اذ كانت متعته الدائمة أن يجلس — كما سبق أن عرفنا — بجوار مقام سيدى فتح الأسمر على أعلى ربوة فى بلطيم بحيث يطل على مقابر المدينة ، وهى متدرجة فى الرمال ، وعلى مد البصر المزارع من الجهة البحرية والبحيرة من الجهة القبلية .. ومن هنا كان هذا المنظر يموج بالحياة الجياشة من قبل المزارع والبحيرة والبحر الأبيض ، ويوحى فى الوقت نفسه بالفناء من قبل المقابر حتى رسخ فى نفسه أن كل شيء فانٍ إلا وجهه ..

***

ومن خلائقه كذلك الوحدانية ، إذ كان يحب الخلوة ويضنّ بوقته عن اللغو ، وليس معنى ذلك أنه يحارب الناس ، أو أنه لايبادلهم العاطفة والشعور ، بل كان على العكس يحب مسالمة الناس جهده ، ولا يستبيح لنفسه أن يبدأهم بما يسوء ..

وكان فى خلوته يكره الضوء الساطع ، وقد رأينا أنه طالما جلس فى نور شمعة بعد أن يغلق النافذة ويحكم إقفال الباب — بل كان أحيانا يجلس فى الحجرة دون ضوء قط ..

وقد كانت بواعث الوحدانية فى نفسه أنه يشعر بالفارق بينه وبين أهله وأصدقائه إذ كان يحس بعدم المواءمة بين منهجه الشعورى والفكرى وبين منهج أقربائه (أهله) فهم

فى نظره أناس يملكون ثروات هائلة ، ويتمتعون بعقلية التجار وأسلوبهم ، وهو فى نظرهم حائد عن الجادّة ، غريب الأطوار فى معاملاته ، فاسد فى دراساته لكثرة رسوبه ، ومن هنا كانوا يأخذون رأى طبيب الأسرة فى شأنه ، فكان يجيبهم بأن مأواه مستشفى الأمراض العقلية .

وصور الشاعر عملية المستشفى بقوله :

خذانى فغلاّنى وشدّا وثاقيا ولا تسقيا الغبراء إلا دمائيا
ولا تذكرانى فى بنى الطين بعدها فقد عفت أرضى واجتويت سمائيا

وفى تصورنا أن حديث الشاعر فى هذين البيتين موجه الى والده والدكتور ، الذى حاول الاعتداء عليه حينما أراد أن يدخله المستشفى للمرة الثانية ..

ولم يكن يلبث فى المستشفى مدة طويلة ، لأنه حينما يسمع الأطباء أشعاره يؤمنون بأن الذى يبدع هذا الشعر لا يمكن أن يكون مجنونا .

ويبدو أن هذا الفارق الهائل فى الإحساس والفكر بينه وبين أهله كان يلجئه الى أن يقضى أغلب أوقاته فى حجرة ببيته فى بلطيم ، وها هو ذا يصور لنا يوم عيد قضاه فى تلك الحجرة ، فى قصيدة بعنوان « غريب فى الربيع » وقد قدم لها بقوله : « الى يوم عيد .. شربت فيه آخر قطرة من حميم الوحدة ، فى نادى الحليين .. »

أنا الغريب هنا ... لاخمر أسقاها ولا نديم .. يعاطينى حميّاها
أنا الغريب هنا .. لا الروض يبسم لى ولا أزاهره تندى ثناياها
هنا الحميلات .. أشواق مرنّحة العاشقون طيوب فى حناياها
هنا الحليّون .. لم يقدر لراحتهم موت .. ولم يعدموا للنفس سلواها

ثم يصور وحدته فى قصيدة أخرى تحت عنوان « وحدة » يقدم لها بهذا البيت :

يا أيها الناعى علىّ تكاسلى لست الكسول بل الكسول زمانى

ومطلع هذه القصيدة :

أنا وحدى؟ أوّاه من أناوحدى عشت فيها حتى أرتنى لحدى
« أنا وحدى » جهنم اليأس والبؤ س وسلوى المغلوب والمستبد
هى ذل وعزة واقتدار وهى ذلى وعزة المتحدى
أنا وحدى وسوف أذهب وحدى ليت روحى لاتعرف الحزن بعدى
أنا وحدى ؟ أجل فلا شىء يجدى .. أنا وحدى لأعرف الحزن وحدى

***

ومن خلائقه أيضا اعتزازه بنفسه ، اذ كان يتمتع بعزة نفس لاتوجد فى إنسان على حدّ تعبير ابراهيم السيد ، وتتمثل فى عدم قبوله تحية عملاء أخيه شرنوبى الذين كانوا يذهبون

إلى نقابة الممثلين المحترفين بشارع توفيق ، إذ كان صاحب البوفيه يستقبل التجار وغيرهم . فإذا ما دخل صالح ووجد عملاء أخيه يشربون أنواعا جيدة من الخمر ويمسكون به ويحاولون استضافته لكى يشرب معهم لأنهم بذلك يظنون أنهم يرضون شقيقه شرنوبى — كان يرفض بإباء على الرغم من أنه كان فى محنته ..

كما أنه كان يذهب فى بعض الأحيان الى بيت شرنوبى ، بعد أن يكون قد ذاق مرارة الجوع أياما ، ويدخل البيت وقت الغداء ولا يجلس على المائدة مهما تكن قوة دعوة زوجة أخيه له وينتحل الأعذار بأنه قد سبقهم إلى الغداء ، وذلك لكيلا تفسر زيارته بأنها للغداء لا لزيارة بيت أخيه المجردة ، ولرؤيته لابنة أخيه «سونيا» التى كان يحبها بالذات .

ومن آيات اعتزازه بنفسه أنه حينما اعترته محنته ، وكان يتضور جوعا فى بعض الأحيان لا عن ضيق ذات اليد فحسب ، بل عن سوء تدبير وتقدير للأمور ، لأنه كان مسرفا متلافا .

حينما اعترته هذه المحنة وخرج منها بالموت تحت قطار الدلتا لم يوظف شعره فى ذلك الحين لدى السياسيين والإقطاعيين بالمدائح والتهنئات ليدر عليه المال الذى يكفى حاجته بل على العكس من ذلك اشتدت حملته — كما رأينا سابقا — على السياسيين وفى مقدمتهم الملك والإقطاعيين ومن يدور فى فلكهم ..

***

ثم من خلائقه الوفاء ، فقد كان وفيا لإخوانه إلى درجة أنه لا يتركهم فى شدائدهم وحسبنا دليلا على ذلك — كما يقول عبد المقتدر خطاب وتوفيق قنديل — أنه حينما قبض من محمود اسماعيل مبلغ اثنى عشر جنيها نظير أغانى فيلم « فتنة » أنفق منها خمسة جنيهات على ممثل كان مريضا فى احدى المستشفيات ، وراح يدعو آخرين إلى تناول الطعام فى أرقى المطاعم بدعوى أنه يطهر أمعاءهم من الفول والطعمية وملحقاتهما .

وفى يوم وفاة والد ابراهيم السيد لم يشأ صالح أن يتركه ورافقه فى عربة نقل الموتى حتى ميدان باب الحديد ، ونزل منها ليقوم بنشر النعى ، ونشره فعلا فى مكان بارز من صحيفة الوفيات بجريدة الأهرام متطوعا ..

وبالإضافة إلى ماسبق فقد كان يلقى شقيق إبراهيم السيد الذى كان طالبا فى كلية الهندسة آنذاك بوجه متهلل ومرحبا به ، ويحاول أن يعطيه نقودا ظنا منه أنه فى حاجة إلى نقوده .

ويحدثنا ابراهيم السيد «أن شاعرنا كان وفاء[*] للديون ، إذ كان حريصا على أن يرد كل مبلغ اقترضه من انسان ، ولم يحدث[*] مرة أن أهمل مبلغا لى ولم يرده ، وذلك على عكس غيره ممن اتصلت بهم من الشعراء[1]» .

***

وكان حسن المعاشرة عف اللسان ، لاتفارقه الابتسامة رغم مايعترضه من محن وخطوب ، فلا عجب ألانجد فى بلدته من غضب مرة منه أو من وجه هو إليه كلمة نابية ..

ومعنى هذا أنه كان كريما مع كل انسان من زملائه أو أصدقائه وكان عطوفا وبارا بالجميع .

وفى هذا الصدد يقول بكر الشرقاوى « إن علاقات شاعرنا الشخصية كانت طيبة جدا حتى مع البنات اللاتى كن لايجدن مأوى ، فيلجأن إلى نقابة المهن التمثيلية ، فكان يغضب من أجلهن ويحاول أن يتقصى أخبارهن ويساعدهن ماديا ويسرى عنهن بحديثه أو شعره » .

ويحدثنا الدكتور أحمد هيكل قائلا : « إنه على الرغم من أن الشرنوبى لم تتحقق آماله فى التعليم ، ولم تتحقق آماله فى أهله ، ولم تتحقق آماله فى الأدب ، فقد كان خاليا من العقد النفسية أوالعقد الدينية ؛ وكان صافيا صفاء الملائكة . قويما فى علاقاته بأصدقائه ، حساسا مصقولا رهيف الحس » .

ومما يدل على حساسيته المرهفة حفاظه على شعور الغير إلى درجة أنه يدفع ثمن حساسيته من نفسه ولا يؤذى غيره أبدا ..

لقد كان يستطيب أحيانا الجلوس فى صالة « البدروم » الذى كان يسكنه مع بكر الشرقاوى وابراهيم السيد ، ولكنه حينما يعلم أن ابراهيم مستعد للنوم يطفىء النور ويدخل حجرته ويوقد الشمعة الخالدة ويظل فى مناجاته ..

ولم تكن حساسيته مقصورة على أصدقائه ، بل كان يستخدمها كذلك مع أهله إذ تزوج ابن عمه وصديقه مسعد الشرنوبى وكان شاعرنا يحبه حبا كثيرا بحيث يملك عليه كل شغاف قلبه ، وكان يود أن يحضر فرح ابن عمه وحبيبه ، ولكنه اصطدم بخلاف كان قد وقع بين أبيه ووالد مسعد . فماذا يكون الموقف اذن ؟ أيرضى مسعدا وأباه ويغضب والده ؟ أم يرضى والده ويغضب حبيبه وعمه ؟

وهنا هدته طبيعته الحساسة المرهفة فى حساسيتها إلى أن ينشد قصيدة يهنىء فيها مسعدا وبذلك يكون قد أرضى الجميع ..

وكان حييا إلى درجة أنه كان يخجل من نفسه إذا ما وقف أمام مرآة – كما يقول ابراهيم السيد – وكان يغض طرفه وهو يتحدث مع المرأة نظرا لتربيته الدينية من ناحية ولشعوره بعدم جمال وجهه – نظرا لما فيه من بثور – من ناحية أخرى .

***

ومن خلائقه بعد هذا كله أنه كان سمحا لا يؤاخذ أصدقاءه ولا أهله على مابدر منهم فى حقه ، وحسبنا أن نعلم أنه على الرغم من عدم نسيانه لما صنعه معه شرنوبى فى طفولته

حينما صلبه وأخذ يضربه بعنف وقسوة شديدين – كما يقول طلعت الشرنوبي فقد رآه يقف مع ابنة الجيران – فإنه كان يحب ابنته «سونيا» وكان يذهب إليها دائما وهو يحمل لها الحلوى في الوقت الذي كان هو في حاجة لثمن الحلوى وكان يعينها على استذكار دروسها وهي في المرحلة الابتدائية ..

وحسبنا كذلك أن نعلم أنه حينما خرج من مستشفى الأمراض العقلية في المرة الثانية ذهب إلى طنطا سائرا على قدميه وحينما وصل البيت جلس أمام والدته وقال لها «لقد سامحتكم على ماصنعتم بي» وذلك على حد تعبير شقيقه طلعت الشرنوبي ..

واذن فهو في منتهى الصفاء في تسامحه ، لأننا نعلم أن إدخاله المستشفى قد جر عليه ويلات كثيرة في علاقاته بالناس ، حتى جعل صديقا له يقول له :

وقضّى عمـــره ضيفا بمستشفى المجـــاذيب

وكان يضن بنفسه أن يخسر صديقا ، ولطالما غفر لبعض أصدقائه زلاتهم معه ، ولطالما بكى كثيرا تلك الزلات لإخوانه ..

وكان عطوفا حانيا يبكي كثيرا إبان محنته التي استغرقت نحو ثلاث سنوات لم ير فيها أهله ولم يروه ، فكان يبكي ويطيل البكاء ، وكان يتمثل بهذا البيت لعبد العليم خطاب وذلك لينسى به ما عاناه من أهله :

عذاب الأهــل أو ظلم الحبيب أحنُّ إليّ من عطف الغـــريب

وفي هذا الصدد يحدثنا الدكتور هيكل قائلا : كثيرا ما حدثني الشاعر عن أخته البلهاء وكنت أراه في هذه اللحظة حزينا حزنا عميقا أكثر من حزنه على مستقبله الذي افتقده أو على أي شيء آخر ..

***

وأخيرا من خلائقه البارزة السخرية، إذ كان يسخر من كل شيء ، فيسخر من الألم بالضحك ، ويسخر من التزمت الديني كذلك .

حدث إبان محنته أن كان يسير مع أحد أقربائه المتزمتين في الدين فعثر على ورقة بمبلغ خمسة وعشرين قرشا فالتقطها ، وحينذاك قال له قريبه إنها حرام وعليك أن تدلل عليها ، فما كان من شاعرنا إلا أن رفع يده بها ونادى بصوت خفيض لايسمعه سوى قريبه من باب السخرية فلم يجد أحدا يقول إنها ملكي، وحينئذ قال شاعرنا لقريبه إذن أصبحت جلالا لي ومن حقي انفاقها ، واني لفي حاجة اليها .

ويحدثنا الدكتور هيكل فيقول في هذا الصدد : إنه رأى شخصا يجلس معي ، وجلس وقتا طويلا صامتا ، لأنه استثقل حركاته وسكناته وحديثه .. جلس حينئذ لاينطق ببنت شفة ولما انصرف ذلك الشخص قال الشاعر انه يعذر الثور الذي يحمل الدنيا على رأسه لأن فيها هذا الانسان .

وتقودنا السخرية الى الفكاهة ، وفكاهته حاضرة على البديهة، ومنها النكتة ومنها القفشة اللاذعة التى يستخدمها مع خصم كريه ، وتارة يدفع بها عن نفسه ازاء اعتداء يوجه اليه .

ويقول عبد العليم خطاب : انه تبرع وهو فى مستشفى الأمراض العقلية بجائزة لمن يمر من تحت خط رسمه لهم من أول الحجرة إلى آخرها ، وجلس ينظر الى المرضى وهم يضربون الأرض برءوسهم محاولين المرور من تحت الخط حتى سالت دماء وجوههم وهاماتهم ..

وحينئذ دخل الدكتور فوجدهم على هذه الحالة إلا الشرنوبى ، فسأله عن السر فى ذلك ، فحكى له القصة ، وأنه إنما صنع ذلك لكى يبعدوا عن مضايقته ..

***

هذه هى صورة الشرنوبى كما بدت لنا من خلال مصاحبتنا الطويلة له ، ودراستنا لآثاره وعلاقاته بأوليائه وأعدائه .

وفى اعتقادنا أن هذه الصورة يختلف فيها كثير من الناس فيحملها كل منهم على المحمل الذى تمليه عليه شتى المدارك والأمزجة تحت تأثير الحالات النفسية الطارئة ، فتأخذ الصورة ألوانا منهم إلى نفسه مهما تغرب فإنها لاشك تدل عليه وتشير اليه من قريب أو بعيد ..

عملية الابداع عنده :

القصيدة لدى شاعرنا كانت تمر بمراحل مختلفة بعد أن تأتى له فكرتها، فقد يعايش هذه الفكرة مدة من الزمن غير قصيرة ، ثم يحشد بعد ذلك قواه الشعورية بتعاطى المخدرات ليتسنى له استحضار كل معنى يمكن أن يدخل فى قصيدته ..

على أن عملية الاستحضار هذه كانت تحدث فى أغلب الأحايين وهو يزاول جزئيات الحياة اليومية ، وكانت تتمثل فى شروده وغيبوبته عن الوعى وهو ماثل بين أصدقائه أو وهو سائر فى الطريق .

وفى هذا الصدد تحدثنا زوجة أخيه شرنوبى قائلة : « إنه كان يشرد فى بعض الأحيان وهو يأكل ، بمعنى أن يتوقف عن الأكل ، ولا يمضغ الطعام الذى فى فمه ، ويظل على هذا الحال وقتا قد يطول وقد يقصر ، والأكل أمامه ، ولا يستطيع إنسان مهما كان أن يأخذ الأكل الذى أمامه من فوق المائدة ، وإلا كانت النتيجة تحطيم الأطباق والقيام بثورة عاتية لايعلم مداها الا الله ، ويظل على هذا الحال حتى يعود بنفسه إلى الأكل ..

ومن مظاهر شروده كذلك أنه كان إذا ماناديته وأنت بجواره فإنه لايسمعك ، لأنه فى عالم آخر غير عالمنا: عالم الحس والمشاهدة ..

ويحدثنا فتحى الشرنوبى فى هذا الصدد قائلا : انه قد ينتحى فى المكان الذى كنا نجلس فيه فى بلطيم ، ثم يذهل عن نفسه وعمن حوله ويأتى بألوان من الحركات يصحبها ضرب بيده على رجله الموضوعة على الأخرى بما يتفق وإيقاع القصيدة التى ينشدها ، وكان فى هذه الحالة يسرف فى التدخين ..

وقد يستغرق إنشاد القصيدة أسبوعين كاملين أو أكثر ، وهو مغلق على نفسه باب حجرته حتى يغدو إبداعها كعملية الولادة لدى النساء ، وفى هذه الحالة — كما يقرر عبد المقتدر خطاب — يكون مسترسل اللحية وشعر رأسه وعيناه غائرتان ويعتريه الشحوب والهزال ولا يشعر بجوع ، وحينما ينتهى منها يقبل على الأكل بنهم شديد :

ويضيف عبد المقتدر خطاب إلى ذلك أنه كثيرا ما كان يستيقظ من نومه — فى الأيام التى يبدع فيها قصيدة — ليكتب بيتا من الشعر أو بيتين على أى شىء يصادفه ، فإن لم يجد كتبهما على حائط الحجرة ثم ينام بعد ذلك .

ولطالما شكا منه شرنوبى من هذه العادة التى كانت تعد طلاء الحجرة التى كان ينام بها ، وأكبر الظن أن هذه الشكوى كانت عامة لأنه لم يكن يدع أى جدار ألفه بلا كتابة ومع ذلك فقد كان دائما على استعداد دائم بالورق يحمله ليكتب فيه فى أى وقت ، ولو كان فى الشارع ! وهنالك يذهل عما حوله ، ولو كانت هناك رعود لما أحس بها كذلك ، وهذا ما كان يدعو أصحابه إلى الخوف عليه كلما طرق شارعا من الشوارع المزدحمة ..

وقد تعتريه حالة الإبداع وهو يستذكر ، وحينئذ يكتب أشعاره التى تحضره لساعته على الكتب الدراسية ، وذلك كغلاف كتاب « ايضاح المنطق القديم » فى متن التهذيب للسعد وشرحه للخبيصى الذى ألفه عبد المتعال الصعيدى .

وقد يكتب أبياتا يصور بها حقيقة من الحقائق أو يعبر فيها عن تجربة ما ، ثم نراه يضمنها قصيدة أخرى ، ففى قصيدته « الشعوب » يقول :

شياه ترجى اخضرار الجدوب   لتسمن للذئب لا للحياه ! !
تنام على الشوك حتى إذا   نما الورد كان دخانا شذاه
وراع طوت نايه السافيات   وغاب بجوف الروابى صداه

ويقول :

وإن أيقظ الذئب صوت الدماء   فلا ترتقب غير نوم الرعاه

وعندما أنشد « المواكب » ضم تلك المقطوعة إليها وإن كان قد أضاف إليها فى أولها بيتا يقول فيه :

وفوق الذرا حاكم فى علاه - يرى قومه أمة من شياه

وغير فى ثنايا المقطوعة بيتين بعد البيت الثالث فى القصيدة بحيث قال :

وراع طوت نايه السافيات وغاب بجوف الروابى صداه
يهش إلى رقصات المنى وكل الردى كامن فى مناه
ويهفو إلى الكأس إن عربدت ويسجد للمرأة المشتهاه

وقد كان هذان البيتان فى المقطوعة على النحو التالى :

ينوح نواح الغريب الطليح إذا أذكرته الليالى هواه
ويذرى المدامع هتّانة فيرمُض بالنار قلب الفلاه

***

وقد اتخذت القصيدة لديه أكثر من شكل ، فهناك الشعر العمودى ذو القافية الموحدة والذى يمثل أغلب شعره .

وهناك الشعر المثنوى الذى يتمثل فى دفقات شعرية كل دفقة يستوعبها بيتان فقط على ماترى فى الجزء الثالث من دواوينه الذى يحمل عنوان « نسمات وأعاصير » :

يانديم الصباح أترع كئوسكْ وأذب فى شعاعها أتراحكْ
سوف تطوى كف المساء عروسك وتُبكّى مع الندامى صباحكْ

وهناك البناء التقليدى الذى يتشكل تبعا لانسجام الإيقاع والتلوين الصوتى مثل قصيدته « بيننا » التى يقول فيها :

بيننا .. أو بيننا زهر وشذاهُ بيننا أو بين بدر وسناهُ
بيننا .. أو بينَ جفنٍ ورُؤاهُ بيننا . . أو بين لحن وصداه
بيننا حبٌ وقلب وأمان حالماتُ
ومتاهات من الصفو نمتها الصبواتُ
وسرابٌ خادع اللمح ورىٌ وهيام
وربيع صامت الروح جديب وخريف ممرع الروض خصيب

ومن هذا الضرب أيضا : قصيدته « سهاد » التى يقول فيها :

هتف الليل فلبٍّ الهاتفا أيها السابح فى أوهامه
وانس آلامك فالجفن غفا من سهاد زاد فى آلامه

إنهـــا أوهام حبٌ عـــذّبك

وجفونٍ ذوبهـــا قد ذوّبك

وفؤاد تاه فى وادى الغرام

ثم هناك بناء القصيدة المرسلة ، وهى التى يتحلل الشاعر فيها من القافية ويوزع تفاعيلها حسبما يتفق والإيقاع . ومن هذا النوع قصيدته «أطياف» التى تعدُّ جديدة من حيث الشكل (من حيث التكوين) وجديدة من حيث المضمون كذلك ، اذ أنه أنشدها فى فتاة من فتيات البرلس الفقيرات الجميلات القاطنات فى شمال البرلس فى أكواخ . وهذه القصيدة من بحر «الوافر» .

إذا ما العاشق المجهول أغرى الشمس باللقيـــا وراء الأفق الضاحى

فمنته ـــ ومدت كخيـــوط الوهم . إشعـــاعاتها الحمـــــــرا

كما منّيتنى يوما وفى خديك توريدُ

وسالت من شفاه السحب صهباء الترانيم

تهدهد ربّة الإشراق اذ أسكرها الحُبُّ

لكى لاتعجل الخطـــوا .

وفى اعتقادنا أن الشرنوبى بهذه القصيدة قد التفت بطبيعته الشعرية إلى امكانات الشعر الحر الهائلة ، فخاض التجربة ، وكانت تجربة رائدة من غير شك . واذا عرفنا أن هذه القصيدة قيلت عام ١٩٤٥ فإنه يكون بذلك واحدا من روّاد الشعر العربى فى شكله الجديد إذ لم يسبقه ـــ فى علمى ـــ انسان فى ابداع هذا اللون الغريب .

عبد الحى دياب

جزيرة الروضة فى ٣ من مايو سنة ١٩٦٦


أولا
الشعر



أصداف الشاطئ

عبرات . سبحات . بسمات

١٩٤٣م

اغنية الفجر

« إلى فجرى »

يا ليل قد طلع الصباح وما رأيت حَبيبِيَهْ

ومضت سهام النور تقطع حَبْلَ مُنيةِ قلبيه [1]

وخبا الضياءُ السرمديُّ ومات كوكب حُبِّيَه [2]

وسطا السّقام على البقيّة من ضياءِ شبابيه

وأماتها فمضت ترتِّل فى المقابر لحْنيَــه

* * *

كم عانقت روحى سناه فخفّفت ممّا بيَه

وشربت من نور الجمال فأسكرتنى كأسيه

وثملت من فرط الهوى فَحَطَمْتُ سَوْرة خمريه [3]

قد كنتَ شاهدَ حُبنا يا ليل فارْثِ لحــاليه

واذهب إليه وصِفْ أساى وما أَحلَّ بجسميَه

* * *

(١) المُنْية والمنْية : البُغية ، والجمع : مُنىً ومِنىً ..

(٢) السرمدىّ : مالا أوّل له ولا آخر ؛

(٣) ثمل يثمَل ثَمَلاً : أخذ فيه الشراب ، وأثمله : أسكره ، والسَوْرة من البرد أو الشراب أو الغضب وغير ذلك شِدّتُه وحدّتُه وهياجُه ..

يا زهرتى كذب الوشاة بما يدنِّس طُهريَه

هلاَّ أَتيت لهيكلى وسمعت نجوى روحيـه

ونظرتِ للدّمع الهَتون فضنّت منه عيْنيـه[1]

ورضيتنى عبدًا لحسنك واحتقنت دمائيـه

فرأَيت مبلغ عفَّتى وعلمت أَنَّك جانِيـه

* * *

أَنت الحياة فما أَرى فى غير قُربك سعديَـه

والبعد عنك وعن سناك منيّتى وفنائيـه

فتناولى نایَ الغرام وغنِّنى فى عشقيـه

وترنَّمى بالحب وارْوِى للوَرَى من شعريـه

عَلِّى أَموت فمن يُخلِّد فى الصبابة ذكريه[2]

* * *

طال الأَنين وما سمعت فهل أُكفكِف دَمْعِيه[3]

وأَعود من دنيا الغرام وقد كسبت شجونيه

فدعى الدّلالَ فما عشقت سواك طول حياتيه

وَمُرِى خيالك أَن يطوف بفكرتى وخياليـه

أَبدًا يعذِّبنى الهوى ، أَفلا رحمت فؤاديـه

(١) الهتُون : الكثير القطر ، يقال : « عين هتون الدمع » (يستوى فيه المذكر والمؤنث) ..ج : هُتُنٌ ، وهُتّنٌ ..

(٢) الصّبابة : الشوق ، أو رقته ، أو حرارته .

(٣) كفكف دمعه : مسحه مرّة بعد مرّة ليجف ، وكفكف فلاناً عن الشيء : صرفه

أنا وأنت

إلى سائلى : مَنْ أنت ومَنْ أنا

أَنا الحائر يا نجوى أَمانىَّ أَنا الحائـــــرْ

أَنا الصامت ياسحر ليالىّ أَنا الثائـــــر

أَنا الصارخ يا غنوة أَحلامى أَنا الصابـــر

أَنا الساحر يارُقْية أَسقامى أَنا الساخر [١]

أَنا المقهور فى الحبّ وبالحبّ أَنا القاهـــر

* * *

وأَنت الجدول المنساب فى صحراء أَيّامى

تُهدهِدُ موْجه الغافى أَغاريدى وأَنغـــامى [٢]

وترقص فى ثناياه جـــراح فؤادىَ الدامى

تلقِّن رملـــه النعســـان أُسطـــورة آلامى

ففيـــه أُذيبُ أَسقامى ومنه أَعبُّ أَسقامى

* * *

(١) الرُّقية : هى أن يُستعان للحصول على أمرٍ بقوّى تفوق القوى الطبيعية فى زعم من يعالجها والجمع رقىّ ، ورُقْيات ، ورُقَيات ..

(٢) تُهدهد : تحرّكه حركة رفيقة منظمة . والغافى : الناعس . .

أنا الطير الذى أضناه إعصار المقاديــــر
وألقى نايَــه المقرور فى تيــه السّمادير [1]
فذابت فى حنايا صمته الدّاجى مزاميــرى
بربِّك إن سمعت صداه يا بنت الأساطير
فهبّى وارحمى أجفانـــه الظمأى إلى النور

* * *

إخالك حين ألقاك حَنينًا صيغ إنسانــا
فأحيى فيك تحنانا وأفنى فيك ألحانــــا
وأشعــل فى هشيم اليأس من قربك نيرانا
وأصهر فى لظاها قلْبِىَ المنساب أحزانـــا
وأجعل روحى الزورق والأشجان رُبّانـــا

* * *

وقَفْتُ عليك ألحانى وسيْكبَ جفنِىَ السّاهر [2]
وقلت لكِ ارحمى قلبًا قضى فى قبره السائر
فأنت إلهةٌ ألقت عليه حكمَها الجائــــر
وغابت فى سماوات دلال قاتل قاهـــــر

(١) السّمادير : ما يتراءى للناظر كأنه الذباب الطائر من ضعف بصره عن السُّكر وغشْى الدوار والنعاس ، أو هو ضعف البصر . والمقرور : من أصابه البرد .
(٢) السيكب : المطلان الدائم ، وجفن سيكب أى يهطل دائماً .

وما أنا يابنــة الفنِّ سوى فنّانك الحائر

* * *

وأنت الرحمة الكبرى وأنت القدر الساخر

وأنت قصيدة الشاعر وأنت تميمة السّــاحر

وأنت أنا وما أنا منك إلا همسة الخاطر

أنا الروضة والجدب أنا السقم أنا الطب

أنا الصــيّاد والطــائر

* * *

عشقتها من بنات الكوخ طاهرةً عذراء من نَظَرَتْهُ عاش مسحورا

وضمّنا الدّهرُ حيناً ثم فرّقنــــا وأبعد النورَ عمّن يعبُد النورا

كأسها الحزين

قال هذه القصيدة فى إحدى الفتيات العربيات الجميلات
اللاتى كن يأتين إلى سوق بلطيم وكن يسترحن
بجوار بيت الشاعر ، وقد أخذ الشاعر بجمال عينيها

جنِّبى كأْسك الحزينة عـــنى وانهلى خمــرة الصبابة منِّى
واهبطى من سماءِ دَلِّك يا نَجْــ وَى وكُفِّى عن القلِى والتجنِّى[1]
فالغرام البرىءُ وحىٌ من اللـــــه وعشــقُ الجمال أَخلــدُ فنِّ
فاهتكى سترك الكثيف وَرَوِّى لهفتى واعزفى بخدرك لحنى
وابعثى فى المنام طيفك حتّى أَنظم الشعر فاسمعيه وغنِّى

كم ليالٍ سهرتهـــــا والضنى حارسى الأَمينْ
بينما أَنت فى محيطِ الكرى كنت تســـبحينْ
لاتُبَـــــالين بى ولا لغـــرامى تقدِّريـــنْ
إن برانى الهوى وذا ب فؤادى فلن أَلينْ
أَنا قيس وأَنت ليلى وحبى هو الجنـــــــــونْ

* * *

هل على الأَرض ناسك عَبَدَ اللـــــه ولم يشــغل الجمالُ فــؤادَه

---

(١) الدلّ : الحالة التى يكون عليها الإنسان من السكينة والوقار فى الهيئة والمنظر والشمائل وغير ذلك .. ، والقلى : البغض .

لا أَرى للصلاة معنى إذا لــم يجعل الناسكُ الغَرامَ عبادَهْ[1]
ما ألذ العذابَ فى الحب يا قلـــبُ إذا ما أورى الدَّلَالُ زِناده
أَنا فى هيكلى عليلٌ طوى السُّهدُ شبابِى وحبٌ ليلاى زاده
أَشعل اللهُ فى السماء هواهـــا ورماه فكان قلبى حصاده

أترعى كأسَ حبّنـــا ثم عبّيــه فى حنيــنْ
واقبلى من معــذَّبٍ راحــةَ الحزن والأَنين
وانظرى هل ترين إلاَّ لظى حبــك الدفيـــن
أَرَّق السهــد مقلة لم تدنَّس مـــدى السنين
فارحميهــا لتشرب النور من ذلك الجبيـــن

لو بُعثنـــا من القبور فحسبى أننى عابد لسحر جمالِكْ[2]
ما الذى يغْضب الإِله إذا كنتِ ملاكا عبدته من خلالك
خفق القلب عند نظرتك الأُولى وحنَّت دقَّاته إثر ذلـــك
واستحال العطف الشديد إلى حبٍّ نماه ذلِّى وفرط دلالك
فادخلى معبدى ورقِّ لحـــالى واطرَبى واهتفى بوحى خيالك

كيف ينسى غرامَـــه عاشقٌ دمعُــه سخينْ
مُلهَمٌ من مـــلاكه بدّد الشــكَّ باليقين

(١) كان البيت يستقيم فى التصوير لو أنه قال : « لا أرى للوجود » بدلا من الصلاة ، لأن البيت على وضعه الحالى يوحى بأنه متمرد على العبادات زائغ العقيدة ..

(٢) لو أنه قال ؛ عاشق بدلا من عابد لكان أبلغ من حيث أن العشق يوحى بحبّ الجمال عن إرادة واختيار ، وذلك على عكس العبادة للجمال ، وعلى هذا الفهم يستقيم البيت الثانى لو قال : ملاكاً عشقته ..

عبقريٌ نبـــــــوغُه شاعَ فى شعره الرّصين

يملأُ الحبُّ قلبَـــــه مِن سنا وجهك المبين

فارفــقى بى وجنِّبى خلوتى كأْسك الحزين

عزاء

إلى الشاكى

لا تَنُحْ إنْ هاجتِ الذكرى فمـا نَفَعَ النَّوْحُ ولا أجْدَى البكاءْ[1]

وأرِحْ من حبِّها قلبا سَمَـا عن هوى الدنيا وزكَّته السماء

إنهـا أُنثى ظلومٌ كلَّمـا زدت وجدًا فاض من فيها الثناءْ

فانْقع الغُلَّة قد طال الظمـا وأغاريدك من طين ومـاء[2]

وأبَى جُرحُك أن يلتئمـا وهىِ لا تسمع ألحان الدِّماءْ

(١) ناحت المرأة على الميت تنوح نوْحاً : بكت عليه بجزع وعويل ..

(٢) الغُلّة : شدّة العطش وحرارته .

لحن البلبل

في عيد الهجرة النبويّة

رتّلَ البلبلُ الطّروبُ لُحونَهْ شاديا يُسْمِع الغناءَ غصونَهْ

يملأُ البشرُ وجهَه الغَضّ حسنا ويَزِين الضياءُ منه جبينَه

وتسير الجآذر الغيد سكرى من حواليه والقنابر دونه[1]

والنَّدى من مدامع الغيب مسكو بٌ على هامة الخيال الحنونه

والشعاع الرطيب يسبح في الكوْ ن وروح الإلهام فيه كمينه

هزَّنى الشوق للملاحن والشعـــــر وأنغامه العذاب الرصينه[2]

قلت يا بلبل الرياض أَجبْنى ما الذى هاج من هواك دفينه

قد سمعنا الغناء والشدْو والنجو ى وصبَّ الترنيم فينا فنونه

فارْوِ من شرفة القرون أَحاديثك وارحم منّا الدموع السخينه

* * *

قال حقًّا لقد شُغلت عن الضو ء وعمّيت سحره وفتونه

ما ترى ذلك الجمال الذى قــدّسه الله ثم زكّى مَعينــه

---

(١) الجُؤْذَر : ولد البقرة الوحشية ، والجمع جآذر . والقُنْبرَاء ، والقُنْبُرَاء ، عصفورة من فصيلة القبّريات ، دائمة التغريد ، تفتش عن غذائها فى الحقول وعلى الطرق ، والجمع : قنابر ..

(٢) الملاحن : مسائل كالألغاز يحتاج فى حلّها إلى فطنة

أَى نور جلا الغزالة فى رأْ د ضحاها بمثل نور المدينه[1]
إنها هجرة الرسول وما أَرو ع ذكر الرسول لو تعلمونه
ها هى اليوم تملأُ الكون نورًا فجرَّ الله فى السماء عيونه

* * *

ماتت اللاَّتُ وانقضتْ دولة العُزَّى وخرّتْ مَناةُ ولْهِىَ حزينه
تندُب المجد بعد أَن ضعضع الحقُّ هواها فما تزال سجينه
سلّ سيف الإِسلام من غمده البا لى تُروِّى الدماءُ منه جفونَه
مقصد لايزيله الصارم العضب ولا تمنع الحوادث دونه
ورسول يرى النعيم على الذلّ جحيما فليس يرضى سكونه
جعلوا المال طيِّعًا فى يديه وأَتوه بملكهم يفتنونه
ويقولون يا محمد دع عنك سفاه الشَّيطان واترك مجونه
واهجر الدعوة الجريئة واصنع مثل آبائنا وما يصنعونه [2]
واعبدوا مثلنا الحجارة فالنَّفع لديها وخير ما تأْملونه
ولئن شئت ملك كسرى أَنوشروان فاهنأْ بما ترى أَن تكونه
وترى المال كالجبال على الأَرض فترضى أَهواءك المفتونه

* * *

كبرت تلك نزوة يا أَبا جهل أَبِالْمُصطفى تريد المُشِينه
لعن الله كل من يشهد الحقَّ جليًّا ولا يرى أَن يصونه

(١) رأْدَ الضحى رأْدًا : انبسطت شمسه وارتفع نهاره .
(٢) كان أولى بالشاعر أن يقول « الدعوة الجديدة » بدلا من الدعوة الجريئة .

هل ترى فى الكنوز والملك والجاه خداعا ترجونه أن يلينه
علم الله أنها دعوة الحق ستفرى بالسيف ما تفترونـــــه
جنَّة الله ربحه ورضا الله مُناه فمن يناضل دِينـــه ؟

* * *

سار جيشُ الإسلام فى مَهْمَهِ الكُفْر فَسوَّى سهولَه وحُزونه[(١)]
ومضى للخلـودِ ينصرُه اللّـــه بجندٍ مسوّمينَ مصونَه[(٢)]
وسرى الصادق الأمين ينادى أن هَلُمُّوا فهاجروا للمدينه
وانشروا الدين فى سكون إلى أن يظهر الحق بعدما تكتمونـه
ربِّ حُمَّ القضاءُ فانصر رجـالى واسكب الصبر والهدى والسكينه
إن أَنصارى البواســل قُــلٌّ وخميس العدوِّ ملءُ المدينه
خفقة زلزلت بروج النصارى فهى بالهدم والسقوط رهينه

* * *

قبض النور من ربوعك يا مكَّة فابقى يتيمـــة مسكينـه
واطربى يا مدينة اليوم بالها دى وهاتى من المدائن زينه !!!
وانثرى الزهر والرياحين والجُلســان فى كل مجمع ترتضينه[(٣)]

---

(١) المهمه : المفازة والبلد المُقفر ، والجمع مهامه . والسّهل : تراب كالرّمل يجىء به الماء ، والجمع : سُهُول وأسهال .. والحَزْن من الأرض : ما غلظ ، ومن الناس : ما خشُنت معاملته ، والجمع : حُزون .

(٢) مسومين : أى مرعيّين ..

(٣) الجلّسان : الورد الأبيض ، أو .. نثاره ، وهو معرّب جُلْشَن .

إن دين الرسول فيك مقيم — أو يزيل الرسول عنه دجونهْ
سوف يزهو بعد النضال على الدنيا وتبقى الشريعَة المأمونه
كالحديد المصهور يزداد حسنا — بعد أن يصقل الجحيم سنونَه

* * *

يا رسولَ السلام والعدلِ هذى — صيحةٌ من المجنـــونه[1]
أقف اليوم والخطوب جســامٌ — لأرى الركب قد أضلّوا السفينه
نشروا فى الزعازع الهوج أعلا — م الخطايا لغير شطٍّ أمينه[2]
وأضاعوا دِينا ظللت تذود الـــ — ـكُفْرَ عنه كالليث يحمى عرينه
فانفث القوّة الفتيّة فى النّا — س وشُدَّ العزائم الموهونـــه

* * *

يا أُسود الشَّرى وأشبالَ طَـهَ — هاهو الغربُ يبتغى أَن يهينه
فاجمعوا شملكم وهبوا صفوفا — واحفظوا شِرعة الرسول المبينه
فحياة الجمود نوع من المـــو — ت وعزٌّ الذى يرى الحقّ دينه

---

(١) كذا فى الأصل وفى الشطر الثانى من البيت خلل عروضى .
(٢) الزعازع : الشدائد ، والواحدة زَعزَاعة ، والهوَج : الحمُق ، فهو أهْوَج وهى هوجاء ، والجمع : هوج .

الى المجد

« إلى شباب نادى الأدب العالى الذى أنشأه الأستاذ
محمد عبد الله خليل بالقاهرة فى عيده الثانى »

سر باسم ربِّك هذا عامك الثانى
وارفع لواءَ الهدى فى كل ميـــدانِ
والبس مسوح الصبا واخطر بســاحته
واشرب كئوس الهوى من نور تبيانى
واحمل قياثر شعرى يا (خليل) فمــا
وهبتهـــا مرة إلا لفنّـــــــان
واعزف على الوتر الريَّان لحن هوى
قلبى ورتِّل بديْر الشــعر ألحــانى
فما الحياة سوى حلم يطـوف بنا
فاغنم شبابك هــذا عالم فانى

* * *

يا صــاحب الأدب العــالى ومعهده
أتيت ناديك فى أهلى وإخـــوانى
نشــوان من فرح اللقيا يصاحبنى
عزم الشباب وإلهــامى ووجـــدانى

فاسمع نشيدى وَطِرْ فى الأُفق مفترعًا
بكارة المجد عن صدق وإيمانِ[1]
أرى الكنانة تبكى عهد عزتها
والنيل فى شجوه كالعاشق العانى
وهذه اللغة الفصحى تئّن فمن
يحنو عليها ويأْسو جرحها القانى
فى روضة الخلد سقياها ومنبتها
وفى سماءِ المعالى فرعها الدانى
ثمارها من معانى الفكر تقطفها
يد الخيال وتهديها إلى الجانى
وزهرها عبقرىّ النظم جنَّ به
شعر الزمان فأَمسى جدّ أَسوان
كفاك يالغة الأَحرار مفخرةً
وشاهدًا بيِّنا عن رفعة الشان
حديث طه وقرآن الإله وهل
فى جنب هذين من فخر لإنسان
هبّوا شباب الحمى من نومكم قُدُماً
فالمجد يطلبكم من عهد قحطان

(١) مفترعاً : اسم فاعل من افترع البكر : أزال بكارتها

واستنهضـــوا العــزم وانقادوا لمقصدكم

وقدِّموا لَبِنَ العليـــاء للبــانى

فما سمت أُمــة يوما لغـــايتها

وفى الشــباب رُؤَى جبن وخــذلان

شـدّوا أياديكم فالله ناصــركم

وجــدّدوا العهــد من آن إلى آن

وبايعــوه على أن ترخصوا دمــكم

لتنقذوا الشرق من أنيــاب عدوان

ذكريات

« إلى ملهمتها »

ذكرتك والذكرى تضاعف من كَرْبِى
فَغَنَّى لحونَ الدمع فى كَهْفِهِ قلبى
يخالجه طيفــانِ .. طيفٌ يذيبه ..
حنيناً ؛ وطيفٌ محرقٌ كلظى الجدب
هو البين .. لم يخلقه من قَدَّر الهــوى
لغير عــذاب العاشق المدنف الصَّب

* * *

إذا الليل نادانى ذكرت مواقفــا
لنا والدجى كالهجر والنَّسْمُ كالعتب[1]
تضمَّننى كالطفل يُضفِى حيــاؤُه
عليــه مُسُوح الأَمنِ والأَمل العــذب
فأَفنى كما تفنى تميمـــة شـــارد
يقرِّبها زلفى إلى نجمـة القطب
يعــاودنى الحــرمانُ منكِ فأَحتــمى
بصدرك يا دنيـــاىَ من هجـرك الصعب

(١) النّسَم : نفس الروح ، أو الخلق ، أو الريح اللّينة قبل أن تشتد وسكّنت السين هنا لضرورة الشعر ..

ودمعى سجين فى جفــونى مقيّد
بعــزة جبـــار تكفكف من غَـرْبى[1]
وأظهــر سـعدى باللقــاء وفــرحتى
وأشفق من بُعــدٍ سيفقــدنى لُبى
وأسبح فى فكرى ودمعى ســابح
فتوقظنى كف كغادية السُّــحْب
ونمضى كما جئنــا نجــرّ عفافنَــا
نلقنُ طُهْرَ الحبِّ للزهــر والعشــب

* * *

ذكرتُكِ لمــا صــاح بالركب أهلُــه
ودمعىَ فى رسغيك أسنى من القلب[2]
أُقبِّل فجــرا مبهم السِّــر نائما
فأُودعه سِرَّ الصّبــابة والحب
وأُترِع كأْس الشــوق والشوق غالبٌ
علىّ فأَبْكى خيفة اللوم من صحبى
ونادانىَ الركبُ المجــدُّ فلم أَزد
على زفرة قدَّت ضلوعىَ فى جنبى

(١) الغرْب : الدمع ، أو مسيله ، أو مؤخر العين ، أو مقدّمها. وكفكف الدمع : مسحه مرة بعد مرّة . .
(٢) الرّسغ : مَفصل ما بين الساعد والكف ، والكف والقدم ، والجمع : أرْساغ ، وأرْسُغ .

تُمَزِّق كف البين آمـال خافقى

فترثى لهـــا عينى بلؤلئهـا الرطب

* * *

ذكرتُك فانسابت مع الليل آهــةٌ

ترققهـــا النجوى ليَرْحَمَنى ربىّ

وضاقت رحاب الصبر بى فتركتهـــا

لتقذفنى الأوهــام فى صدرها الرحب

وجنٌّ بصـــدرى راهب متبتِّــلٌ

يضِجُّ بشكواه على البعد والقرب

ففى البعد نارٌ يصهر الروح جَمْرها

وفى القرب رَمْضَاءُ الوشايات والكذب

يعالجــه العــرَّاف بالطب والرُّقى

وما لجــراحات القــلوب وللطبِّ

ومن كان روحِيَّ الهــوَى عبقــريَّهُ

فكيف يذود الضُّرَّ عنه أخــو التُّرْب

* * *

فيارب إمَّا أن تريح من الهــوى

فؤادى فحسبى منه ما ذقته حسبى

وإمَّا لقــاءً لاترنّق ِصــــــفوه

نوائب دهر لم ينم قط عن حـــــربى[1]

فما أنا إلا شــاعر عــاف قلبُه

زخارفَ دنيـــــاه وأوفى على الشـــهب

وحبِّى مأســـــاة يهزُّ بــكاؤهـــــا

فؤاد الحديد الغفـــل والحجر الصلب

نشدت صفاءَ النفس فى الكأس والهوى

فحطَّمنى كأسى وشـــرَّدنى حـــبّى

كتابها

ومن نكد الأيــام أن كتابها وفيه شفاءُ النفس جاءَ أخيرا

تسلَّمته عجلانَ والدمع واكفٌ كأن له فى ناظرىّ زفيرا[2]

على أن فيه من شــذاها بقيَّةً تحيل دخان السافيات عبيرا

---

(١) ترنّق الماء: كدر.

(٢) الواكف: المطر المنهلّ

وسنان

وسْنان وهو يحيك أَشْرَاك الهوى بمغلَّف الأَسرار من أَهدابه[1]

غافلته فلثمت لِمَّةَ شَعْرِهِ ... وتمتَّعتْ كفِّى بضمٍّ ثيابه

فثنى رطيب العاج عنِّىَ غاضِبا وأَذاقنى شهد العتاب كصابه[2]

وأَشاح وهو يكاد يجمح عاتبـا وأَكاد أَفنى فى لـذيذ عتابه

فأَخذت بين يدىَّ كفًّا ناعما أَفديه بالحسَبِ الرفيع النابه

ولثمته ووضعته فوق الفؤا د المكتوى بلهيبـه وعذابه

وطفقت أَرأَمُه وأَعطِفـه وأَســأَله الترفُّقَ وهو ليس بآبه[3]

حتى تـأَلَّم كفُّـه المعبـودُ من خفقـان قلبٍ ثائرٍ مما به

فحنا ورقَّ وضمَّ رسْما دارسا يسرى جنونُ الحب فى أَصلابه[4]

* * *

قمرٌ أَتَمَّ اللهُ نُقْصان الوجودِ بنـــوره وجمـــاله ... فسما به

ملك لو اَنَّ اللهُ لم يخلقه ما آمنت بالإِعجـــاز فى إِغرابه

---

(١) أشراك : جمع شرك وهو حبالة الصيد .

(٢) العاج : ناب الفيل والقطعة منه تسمى عاجة والمقصود هنا الجيد . والصّاب : شجر مرّ له عصارة بيضاء كاللبن بالغة المرارة إذا أصابت العين أتلفتها .

(٣) أرأمه : أرأمها : عطفها وأرأم الجرح : عالجه وداواه حتى يبرأ أو يلتئم

(٤) الرسم : الأثر الباقى من الدار بعد أن عفت .

فى صوته المقتــول غُنَّةٌ عابـــد تتراقص الآمــال فى محرابِهِ

ولنهْده النشوان رقصة ماجن سلبت من القدِّيس كلَّ صوابه

شفتاه من ورد الجنان وقدُّهُ أفدى بصفو العيش ماءَ شَبابه

ورُضابُه ـ خمر إلهيّ أضعـــــت العمر فى شَوْقى لرشف حبابه[1]

وقنعت من حبي له بصدوده وبصمتــه ودلالــه وغيابه

وعبدت فيه عفــافه وحياءه وهو الذى تجثو القلوب ببابه!!

قلبى وفيه العــزّة الشمّاءُ قد رضى التذلُّل وهو لايرضى به

يا ليته بالغيث يحيى ميتــه وهو الذى أضــناه لمعُ سرابه

(١) الحبَاب : طرائق تظهر على وجه الماء تصنعها الريح ، والحباب كذلك : الفقاقيع على وجه الماء ، ويقال : طفا الحباب على الشراب .

الفتنة الخرساء

«إلى نبيلة فى جوّها الحالم .. وهى
طفلة لإحدى الأسرات الخالطات»

أطرقت فى ضراعة تذكر اللـــــه وفى صمتها يذوب النداءُ
ذات حسن جلّت عن الحسن فى الأَر ض وودّت لوقبّلتها السماء
طَفلة كالنسيم لطفا وكالطَّلّ على الزهر فاض منه الحياء[1]
ثغرها كأس جنّــةٍ بارك اللـــــه طــلاها ... سحريّةٌ عذراءُ
فيه من كلّ آيةٍ ســرها السّا جى ولكنه طــواه القضاءُ[2]
فيه من سكتة الطيور على الدّو ح إذا زاد فى أساها العناءُ[3]
فيه عىٌّ اللســانُ وهو بليغ صـامت اللحن صـارخ بَكّاءُ
فيه أغفت أغرودة الصمت سكرى بطلاءٍ لم يَحْسُــهُ الندماء[4]
فيه إشراقة الزهــور إذا رَفّــتْ عليها الظلالُ والأَنداء
فيه قيثــارة من الله ثكلى لم ترجِّع أنغامَها الأصداءُ

(١) الطَّفْل : الرّخص الناعم الرقيق ، وهى طفلة الأنامل: ناعمتها ، والجمع : طُفُول وأطْفَال والطلّ : الندى الذى ترسله عروق الشجر إلى غصونها .

(٢) السّاجى : يقال طرف ساجٍ : فاتر ساكن .

(٣) الدّوح : البيت الضخم الكبير من الشّعر ، والدوحة : الشجرة العظيمة المتشعبة ذات الفروع الممتدة من أى شجر ، والجمع : دَوْحٌ ، وجمع الجمع : أدواح . .

(٤) الطلاء : الخمر من العنب . يحسُه : حسَا الرجل المرَق أو الخمر تناوله جُرعة بعد جُرعة يحسوه حسوًا ــ

فيه من هدأة الدُّجى ومن الفجـــــــر خشوع ورقَّـة وصــفاءُ
كلما أطبَقَتْهُ حُزْنًا ... ترامت في فؤادي المطاعنُ النجـلاءُ(1)

* * *

كرَّم الله سمعها عن أحاديـــــث الدَّنايا .. فمات فيه الدعاء
لغـة الدمع واللحاظ لها أجـــــلى بيـان يقوله الشعراءُ
عينهـا منبعٌ من السحر فيًّا ضُ به جاور الظلام الضياء
لحظُها طلسم من النور روحـــــىٌّ وشعر معطَّرٌ وسـناء
فضح الحسن سـرَّه كلَّما نا جَى فؤادي شـعاعُه الوضَّاء
منه ما يُظْمِئُ القلوب ومنه ماينــال القلـوب منه الرُّواءُ
منه لحظ يضئُ للسادر السُّبْـــــلَ ومنه السهاد والظلماءُ (2)
ولأهدابها الرِّقَـاق قضـــاء عبقرىٌّ .. أحكامه خرسـاءُ(3)
قــدُّها أملس المعاطف نشــوا ن جميلٌ قد طهّرته السماء
وجهها عالمٌ من النور والخمــــر عفيف تغارُ منه ذُكاءُ(4)
سَائلوا أىّ مهجةٍ لـم تذب شَوْ قاً إليها إذا طواها المساءُ(5)

(1) كان من الممكن أن يقول الشاعر « سهامها » بدلا من المطاعن النجلاء .

(2) السّادر : الذى لم يهتم ولم يبال ما صنع ، فهو سادرٌ ، وسَدِرٌ ، وهى سَدِرة ، ويقال : هو سادر فى الغىّ : تائه . والسُبُل جمع سبيل وهو الطريق ، أو السّبب ، أو الوصلة .

(3) الهُدْب : شعر أشفار العين واحدته هُدْبة ، والجمع أهداب .

(4) ذكاء : الشمس .

(5) المهجة : دم القلب ، والرّوح ، والجمع مهج .

كلما أَقبلتْ علىَّ أَطارتنى شعاعاً آهاتُها الرَّعناءُ
كل قلب حلَّت « نبيلة » فيه حلَّ فيه الهُدَى وحلَّ الرجاء

* * *

إيه يا فتنة النواظرِ مالى كلما هاجنى الحنينُ أُساءُ
ذكَّرتنى آيات حسنك ليلا ى ففاض الأَسى ، وفاض البكاء
أَطرق يا صغيرتى واسأَلى ربَّك أَن يسعد الحزين اللقاء[1]
إنَّ حزنى وحرقتى وسهادى حُجَجى يوم تبرد الأَحشاء !!
وهو يوم أَفديه بالروح إن عزَّ على العاشقين فيه الفداء

---

(١) أطرق : أمال رأسه إلى صدره وسكت فلم يتكلم ، وأطرق : سكت لحيرة أو خوف أونحوهما ، ويقال أطرق بصره : أغضى .

كأس وكأس

أَتْرِع الكأْسَ كما شئتَ ورتِّلْ أَغنياتكْ[1]

ربما أَنستك ما لاقيته فى أُمسياتك

الهوى الماجنُ دنياك وأَحلامُ حياتك

والهوى العذرىُّ دنياى فَتِهْ فى سبَحَاتك

وارْوِ للناس أَحاديث الطِّلا من خطراتك

* * *

يا نديمى أَترع الكأْس ولاتَخْشَ الملاما

إنها كانت على من شَفَّه الوجْدُ حراما[2]

كَأْسِىَ الجفن الذى غنَّاك دمعاً وسهاما

والطلَّا دمعى وقد طنَّب فى جفنى الخياما

كلما اشتقت إلى الصَّاب هَمَى دمعى سجاما

* * *

يخفق القلب إذا ضجّت ببلواه الجراحْ

فتغاديه دموع ويناجيه نواحْ

---

(١) ترِعَ الإناء ونحوه يترَع ترَعاً : امتلأ .

(٢) شفّ الشىء يشُفّه شفّاً ضمّره وأرقّه ، ويُقال : شفّه الحُبّ أو الهمّ .

وأنا الشــارد تطوينى على السهد البِطــاحْ
أَنشد السلوى وفى قلبي من السلوى جراحْ
الشجى والسُّهد زادى ودمــوعى لىَ راحْ

* * *

يا نديمى أَنت فى الحب غريب يا نديمى
أَين قلب فاض منه الوجد من قلب سليمِ
أَين حبٌّ الطين من حبٍّ سما فوق النجوم
سرٌّ بلواك هيــام ثائر جمٌّ الغيـــوم
وشــبابى سرٌّ بلــواى وحــزنى وهمومى

* * *

يا نديمى إنَّما العيش غــرام وفتـــــونُ
وجنون فى الهوى الطاهـــر فضَّــاحٌ دفين
وشفاهٌ ورضابٌ .. وكــلام وعيــــــون
وعتابٌ أَبدىٌّ الصمت رفَّافٌ حنـــــــون
كــرَّم الله صــداه .. فتاقَّته السنــــــون

* * *

أَين من دنياك دنياى وأَحـــلامى وفنِّى
أَنت ترجو شهوة الجسم فَدَعْ عنــك التجنِّى
وأَنــا الظافــر والمغلــوبُ فى دنيــا التمنِّى

فى غد تنـدُبُ أيامَك فيهـا ... وأغنِّى
يوم ألقى سرَّ حرمانى وأشـجانى وحزنى

* * *

علَّمتنا نسمـات البـحر صـفو الحُلُـمِ
وأنين المـوج فى الشطِّ رقيـق النغَـم
والرمـال السـمر شـعر حائر فى القِمَـم
هلهلت أوزانـه الخرساءُ هـوج النَّسَـمِ
علمتنـا هدأة الـروح وحرب القلـمِ
تتهادى ذكرياتُ الأمس فى أُفق حيـاتى
أنجمًا مخنوقةَ اللمح كإصبـاح النُّعـاةِ
لم تهدهدْها من الحاضـر أنغامُ صـلاةِ
والغدُ المرجـوُّ رَهنٌ بيـد الغيب المُوَاتى
ويح من هبَّت عليـه سافيات الذكريات
يا نديمى حَسْبُك الصبرُ على اللَّـوْم وحسبى
أنا عبـد من عبيـد الحسن لا أملك قلبى
قدّر الأقدار حبٌّ عبقرىٌّ مثـل حُـبّى
لهف روحى وهى ظمأى لم تشاهد غير جدب
أنا لا أسـأل ربى غير ما يعلـم ربِّى

هجرة وميثاق

« إلى شمس اليوم الأول من العام الهجرى الجديد »
كانت إحدى القصائد التى ألقيت فى احتفالات معهد
طنطا بالعام الهجرى » .

أَبنجواى من رقيق النشـيد ... ما أُغنِّيه أَمْ أُحطِّم عودى
أَم أُطيل السجودَ فى معبد اللَّيل وحيدًا فتشرقى من جديد
إيه يا ليل هل تنازلت عن عر ... شك حتّى ترقاه شمس الوجود
كبدى فى دجاك كالأَمل الخـا ... ئب والحرِّ موثقا فى القيود
لم أَذق فيـك غير سهد الثكالى ... وأَنين المعذب المفئـود

* * *

أَشرقى ياذُكاءُ إن خيــالى ... كصدى الصوت فى الفيافى البيد[1]
رنَّقت صَفْوِىَ الدنايا فجلِّى ... صدأَ الخوف من لقاءِ المجيد
يا بديع الجمال أَطلق من القيد ذُكاءً إلى الشقّ الطريد
إن فى نورها هداية حيرا ... ن وبشرى الدنيا بعام جديد

* * *

أَمل مشرق كضوءِ محيّـا ... ه وسـحرٌ كدُرِّه المنضود

---

(١) الفيفاء : لغة فى الفيف وهو الصحراء الواسعة المستوية ، والجمع فيَاف . والبيد ..: جمع بَيداء وهى الصحراء .

وشعاع يرنو إلى عاشق النـــور بشيرا لقلبه المعمود

وصلاة الندى على الزهر كالقبلة ترجو بقاءها فى الخـدود

ورضيع الكرى يُفيق من النشوة والطير ساكر بالنشيد[1]

وحبيبان يحدوان المطايـــا مسئدات مادام جرس القصيد[2]

سُجَّدا للذى له الخلق والأمـر سجود العبيـد للمعبود

ومَهاةٌ كبسمة الصبح لم تحفِل بسوءٍ يصيبها من كَنُود[3]

حملت رأسها الطعام لجسمين نحيلَيْ تذكر وهجـود

لم تخف صولة الطغاة ولم تجفل من الجمع صائحا كالرعود

هى أُنثى لكن لها عزم جبَّارٍ وقلب كالصخرة الصيخود[4]

فإذا مسَّه الحنين إلى اللـــه تَغنَّى بمِزهرَىْ داود

فخر حوَّاء لم تزيِّف جمالا بطلاءٍ فجوزيت بالخلود

همَّها البيت والتقى ورضا البعل وغوث الجرحى ودفن الشهيد

لا التغنِّى بعاشق ينقض العهد ويودى بمجدها المنشـــود

* * *

---

(١) الساكر : السّاكن ، يقال : ليل ساكر : ساكن لاريح فيه .

(٢) مسئدات : مواصلات السير من أسأد السير : أدأبه أى أدامه ، وأكثر ما يستعمل فى مشى الليل .

(٣) المَهَاة : البقرة الوحشيّة ، والشمس ، والجمع مَهًا ، ومَهَوَات . والكنود : اللوَّام لربه تعالى ، يذكر المصيبات وينسى النّعم ، والبخيل ، والعاصى .

(٤) الصَّيخود : يقال : صخر صيخود : لا تعمل فيه المعاول .

قبِّلي يا ذُكاءُ أرضًا مشت أسماءُ فيها وأقرئيها قصيدى
وأزيحى عن شرفة الغيب سجْفًا أنظر الغار فى مراقى السُّعودِ[1]
فيه ملك ورائد طاهر القلب وفىٌّ لا كالعدوِّ اللدود[2]
أخلص الحبَّ للنَّبىّ فمادا هَنَ أو حاك فريةً لحسود
لدَغَت رجله فَلَمْ يشْكُ وهنًا فعليها ينام قلبُ الوجود
لم يكن كالصديق يغدر إن أهلك جدبى أزاهرى وورُودى
أَرخص الروح فى الدفاع عن الدِّين بعزمٍ يفلُّ غُفْل الحديد
لم تغَرِّر به الحياة ولم يعبأْ بسَيْف يرديه أو تهديد
لا يلبِّى الأَصنام حين تناديه ولَبَّى محمدا حين نُودى[3]
ما أعزَّ الهوَى طهورا عفيفا وأذلَّ الهوى هوى العربيد

* * *

أيها الغار أنت أجدر بالغَارِ نديًّا من فاتحين وَصِيد[4]
فيك قلبان ضارعان إلى الله بعيدان عن ضلال الجدود
فارقا الأَهلَ والفراق عذابٌ لينالا محبة الموجود

(١) السّجاف : السّتر والجمع سُجُف . المراقى : جمع مَرْقى ، والمرقى لغة فى الرّقىّ وهو الصعود والارتفاع ، والسُّعود : سُعود النجوم : عدّة كواكب يقال لكل واحد منها : سَعْدُ كذا ، ومنها سعد السعود ، وهو أحدها .

(٢) كان من الممكن أن يقول : يسمو على التمجيد ، بدلا من لا كالعدوّ اللدود .

(٣) كان من الممكن أن يقول : « وفىّ العهود » بدلا من « حين نودى » .

(٤) الغار : كلّ منخفض من الأرض ، والغار مثل البيت المنقور فى الجبل ، والجمع الكثير من الناس والجيش . والصيد : جمع أصيَد : وهو كل ذى حولٍ وطولٍ من ذوى السلطان ، وهى صيداء .

نَسَجَ العنكبوت أحلامه البيض على جفنك الخلىِّ السعيد
وهنت من صبابة فتفـرّت أم وَهَتْ من ترنُّح الغِرِّيد
كشغاف القلوب مزَّقها الوجـد كجسم المضنى كثوب الشريـد
سجدت فوقها الحمائم شكرا وأضاعت حرص الأجير العنيد

* * *

يا بنات الهديل رتِّلن ذكـرا ه عبيرا يزرى بنشر العود
وأَرِقْنَ الدموع من خَشيـة الله وزوِّدننـا بنصح سديـــد
قلن إن الذى يباركه الله قـوىٌّ معـزَّزٌ بالجَنـــود
قلن إن الهدى هدى الله واندبن زمانًا مضيعًا فى الجحود
قلن إن النبىَّ جاهد فى الله جهـاد المغلَّب الصِّنديد
لم يجاهـد ليكنز المال أو يبنىَ مجـدًا على رقاب العبيد
قلن إن الذى له اهتزَّت الأر ض خشوعا يرضى بأكل القديد[1]
لم يبت ليلةً وفى الدار خبزٌ من شعير أو لقمة من ثريد[2]
كان يطوِى غطاءه وأقلُّ النَّاس قدرًا مُنعَّمٌ فى البـــرود[3]
يخصف النَّعلَ باليمين التى تُفْدى بـروحى وطارفى وتليدى
لم ينم ليله وقد غفر الله له بل أحيـاه بالتحميـــــد

(١) القديد من اللحم : ما قطع طولا وملِّح وجُفِّف فى الهواء والشمس .
(٢) الثَّريد : مايُثرد من الخبز ...
(٣) البردْ : كساء مُخطط يلتحف به ، والجمع أبرادوأبْرد ، وبُرود .

عجمت عوده الليالى فما لا ... ن ولا خاف من أذًى أو وَعيدِ
حارب الكفر والضلالة فانقــا ... د له كل عاقل ورشيد
عبدوا الله مخلصين له الديـ ... ـن ففازت بهم جنان الخلود
لم تفرِّقهم المطامع فى الدنـ ... ـيا فكانوا كحزمة من عضيد
ينفد المــال والمكارم لا تنـ ... ـفد والمجد للشجاع الصَّمود

* * *

أشرقى يا ذكاءُ إن بقلبى ... جمرةً ما لنارها من خمود
شنّها لاعجُ الحنين إلى مجـ ... ـد قديم مضيّعٍ مفقود[1]
حصدته مناجل الغرب والنّا ... سُ سكارى بخمرة التقليد
لم يبالوا بالدين بل حفروا قبـ ... ـرًا عميقا لغصنه الأُملود[2] ..
فرَّقت بينهم مطامع جوفـــا ... ءُ فباءُوا بذلةٍ وركــودِ
ذكِّريهم يا شمس بالحسب الغا ... لى وضِجِّى ببعثه وأعيــدى
علِّميهم أن الحياة بدون السِّلـ ... ـم نارٌ مشبوبة فى حصيدِ[3]
ثم غيبى عنهم إلى يوم ألقــا ... ك فأُحيي مواثقى وعهـــودى

* * *

يا ذُكاءَ العام الجديد السعيــد ... غِبْتِ عنِّى فغاب عنِّى وجودى

---

(١) اللاعج : الهوى المحرق ، ويقال : همّ لاعج ؛ لحرقة الفؤاد من الحبّ .
(٢) الأملود : الناعم
(٣) استخدم الشاعر فى هذا البيت دون بالباء ولا يجوز إدخال الباء على دون إلا عند الأخفش، ولذا فقد جاءت دون فى القرآن مجرورة بمنْ دائماً ، ولم تأت مجرورة بالباء فى القرآن أبداً .

الانسان والمعرفة (١)

(المعرفة حينما يفنى الإنسان فيها ، ليخرج
منها إلهاً صغيراً . ثم يفنى إلى الأبد)

فى ساعة من ساعات الإشراق الروحىّ تجرّد فيها الشاعر من عبث التفكير فى الماديّة التافهة . وأقبل على مسرح خياله .. يقيم عليه من شخوص أحلامه ما ينسيه عالم الواقع .. فطافت به صُورٌ متباينة الفِكَر والأحوال .. واصطفى الشاعر من بينها لإلهامه صورة إنسان متمرّدٍ على هيكله الطينىّ بعد أن أذاقته دنياه مرارة الألم .. الألم اللاذع لفشله فى كثير ممّا طرق من أبواب الحياة ، وأخذت تستيقظ فيه معانى السماء ... فشبت حنينه إلى التطهر من رجسه الأرضى ..

وبينما هو فى تيه الفكر ... إذ تشرق عليه من خلل السماء أضواء نافذة مفتوحة .. هى نافذة هذا الشائع العميق .. شيوع النور وعمق الأبد .. (المعرفة) ... فيمتطى الريح بساطا إليها ليفنى فيها ... ولتصهره .. ثم ليخرج من بعد إنساناً عارفاً تتكشف له أنحاء جديدة فى آفاق الكون والكائنين .. ثم ... ثم يدهمه الخالد الذى لايفنى فيفنيه ... ليذهب ذكره بعد ذلك خالدا فى الأعمار والأحقاب ..

والفكرة على سذاجتها تكاد تكون أثرا من آثار العقل الباطن وتعاونه مع الواعى فى توجيه الشاعر إلى مثل هذا الاتجاه من التفكير والتعبير .. بعد أن اختزن حنينه وهيامه بهذه (المعرفة) ثم أتت من وراء ذلك المُتخيّلة بتصورها ، ثم التعبير بتقريره وإثباته ... ولعلّ فى اللوحة بعض الغموض .. ولعلّ فيها شيئا من قسوة القالب .. ولكن .. فليعذر الناس من أساء ومن قصر فى الشعر ... إنه بشر .

طار.. يطوى مَجاهلَ الأُفْق والنَّا ... ر تلظَّى فى قلبه الوثَّاب[٢]

يَطَّبيه الحسنُ المشاعُ فيسرى ... مُصْعِدا فى غياهب وضبابِ

(١) كانت هذه القصيدة ثمرة قراءاته واطلاعه » .

(٢) يطّبيه : اطّباه إليه بمعنى دعاه دعاء لطيفا واستماله إليه . والغياهب : جمع غيهب وهو الظلمة ..

تشرق الشمس حين تشرق دنيا ... ه بحُلْم يُطوى كطيٍّ الكتاب
وهو يشتار من ندى الفجر شهدًا ... ومن الليل أكؤسا من صابِ[1]
زاده فنُّه ونجواه قيثـــا ... ر هواه .. وزهرةٌ من شباب
تهـزم الريح حوله فيغنيٍّ ... بلحون من قلبه المنســـاب
قال ياريح كن بساطى إليهـا ... ففؤادى أضناه طول اللُّواب[2]
أنا فى راحتيك قلبٌ جريح ... يتندَّى كأعين الأَحباب
يتنزَّى شوقا إلى عرش بلقيـ ... س فهبنى كالناسك الأَوَّاب
واطونى فى يديك رُبَّ طــلاءٍ ... عبقرىٌّ أَحْسُوه يُذهب مابى
إنَّ لى فى الندى طلاءً وفى البر ... ق ابتساما .. وفى السماء كتابى
أَتغنَّى بآيهـا كلَّ حيـــن ... فهى إعجاز مبدعٍ وهَّـــاب
لى مع النجم سبحةٌ من خيال ... ومع البرق حُسْوَةٌ من رُضاب[3]
ومع البدر والكواكب تسيـــا ... رٌ بطىءُ الخُطا جميم الخطاب
هو خمرى ونشـوتى وحديـثى ... وغرامى ومنيتى وطـــلابى
فامض يا ريح بى فقلبىَ غِـــرٌّ ... فى هواه .. وفى هواه عذابى
يكتوى مُفردًا بحسن العــذارى ... وهو حسنٌ كبهرج من سراب

---

(١) اشتار يَشتار : بمعنى جنى أو شم .

(٢) اللُّواب : العطش على هيئة أن يستدير الإنسان حول الماء وهو عطشان ولا يصل إليه ، وهو اللعاب كذلك .

(٣) الحُسْوَة : ملء الفم ممَّا يحسى .

تَخِـذ الناس سلوةً وعـزاءً | عن أمانٍ جوفاءُ صنو حباب[1]
فهو يهذى فى صمته وينـاجى | سِرَّ آلامه .. بجمْرٍ مـذاب
فارحميه ياريح من صمته الدَّا | جى وردِّى أحلامه للصـواب
إنَّ فى صَمْته جحيمًا لنفسى | وهى كالزهر فى الفيافى اليبابِ
فتقبَّل نجواى يا ريح واهـزم | فهزيم الرياح فى أصـلابى
نجِّنى من عذاب قلبى ونفسى | فهما توأمَا أسىً وعـذاب
أنا يا ريح جوهر مُسْتَسِـرٌّ | فى كنوز ... فى عالم مرتاب[2]
تخذ الشكّ لليقين سبيـلا | فهو فى ظلمـة الهوى الكذاب
طهرينى من رجس دنياى بالنَّـا | ر تلظَّى فى روحك الغـلاَّب
وانظرى هل ترين إلاَّ خـداعًا | قد كوانى بلمحه الخلاَّب

* * *

يا رياح المغيب هبِّى بقـلبى | وبنفسى وراحتى وشبـابى
واقذفى بالتراب حيناً إلى الشم | س وحينا إلى ضمير العُباب
علَّه يكتوى بسَفْعِ لظاهـا | فهو سرٌّ لشقوتى واكتئابى[3]

* * *

---

(١) الحَبَاب : طرائق تظهر على سطح الماء تصنعها الريح ، والحباب : الفقاقيع على وجه الماء .

(٢) مستسرٌّ : مختف ..

(٣) السَّفع : اللّفح من سفَعَت السَّموم والنار والشمس وجههَ : لفحته لفحاً يسيراً فغيرت لون بشرته وسوّدته . .

عاصفٌ إثر عاصف ... ونجومٌ ورجومٌ تغلى على الأحقاب [1]

وعلى الأُفق ثائر من لهيـــب وعلى الشمس غيهب من حجاب

وإذا الكون يشرب اللَّيلَ كأْسًا ويغنِّى بثاقب وشهــاب [2]

ثم يفنى (الوجود) فى كفّ باريه .. لتحيا (الحياة) فى الألباب

وإذا العالم العيُّ بليـــغٌ ذائعُ السِّر مُعْلَمُ الأسبــاب

وإذا الخافق الغرير حكيـــمٌ وإذا النفس فى طريق التَّصابى

وإذا راهب الليالى خيـــالٌ شارد الخطو . كالْمَهَا فى الغاب

خلصت روحه فسال ضيــاء وطوى طينه سجلّ الرِّغــاب

فهو يشدو فى مأْتم الروح لحنًا ويبكىٌ فى مفرحات التــراب

يقرأُ الكون فى صحيفته العليا سطورا ما بين صافٍ وكاب

فرأى الخير فى المآذن يخبو وهو الخير فى النواقيس خابى

ورأى الشرّ فى الجميع مُشاعًــا فتولّى عن رفقة وصحـــاب

ورأى النجم دمعة الشمس فى المغ رب والدمع توأم الإغتراب

ورأى البدر ثانى اثنين فى حبٍّ سماءٍ سحريّة الأبـــواب

ورأى الأرض قبضة من تراب طوَّقتها غلالة من سحـــاب

ورأى الزهر فى الرياض شئونا وشجونًا للعاشــق المنتــاب

---

(١) الرُّجوم : جمع رَجْم : وهو ما يرجم به من حجارة وغيرها ..

(٢) الثاقب : النجم المضىء ، والشهاب : النجم المضىء اللامع ، أو النجم المضىء المُنْقَض من السماء .

ورأى النحل أُمّــةً فى هواء   ورأى النمل أمةً فى هضــاب
ورأى الحبَّ نسمــة من نعيم   ورأى الحبَّ عاصفا من عذاب
ورأى الله جهرة فى مجاليـــــه قريباً منه بغير اقتراب
فهو بين النكران والإعجاب   وهو بين اليقين والإضطراب
ورأى الموت .. لابل الموت أغرا   ه بلقياه بعد طول لعــاب
جاءه فى اعتزاله يطلب الســرَّ   وفى السرِّ ضاع فجر الشَّباب
قال ياشيخ قد أتيتك أدعــو   ك إلى عالمٍ رفيع الجناب
فانطلق من قيود دنياك إن كا   ن يسيرًا عليك نزع اللباب
أَوْ فَدَعْنى أنزع لبابك ياقشـــــر .. تمُت سالما من الأَوصاب
ثم ولَّى عنه وخلَّف دُودًا   مستكفًّاحول الذبيح المصاب[1]
وانطوى عمره ليذهب ذكــرًا   خالدًا فى الأَعمار والأَحقــاب

* * *

(١) مستكفاً: مستديراً ، من استكفَّ الشىء : إذا استدار .

المجنون ...

«رأيته يمشى مهلهل الثياب ملتاث الخُطا ، وفى كفه قارعة من حديد يقرع بها نفسه ؛ والأطفال يحصبون رأسه صائحين (المجنون) ؛ وهو يرسل بصره فى السماء والأرض صائحاً عطشان . . عطشان»

وهى من نافذة حواس الشاعر التى كانت تطلّ على الحياة .

نسمّيه مجنونا فنحصب رأســه ... وفى رأسه ثارت عواصف من عقل

تنوح فتصليه لظًى من نواحهــا ... فيشرد ملتاث الخُطا كبنى النمل[1]

يخال سرابًا سائــلا من سمائه ... ومافى سماء الأرض شىءٌ سوى المَحْل[2]

وينظر أرض الناس وهى جديبةٌ ... فيحسب أرض الناس وبلاً من الوبل

فيهذى بألحان تمزّق شملهـــا ... وليس لها فى آخر العمر من وصل

فياليت هذى الناس جن جنونهم ... فكانوا عن الرقطاء والسُّمِّ فى شغل[3]

وذاقوا طعام الساخرين بعيشهـم ... فغضُّوا عن الأضواء ضائقة القُفل

ولكنهم جُنُّوا بطين مرقّش ... فصانوه عن نار الحياة التى تغلى

وماصِينَ إلاَّ للبلى يستطيبـــه ... فياويحهم كانوا عن العقل فى عَقْل

---

(١) مُلتاث الخطا : بطىء الخطا من التاث فى العمل بمعنى أبطأ .

(٢) المَحْلُ : انقطاع المطر ويُبْس الأرض من الكلأ . والمحْل كذلك : البُعد أو الشدّة ، والجمع مُحُول وأمْحال .

(٣) الرّقطاء : ضرب من الحيّات أو العظاء به رقط ، والجمع رقْطٌ . والتعبير عن الرقطاء والسّم كناية عن الدنيا ومغرياتها ..

لوعة

« إلى وردة الدّمنة »

وهبت شهدها لكلِّ خــــلىٍّ وأذاقت شجيّهــا الشهد صابا
عرفته معذَّبًا فى هوى الغِيـ ـدِ فزادته حرقــة وعذابـــا
لم ينل من جنانهــا بعض مايــرْ جوه منها وأرضعته الذئابـــا
ما عليها وقد رأت أنه جُنّ هيامًا بها ... فكانت صوابـــــــا
ما عليها وقد رأت جَدْبَه يُذْبِلُ أَزهارَه ... فكانت سحابـــــا
ما على جفنها الغَرير إذا رقَّ فأَحيا فؤادَه .. أَو أَصابـــا [1]
ما على ثغرها الشَّهىِّ إذا نـــــا داه ثغرى لقبلة .. فأَجابـــا
آه من لوعةٍ تمزِّق أَحشـــــــا ئى وحبٌّ أَفنيتُ فيه الشبابا
أَنا أَشتاق قطْرة من طِلاهَـــــــا والخلِىُّ العربيدُعافَ الشَّرابــا

(١) الغرير : الخلُق الحسن ، والجمع غُرّان ..

الذكرى

« تدفّين مع الفجر ، وتسبحين فى النّسّم
وتَضجّين فى الغروب . وتهفين فى الرؤى »

أَفى القمّة السكرى بخمر الأَداهـرِ
تعيشين ؟ أَم فى فكرتى وخواطرى
وفى الواحة السجواءِ من مهمه الرُّؤًى
تهيمين ؟ أَم فى خافقى ونواظـرى[1]
تطوفين بى روحا غريبا .. بكفه
بقايا رفات من هشيم أَزاهـرى
وتسرين فى وهمى خيالا مشرَّدا
تطارحه النجوى لحون مزاهـرى
وصوتك فى آفاق فكرى كأنه
صـدى آهة مذبوحة فى الحناجر

* * *

إذا همتُ فى الشُّطآن أنشد سـلوة
لدى الموج ردّ الموج ضحكة سـاخر

(١) السّجواء : امرأة سجواء : ساجية الطرف. وريح سجواء : ليّنة. والرؤيا : ما يرى فى النوم والجمع : رؤًى . والخافق : العلم ، والأفق ، والجمع : خوافق .

وإن غنّت الأمواج خِلتُ غنـاءهـا

أنين اليتامى أوَ نشيج الحـرائر

وإن وَمَضت أصدافها كان ومضها

لظى جمرة حمراءَ تغلى بنـاظرى

وإن مرّت الأنسام تهفو حسبتهـا

من المسّ أنفاسـا بجوف المساعر[1]

وإن أرعشت جفنىَّ تهويمة الكرى

تراءيت جرحاً ساهداً فى محاجرى

وإن ذُهِلَت عنى تهاويل شـقوتى

تحايلت حتى لا أُفيق لسـامرى

وإن راودت قلبى الأمانى تمثلت

له مُديةً خرقاءَ فى كَفِّ جـازر[2]

وإن قلتُ إن العيش غنـوة ضاحك

وأقبلت أحدو البشر نحو المعاصر

وأترعت كأْسى والأخـلّاء طاقة

من الزهر غذّتها أكفُّ المواطر

وخلّفت دنيا الناس واهتز خافقى

حنينا إلى دنيا السرور المباكر

---

(١) المسْعر : ما تحرك به النار من حديد أو خشب ، والجمع : مساعر .

(٢) خرقاء : حمقاء .

وذابت أهازيج النشاوى بمسمعى
وهوّمت الأَرواح حول السّــوامرِ
وغمغمت الأَشباح تتلو على الدُّنى
حديث الليالى والقرون الغوابر
ودوّمتُ عينىْ طائرٍ هيض عشُّــه
وأحــرق جنبيه لهيب الهــواجر
ونادمت نجم الأُفق وهو مصفَّدٌ
أَسيرٌ براحات القضاءِ الدوائر (١)
... طرقتِ علىّ الليل وهو مفــازتى
وحجّبت عنى النجم وهو مسامرى
وفزّعتِ أَحــلامى . وأنسيتنى غدى
وزدتِ فغلّفتِ الظلام بحــــاضرى
وألْقيتِ فى صــمتى هزيم رواعــدٍ
وذوّبت فى جفنى تميمة ســاحر
فأُطرق ... والدنيا تدور على رحى
من الفكر والهمِّ المقيم بخــــاطرى
يسائلنى صحبى وسمعى مجنّــحٌ
تلقّنُه الأَشباح همس الضـــمائر

(١) مُصفّد : مشدود بالوّثاق . والراحة : واحدة؛ والرّاح أى الأكف ، والجمع : راحات ، والرّاحة كذلك : السّاحة .

وفى مقلتى دمع الغريب وفى فمى

عتاب إلى قلب الجدود العواثرِ

وملءُ حنايا الصدر آهات ضارع

وملءُ شَغاف القلب زفْرات حائر

كأَنك فى عينى سهومٌ . وفى دمى

رجومٌ وفى سمعى أَنين الأَعاصر[1]

ملأْتِ وجودى كلَّه وأَنا الذى

يعيش على الأَحلام عيش المقامر

فلا أُمنياتى فى هواى حقيقة

ولا أَنا عن نجواى يوماً بصابر

ولا أَنت يا ذكرى الحبيب رحيمة

بقلب جريح فى الرزايا مغامر

كأَنك أُلْهِمْتِ النَّكال براحتى

ولُقِّنتِ حب الظلم من روح هاجرى

* * *

(١) السهوم : العبوس . والسّهم : القدح يُقارع به . والرُّجوم : جمع رَجم وهو القتل والقذف والعيب ، والخليل ، والنديم ، والهجران . .

ظننتكِ في قرب الحبيب خُرافةً
يلفِّقُها صرعى الغرام المخامر[1]

وفى بُعدِه ... أوّاه من نار بعده
تجرَّعتُ ياذكرى ... حميمَ المَجَامِرِ[2]

وما كان فى أحلام عمرى خرافةً
سوى أملى فى حانيات المقادر

فليت حداة الموت يحدون موكبى
إلى جدثى المقرور بين المقابر

فما فرحى بالعيش وهو قصيدة
مهلهلة الأوزان ... ليست لشاعر

ومن صوّحتْ من عمره واحة المنى
فليس لصحراءِ الحياة بذاكر

(١) المـُخامر : المستتر ، من خامر به : أى استتر ، أو المخامر : المشكوك فيه : من خامره الشك بمعنى مارسه .

(٢) المجْمَر : ما يوضع فيه الجمر مع البخور ، أو العود يتبخر به والجمع مجامر.

عيد شعرى

« فى قران ابنة عم الشاعر على الأستاذ محمد
أبو الفتوح مروان فى ١٠ من يناير سنة ١٩٤٤ . »

هات قيثارك يا شاعر واَصْدَحْ بالأَغانى
وتدفَّق واملأْ الدنيا بأَلحان الجنـــان
واشدُ باللحن الذى رنَّح أَسماع الغـوانى
وارْوِ للتاريخ يوما جمّعت فيـه الأَمانى
إنما الشاعر يا شـاعر قيثار الزمانِ

* * *

غمغمات الموج فى سمعك عـذراءُ المعانى
وخشوع النخل فى عينيك مسحور البيان
والسَّنا القدسىُّ فى قلبك منه قَبَسَان
والزهور البيض تهفو فى حنين وحنــان
والنسيم العفُّ رفَّافٌ كأَحــلام الحسان
والأَغاريد التى فاقت أَغـاريدَ «عِنـان»
والطلا الراقص من فرحته بين الدِّنـان .

فتنة من عالم الروح تجلّت فى قِـــرانِ
أَســكرتْ قلبي فغنّى وروَى الشَّــدْوَ لســانى

* * *

نسبٌ كالأُفْق جلَّى فى سماه كوكبـــان
تلتقى فيه الزغاريـ ـد بجيّاش التهـانى
فيه من عِزّة (شرنوبى) وعُليا (مَرَوان)
خفقت فيه قلوب والتقت فيــه أَمانِى
فسرى البدر إلى النجم فسالت غنـــوتان
وهفا الورد إلى الطلِّ فرنَّت قبلتـــان
وانتشى الكون بكأْس لم تذقهـا شفتان
حينما ضُمّت على الأُلفة والحب يــدان
طابتا عقدا وطابت صيغة فيهـا التدانى
ردَّد الكون صداها ولها اهتــز كيـــانى
فسكبت الشعر من قلبي كلمَّاح الجُمانِ(1)
والمُنَى إن بسمت فالشعرلى طوع بنـانى
والمنى تبسم لى الساعة فى كل مكان
فاسمُ يا شــعر فهذا عيد شعرى وبيــانى

* * *

(1) الجُمّان : اللؤلؤ . وحبّ يصاغ من الفضة على شكل اللؤلؤ ، واللمّاح : الشديد اللّمح .

ياقران السعد أكبرتك عن كلٍّ قِرانِ

منك أُلهمت أهازيجى فروَّتها المغـــانى

ولك العطر الذى استاف شـذاه الفرقدان[1]

يا قران السَّعد إنى والمنى فى مهرجـان

ضمَّ أحلام العروسين وشعرى فى ثـوان

فهما فى روضـة البشر المواتى ... زهرتان

وهما فى شرف الفخر التليد ... توأمان

وهما فى مهجة العيش الرغيد ... أملان

وهما فى شَفَةِ العيـد السعيد ... بسمتان

وبـأُفْق المجد والعـزّ المرجّى ... قمـران

وبقيثـار الأغانى ، والتهـــانى وَتَـرَان

وهما كلّ الأمانى حقّق اللهُ الأمـــانى

---

(١) استاف: بمعنى شم. والشذا : قوة الرائحة. والفرقدان : تثنية فرقد ، والفَرْقَد: نجم قريب من القطب الشّمالى ثابت الموقع تقريبا ، ولذا يهتدى به وهو المُسمّى (النجم القطبى) . وبقربه نجم آخر مماثل له وأصغر منه .

نجوى (1)

« إلى ملهمتى »

يا ربة الشعر والأحلام ماصنعتْ بك الليالى التى ضاعت كألحانى

هذا شبابى الذى شابت مباهجه يهفو إليك ويشكو نار أحزانى

والخافق العفُّ يطوى العمر معتسفاً قفر السنين على جدْبٍ وحرمان

تعوى الأعاصيرُ من حولى فأحسبها فى مسمعى نَوْحُ أشباحٍ وجِنَّان

والدَّمع فى مقلتى أسوان تمسكه بقيةٌ من إباءٍ جرحه قانى

* * *

يا ربَّة الشعر هذا الشعر أنهله من منبع فى سماء الحبِّ روحانى

ما شابه دنس الدنيا ولاعبثت بصفوه غير أنَّاتى وأشجانى

هو الذى فى ربيع الحب أسعدنى وهو الذى فى خريف الحب أشقانى

وأنت. أنت التى بالشعر أضحكنى وأنت . أنت التى بالشعر أبكانى

أنت التى خيرتنى بين جنَّتــه وبين نيرانِه ... فاخترت نيرانى

* * *

(1) أنشدها الشاعر فى فتاة جميلة عربية ، وكانت تتردد إلى السوق فى بلطيم كل خميس لقضاء حاجياتها ،وكانت تستريح بعد انتهاء السوق أمام منزل الشاعر ، فرآها مرة بعد مرة ، وأخذ بجمال عينيها ..

ياحيرتى بين أحـلام توزّعها — علىَّ كفٌّ الغرام الراحم.. الجانى
مابين ظامئـة حيرى مولَّهةٍ — تجوس غاب الدَّياجى خلف أجفانى
وبين وانية التجواس ساكنة — سكون جفنيك فى ظلّ الْكَرَى الهانى(1)
والشوق فى أيّها خمرٌ معتّقةٌ — لكنها الخمـرَ ما كانت لنسيان
والصبر ملحمة ضاعت أوائلها — وجمر آخرها المشبـوب أضنانى

* * *

يا ربة الشعر والأحلام ما صنعت — بك الليالى التى ضاعت كألحانى
ألمدُّ . مدُّ الأمانى منك أدنانى — والجَزْر جزر ابتئاسى عنك أنآنى

من للغريب

من للغريب إذا شكا والليـل يشجيه النداءْ
ودموعه تجرى على خدّيه وهى له عزاء
نجواه وَحْىُ غرامِهِ وحَنينـــهُ وحْى السماء
وضلوعه مجرى الأنين وخدُّه مجْرى الدّماء
والبدر لايدرى أسـاه وليس للنجم اهتداء
فارحمه يا ظالم — واظْلِمْه ياراحم
يكفيه من بلواه — أن المنى جوفاء

---

(1) التجواس : التردّد فى الشىء أو المكان بالإفساد وطلب ما فيه ، والوانية : الفاترة الضعيفة أوالكليلة العييّة .

فى مأتم الصعيد

« أبيات من قصيدة ضاع مطلعها ، ألهمتنيها نكبة الصعيد بوباء الملاريا فى عام ١٩٤٤ »، وكان قد سمع عن هذا الوباء من صديقه الشاعر محمد العديسى .

لَهْفَ نفسى والمنايا تلتظى ما لجمْراتِ المنايا من خمودِ

صهرتها وهى كالغيم ندًى ! فى لظى الحسرة أبناء الصعيد

معشر كانوا كأزهار الرُّبَا رضعوا فى المهد من أثداء جُود

دهم الموت عليهم دورهـم وأراهم بطش جبَّار عنيد

شَرَعَ المِنْجَلَ فى راحاتِـهِ وانبرى يعصف بالنَّبْتِ الحصيد[1]

كم فتاة هَدْهَدَتْ آمالهـا وفتى عاش على حلم سعيد

وعَرُوسٍ كُفِّنَتْ فى ثوبهـا ! وعريس أدرجوه فى البـرود[2]

نصب الموت لهم أشراكـه ودهاهم من قريب أو بعيد

لم يفرّق بين شيخ هـرم ورضيع فى حِمى المهد وليد

فهمُ بين مريض جائـع يطلب الموت .. وعريان شريد

فهنا أمٌّ تناغى طفلهـا وتمنِّيه بخَلَّاب الوعـود

كلما راود جفنيـه الكرى أشفقت من سفر فيه مديد

---

(١) الرّاحة : واحدة الرّاح أى الأكف ، والجمع : راحات.

(٢) البُرْد : كساء مخطّط يُلتحف به ، والجمع : بُرُود .

وإذا تاقَ إلى الثديِ انحنـــت ... فوقـــه تضرع لله المجيدِ

تُرعِشُ الحُمَّى حناياه فـــلا ... تجد المهد .. وأنَّى بالمهـــود

تُشهد الليل على آلامهـــــا ... وتروِّى الأَرض بالدمع النضيد[1]

فإذا ما أَقبل الصبحُ وفى ... نوره أُمنيّةُ العـــانى الطريد[2]

أَقبل الموت وفى إقبالــــــه ... تدبر الآمال من عيش الفقيد

فتُرى من هولهـــا مصروعـــــة ... تحمل الطفل إلى القبر الجديد

وعليهـــا من تهاويـــل الأَسى ... مِسْحةٌ ترقص أَحشاءَ الجليد

خبِّلت أَقدامها فى خطوهـــــا ... فهى تمشى كأَسير فى قيود[3]

فى سفوح يعزف الموت بها ... لحنه المخمور من عصف الرعود

ويحه ما حطَّمت أَسهمـــــه ... دعوات الثكل من قبل ثمود

* * *

إخوتى فى الله والـــدين وفى ... وطن عانٍ من الخطب جهيد

لكم الله ... وفى الله غِنىً ... عن بيانى ولسانى وجهودى

أَنا إن لم أَبذل الروح لكـــــم ... وأُفَدِّى بطريفى وتليـــــدى

لارَعَتْ مصر لقلبى أَملاً ... ورمانى الدهر بالرُّزْءِ الشديـــد

---

(١) النّضيد : من نضّد المتاع : ضم بعضه إلى بعض مُتّسقا أو مركُوما .

(٢) العانى : الذليل ، الأسير . والعانى : من يأخذ الشيء قسْراً بعَنْوَة ، أو يأخذه بمشقة وتعب.

(٣) خبّلت أقدامها : شلّت فى خطوها أو قصّرت فى الخطو عن ذى قبل .

يا حبيبى

يا حبيبى طاف بالماضى خيالى هائما يبعث غَافِى الذكرياتِ
ويُغنِّينى على رغم الليــــالى لحن حبٍّ مَرَّ بى فى لحظات
يوم أن ذقنا أفاويق الوصــــال فى كؤوس بهوانا مترعــات(١)
أتُرانى ساليا ؟ ... ما أنا ســـالى كيف يسلو غارق فى الجمرات

* * *

أتُــرى تذكر ياحلــو الدلال رقصة الموج وإطراق السفينْ
وهى تختال بنا أىَّ اختيــــال تسأل الموج عن السرِّ الدفيـــنْ
أنت أشعلْتَ بها نار الســـؤال بعد أن أشعلت نيران الحنين
ياحبيبى . أنت فنِّى ومثـــــالى وأنا فجركَ فى أُفْقِ السنيـــن

* * *

وكما مرَّ الذى مرَّ ببـــــالى سوف أمضى .. صرخاتٍ من شجون

---

(١) الفيقة : من الليل أكثره ، وهى أيضا اللبن الذى يجتمع فى الضرع بين الحلبتين ، والجمع أفاويق . ومترعات : ممتلئات .

من أحلام الصيف (1)

« ليت مافيها حقيقة »

خطرت كالنسمة السَّكْرَى بأَنداءِ الصَّباحِ
فكرةٌ من فكر الحُسْن تجلَّت فى وشاح
عبقرىّ النسج رفَّاف كأَحلام الملاح

تُفعَم الأَنْسام إن مرّت بها عشقا وطيبا
وهى تختال على الشطِّ لتصطاد القلوبا
وتغنِّى الشمسَ لحنًا خفِرَ النغْم طروبا
مثلما ناغمَ محبوبٌ على البعد حبيبا (2)

ظنَّها الموجُ تحيّيه ... فحيَّى قدمَيْها
وترامى رغْوُهُ العاشق منسابًا إليها
فجرَت تسبقه نحوى وعاطتنى يديها (3)

قلت لا لوم على الموج إذا أَرغى وأَزبَدْ
شفَّه الحرمان من ضمِّك حينا .. فتجلَّدْ

(1) قالها من وحى أسراب المصيفات على شاطئ بلطيم بلده .
(2) ناغم حبيبه : حادثه نَغَماً بصوت فيه تطريب وتوقيع .
(3) عاطتنى : ناولتنى ، من عاطاهُ الشيء مُعاطاة وعطاء : ناوله إيّاه .

ثم أقبلت فأيقظتْ هــواه فتنهَّــــدْ

ورأى شغلك عنه بسواه ... فتمــــرَّدْ

وضحكنا ... واحتسى الكون رحيقًا عبقريّـــا

ورأتني شاعر النَّظرة فارتاحت إليَّـــــا

ومشينا فانتشى الرمل .. ويمّمنا النَّديَّـــا

واغتبقنا ساعةً ... خمر الأحايث العذاب[1]

ساعةً تعدل أحلامى وعمرى ورغـــابى

وهى تسقينى وأسقيها ... شبابا بشبـــاب

لا شفاهًا بشفاهٍ أورضابا برضــــاب

* * *

ثم قالت دَنَتِ الفرقــة والليل سجَـــا

وغدًا نروى من القلبين شوقًا لاعجـــا

ونغنِّى الموج لَحْنَيْنا .. فيرغى هائجـــا

واستدارت شفتاها .... فى حنــانٍ وحنينٍ

وأطارت قبلةً فى الجوِّ ... خرساءَ الرنينِ

وانثنت ترقُبُ مسْراها بمسحور الجفـــون

فاستقرّت فى فمى وامتلأت منها عيـونى

* * *

(١) اغتبقنا : اغتبق شرب الغَبُوق ، والغبوق مايشرب بالعشىّ .

إيه يافاتنة الشطِّ أألقاكِ غـــــدًا ؟

أَم يصير الوعدُ جمرًا بعد أَن كان نَــدَى ؟

آه ما أقساك إن ضَيَّعتِ أحلامى سُـــدى ؟

أَنت دنياى التى أنشدها فى خلــواتى

أَنت حلم سابحٌ فى مائج من صبــواتى (١)

أَنت كأْس الوحى فى حانة أيام حيــاتى

فاقبلينى عابدًا ... أَفْنَ هوًى فى صلــواتى

آمال

آمال ... والدنيا تسير من الفناء إلى الفنــاء

وبنو الحياة دُمًى يخلِّقها ليحطمها القضـــاء

والقاهر الجبَّار يُعطى ما يشاءُ لمن يشـــاء

مرّت بنــا ذكراك فانبعث الدفين من البكـــاء

فإليك يا بنْتَ السماء دمــوع أَبنــاء السمــاء

(١) مائج : مرتفع من ماج البحر يموج موجاً وموّجَاناً : إذا ارتفع ماؤه واضطرب فى عنفوان والصبوة : الميل إلى اللهو . أو الحنين والتشوق إلى الحبيب . جمعه : صَبوَات .

من وحى التراب

فى يوم ١٥ يولية سنة ١٩٤٤ رزئ الفن الجميل فى مصر ... بأفول كوكب من أنصع كواكبه ... فقد غرقت المطربة الأميرة ... أسمهان ... بعد حياة هى صورة من الألم المختفى ... وراء البسمات العجاف !! وكانت المطربة قد مثلت فى رواية سينمائية دورها الذى مثلته فى الواقع !!.. فكانت الفاجعة .. وكان الوحى الحزين ... وحى المأساة ... حيّة وميّتة ، فكتب الشاعر هذه القصيدة فى خلوة هادئة ... ثائرة ... بين العظام والجماجم ... وأهداها إلى اللؤلؤة الغريقة بين أمواج الأبد ... إلى ضحية الحياة والموت .. إلى أسمهان

هاتِ الدموعَ فأَنت شاعرْ ما للدّموع لديك آخِرْ

لم تلهم الأَبراج قلبك بعض إلهام المقابـــــر

ومن المقادر أَن تعيش وأَنت نهب للمقـــادر

فانضح زمانك بالدموع فأَنت من بلواه خادر (١)

يكفيك من نار الفجيعة أَنَّةٌ ... تغنى الحناجر

* * *

آهاتكِ الحرّى على جمَراتهـا تَفنَى القـــوافى

وأَسَاكِ وهو مخلَّدٌ ضمَّته أَجنحة الشَّغَـــاف (٢)

ونشيدكِ الأَبدىّ زيَّافٌ كمخبول السَّـــوافى (٣)

---

(١) فانضح زمانك : ارْوه بالدموع ، من نضحتنا السماء : أمطرتنا . خادر : متحيّر ، من خَدَر يخدُر : تحيّر .

(٢) الشّغاف : غلاف القلب ، أو سويداؤه وحبته . ج : شُغُف.

(٣) الزّيّاف : المتبختر المختال ، والسّوافى : الرياح التى تحمل التراب وتذرّه ، والسّافياء : الغبار .

ورؤاكِ وهى زوارقٌ تهفو لمأمون الضفـــافِ
دنيا من الآلام طفت بها ... وطهرك فى الطواف

* * *

يا شاعر الموتى وعمرك لم ينضِّره الشبـــابْ
ملءُ التراب جماجمٌ فادفن حطامك فى التـــرابْ
ولدى المقابر يا حزين صواب من فقد الصوابْ
فإذا سمعت سؤالها وعجزت عن ردّ الجـوابْ
لا تجزعنّ فللْمنايا السّـودْ أسرارٌ عجـــابْ

* * *

الشكّ دمّر أَصغريك فهات من وحى اليقين[1]
هذى الحياة طلاسم عزَّت على المتعاليـــن[2]
ياثقل ما حُمِّلته ... منها على مـــرّ السنيـــن
لولا بقايا ظلمة فى الروح ... من ماءٍ وطين
لبرئتَ من قيد الحياة وصرتَ ذكرى الذاكـــرين

* * *

هات الدموع نسجتها فى مقلتيكَ ... من الهوانِ
بالأَمس أَودعت الثَّرى قلبًا تشيّعه المعـــانى

(١) الأصغران : القلب واللسان ، وفى المثل « المرء بأصغريه : قلبه ولسانه » .
(٢) الطلاسم : جمع طلسم ، وهو الغامض المبهم كالألغاز والأحاجى .

أوحى إليك على ظلام اليأس خفّاق الأمـــانى

بالأمس .. واقلباه غابت خلف أستار الزمان !!!

واليوم ... وافنّاه وحيك من فجيعة أسمهـــان

* * *

فنٌّ من الألم المِضّ طغى على الأمـــل الممضّ[1]

ومناحةٌ فى القلب تُفْزِعُ صمتها فى كلّ أرضِ

والدهر للروح المعذّب نابغىٌّ ليس يُغضى

عاشت كما شاءَ الطموح لها ، فمن وثْبٍ ... لخفض

وهوت كما تهوى الكواكب بعد إشراق ووَمْض

* * *

يا زهرة رفّت رفيف النّسْم فى الروض المرَيــعْ

هذا شبابك فى الربيع ... فهل بسمتِ إلى الربيع

جافَتْكِ أفراح الحياة وضمّكِ الألم الوجيـــع !

ما نفْع آفاق الوجود تضيقُ بالأمل الوَسيع ؟؟

سيّان فى شرع القضاءِ الشيخ .. والطفل الرضيع !!

* * *

هذا شبابكِ فى العيون الناظرات وفى الأثير

ذوّبتِهِ نغمًا يرنّح شجوه سمع الطيـــــور

(٣) المُمضّ : الحاد المؤلم الشاق على النفس من وجع المصيبة حتى كاد أن يحرقه .

والصورة الخرساءُ ملحمةٌ ... مخلَّدةُ السطـــور
حجبت شجونك بابتسامٍ ليس من وحى السرورِ !!
كالواحة السجواء فى أَحشائها سرٌّ الهجيـرِ!!

* * *

يامِزهَرا للفن كان صداه مشبوبَ النّـــواحِ
أَطربتِ محزون الهوى .. وأَثرت محطوم الجناح
همسات قلبك حدَّثت عما بقلبك من جـراح
وعبير روحك خالد التطواف معبود النُّفَـــاح
ماضٍ لو رحم القضاءُ .. فنام عن حرب الملاح ؟

* * *

لم تُغْنِك الدنيا بما ... أَعطتك من شرف المتاعْ
.. عن خافق صافى الوداد كرَيِّق النور المشاع
والعمر .. لولا نعمة الأَحباب ... والفن الصناع
كالزورق الهيمان ضلَّ طريقه ... وخبا الشعاعْ
وقست عليه السافياتُ فمزَّقتْ منه الشِّراعْ

* * *

مَثَّلت دورك فى روايتهم كما شاءُوا ... عشيقهْ !
قَدَرٌ تمثَّل مرتين ... على اختلاف فى الطريقهْ

فى شاشة الفن الجميل ... وشاشة الموت الصفيقهْ[1]
أَبكيكِ ... هل أُلْهمتِ أَنَّك بعد أَيام .... غريقهْ ؟
فنقصْتِ دورك فى الخيال .. لتكمليه ... فى الحقيقه؟

* * *

الجدبُ جدب الروح يا (آمال) ... لاجدب الصحارَى
والفنُّ فجر الخالدين ... يرطِّبون به القِفارا[2]
حُرموا النعيمَ الواقعىَّ ... فأَجَّجُوا للطين نـــــارا
وتطهَّروا ... فشقُوا على الدُّنيا ... وما عرفوا قرارا
هنئوا بأَشواك الحياة وأَطعموا الحمقى الثمارا ؟

(١) الصفيقة : كثيفة النسج من صَفُق الثوب صفاقة : كثف نسجهُ .
(٢) القفار : جمع قَفْر وهو الخلاء من الأرض لاماء فيه ولا ناس ولا كلأ .

الجزء الثاني

الأمـــواج

١٩٤٤

المعجزة

[فى عيد الفن بالإنعام السامى على
القيثارة الملهمة الفنانة .. أم كلثوم]

فيكِ للشعر من سنا الإلهــام قبســات فى روعة الأَحلامِ
ولك المجد كيف أَعجزت شعرى ولقد كان كالأَتىِّ الهـامى(١)
كان بالأَمس منهلًا لفــؤاد أَظمــأَته مرارة الآلام
وهو اليوم بـاقلٌ ... ويراعى وجــلٌ فى أَناملى مترامى(٢)
قال لى إن قصرت عمَّا ترجِّى أَو تـأَدَّدت دون نيل المرام(٣)
فهى روح والشـعر شعر تراب وعزيزٌ علىَّ هـذا التسامى

* * *

أُمّ كلثوم ، أَىّ معجزة تســــبح فى مائج من الأَنغـام(٤)
أُمّ كلثوم ، أَىّ نبع إلهىٍّ هو الرِّئُ للقـلوب الظوامى
أُمّ كلثوم ، أَىّ لحن من الخلـــد صداه يسمو على الأَفهام
أُمّ كلثوم ، أَىّ فرحــة قلب ناسك الشعر عبقرىّ الهيام
أُمّ كلثوم ، أَىّ أُغنيــة تنْـــدى حناناً على فم الأَيام

(١) الأتىّ : النافذ فى الأمور ، الذى يَتأتّى لها . والغريب : الدعىّ ، والسيل يأتى من بعيد .
(٢) الباقل : المُخْصب : من بقَل يبقُل بقْلا : أنبت المكان .
(٣) تأدّد : تشدّد . (٤) مائج : مرتفع .

أُمّ كلثوم ، أَىّ حلم سـعيد   عطر الطيف عاشق الأَنسام

* * *

هى ما شاءَ ربُّها من فتون   وفنـون قدسيّة الإِلهام
هى ما شاءَ فنُّهـا من سموٍّ   وخلود ورقَّـة وانسجام
هى ما شاءَ قلبهـا من حنين   وأَنين ورحمـة وسلام
هى فجرٌ مذوّب فى المآقى   هى صفو العبير فى الأَكمام
هى طير مجنّح فى السماوا   ت يغنّى الوجود لحن الغرام
هى فوق الشعور والشعر صيغَت   من نسيم وضحـوة ومدام

* * *

يا بنةَ الخالدين « آلهة الأو   لمب » أَعجزت قـادر الأَقلام
من معانيك فى خيـالى أُحيّيـ   ك ومن أُفقها يدفُّ سلامى[1]
ملءُ سمعى خمرٌ من النغم السّا   حر ذابت فى كأْسـه أَسقامى
وبقلبى من الليـالى سـهامٌ   وأَنين « الآهـات » بعض السهام
أَى أُفق من الأَمـانىّ ضـاحٍ   أَجتليه فى يقظتى ومنـامى
حينما تنشدين ترنيمة العيـ   ـد فتروين ذابل الأَحـلام
أَىّ واد من الشقاوة والحر   مان يطوى فى غيهب من ظلام
حينما تسأَلين سـمَّار نادِيـ   ـك ما اسم الحب الطهور السامى
كلما قلتِ آه من يـوم لقيا   ك أَثرتِ الدفين من آلامى
وإِذا قلت « كيف مرّت » أَصاب القـ   ـلب من حرِّهـا شبيب الضرام

(١) دفّت الجماعة تدفّ دفا ودفيفا : سارت سيرا لينا .

كل لحن مخلَّد من أَغانيــــك حيــاة الأَرواح والأَجســام
كيف يوفيكِ ما أُرجِّيــه شعرى إنه منكِ كالصَّــدَى للبغام
أنتِ ديوان شــاعر سرمدىٌّ عبقرىٌّ الأَوزان والأَنغــام

١٩٤٤

سهاد

هتَف الليــل فَلَبٌّ الهاتفــا أَيها الســابحُ فى أَوهــامهِ
وانْسَ آلامَك فالجفنُ غفــا من ســهادِ زاد فى آلامهِ
إنها أَوهــامُ حبٌّ عذَّبكْ
وجفون ذَوَّبُها قد ذوَّبكْ
وفؤاد تاهَ فى وادى الغرامْ

* * *

يا غريبَ القلب فى الوادى الغريب لاتلمه إن هفا للذكرياتِ
واشربِ الكأْسَ على ذكر الحبيب إنها ســلواك عن ماضٍ وآتِ
ربَّما رقَّ لك الليــل فحيًّــا
أُذن الهاجر باللحن نديًّا
من دموع وجراحٍ وسقام

* * *

قل له يا ليـــلُ إن نام حبيبى غافــلًا عن ناره فى أضلعى
فأَقِمْ يا ليل سِترا من قريب واتلُ تسبيحة أشــواقى معى

وإذا مارنَّحتْ أهـــدابه
سكرةٌ من سكرات الحلم
فترفَّقْ بحبيبى فى المنامْ

* * *

وإذا راوده طيف احتراقى
وحنينى للقـــاءٍ وعناق
فترنَّم بأهــازيج الهيام

* * *

وإذا طاف بجفنيه خيالى
راجيا ساعة قُربٍ ووصال
فاحْنُ يا ليل ففى القرب سلام

* * *

إيه يا ليـــل لقد شاركتنى فى ذكرياتى
والتقت فيك أغاريدى بنوْحى وشكاتى
كم تضوّأت بلألاء الهوى وهو مواتى[1]

(١) تضوأ الشيء : تبصره فى الضوء وهو فى الظلام ليراه .

وكم استفْت شذا الحبِّ ونَفْحَ الصبَوات[1]

كم ترفَّقت بنا قلْبين ذابا في صــلاة

بُدِئَتْ بالقبلات وانتهت بالقبــلات

بارك الله صداها ولها كانت حيــاتي

ذقت في أَمنك يا ليل رحيق الأُمنيات

وعلى صدرك يا ليل ترامت زفراتي

أَيها الخالد يروى بدموعى الخالدات

قل له حسْبُ عليل ما يلاقى

علَّه يحنو فيرضى بالتَّلاقى

لنذيب العذر في كأْس الوئام

١٩٤٤

(١) الصَبَوات : جمع صبوة ، وهي الميل إلى اللهو ، أو الحنين والتشوّق إلى الحبيب .

«من أشعار الروح»

نشيد الصفاء

«إلى حبيبي وسيدي محمد بن
عبد الله نبي الجهاد والألم»

من ترانِيم وحيك القدسىّ وأَفاويق عطرك الروحىّ[1]
من هواك الذى استفاقت على أَشواقه مهجة الوجود الخلىّ[2]
من هداك الذى طوى البرّ والبحر وأَعيا مواهب العبقرىّ
من صلاتى عليك فى غَسَق الليل وفى ضحوة الصباح السنىّ[3]
أَقبس الشعر وهو قربان روحى ونصيرى على الزمان العصىّ[4]
فإِذا ما أَعيته آياتك الغرّ فما كان خافقى بالعَيىّ[5]
فاعذر الشعر فهو شعر تراب لم يطهَّر من رجسه الأَرضىّ
أَنت أَسمى منه فأَنت نبىٌّ لايفيه الثناءَ غير نبىّ

* * *

أَيُّهذا الأُمّىّ يا أَبلغ الخلق بيانا .. قدِّست من أُمِّىّ
أَيّهذا اليتيم حسبك فخرا أَن ترى الله منك خير وصىّ

(١) الفيقة : من الليل أكثره ، وهي أيضا اللبن الذى يجتمع فى الضرع بين الحلبتين ، جمعها : أفاويق.
(٢) المهجة : دم القلب ، والروح ، جمعه : مُهج .
(٣) الغسق : ظلمة الليل .
(٤) : أقبس أخذ من قبس يقبس إذا أخذ .
(٥) الخافق : القلب ، والأفق ، جمعه : خوافق .

أيُّهذا الفقير إلا من الخير تعاليت فوق كل غَنيٍّ
أيُّها الصامت الذى أيقظَ الكون بنجواه للعزيز العليِّ
أيها الأعزل الذى قد تحدّى أُمة لم تلن لغـير غوىّ[1]
أظمأتها الآثام فاسْتَبَقَت تسأل عن منهل هناك روىّ
أنت روَّيتها وكنت لها الظلَّ ففاءت إلى الطريق السوىّ
وأنا الظامىءُ الذى خبَّلته نار آثامه فضيّعت ريِّى
أنا من أغرقته آثام دنيـاه بأمواج بحرها اللُّجّىّ
ولىَ الله كم تعوّذت من نفسى وشيطانها المَريد العِتِىِّ[2]
كلَّما مضَّنى من النفس وسواسٌ تذرَّعت بالرّجاءِ الهنىِّ
وإذا ما أثار شيطانها الشكَّ تعلَّلت باليقين الشهىِّ
إنما النفس جمرة ليس يطفيها سوى غيث حبّك الأبدىِّ
فابعث الغيث ياغمـام المحبّين ففيـه هنـاءُ كلِّ شقىّ

* * *

ها هى الأرض يا حبيبىَ عافت رِيَّها من مجازر الآدمىّ
أزهرت بيدها من الشرِّ واحْمرّتْ وروض السماءِ يهفو لرىِّ
فقدت صبحها وكفّنها الليـل بثوب مخرَّق دمـــوىّ[3]

---

(١) الغوىّ : المُمعن فى الضلال من غَوى يغْوِى غيّا وغواية : أمعن فى الضلال .

(٢) المَريد : الشديد العُتُوّ ، والعتىّ : الجبار الذى يستكبر ويجاوز الحدّ .

(٣) الثوب المُخرَّق : المُمزّق من خرّق يخرِقُ خرقاً

كلمّا أَرعد الخميس أُقيمت لبروق الفناءِ سوق العشىّ[1]
ولدت ثم أَثقلتها المواليد فناءت بماردٍ وصبىٍّ
لم تعد تعرف السلام سوى أُسطورةٍ خطَّها يراع غبىٍّ[2]
لست أَدرى أَغرَّها الخلد ؟ أَم حنَّتْ ليومٍ مخلَّد أَزلىٍّ
يوم عبَّت دم الذبيح أَخى الذابح وابن المشرَّد السرمدىِّ[3]

* * *

وعجيب أَمر الأَشقَّاءِ فيها كيف زادوا فى ذنبه العبقرىِّ
لم يذوقوا تفَّاح حواءَ إلا برغيف من طبعها الطِّينىِّ
ثم زادوا عليها أَكؤس الدمع تُروِّى من جارمٍ وبرىِّ
ويحهم كالقطيع ينشد راعيه . وراعيه فى فم الوحشىِّ

* * *

هذه الأَرض شرقها خلق الغرب فلم يَجْزه جزاءَ الوفىِّ
هذه الأَرض غربها قتل الشرق ووارى الشرقىّ بالشرقىّ
عرب تأْخذ الأَعاجم عنهم كلّ فن من البلاهة حىِّ
حسبوا المجد أَن يذلّوا لعبد ومن الموت أَن أَذِلَّ لشىّ
ويَروْن الحياة حُلْم غبىٍّ ويرون الإِيمان حلم بغىّ

(١) الخميس : الجيش .
(٢) اليرَاع : القلم يتخذ من القصب ، ومن لا رأى له ، واحدته يرَاعة .
(٣) عبّ الماء : يعُبّ عبًّا : شربه بلا تنفّس ومص . والسّرمدىّ : هو مالا أوّل له ولا آخر .

كفروا بالحياة إذ آمن الموتى وعاشوا كالسّائم الأرضىّ[1]

فإذا حدّثوا عن الصّخر لانوا ومن الصخر رقّــة العربىّ

فهنا مصر أمّة مسختها كالتماثيــل عصبة السامرىّ[2]

وطن جامع وحظٌّ مُشِتٌّ قصّة خبّلت حِجا القصصىّ[3]

عامل يصنع الحياة ويرجوها فتاتا يجفوه كلب الثرىّ

يؤثر الناس بالبقاء ويفنى ومن الظلم طينة الآدمى

هَمُّه الفكر فى المجاعة والدَّين وعقل الفتى وسقم الصبىّ

سئم الليل والملائك شكواه وأسماه صــبحه بالشقىّ

وأخو الأرض ملّت الأرض كفّيه وباحت بكل سرّ خفىٍّ

أطعمته ترابها واستبدّت بقواه فلم يَعُـــدْ بالقــوىّ

يومه شقوة وجوع وعرى ومناه حياة هــذا الغنىّ

يتمنى الحيــاة للقاتل الغاصب دعــوى عربيدة وغوىّ

ملهم بالفجور أفكاره الإثم وليل الساقى ويوم الخلىّ

إنها قصة التناقض يا قــوم فطوبى للثــائر العبقــرىّ

يا لنيــل الخلــود تحرمه مصر وتُهريقــه يد الأجنبىّ[4]

---

(١) السّائم : الذاهب على وجهه حيث شاء .

(٢) السامرى : من ينتمى إلى السامرة ، والسّامرى : عظيم من عظماء بنى إسرائيل من قبيلة السامرة .

(٣) أشتّ القوم : فرّقهم ، وحظ مُشتّ : مفرّق ، ويقال : أشتّ بى قومى : جعلونى مضطربا فى أمرى .

(٤) هرَاقَ الماء يُهْرِيقُه هرَاقة : صبّه ، واستخدمها الشاعر بمعنى يستحلّه .

يا لشعب عبدانه البيض أحرار يسومونه عذاب العصيّ
يا لشعب عزّت عليه الأَمانى فهو فى الدهر كالذليل الأَبىّ

* * *

وهناك الشآم أثقله القيــد طليح يفنى بكفٍّ قوىّ
ففلسطين جمرة الشرق باتت مسرحاً للممثّل الموسوىّ
وللُبنانَ فى يد الداعر الفــذّ انتفاضــات فارس علوىّ
ولسوريا فى الخافقين صراخ مُضرىّ الأَصداءِ شاجى الدوىّ
والعراق الهضيم والأُردن الضائع كلٌّ لصحبه كالسمىّ
أمم حطِّمت بمعول شيطان ولفّت بمجدها الوهمىّ
وحياة مريضة شاقهــا الموت وضجّت من سجنها الأَبدىّ[1]
أَين مجدٌ بناه نور الحياتين يتيم الصحراءِ راعى الجُدِىّ[2]
أَين فاروقها أَمير المساكين وأَين الصديقُ قلبُ النبىّ
لاحمى الشرق من بنيه ذليــلا وهو الشرق أُمة الهاشمىّ

* * *

ها هى الأَرضُ يا حبيبى ذئابٌ ... وذئابٌ.. من فاجر أَو تقىّ
ملئت جازرين شبُّوا على الشهوة واستمرأُوا طعام الغوىّ
ومجانين قيَّدوا العقل بالشرِّ .. وفكُّوا غرائز البشرىّ

(١) شاقها : نزعت إليه واشتاقت .
(٢) الجُدِىّ : الجُدَى نجم قريب من القطب تعرف به القبلة . والشاعر قد استخدمها بكسر الدال. فهل هى جمع جَدْى وهو الذكر من أولاد المعز . ولكن جمع جَدْى : أجْدِ ، جِداء ، جدْيان . وعلى الرغم من أنه يقصد هذا المعنى إلا أنه أخطأ فى جمعه .

رقّشوا الكون بالدماءِ وغنّــوا كلٌّ لحن من المنايا بكيّ[1]
عبدوا المال وهو لمع سراب واستظلّوا بظلّه القَفْريّ

* * *

حرموا راحة اليقين وعبّوا كلَّ كأْس من الشكوك ندىٍّ
كلمّا جاءهم نبيٌّ سلام رجموه بحاصب شـــهوىٍّ
ليتهم حين قدّسوا الطينَ كَفُّوا عن أَذى ناسك وإِفناءِ حيّ
هم كما كان والدوهم وأَرْبَوْا وهم القاسمون فى كلِّ غىٍّ
جاهليون قدّسوا جاهليِّين سعوا نحو غاية (اللاشىِّ)

* * *

يا نصيرى إِذا دَهَتْنى الرزايا وأَنيسى فى وحدتى ونجيِّ
ياحبيباً أَغنى فؤادى عن كل حبيب وصاحبٍ وصفىٍّ
أَنت فجرٌ أَطلَّ والليلُ داجٍ فمحا الليــل بالشعاع السنىّ[2]
أَنت بيت القصيد والكون شعرٌ واسمك الحلو فيه مثل الروىّ
أَنت من ذكره على القلب أَندى من ندى الفجر والنَّسيم الرخىّ
أَنت أَلهمتنى الصفاءَ على الكرب فأَصبحت كالشعاع النقىّ
أَنت علَّمتنى الجلاد إِذا ما أَوهن الدهر جانحى بالقسىّ[3]
إِنما الكون يا حبيبىَ قرآن به أَنت آية الكرسىّ
١٩٤٤

---

(١) رقّشَه يرقشُه رقشا : زخرفه ونقشه وحسّنه وزيّنه .
(٢) داج : تامّ الظلمة وألبس كل شىء .
(٣) الجانحة : الضِّلَع القصيرة مما يلى الصدر ، جمعه : جوانح . القسىّ : جمع قوس ، وهو آلة على شكل نصف دائرة ترمى بها السهام وهى مؤنثة ، وقد تذكر ، والنسبة إليها قُسوىّ .

سكرة

« أنت كأسى فى حانة الحب
والشعر . فكونى عقلا .....
أكن مجنونا »

رقَّ وجه النسمات فاملأ الكأسَ وهاتِ[1]
هاتِها نشوانةً من عبقرىِّ اللمساتِ[2]
عطَّرتْها كفُّ ساقيها شجىٍّ النظراتِ
فأدرها .. جنَّةً تطفئُ نار الذكريات
وترويك فتحيي منك مَيْتَ الصبواتِ[3]

* * *

هذه نجواك فى الليل أنين وبكاء !
خلت سلواك دموعاً وهى والحزن سواء
أترى يشفيك فى بلواك طبٌّ أو دواء
ها هى الكأس فصوِّر من رؤاك الندماء[4]

(١) النَّسمات : جمع نَسَمة ، وهى كل كائن حىّ فيه روح.
(٢) النشوانة : السَّكرانة البيِّنة النَّشوَة .
(٣) الصَّبَوات : جمع صَبْوَة ، وهى الميل إلى اللهو ، أو الحنين ، أو التشوّق إلى الحبيب .
(٤) الرُّؤى : جمع رؤيا ، وهى مايرى فى النوم . والنُّدَماء : جمع نديم ، وهو المصاحب على الشراب المسامر ويجمع كذلك على ندَام . وهى نديمة .

واسبــق العمر إليهــا والتمس فيهــا العزاء

***

قل لها يا كأْس ماجدَّ من الدهــر علينـــا ؟
نحن فى الغربــة خِــلاًّ نِ الْتقينــا فبكينــا
وضحكنــا . . . واكتوينا وظمئنــا وارتوينــا
نشرب الأَحــلام خمــرا كرْمهــا فى شفتينــا
ثم ماذا ؟ ثم مات الصبر ما بين يدينــا

* * *

هجت ذكرى الميِّت المــد رج فى بُرد أَســاه[1]
تنسج الوحدة من حــو ليــه أَكفان لظــاه
آه يا كأْسى من أكــداره بعــد صفــاه
آه يا كأْسى من أَشــواقــه رغم نواه ! !
آه منــكِ .. آه منــه آه من طــول بُكــاه

* * *

يابنة النسيان كم مرّ (م) بواديكِ النَّــدامَى
قبلة منــك أحلَّــتْ لهم الصفــو الحراما !
حدِّثى يا كأْس عنهــم فَلَقد عفت الكلامــا !

---

(١) المُدْرَج والمدرجة : الكتاب الملفوف والرقعة الملفوفة ، جمعه مَدارج . والبُرْدُ : كساء مخطط يُلتحف به . والأسى : الحزن .

حدِّثيني كيف ذاقـــوا   من ثناياك الهُـــياما
ثم ولَّوا يحسبـــون الْـ   ـبُوم فى القفـر يماما ؟

* * *

أَين نسيانـــكِ يا كأْ   س وأَين السبحـاتُ ؟
أَين واحاتٌ من الصفـو   نمتها الصبـــوات ؟
أَين أَفواف المنىَ البيـ   ـض وأَيـن الضحكـات ؟[1]
كلهـــا ماتت كمـا ما   ت على القبر النعاة !
فلديكِ النـــور نـــارٌ   والأَغاريـــد شكـــاة !

* * *

آه من حبِّىَ يا كـــأْ   س ومن ذكرى حبيبى
حبِّىَ الزهـــرة تفـنى   بين نـار وجـدوب
وصدى ذكـراه نجـوى   وتباريح غـــريب !!
هات نسيانـــكِ يا كأْ   س إذا كـان طبيبى
أَنت فى الحزن نصيـبى   وهو فى الحـب نصيبى

١٩٤٤

(١) أفواف: جمع فَوْف : وهو البياض الذى فى أظفار الأحداث، والواحدة « فَوْفَة »، أوجمع « فُوف » الواحدة « فُوفَة » ، وهى القشرة التى تكون على الحبة ، ويقال : ثوب أفْوَافٍ : ثوب رقيق، أو ثوب فيه خطوط بيض على الطول ، وكذلك يقال : ثوبٌ مفوّف .

بيننا

« إلى التى خلّفت لى من آثارها »
« تناقض الفكر ، وفكر التناقض »

بيننا .. أَو بين زهر وشذاهُ   بيننا أَو بين بدرٍ وسَنَاهُ
بيننا ... أَو بين جفن ورؤاهُ   بيننا .. أَو بين لحن وصداهُ

بيننا حبٌّ وقلب   وأَمانٍ حالماتُ
ومتاهات من الصَّفو   نمتها الصبواتُ

وسراب خادع اللَّمح وريٌّ وهيام
وربيع صامت الدَّوح جديب
وخريف مُمرِع الروض خَصيب[1]
وأَغانٍ كلٌّ ما فيها نحيب
وأَغانٍ كلّ مافيها طروب
وشروق وغروب
وتباريح سلوٍّ وتهاليل غرام .

بيننا كَوْنٌ من القرب وأَكْوَان من البعد الغريب
بيننا ليلة ضَمٍّ وليالى قبلات

(١) المُمْرِع : المُخصب .

بيننا سبحة حلمين أفاقا من سباتِ

بيننا أنغام جنَّان وصرخات رعاة[1]

بيننا جنَّاتُ تسهيد ونيران منام

بيننا ... أوّاه ممّا بيننا

بيننا ماض من الأَضواء يعشى جفننا

بيننا مستقبلٌ يهفو للمّاح السّنا

آه ما أَطهرَ ماضينا وما أَسمى على الحبّ صبانا

آه من مستقبل ضلَّلنا ثم هدانا !

آه من حاضرِ أيَّامى ومنك

آه من نار يقينى .. آه من صحراءِ شكِّى

أَنا من خلَّفتِهِ طيرا على الأُفق جريحا

أَنا من صيّرته قلبا على الجمر طريحا

تتهاداه أَكفُّ الفكر نشوان عييًّا

وهو يشدُو والبكاءُ العف ينساب خفيًّا

أَنا من تيّمه البعد وأَضناه الحنين

أَنا من نجواه دمع ومراثيه شجون

أَنا بين الحب والذكرى وحرمانى سجين

(١) الجنّان : جمع ، جانّ . وهو خلاف الإنس . جمعه . جنّات ، وجِنان .

أنا عشٌ ضمّه القفْر وعافته الوُكُون[1]

أنا قصر شيّدته الريح فوق الزمنِ

ريح زفراتى وبثى وبقايا وسنى

أنا من قلت له أنت أنـــا

أنا من ناح على ما بيننـــا

بيننا .. أو بين زهر وشذاه   بيننا ... أو بين بدر وسناه

بيننا .. أو بين جفنٍ ورؤاه   بيننا ... أو بين صوتٍ وصداه

الى سائل : من هم الناس ؟

دراهم يصنعُها ربُّهـــا   لينفق ما شاء لا ما تشـــاء

ولو أنهـا خُيِّرت ما هَـوَتْ   ولا انتثرتْ فى محيط الفضاء[2]

ولا صدئ الحرُّ فى كفِّـــه   وذاق الدَّخيلُ نعيم الصفـــاء

ولا كان فيها المضيعُ المسيح   وفى جنبه الباهرىّ الضياء[3]

ولكنَّ منجمــه خالـــدٌ   وراحته لا تحسُّ الفنـــاء

وحانوته الزمن السرمـــدىُّ   وسلعته مهلكـات القضـــاء[4]

ولا مَنْ يجاهدُه . قـــادرًا   وإن أجهدتْه صروفُ البلاء[5]

هو البائعُ المشترى .. والمبيع والمشترى صنعه لا مـــراء

١٩٤٤

---

(١) الوكون : جمع : وَكْن ، وهو عُش الطائرحيث كان ، ويجمع كذلك على : أوْكُن .

(٢) هَوَتَ : سقطت من هَوَى يهوِى هُوِيًا وهَوَيَانا : سقط من عُلُوّ إلى سُفْل .

(٣) الباهرىّ : الشديد الضوء من بهر القمر النجوم : غمرها بضوئه ، وبهرت الشمس الأرض . عمّتها بنورها .

(٤) الحانوت : دكّان الخمار ، وهو حانة الخمار أيضا .

(٥) الصّروف : جمع صَرْف . وصَرْف الدهر : نوائبه وحدثانه .

أوهام

« إلى لحْنى الشارد »

يا أيها الشاكى جفاه الرُّقــادْ والدمع ذوبُ القَلب فى جفْنِه
هذا هو الليل فحىٍّ السهـــاد ونادم الذكرى على دنِّه[1]

* * *

هذا هو الليلُ طواه السكونْ فى بردة لفَّاء كالطِّلْسَمِ[2]
لم تحترقْ إلا بنار الشجونْ وزفرة المُلْتاعِ والمُغــرَم

* * *

وسدْتَ آمالك بطنَ الثَّرى ولم توسِّد رأسَكَ المُثْقلا
وأظلمتْ دنيــاك مما جرى وأوشك المُدْبرُ أن يُقبـــلا

* * *

أصبحت كالنجم طواه الأُفول ولم تزل منه بقايا شعاعْ
تهيم فى الأُفق عَراها الذهــــول وعمرها رهْنٌ بكفِّ الضياع

* * *

---

(١) السُهاد : الأرق . الدّن : وعاء الخمر ونحوها ، . جمعه : دِنان .

(٢) الطِّلْسَمُ ، والطِّلَّسْمُ : فى علم السّحر خُطوط وأعداد يزعم كاتبها أنه يربط بها روحانيّات الكواكب العُلْويّة بالطبائع السفليّة لجلْب محبوب أودفع أذى ، وهو لفظ يونانىٌّ : والشائع على الألسنة طَلْسم كجعفر ؛ ويُسمّى كل ماهو غامض مبهم كالألغاز والأحاجى : طلاسم ، وقد استخدمها الشاعر بالشائع فيها .

الحب والأَحلام فى ناظريْــك لمعُ سراب شـــاع فى مَهْمهِ
والشعر والأَنغام فى مِسمَعيْك دنيا من الحرمان لا تنتهى

* * *

ضاعت لياليك على فقرهــا من راحة القلب وصمت اللسانْ
ثم مضت نجواك فى إثرهـــا صبابة تُلهِبُ كأْس الزمـــان

* * *

هذا الزمان الطِفْلُ فى لهوِهِ أَعمقُ فكرا من حِجَا الفيلسوفْ
حُرِمْتَ ماتشــتاق من صفوِهِ وعشتَ فيــه كخيال يطوفْ

* * *

تسير مقهوراً إلى غايـــــة مجهــولة المبــــدإِ والمنتهى
وكم أَراك الدهرُ من آيــة أَحالت المجفوَّ كالمُشْتَهَى

* * *

الكون مسدولٌ عليه سِتــار من ظُلمةِ الغيْب الذى لايبينْ
يصارع الليلَ عليه النهــار والدهر يحتَثُّ خُطَى الراحلين[1]

* * *

ياللرياض الوارفات الظِــلال تضمّ أَفوافَ الزهور الرِّطابْ[2]

---

(١) يحتثّ: يُعجل من حثّه يحثه حثّاً: أعجله إعجالا متّصلا ؛ وقد كتب الشاعر خطـًا بالياء وهى خطأ فى رأى جمهرة العلماء خلافا للكوفيين الذين يكتبونها بالياء لأنها مضمومة الأول ويصرفون النظر عن أصلها الواوى

(٢) الرُّطَبُ: نضيجُ البُسْر قبل أن يصير تمرا ، وذلك إذا لان وحلا ، جمعه رِطاب .

لا يعرف الزَّنْبَقُ معنى الكلالْ ولا رضيعُ الطير معنى العَذَابْ[1]

* * *

أتى عليها بعد صيفٍ شتاءْ ومن ربيع العيش جاء الخريفْ
لم تستطع دفع عوادى الفناءْ المارد العاتى لديها ضعيفْ

* * *

ياللقفار الثائرات الحزُون المجدبات الساكنات السُّهول[2]
الليل فيها مذبحٌ للمنون والصبح فيها مسرح للذهول

* * *

ضفافُها ما ينسج الناظرُ من ذروة أو غِيلة أو فضاء[3]
يسبق فيها القدم الخاطرُ والحىّ والمَيْتُ لديها سواء

* * *

ما بالُها لا تشتكى من جدوب ولا يُذِلُّ الوحش فيها الظليمْ[4]
الصوت صوتٌ من شَجٍ أوطروب والريح ريحٌ من صَبًا أو سَمُومْ

* * *

يا أيُّها الشاكى وقلبُ الدُّجى حانٍ على الساهد والساهده

---

(١) الزَّنْبق : نبات له زهر طيّب الرائحة طويل كالحربة ، يغلب عليه اللون الحمرى ، الواحدة زنبقة ، وهو دُهْن الياسمين كذلك .

(٢) الحزُون : الخشنة الغليظة ، من حزَن المكان يحزن حُزونة : إذا خشُن وغلظ .

(٣) الغيل : كل وادٍ فيه عيون تسيل .

(٤) الظّليم : الذكر من النّعام .

طارت بألحانك ريحُ الشجى ولم تَغِبْ عنك رُؤى الجاحده

* * *

تلك التى ضنَّتْ بنبْع الحياهْ يروى رياضَ الأَمل الوارفِ
حال اسمُها الحائر بين الشفاه خُرافةً فى قصة الزائـــف

* * *

وأنت والكون بمـا يحتويه تضيق بالكون وبالكائنين[1]
وتحسب القفر الذى أَنت فيه جناية الميلاد والوالـــدين

* * *

رحماك ... ما هذا الذى تدَّعِى إلا خداعُ اللهفة الجائعـــهْ
فاذهب إلى خالقك المبْـــدِعِ وغنِّه الأُنشودة الضائعـــهْ

* * *

أُنشودة الشكِّ الذى لايَنِى يوقظ فيك الثورة النائمَـهْ
ويطلق الأَلحان فى الأُرْغُـــنِ فتستضىءُ الفكرة القاتمهْ[2]

* * *

وتسبح الأَوهام فى كونهـــا مخبولة كالشبح الشـــارد
هى التى ربّتك فى سجنهـــا فتُهتَ عن سوق المنى الكاسد

* * *

(١) الكَوْن : الوجود المطلق العام ، والكون عالم الوجود ، ويجمع على أكوان ، والكوْنان : الدنيا والآخرة .

(٢) الأرْغُن : آلة موسيقية نفْخيّة ، بها منافيخ جلديّة وأنابيب ومفاتيح لتنغيم الصوت ، واللفظة يونانيـة

تعيش للفانين عيشَ الزَّنيم   وأَنت أَنت السيِّد الآمرُ [1]
فى ملكك العلوىِّ فوق السديم   تحنو على أَربابهـــا عبقرُ [2]

* * *

وحدتك الخرساءُ رمز الإِلـــه   وعمرك التائـــه سفر الزمن
وصوتك الباكى عليه صداه   قيثارة مفتـــونة بالشجن

* * *

ماللرياض الوارفات الظلال   وما لهذا القفر فى عالمـكْ
أَنت الذى يعيش فيه الخيال   يضحك كالمجنون فى مأْتمك

* * *

رفقا فلن يشقَى بك اللأَحـــد   إن أَنت أَثقلت أَكفَّ النُّعـــاه
هذا القضاءُ القاهـــر الخالـــد   حتم على كل ضحايا الحياه

* * *

عيشك ؟ ما أَحلى وما أَنضـــرا   إن أَنت لم تـأْسَ على الفائت
مضَى ... فما أَحراك أَن تقبـــرا   ذكراه فى مضجعها الصامت

١٩٤٤

---

(١) الزّنيم : الدّعىّ ، وهو الملحق بقوم ، واللئيم : المعروف بلؤمه وشرّه .
(٢) السّديم : الضباب الرقيق ، و... مجموعة نجوم بعيدة جداً تظهر كأنها سحابة رقيقة ،ومنه المجرّة ، جمعه سُدُم ..

دنياى

دنياى يا دنيــــــاىْ بين الطِّلا والنَّــــــاىْ
هذى دموعُ أَســــــاىْ تَخِذْتُهـــا سلــواىْ

* * *

دنيـــــاى مــا أَقسَى جرحك فى قلــــــبى
ما أَظمأَ الغرْسَـــــا فى واحــة الحــــبِّ

* * *

هاتيكِ يا دنيـــــا أُنشـودتى وحـــدِى
إِخالها رؤيـــــا من عــالم الخلــــدِ

* * *

هاتى لِىَ الشِّعـــــرا مُهَلْهَـــــلَ الأَوزانْ
ينسج لى قَبــــرَا فى مَهْمَـــهِ النِّسيـــان

* * *

ما ضــرَّ مــن نــادَى للموت أَحــــــلامى
لو أَنــه عــــادَا فضمَّ أَيـــــامى

* * *

ماضٍ به نــــاءَتْ جــوانح القيثـــــار

وَلَّى كمــــا شــاءت سخريّـــة الأَقـــــدار

* * *

وحاضرٌ ســـــأُمانْ عاف الشجى كاسَــــا

ما فيه من إيمــــانْ لاينفــع الناسَـــــا

* * *

وقابـــل مجهـــولْ تطويــه أكفانُـــــه !

زورقـــه المخبـــول لم تدْنُ شطآنُـــــه

* * *

هــذا هــو الـــــركبُ أضنــاه حاديـــــهِ

ودمعـــــه الرطـــبُ شكوَى مآقيـــــه

* * *

هاتى لى السَّلـــــوَى تزهـــرْ رُبَا نفسِى

أو قرِّبى الخطْـــوا من ظلمة الــــرَّمسِ

* * *

دنيـــاى من آهـــاتْ نديُّهـــا جمـــرُ

فى خاطـرى موجـــات ما ضمَّهـــا بحـــرُ

* * *

الخمر والأَنغـــــامْ فى حانـة الأَيـــامْ

مشبوبـــة الإلهـــامْ من جاحــم الآلامْ

* * *

والخاطـــر اللمّـــاحْ في أفــق الأقـــداحْ
يهفـــو إلى مصبـــاحْ من عالم الأفـــراحْ

* * *

والشـــارب المخمـــورْ من راحِ أقـــداره
نشيـــدُه المسحـــور صادٍ كقيثـــارهْ

* * *

في هيكل الأحـــزان أنفقْتُ أيّـــامي
كأنمـــا الأزمـــانْ تشْفي بأسقـــامي

* * *

أطـوف بالْفانيـــنْ كالآهـــة الحيـــرى
أرسلهـــا مسكين يرثي بهـــا العمـــرا

* * *

يا ناشـــر العمـــر في كفِّـــك الطيِّ
النـــار في صـــدري والميِّـــتُ الحيُّ

١٩٤٤

الشعوب

« بين الرعاة والذئاب »

شياهٌ تُرجِّى اخضرار الجدوب — لتسمن للذئب لا للحيـاةْ

تنام على الشوكِ حتى إذا — نما الوردُ كان دخانًا شَذاه

وراعٍ طوت نايَه السافيـات — وغاب بجوف الروابى صداه

ينوح نواح الغريب الطليح — إذا أذكرته الليالى هواه[1]

ويـذرى المدامـع هتّانــة — فيرمض بالنار قلب الفـلاه

وللذئب من حوله شِــرَّةٌ — تصولُ إذا ما وَهَى جانبـاه

يرى الراعىَ الغِرَّ يبكى مناه — وينْسى الرعيلَ وينسى عصاه[2]

فيشرع من ناظريه المــدى — ليقطع عنهـا سبيل النجـاه

وإن أَيْقظ الذئب صوت الدماءْ — فلا ترتقب غير نوم الرعاه

---

(١) الطّليح : الحائر ، والطليح : المعيي ، والمهزول والمجهود ، جمعه : طَلْحى .

(٢) الرّعيل : الجماعة القليلة من الرجال أو الخيل ، أو التى تتقدّم غيرها ، ويُقال : فلان من الرعيل الاول ، من السابقين .

« من وحى الضحايا »

ابن الطريق

« إلى طفولة مشردة تبيع
أوراق اليانصيب »

أَلقت عليك الليالى ثوبها البالى   وضعتَ ما بين تجوال وتسآلِ
أَيامك السود عِقْد ضلّ ناظمه   وجيدُ عمرك مذبوح كآمالى
ويحى عليك هشيماً ضمّه كفن   ودُرّة غيّبت فى قبر أَوْحال
ويحى عليك وويحى منك ماوهنت   من نار بلواك أَصلابى وأَوصالى(١)
أَنا الذى ضاقت الدنيا بفرحته   ولم تضق بجراحاتى وإعوالى

* * *

يا بن الطريق خَلَتْ إلا من الظُّلَم   وعاصفٍ ليس يدرى رحمة النَّسمِ(٢)
وشاعرٍ جزعٍ كانت ملاحنُه   بُرْءَ الطَّليح فأَمست علة السقم
رآك فَاهتز خفَّاقٌ بأَضلعه   ورتلت شفتاه سورَةَ الأَلم
وأَجْهَش الناى فى كفّيه مرتعشًا   ولم يُرَوِّ البكا ما فيه من ضرم
الليل ليلك يا بن الليل أَخيلةً   وقسمة ... ولشعرى دامع الكلم

* * *

---

(١) ويحى: ويح كلمة ترحّم وتوجع وقيل هى بمعنى « ويل » التى هى كلمة عذاب. والصُّلْب: فقَار الظهر ؛ جمعه : أَصْلُب ، أَصْلاب . الوصْل : المفصل ، أوبجتمع العظام ، جمعه : أوصال .
(٢) النَّسَم : الروح ، أو الريح الليّنة قبل أن تشتدّ .

أَخى وقد ضمنـا من آدم نسبٌ ... ومن مقاديرنا الآلام والنُّوَبُ [1]

تبيع للناس حظَّ المال مضطربًا ... ودمعة اليتم فى عينيك تضطرب [2]

يا أَيها القفرُ رفَّت فوق راحته ... ريحانةٌ من شذاها الجاهُ والحسب

يا أَيها الكأْسُ يروى الناس من ظمأٍ ... وجوفه مُرْمَضُ الأَحشاء ملتهب [3]

فَإذا جنيت فما ترعاك والـدة ... ولم يُفِض من حناياه عليك أَبُ [4]

* * *

أَخى أُناديك فارحم شاعرا نادى ... لمّا يجد غير باكى شعره زادا

هذى القصور التى تاهت بساكنها ... عادت إلى صمتها الساجى وماعادا

لم يكفه المال دفّاقًا بعيلمـــه ... فشاد من ماله فى الأَرض أَطوادا

أَنسته آمالُه آلامَ إخوتــه ... فعاث فى الأَرض إعداما وإفسادا

وملءُ هذى الدُّنَى أَشلاءُ مذبحة ... كان القضاءُ بها سوطا وجلّادا [5]

* * *

تكفيك منِّى دموعا ليس تكفينى ... والدمع ينقع أَكباد المساكين

أَبكيك طفل الأَمانى قام هيكله ... على عمادٍ كذاوى الزهر موْهون

أَبكيك دونَ ودادٍ غير أن دمى ... تعيث فيه المِنايا عيث مجنون

وأَنت يا أَيها القاضى الذى عصفت ... أَحكامه بضحايا المـاء والطين

رحماك إن الضحايا غاب كوكبهم ... وحرَّموا سمعهم عذب الأَرانين [6]

١٩٤٤

---

(١) النُّوَب : جمع نوْبة . وهى النازلة والمصيبة

(٢) حظ المال : كناية عن أوراق اليانصيب وبائعها .

(٣) المرمض : المحترق ، من أرمض الشىء : أحرقه.

(٤) فى أول البيت مأخذ عروضى خفى .

(٥) الدُّنَى : جمع دنيا . الشِّلْو : العضو . القطعة من اللحم .. البقية من كل شىء ، جمعه: أشلاء .

(٦) الإرنان : صوت الشهيق عند البكاء ، جمعه : أرانين .

خريف

إلى أول ألحاني ... وآخرها أو إلى نفسي بين نفوس الشعراء .

قالوا الربيع ! فقلت لا ... أدريـــه من عمر الزمـــانْ
أنا ماعرفت ســوى الخريـــف .. أعيش فيه بلا أمـــان
شَرِبتْه أيّامى الحزينـــة ملءَ أكـواب الهـــوان
ورأتـــه روحيَ عالمـــاً ما فيـــه للسلـــوى مكـــان

* * *

قالوا الربيع .. !! فقلت مـــا أشقى حيـــاتىَ من حيـــاهْ
أَو هكذا أمضى ومـــا بُلِّغتُ من أمـــلى مـداه ؟
أنا ذلك الفجـــر المحيَّـر ليس يهديـــه ســـناه
ضمّتـــه أكفـــان الدجى وطوته أحشـاءُ الفـــلاه[1]

* * *

ذهب الصِّبا ... وقنعت من ذكراه بالجمـر المـــذابْ
وأتى الشبـــاب فخبِّريـــنِى أين أحـــلام الشـــباب ؟
رُدِّى علىَّ إذا أردت فمـلءُ عينيـــك الجـــواب
وإذا بكيتُ فلا تقـــو لى شاعرٌ فقد الصـــواب

* * *

---

(١) الدّجى : سواد الليل وظلمته .

يا حلم أيّـــــامى الّتى ولّتْ وحلم الباقيـــــاتِ
بينى وبينـك فى الهـــوى قلبى الجريحُ وأُمنيـــاتى
هذا سجين أضالـــعٍ فنيت على جمر الشكاةِ
ومُنَاىَ أَذْبَلَ زَهْـــرهَا الظمآن عصف النائبـــاتِ

خلّفتِ لى دمعَ اليتيم وسُهدَ ليلاتِ الغريـــــبِ
وشبيبَ أنفاس الشُّـــــروق وصمت أطياف الغـروب[1]
وحنين شادٍ موجـــــعٍ يهفو إلى الوكـر الحبيب[2]
نجواه وحى صفائـــــه وأنينـــه وحى الكـروب

يا بنت عبقرَ والشجـــو نُ تنامُ فى أحضان نفسى
سلواى عنك خداع مـــــا فى الكأْس من خمر التأسّى
أنا حلمُك الماضى الـــذى أُنسيتِه .. والبعـد يُنسى
ألوت بعمرى سافيـــــا ت الدّهر من جدب وبؤس[3]

* * *

يا أول الألحان مـــــا لى عن تعشّقك اصطبـــارُ[4]

---

(١) الشّبيب : الاتقاد من شبّت النار تَشُب : اتّقدت. أطياف : جمع طَيْف ، وهو الخيال الطائف ، وقوس قزح وألوانه .

(٢) الشّادى : المُغنّى ، جمعه : شُدَاة . الوَكْر : عُش الطائر الذى يبيض فيه ويُفرخ ، جمعه : أوْكُر ، أوْكار ، وُكُور . والوكر : ضَرْبٌ من العدْوِ كأنه النّزْو .

(٣) السافيات : جمع سافية وهى الريح التى تحمل التّراب وتذرّه .

(٤) الاصطبار : التجلّد وعدم الجزع مع الهدوء والاطمئنان .

حيّتك من وادى الجرا ح نسائمٌ فيها سُعارُ
حيث الحياةُ روايةٌ مالى بمسرحها قرارُ
حال النمير بها لظًى والليل من أرقٍ نهارُ[1]

* * *

أين الليالى النابغيَّةُ فى حِمى الصبوات ... أينْا ؟[2]
أيام كنا نَحسب القبلات إيفاءً ودينْا
ويد العفاف تضمّنا فتضمُّ إنسانا وعينا
يا خلدها من حقبةٍ جاد الزمان بها علينا[3]

* * *

كم ليلةٍ سرقتك من سنة الكرى أصداء شعرى
ولقيتنى فنسيت فيك تعاستى ونسيت عمرى
وشربت من عينيك ما أهْواه من نشوات سكرى
وظننت عمرى كله زهرًا .. فكان هشيم زهرى

* * *

عودى إلىَّ وسلسلى نغم اللقاء الأول
لا تجحدينىَ شاعرًا يبكى بكاء الثاكل
عودى إلىّ فلست أدرى ما الذى قُدِّر لى
أأعيش حتى نلتقى أم ذاك وهم الذاهل

١٩٤٤

(١) النّمير : من الماء الطيّب الناجع فى الرّىّ . والليالى النابغية : ليالى الهمّ والأرق .
(٢) الصبوات : جمع صَبْوَة وهى الميل إلى اللهو أو الحنين.
(٣) الحقبة من الدهر المدّة لاوقت لها ، أو السنة ، جمعه حقبٌ ، حقُوب .

فكر

مجالى الصبا لا طواك الزمنْ ولا فترت عن هـواكِ الشِّفاهْ[1]
ولازلت رغم جـراح المحـنْ ينابيع تروى جدوب الحياهْ[2]

* * *

إلىَ فنجرك الرّطْب حنَّ النظـر وفى حلمك العذب عاش الخيالْ
وها أنا بين فيـافى القـــدر صدى غنـوة ماوعتها الليالْ

* * *

إذا سـأَلَتْنى أمـانى الشباب عن النور يُغْشي جفونَ الظُّلَمْ
أقول لهـا فى صباى الجواب وفيما طـواه البِلى من نغمْ

* * *

أنا الشارد الخطو أَحْدُو الأَمَل وليس له فى وجودى مكانْ
(أنا) ذلك اللغز لمَّا يُحَلّ ومظهره الفرد صوت الهوانْ

* * *

أنا .. مَنْ أنا؟ حدِّثى يا نجوم وإن لم تجيبى فلنْ تُعْتَبِى
كلانا برته ليـالى الهموم وضُيِّع فى زحمـة الموكب

* * *

(١) المَجالى : مواضع الصلّع من الرأس ، وهى مقاديمُها عادة . واحدها (مَجْلى) .
(٢) الجدوب : الماحل وهو ضدّ الخصب .

ومن أنا أو أنت فى العالم ؟ وإن غِبتُ أو غبت ماذا يكونْ؟
سيروى جوانح قبرى دمى وتأْكل من جانبيك السنونْ

* * *

بربِّك لاتسخرى من بُكاىْ فما أنت ممَّن يَذيلُ الدموعْ[1]
وما أنت إلا كباقى مُنـــاىْ تموت وتولد بين الضلوعْ

* * *

أَراك سئمت نــداءَ الحزين وما هو إلا شهــابٌ خبا
فلاتسلكى فى عــداد السنين ليـاليــه بعــد فوات الصبا

* * *

أَنا من أنا ؟ حدّثى يا نجوم وإن لم تجيبى فلا تطلعى
وحسبى من العيش هذى الغيوم تُغَشِّى ســمائى وتبكى معى

* * *

ويا أَيها الفــرد فى قدرتــه يدبِّر أَمــرى كما يشتهى
أَرِحْ طــائرَ السجن من شقوته فلن تنتهى قبــل أَن تنتهى

* * *

أَرى العمر يوغل فى خَطْوِه ولو شــاءَ مُطْلِقُه قيَّــدهْ
لعــلَّ الذى فات من صَــفْوِه يردُّ إليــه الذى أَفقــده

* * *

---

(١) ذال الدّمْع يذيل ذَيْلاً : سفَحه .

ويا ليت روحى على جـدبها   تَرَاحُ من السافيـات الشدادْ
ويا ليت نفسى على كربها   تُلَقَّن غـير معـانى الحداد

* * *

هو الكون ينسل كالكائن   صِلالًا من الشر ما إن تريمْ[1]
ولو شـاءَ رَبِّى لمـا راعنى   بها كلَّ حين كأَنى رجـيم

---

(١) الصِّلال : جمع صِل . وهو الحيّة من أخبث الحيّات . ما إن تريم : أى لم تفارق مكانها . يقال : مارام مكانه ، ومارام من مكانه : ما فارقه . ورام مكانه : برَِحه .

« من وحى الضحايا »

غانية[1]

بين همس الشفاه والأحداق والليالى تفيض بالعشاق
والكئوس النشوانة الراح تندى بدم القلب والشباب المراق[2]
والضحايا لهم مع الدهر حرب وخطاهم ما صورت لسباق
يستضيئون فى الظلام بجمر سرمدىٍّ الدخان والإحتراق
شبّ فى أكبُدٍ مداها على الأيّـ ـام دمعٌ كالهاتن الغيداق[3]
بين ركب المنون عشت وما زلـ ـت ترينَ السموم كالترياق
أى واد ترجين لوعشت فيه غير واديك يابنة الأسواق
فى طوايا النسيان والعدم والذلّ وبين الحديث والإطراق
كل هذى الدّنى أمامك قبر سوف يطويك رغم طول الفراق
لاتلومى القضاء فهو كعينيـ ـك إذا ما تراشقا خفّاق[4]
نافذ السهم ليس يرأف بالشاكى وكفّاه قدرة الخلّاق
فدعى الماضىَ المُغيَّب فى الدّهـ ـر وطيرى حلماً ـ على الآفاق
ربّما شِمْت لمحةً من صفاء هو فى الدهر كالسنا البرّاق

١٩٤٤

---

(١) «من وحى بنت من بنات الليل»

(٢) الرّاح : الخمر ، والارتياح .

(٣) الغيداق من الرّجال : الكريم الجواد . ومن العيش : الواسع المخصب .

(٤) تراشق القوم : تناضلوا . والخفّاق : الكثير الخفق، والخفق : التحرّك والاضطراب .

حرمان

« إلى زمنى »

يا نديمى هات الأَباريق هات إنّ يوم الصفاءِ ليس بآتِ
كان حيًّا فبات . إذ شرّد الدّهــــرُ خطاه . مكفَّنـــا بحياتى
يا نديمى ماذا تُرجِّى من العيْــــنِ سوى أَن تفيض بالعبرات
صبغةُ الله إنها ربــةُ الجمــــرِ وأَنى أَهيم بالجمــرات[1]
لاتَدَعْنى إن شئت نسيانَ همِّى واسقنيها خُلْـديَّةَ النَّشوات
هاتها كالنسيمِ أَطلقَــه الفجــــر رخِيًّا معطَّر النفحات[2]
هاتها نجمــةً مشعشعة اللَّمـــحِ وأُفقاً مُضَوَّأَ الجنبات[3]
هاتها لــذَّةً كهمسِ العذارَى فى ظــلال الأَحلَام والصَّبوات
أَقْسَمَ الْجَامُ ما لديــه سـواها رقرقتهــا روائح الجنَّـات[4]
هاتها هاتها . فقد عَمِىَ اللَّيـــــلُ ونفسى من عالم الظلمات
لايَضِـرْكَ السُّــهوم فى نَظراتى والأَنين المنسـابُ فى كلماتى
فأَنا ابنُ الحرمان : زَهرىَ شَوْكٌ ورياضى جَـوَاحِمُ الفلــواتِ[5]

* * *

(١) الجمْرة : واحدة الجمر . وهى القطعة الملتهبة من النار ، جمع : جَمْر ، جِمارٌ ، جمرات .

(٢) النَّفَحات : جمع نفحة : وهى الطّيب الذى ترتاح له النفس .

(٣) مضَوّأ : من تضوأ الشىء تبَصّره فى الضوء وهو فى الظلام ليراه .

(٤) الجام : الكأس .

(٥) الجوَاحم : جمع جاحم ، وهو القطعة الملتهبة من النار .

هاتِ لى من شفاهها قبلات الطَّـــــيْر تروى مراشف الواحات [1]
باركتها العصورُ من عهــد باكوسَ فكانت تميمة الآلهات[2]
هى فى خاطر الزمان عجوزٌ وهى فى خاطرى شبابُ الحياةِ
هى ديرُ النِّســيان . راهبة الدَّنّ صــلاة الأَرواح فى الخلوات
رقَصَتْ فوق صدرها شُعَلُ النـــــورحَبَاباً[3] مُفَــوَّفَ[4] القطرات
واستدارت كالعين تُعْشِى وتُنْـــشِى بلحاظٍ مســحورة اللمحات
هاتها يا نديم كالرّشإِ[5] النـــا ئم فى مضجعٍ من الزهـــرات
واســقنيها . أَنا الشباب المولّى شادَ دنيايَ هادم اللَّذّاتِ
ودعِ الناس ما أَضلَّ حِجَاهُم .وعليهم خــوالدُ اللعنــات
تاه عقلى فلا أَقلَّ من النِّســـيان أَرجوه كى يطـول سُباتى

* * *

إِيه يا ســاقىَ المجانةِ والله و تظنُّ الغَرْثانَ كالمقتــات[6]
ما دهتْكَ السّنون مثلى فعجِّل بذهاب لضــائعى الســكرات

---

(١) المراشف : جمع مَرْشَف ، وهو موضع الرَّشْف . الواحات جمع واحة ، وهى الأراضى الخصبة فى صَحارٍ رمْليّة .
(٢) باكوس : إله الخمر عند اليونانيّين .
(٣) حباباً : الحبَاب طرائق تظهر على وجه الماء تصنعها الريح ، والحباب كذلك : الفقاقيع على وجه الماء .
(٤) مفوّف : رقيق ، يقال : ثوب مفوف أى رقيق .
(٥) الرّشأ : ولد الظبية إذا قوى وتحرّك ومشى مع أمّه ، جمعه : أرشاء .
(٦) المجانة : المزاح وقلة الحياء . الغرثان : الجوعان .

ها هو المـال فى يديك فنادمْـــهُ سراباً يعجُّ بالتُّرَّهاتِ[1]
لستُ عبـدًا له وما كنتُ عبدا لإلـهٍ مُبَـهرج الآيات
أنا عبدُ الجمال والفكر والخيـر وعبد الحقائق الخالدات
أنا عبد العقل المغلَّف بالصمـت وإن كان ناطق المعجزات
فى الصحارى تفيض بالعزم صمَّاءَ لديها الأَحياءُ كالأَموات
والروابى تفيض بالشِّعر فيحاءَ تروِّى الأَشـواك كالوردات
كل مافى الوجود سحرٌ وفنٌّ وانطلاقٌ من جائر الرّاحات[2]
غيرُ هذا السجين فى الأَضلعِ الجُوفِ طريدِ المقادر الجانيات
حَسِبَ الناسَ من قلوب فَجَازَى سيئاتِ الطَّـغام بالحسناتِ[3]
فإذا هم يَشرُون أَيَّامه البيضَ بأَيامِ جـِـدْبه الحـالكات
ضَلَّةً للأَنـام ما زال فيهم أَثرٌ من مجـارمٍ سـالفات[4]
ليتهم يذكرون يومَ أَبيهم إذ أَضلَّته أَوّلُ الحيَّـات
أَطْعَمته تُفَّاحـةً حـرَمته من ظلال الفرادس الوارفات[5]
ليتهم . ليتهم . وما أَضيع العـمرَ إذا ما وهبتهمْ أُمنيـاتى
ليتنى قد جهلت أَنِّىَ حىٌّ لأُقَضِّى الحياة صـافى الحياة

(١) التّرّهات : جمع تـرّهة وهى الباطل . و.. القول الخالى من نَفْع .
(٢) الراحات : جمع راحة وهى واحدة الرّاح . أى الأكفّ (باطن اليد) .
(٣) الطّغام : أرْذال الناس وأوغادهم . و.. الضعيف والرّدىء من كل شىء .
(٤) مَجارمٌ : ذنوب من جَرَم يَجْرِم جريمة أى أذنب .
(٥) الفرادس : جمع فردَوْس وهو البستان والجنة . (ويذكّر ويؤنث) الوارفات : جمع وارفة . وهى المتسعة . من وَرِف الظل : اتّسع وطال وامتدّ .

أنا أمشى فى النـــاس بائع خُبز زاهـــدًا فيـــه قانِعًا بالفُتاتِ

* * *

يا نَديمى أترع كؤوسك جمرًا فيه رىٌّ الشـــفاه واللَّهوات[1]

طُرِحَ القيدُ فانطلق بِىَ هوناً نَتَنَسَّمْ عواطرَ الخَطَـــرات[2]

وارْأَمِ النفس صفحةً أثبتَ الله عليها ما شـــاءَ من لوحات[3]

إن نفسِى شوهاءُ من أثر الحزن فَرَقْرِقْ تميمة الجلوات[4]

واغتبق نورها على ذكر آمالٍ طوتها مجـــــاهلُ الذكرياتِ

إنما هـــذه الحياةُ تهاويـــلُ نَمَتْها الأيـــامُ مُخْتَبـــلات[5]

فاطْوِ سفرَ الحيـــاة زهرا وخمرًا واهْتَبلهـــا رنَّانـــة الضحكات[6]

جهل الناسُ لادواءَ سوى الكأْسِ تُرينى مآتم النائبـــات

مَنْ مُجيرُ الشَّاكى سواها ومَنْ غيرى من الناس نابغىٌّ الشكاة ؟

هاتها باسم فكرةٍ شَـــرَدتْ عنى وأمستْ فى ذمَّـــة السافيات

أو مجـــالٍ فينانةٍ فى خيالى مزَّقتهـــا فواتِكُ الثـــورَات[7]

---

(١) اللَّهاة من كل ذى حلق : اللَّحمة المشرفة على الحلق ، والهَنة المطبقة فى أقصى سقف الفم جمع : لهَوَات .

(٢) عواطر : جمع عاطر وهو المحب للعطر أو المُكثر منه. الخَطَرات : جمع خطْرة ، وهى الوقت يقال : ما لقيته إلا خَطْرة ، أى أحيانا .. وخطرةٌ من الجن : مسٌّ .

(٣) أرأم النفس : عالجها وعطفها .

(٤) الجلوات : جمع جلْوة وهى ما يعطيها العروس لعروسه وقت الزّفاف .

(٥) مختبلات : مفْسودات أومشلولات من اختبل بمعنى فسد عقله وجُنَّ ، أو شُلّ .

(٦) اهتبلها : اغتنمها ، من اهتبل الفرصة : اغتنمها .

(٧) الفواتك : جمع فاتك وهو الغادر المُغْتال .

أَو نعيمٍ عبّتْ لَيـالىَّ منـه   خمْرَ وصْـلٍ يتيه بالقبلاتِ
أَو جحيمٍ شأًى الجحيم عذاباً   من جحـودٍ وحرقةٍ وشتاتِ(١)

* * *

هاتها باسم حُلوة الوَعْـد والدّلِّ وسرِّ القيثـار والأُغنيات
آه يا صـاحبى وأَوّاه ممّـا   خلّفته للقلب من آهـات
سهّدتْنى واستسلمت لمنـام   هَنِئَتْ فيه بالرُّؤى الهانئاتِ
كم نعمنـا بالوصـل يهزأُ بالدهر حثيث التَّسيار والخطوات(٢)
لا حـدود المـكان تأْسر روحينا ولا دائرٌ من الأَوقـات
كم طوينا الضفاف وهنانة الرَّمل نهزُّ الضفاف بالخطرات(٣)
وطوينا الموجات روحين طفلين نريق الحديث كالموجـات
ليـل طفل وطفلة عبقريّين يهيمـان بالصـفاء المواتى
عربدت فى قلبيْهمـا نشوة الحب وكم للغـرام من حانات
وشراع السفين تسكره الريح فيسرى على هدى الزهرات
والمجاديف عُطِّلت غير ساقين استراحـا إلى لذيذ السّبات
أَنت سكرى بخمرة الشعر ينساب حنينـا مرقَّـه الآهات

(١) شأى : أعجب وشاق . وشأى . أحزن .
(٢) التَسيار : الذهاب فى الليل . والتسيار : المبالغة فى السَيْر .
(٣) الوَهْنَانة : من النساء : الكَسْلى عن العمل تَنعُّماً . والخطرات : من خطَر يَخْطر خُطُورًا و(الشىء) لاح فى فكره وذكره بعد نسيان . أو خطر بقلبه من أمر ، أو رأى ، أو معنًى .

وأنا الشّاعر المغرِّد فى دَوْحك عفٌّ الألحان والنغماتِ
يتهادى خدِّى على خدّك الورد يناجيــه عاشق النسمات
نَهَبُ الكون قُبلةً يسجد الثغر لديها مطهَّــر الصـــلوات
ثم نغنى فى الكون أقدس روحين . لنحيا فى عالم السَّبحات
طُهرنا ديننا وللناس أديان وبعض الأديان من شهوات
نتمنى على الزمان الأمــانى معجزات تُخــالُ فى الممكنات
أين منّى يا أُخت أطيافها الحور وأين الشريد من ليلاتى
حدثينى عنها فقد غلَّلَ الهجر لسانى وجفَّ من زفراتى
آه من ذاهب شقيت بذكراه وأوّاه من مخــــافة آت
إن تعــودى إلىّ تبسم حياتى وإذا غبتِ ليس لى من حياة
صبواتى ضاعت فــردِّى علىَّ اليوم ماتكنزين من صَبَوات
واعذرينى وقد بخلْتِ إذا طا لت على نضرة الصبا حسراتى

* * *

يا نديمى أفرغ مدامك إن شئت وهبنى ماعفت من كاسات
ها هو الفجر فاستفق يا أخا الفجر ودعنى أعش مع الظلمات
وإذا ما سئلتَ عنى فحــدِّث عن شباب سـلواه من آفات
واعفُ عنّى إمّا فقدت رَشادِى وحرمت المرجُــوَّ من يقظاتى
فأنا ابن الحرمان . زهرى شوك ورياضى جــواحم الفلوات

١٩٤٤

سراب

بيْنَ أَمْواجكَ يا دَهْـــــــرُ مضى بى زوْرَقى
تائهَ الغـــايات مَغْـلُو لًا يُرَى كالْمُطْـلق
وأنــا فيـــه كما شَــا ءَتْ ريـــاحُ الخـــالقِ
وهُوَ لَوْ يرحَمُ شـكْوا ىَ قضى بالغَـــرق

* * *

أىُّ شُـطآنكَ يا دهْـــــرُ سَـأرْسُو فى حمـاهْ ؟
صِفْهُ لى من قبل أن أبْـــلُغَ يا دهـــرُ مـداهْ
أهْوَ حقٌ مثلمـا حدَّ (م) ثَنى عنــــه الرواه ؟
أم خِـــداعٌ نَسجته لضـــحايا هـــا الحياهْ !

* * *

حـــدَّثُونى عن شبابى وأمَانيـــه الرِّطـــابْ
إذْ رأوْنى طَائرَ الأَحْــــلامِ وثَّــابَ الرِّغـابْ[1]
ليتهُمْ يدرون ماحَــلَّ بنفْسى من عَـــذَابْ
ليُريحـــوا أُذُنَ الظَمْـــآنِ من ذكْرِ السَّـــراب

* * *

(١) الرِّغاب : جمع رغيب يقال : رجل رغيب : واسع الخَطْو ينهب الأرض نَهْباً .

بَيْنَ أَفْراحِ الْمَوَاليـــــد أَتيتُ العَـــالَمَا
لستُ أَدْرى أَمُرِيدًا جئتــه أَم مُرْغمَـــا
أَوْ أَنا أَدْرى كما يَدْ رى ذَبيـــحٌ أَلَمَـــا
إِنها النـــارُ فَــلا تُلْـــقُوا عليهـــا ضَرَما[1]

* * *

حــدِّ ثونى أَيْنَ طفلُ الْـــفِكْر طفــلُ الْخَاطرِ؟
أَيْن هــذا الطِّفلُ مِلْءُ الْـــقَلْب مِلْءُ النَّــاظر؟
أَوّلى ضَـــاعَ وما أَدْ رِى مصيرُ الآخِـــــر
فدَعُــونى أَنْدُب الْعُمْـــرَ بذَوْبِ العُمُـــرِ !!!

* * *

فى لحُونى أَيها النَّـــا سُ دمـــوعٌ وجـــراحْ
فاسْمَعُوها أَوْ فَصَمُّــوا فَلسَــلْوَاىَ النـــوَاح
قبْــلَ أَن تُسْلمَنِى الأَرْ ضُ إِلى كَفِّ الرِّيــاح
فأَرَى فى الــكوْن نُورَ اللَّـــه لا نُــورَ الصَّــباح

* * *

أَتْرِعُوا كأْسَ صَبَابَا تِى وفُكُّوا قَيْــدَ حسِّى
فَيقينُ الْعَيْش فى أَذْ هَانكم من بَعْض حَدْسى

(١) الضَّرَم : الاتقاد والاشتعال ؛ من ضرِمَت النار تضْرم ضَرَماً : اتّقدت واشتعلتْ .

أتَرِعُــوها فهى رَوْضٌ ـفِيه أنْسَى جَذْبَ نَفْسى
عَلَّنى انْظُرُ فى صَفْـــحَتها مـأْتَمَ عُـــرْسى

* * *

أوفَخَـلوا الدَّهْرَ يَسْقينى فيرْوِى أصْـــغَرَيَّا[1]
فَلَقَدْ عُدتُ من الحُزْ نِ خيـــالًا عَبْقَـرِيًّا
أَوْ نَعيبًا فى حِمَى الأَمْــوَات لايُطْرِبُ حيًّـــا[2]
أَلْهِمُ البُــومَ رثاءَ اللَّيْـــلِ بكّاءًا شَجِيًّـــا

* * *

أيُّهــا النَّاسُ لقد نَفَّـــضْتُ من عُمْرى يدِى
وهَفَتْ رُوحى إلى رُؤْ يَة مايَطْــوى غَــدِى
آه لَوْ أَسْـطيعُ أن أعْـــرِفَ كُنْــهَ الْأَبَــد[3]
آه لَوْ أدْرِى مَصيرَ الرُّ وحِ بَعْــدَ الْجَسَــد !
آه لو أعلمُ مابَعْـــدَ فنـاءِ الْمُوجَــد[4]
أَهْوَ بَعْثٌ رُهنَتْ سَا عتُــه بالْمَــوعِــد ؟
أمْ هــو الوهْم يُريـــنى القربَ كالمُسْتَبعَد؟
آه لو أنِّىَ ما عُمِّـــرتُ أو لم أولَـــد !

١٩٤٤

* * *

(١) الأصغران : القلب واللّسان .
(٢) النّعيب : الصّيّاح والتصويت ، ج : نواعب ، نُعّب .
(٣) الأبد : الدّهر ، ج : آباد ، أبُود .
(٤) المُوجَد : الحادث ، وهو ما أنشأه الله من غير سبْق مثال .

يا حب

« إلى غانية الجن ــ حلم ليلة من ليالى الحرمان »

عَلَى نَبْعِكَ يَا حُـــبُّ تَساقَى العبْـدُ والــرَّبُّ
كُئُوسًا حُلْوُها مــــرٌّ وصَافِى رِيقهـا كربُ
وفى وَادِيكَ كَمْ ضُلِّلَ صَبٌّ واهتدى صـــبٌّ
وأَنْتَ وسَهمُك الخالـــدُ مَا تفْنَى لــه حَـــرْبُ
وَمَا لِلْعاشِـــقِ المُلْتَـاعِ فى صَبْوتِـــه ذَنْـبُ
رأت عينــاه ما يَفْتِن فَاهتزَّ لــه القلْــــبُ
وَأَسرى فى سَماءِ الرّوحِ من أَشــواقــه رَكْـــب
وأَصْدَقُ مَا بَنَــاهُ من قُصورِ هُيَامِـــه كِـذْبُ
ولا يَدْرِى .. وتَدْرِى أَنْتَ ثم يَغُرُّك اللِّعْــــبُ
فَيضْربُ سَهْمَك الخالدَ أَقْسَى ما يُرى الضَّــرْبُ
ويَفْتكُ بالضَّحَايَـــا الْهِيمِ ما يَمْنَعــه عتْــبُ[1]
وكَمْ فيهم أَخُو شَجَنٍ بَرَاه القَدَر الصَّلْـــبُ
دَلِفْتُ إِليـــه إِذ نامَ وما يَشْتَــاقُ أَو يَصْبُــو
فذوَّبتُ على جَفْنَيْــهِ حُلْمًــا كُلُّــه طرب

(١) الهيم : جمع أهْيَم والأهيم من الرجال ومن الإبل : العطشان أشدّ العطش .

فتاةٌ من بنات الجنِّ تبْدُو حينَ تَختَجِب
غَذَاهَا النورُ والخمرُ فأمْرُ جَمَالِها عجب
تُمنِّى ثم تُخلِف ما تُمنِّيه وتجْتنب
إذا أعطت بعينيها فبالعينين تستلِب
لها روحان حائرتا ن ما بينهما سبب
فَوَاحِدةٌ تُرِيهَا السُّحب أَدْنَى ما يُرى التُّرب
وواحدةٌ تُريها التُّرب أَسْمى ما يُرى السحب
لها فى مَعْبد النُّسْك وفى أَقداسه نَسَب
ويَعْقِدُهَا بما فى عَالَمِ الشَّهواتِ مُنْتَسِبُ
تحيَّر فى أَحَاجِيها وفى أَلْغَازِها اللُّبُّ[1]
هى الطير وأَكبَادُ المُحِبِّين لها حَبُّ
وَهَبْتُ لها أَغَارِيدِى وللعُشَّاقِ مَاوَهَبُوا
وهِمتُ بها مُحَلِّقَةً وَلِى فى أُفْقِها أَرَبُ[2]
فمنها الْوَحْىُ مُنْسَكِبًا ومِنِّى الشِّعْرُ يَنْسَكِبُ

* * *

سئِمتُ الحبّ إنسيًّا فما لى فى الدُّنى حبُّ

---

(١) الأحاجى : جمع أحْجُوة ، وهى الكلمة تخالف معناها لفظها ، واللّب : العقل ، جمعه : ألبَاب . وألُببٌ ، (وألْبُبٌ فى الشعر) . ويقال : أنا أحبُّك من بنات ألْبُبِى أى من أصل نفسى .

(٢) الأرَب : الحاجة . والأرب : البغية والأمْنيّة .

وللفكر الجَمُوحِ خُطًّا أُمَيِّزُها فأضطـــــرب

ولِلْفكر الجَمُوحِ أَعِيـ ـشُ مَا يثنينىَ النَّصــب

ومِــلءُ دمى صبابـــات فمـــا ينعم لى جنـب

وكم فى غانيـات الجــــنِّ للمحـروم مُطَّلَــبُ

فَمَرْحَى بالهوى الجنِّىّ ما دقَّ لــــه القلــبُ

ورِفْقًا يا بنــةَ الفِكرِ فقد أَفنــانىَ الجَـدب

وعَدْلاً أَيُّهَـــا الحــبُّ فَمَالِى فى الْهَوَى ذَنْـــبُ

١٢ مارس ١٩٤٥



نسمات وأعاصير

١٩٤٥

نسمات وأعاصير [1]

يانَدِيمَ الصَّباحِ أَتْرِعْ كُئُوسَكْ وأَذِبْ فى شَعَاعِها أتراحَكْ
سَوْفَ تطوِى كفُّ الْمَسَاءِ عَروسَكْ وتُبكِّى مع النَّدَامَى صباحَكْ

* * *

طُفْ بعَيْنَيْكَ فى الفَضَاءِ الفسيحِ وتنسَّمْ عِطرَ الصَّفاءِ الرُّوحِى
تَجِدِ الأَرضَ دُميةً أَفْرَغَ الشَّرُّ عليها صُبَابةً من قُروح

* * *

أَنْتَ عندى كسيِّدٍ مُسْتبدٌّ خَفِيتْ فيه ذلَّةُ الأَسَراءِ
كلَّما جِئْتِنِى تنادين يا عَبْدى وفى مُقلتيك روحُ الولاءِ

* * *

نادِمينى ولا تذُوقى الشَّرابا بعُيونٍ أَصفى من الصَّهْباءِ
لا تقُولى إشراق عيْنَىَّ غَابَا ودعِى ما ورثتِ عن حوّاءِ

* * *

أَنتَ تَخْشى نارَ الغرامِ علَيَّا وتُرَجِّى النَّجَاةَ من أَنْفَاسِهْ
يا صديقى أَحْسِنْ ظُنُونَك فِيّا أَنا أَرجو نداه من أَقباسِهْ

* * *

(١) أنشد الشاعر هذا الجزء من ديوانه إبَّانَ قراءته لأبى القاسم الشابىّ ، وأبى العلاء المعرّى ، والحلاّج ، وإيليا أبى ماضى .

أَيْها الحاملُ المتاعَ تمّهـــــلْ   أَىّ داعٍ يدعو إلى الإِسْراعِ
ليْسَ بُدٌّ من الفِرَاقِ فدعْنِى   أَتمتَّعْ بغيرِ هذا المتاعِ !!!

* * *

يا حبيبى نيرانُ حُبِّك شبَّـتْ   فى فؤادى والماءُ ملءُ يمينــكْ
إنَّ نزْرًا من الصفـــاءِ يُروِّيــــه ويُفنى   شكــوكه بيقينك

* * *

ضَحكَةُ اللهِ فى السَّمواتِ رَنَّتْ   وبُكاءُ الإِنسانِ فى الأَرض رنَّا
والمقاديرُ قُدِّرتْ فاطمأَنَّــــتْ   لا تُبالى ... ناح الوَرَى أَمْ تَغَنَّى

* * *

كِدْتُ أَرتاحُ للحديث عن الْقردِ ..   أَبًا أَوَّلاً وأُنْكِرُ آدمْ
بعْدَ أَن نَالَنِى بنُوهُ بما لَــمْ   أَجْنِ أَسبابَه فعفْتُ العـــالَم

* * *

أَيها المُضْجِرى بما تدَّعى من   وحدة فى الوجود أَو فى الشهودِ(١)
لا تصدِّع رأْسِى فحسْبِىَ من عَيْـــشى   حُميًّا كأْسٍ ورنَّةُ عودِ(٢)

* * *

يَا مَعَانى اللقاءِ يتَّمَكِ الهجْـرُ   فأَصبحتِ من معانى الفراقِ

---

(١) المضجر : الذى يدعونى إلى الضجر من أضجَرَه : جعله يضجر فهو مُضجر ، ج ، مَضَاجر ، مَضَاجير .
(٢) الحُميَّا : الخمْر ، وحُميّا كل شىء : حدّته وشدّته .

لستُ آسَى على الحياة إذا ما شمِمْتُها دون قُبْلة أَو عناق[١]

* * *

جَوهرُ الكَوْنِ صامِتٌ فى عُلاَه فلِمَاذَا تَحَدَّثُ الأَعـراضُ؟[٢]
إنَّ هـذا اللسانَ آفَةُ هذا النـــاسِ يَنْدَى وكلُّه أَمـــراضُ

* * *

مُشكلاتُ القضاءِ والأَقـدار حيَّرت كلَّ عاقل جبَّـــارِ
وَالبرايا مضلَّلُون استقـرُّوا بالأَمانى على شَـفيرٍ هار[٣]

* * *

أَيُّهـا الآملُ الصفاءَ مع الدَّهْـــرِ ترفَّقْ بنفْسِكَ الوسْنانه[٤]
خُذْ أَمَانًا من الزمان فإن ذُقْـــتَ صفاءً ... فذاكَ منه أَمانَه

* * *

أُرقصُوا رَقْصةَ الحياةِ أَو المَوْ تِ إذا مات سيِّدٌ أَوْ زنيمُ[٥]
لَنْ تزيلوهُمَا على القبرِ قبْرًا فيه ينْمازُ طاهـر ورجيمُ[٦]

* * *

(١) شمِمْتُها : من شمّه يَشُمُّه شمًّا وشميما : أدرك رائحته ..
(٢) تَحَدَّث : أصلها تتحدّث ..
(٣) الشّفير : الحرف والجانب والناحية ، ج : أشْفَار . الهار من الرجال : الضعيف الساقط من كبرَ السّن ، ومن الرّمال المتساقط المنهار .
(٤) الوسنانة : الفاترة ، يقال : امرأة وسنانة : فاترة الطّرف .
(٥) الزنيم : الدّعيّ ، وهو الملحق بقوم .
(٦) ينْماز : بمعنى ينفصل وينعزل .

رجلٌ يشربُ الحميمَ ليَحْيا فيُسَمُّون صُنْعَه تَدْجِيلَا[1]
وأُناسٌ لمْ يَمْتَطُوا الأَرضَ إلَّا لِيزيدُوا أَهْلَ الحمِيمِ عويلا

* * *

أَشْعِلُوا فى بيتِ الْمُعَرِّسِ نارًا يَتَنَشَّقْ دخانَها التُّعَسَاءُ[2]
حكمةُ البؤسِ والرفاهة جُنَّتْ ، فتولَّى ترويضَها الجهلاءُ

* * *

يا مَطِيَّ القضاءِ أَضْنَاكُم السَّيْرُ فثوروا بَطَبْعِكم لا بِطَبْعهْ[3]
أَوْ فناموا وانْسوا الشَّكاةَ فما تُجْدِى ، ولم تُجْدِ آدماً بَعْد وقْعِه

* * *

هنَّأُوا الأُمَّ بالوليدِ ومرُّوا بأَبيه يكرِّرُون التَّهانِى
وهُمُو لوْ دَرَوْا لعزَّوه فيه فلقدْ جاءَهُ خَريف الزَّمانِ

* * *

أَعجبُ الأَمْرِ فى التحيَّة أَن النَّاسَ يُلْقُونها سَلَامًا وَرحْمهْ
هيْكَلُ اللفظ فارَقَتْهُ المَعَانِى وهى نُسَّاكُه فأَنتج عُقْمَهْ[4]

* * *

(١) الحَميم : الجمر يتبخّر به ، والماء الحار ، والقيظ .

(٢) المُعرّس : بائع الأعراس أى الفُصلان الصّغار ، والفُصلان : جمع فصيل وهو ولد الناقة إذا فصل عن أمّه .

(٣) مَطىّ : جمع مَطيّة وهى الدابة التى تُمتَطى .

(٤) النُسّاك : جمع ناسك وهو العابد المتزّهد .

حَسبوا الدَّهْرَ غافِلًا عن خُطَاهم فأَقاموا مجانةَ الميلادِ[1]
رَحْمَتا للأَنيسِ يصنع سلوا هُ ليقتصَّ من عداءِ العوادى

* * *

فى الأَناسىِّ من يميت شُعوبا بسُمُومٍ يظنُّهن شفاء
كالذى أَغْرقَ السّفينَ بما خفَّتْ من الماءِ .. حين خَاف الماء

* * *

أَنا أَجْترُّ أُمْنِيَاتى إذا لم يخلُق الحبُّ أُمْنِياتٍ جديدهْ
أَيْن سَمْعُ الْحَبيب أَسْكُبُ فيه مِلْءُ جنبىَّ من أَغانٍ شَرِيده

* * *

كلُّنا فى الحياةِ يخْشَى من الْمَوْ تِ فيا فَرْحَتَا لأَهل القبورِ
عرفُوا البدْءَ والختامَ جميعاً فاطمأَنُّوا لِحَالِكِ الدَّيْجُورِ[2]

* * *

لا تلُمْ من تعيشُ فى كَنَفِ العرض فقد آدَهَا صِراعُ الحياةِ[3]
ربَّمَا ضمَّ شامِخُ مُومِسَ النَّفْس وفى وجهها حياءُ فتاةِ

* * *

أَيُّها العَصرُ لاتَتِهْ إن كُوخى ليس يخشى قَسَاوة الزِّلْزالِ

---

(١) المجانة : المزاح وقلّة الحياء ، فهو ماجن ، ج : مُجّان .
(٢) الدّيجور : الظلمة .
(٣) آدها : أعجزها وأجهدها .

أنا فيه سُلطانُ نَفسى وسُكَّا   نُكَ عُبْدَانُ نِشْوةٍ أو مالِ

* * *

قال لى الحظُّ مرّة وهو يجرى   خَشْية اللَّمْسِ من ذراعى المديدِ
سوفَ آتيك طائِعاً بعْدَ أَن يُنْـ   ـشَرَ مَا فى الغيوب من تجْعِيد

* * *

غمراتُ السُّكون فى الليل تُنْسيـ   ـنى أَفانينَ من ضجيج النهارِ
وخلقى معبدى وشِعْرى تَسْبيـ   حِى فبُعْدًا للناس من سُمَّارِ

* * *

قل لمن طاول السماء عُتُوًّا   لا عُلوًّا وعِثْيرًا لا غمامًا ..[1]
انْكَمِش قبل أَن تمزِّقك الرِّيحُ   وتذرُوك فى الجواء حطاما[2]

* * *

أَنْتَ رجسٌ مُذَوَّبٌ فى كُئوسٍ   مُلئت من طهارةِ الإيمانِ
كيفَ أَسْطيعُ أَن أُروِّى بكَ التُّرْ   بَ ومنك ارْتوتْ ظِمَاءُ الأمانى[3]

* * *

أَتقولين إنَّنى لستُ إنسا   ناً لِمَا شِمْته من استحيائى

(١) العثير : غبار الوقائع .

(٢) الجواء : الواسع من الأودية ، والحطام من كل شيء : ما تحطّم منه ، ومن النبات : مايبس ، ومن الدنيا : متاعها .

(٣) ظماء : جمع ظامىء وأظمى وهو العطشان ، أو من يشتد عطشه ، ويقال كذلك هو ظمآن وهى ظمآنة وظمأى .

أنتِ جمرٌ شبّته أنفاسُ ماضِيـــــه فمـا يَنْطفِى بغير المـاءِ

* * *

مِلْءُ عينيْك غَمْرةٌ من غمامٍ أَفْعَمَتها الأَيـامُ دمعاً سخينا
فاسكبيه ينبتْ أَزاهرَ نِسْيا نٍ فلا تذكرين بعدُ الشُّجونا

* * *

كمْ عَلَى الأَرضِ من بَنيها حَيَارَى ضلَّلتهم فى بِيدِهـا النَّكَباتُ
سَبقُوا العمرَ فى طِلابِ الأَمانى فإذا العمرُ والأَمَانى فُتــاتُ

* * *

ياحبيباً يعـــزُّه أَن أَذِلّا ســوْف أَنْسَاكَ قبل أَن تَنْساني
وكَفَــانِى ماذُقْتَ نَهْلًا وعلّا أَيّها الخالدُ الذى أَفْنـانى[1]

* * *

أَنْقِذينى يا كأْسُ من عَبَثِ النَّا سِ فهم فى وقــارهم مِسلاةُ
رُبّما كان فى المواخِير نُسّا كٌ وفى المَعْبدِ الطَّهور عُصَاةُ[2]

* * *

لاتُنادِ السَّــاقى فكم من كُئُوس مُفْعماتٍ شربتهــا من يَدَيْهِ
خِلتُها سَـلْوة الفؤادِ عن الْجَمْ رِ ، فكانتْ جَمْرًا يزيد عليه

* * *

(١) النّهل : الشرب أولا ، والعلل : الشرب ثانية .
(٢) المواخِر : جمع مَاخُور ، وهو بيت الرّيبة ، و مَجْمَع أهل الفسق ، ويُجْمَع الماخُور كذلك على مَوَاخر .

يا سُقَاةَ الْغَرَامِ بالأَعين النُّجْلِ كُئوساً ... مشبوبة القطراتِ
هاهُنــــا ظامِئٌ يَحنُّ إلى كأْسٍ يُفَــدَّى حبَــابُها بالحياةِ

* * *

يا رهيبَ السكون ياليــل ما أَعْــجَبَ حالى على الغرام وحالَكْ
أَنْتَ فى هَجْرِها عجوزٌ تمطَّى وَلَدَى القُرْبِ شــامخٌ يتهالكْ

* * *

إن رأَيْتِ السُّــهومَ فى نَظَراتى والبكاءَ الحزينَ فى كلماتى[1]
فاعْذرِينى فقد تحطَّمت الكأْسُ وكانت عبادتى وصلاتى

* * *

صَدِئَ الحرُّ فى يمينكِ يا دُنْــــيا ودام النَّقــاء للأَكدار ! !
أَربيعُ الحياةِ يُقْسَم للشَّوْكِ ويبقى الخريف للأَزهارِ؟؟

* * *

يا طُهَاةَ الحُظُوظِ حسْبُكم الصَّمْـــتُ دليــلاً على شــقاءِ الجياع
تُسْمِنُون الذئبَ السَّمين لِيَسْتَــــشْرِى على الشَّاةِ فيه داءُ الصراع[2]

* * *

يا صحارَى الحرْمانِ ما أَصْنعُ اليــومَ وقد هزَّنى نداءُ الروابى[3]

(١) السّهوم : تغيّر اللّون عن حاله لعارض من همّ أو هُزَال .
(٢) يستشرى : يعظُم افتراسُه للشّاة ويتفاقم .
(٣) الرّوَابى : جمع رابية وهى ما ارتفع من الأرض .

لاتَلُومِى سُؤلى فقد آدَنِى السَّيْـــــرُ ولمَّا أَفُزْ بغــير السَّرابِ[1]

* * *

لَهْفَ قلْبِى متى ينــالُ أَمانِيــــــه فيعلُو فوق الزّمان السّاخِرْ
فى ربيع الشَّباب يرْجُو ويخشى وهو بيْن المُنى وبين المقادرْ

* * *

يا دُمَاىَ التى أَضعْتُ شـبابِى أَتغنَّى بحُسْـنِها فى الخيالِ
أَنْتِ مِثْلى غريبةٌ غربة الدُّرَّ (م) ةِ تفنى فى حَمْأَةِ الصلصالِ[2]

* * *

لَسْتُ أَدْرِى أَفى الأَناسِىِّ خيْرٌ يُرتَجَى .. أَم أَرضى بهم أَشرارا؟
حَيْرتى حيْرةُ الشَّريدِ على القفْرِ يُرَجِّى نُورًا فيشربُ نارا

* * *

إِيه يا مُخرجى الرّوايةِ هل كان عليكم فى نقْص دوْرِى جُنَاحُ؟
أَنا مثَّلْتُه مرارا فما ارْتَحْـــــتُ ومَن لم يُمثِّلوه استراحوا

* * *

كلّ هــذا الجمالِ للقبر يا رَبّ؟ أَلاما أَشقى ضحايا الجمالِ
عبدوه ربًّا .. يُميت ليُحيِي وهُــداه مُجمَّــع من ضلال

* * *

(١) السَّراب : ما يرى فى نصف النهار من اشتداد الحر كالماء فى المفاوز يلصَق بالأرض .

(٢) الحمْأة : الطّين الأسود المُنْتِن ، والقطعة منه . والصلصال : الطين اليابس .

إن رأيْتِ المجْنونَ يعْبثُ بالنا ... رِ فلا تقْرَعِى بَنَانَ النَّدامَه
هو عقْلُ الحياة خَبَّلَه الشَّكُّ (م) فأَنْساه نوره وظلامه

* * *

عجِّلِى الْخَطْوَ قبلَ أَن يُشرِقَ الْفجْرُ فنمضى مُفَرَّقِين مكانا
نحنُ فى الليلِ طائِران سَعيدا ... نِ نُغَنِّى بالفرحةِ الأَكْوَانا

* * *

قبِّلِينى ياربَّةَ الحبِّ إن شِئْتِ وإن شئت قبِّلى الأَطْلالا [1]
نحنُ سِيَّانِ فى الشقاءِ وإنْزِدْ ... تُ عليها الحنين والتَّسْآلا

* * *

يا بَنِى الأَرض لستُ منكم وإن عَا ... شَرْتُكم .. عِشْرةَ العَزُوفِ العَيُوفِ [2]
مُكْرَهٌ لا مُخيَّرٌ ... وفنائى ... كوجودى ... مقيَّدٌ بالظُّروفِ

* * *

دُنِّسَ الواعظُ القديرُ فأَخفى ... رجسَه فى غلائل مِنْ بَلاغهْ
أَحْرِقُوه .. فليسَ أَخطرَ منه ... ودَعُوا الشَّمس كى تسدَّ فراغهْ

* * *

أَسْعدينى فى مأْتم الحُبِّ والْقَلْبِ إذا ما أَردْتِ أَن تُسْعدينى

(١) الأطلال : جمع طَلَل، وهو مَابَقِىَ شاخصاً من آثار الدّيار ونحوها، والطّلل من الدار : موضع مرتفعٌ فى صحنها يُهيّأ لمجلس أهلها ، أو يوضع عليه المأكل والمشرب ، ويجمع أيضاً على طُلُول .

(٢) العَزوف من الناس : من لا يثبت على مصادقة أحد . والعيوف مبالغة فى العائف ، وهو الكاره للشىء المتعذّر له .

أَوْ دَعِينى أَنْدُبْهما وأُطهِّر صَلواتى براهباتِ الجُفُون

* * *

يابْنةَ الحبِّ والشَّبابِ هبِينى لم أُكَذِّب ماقلت فى النِّسيان
ماتقولين حينما يبْعَث الْحُبُّ رفاتاً مُكَفَّناً بالأَمانى[1]

* * *

أَرْضِعى الطِّفلَ يامهاةُ فقدجَا عَ ،ولا تُوقِظيه إن كان نامَا
أَوْ فقولى .. أَلَسْتِ ترْجِين أَن لو لم يكُن .. كى لايثقل الأَيَّاما

* * *

أَنا فجْرٌ طَوَتْه راحةُ ليلٍ مُسْتخفٌّ بالْكَوْن والْكَائِنينا
آهِ لوْ شُلَّ فانفَلَتٌّ لِأُحْيِى أَوْ أُحَيِّ بِنُورِىَ الْحَائِرينا

* * *

سَجَنَتْنى الأَقدارُ فى قَفصِ الطِّين ولم تَنْسَ أَن تشُدَّ وَثَاقِى
ليْتَها تَفقِد العنان لأَفْنى ولتَفْنى شَقَاوَتى واحْتراقى

* * *

لستُ عبْدَ النِّفاق يا قومُ فامضوا واستعينوا بمن يعيش نِفاقَا
حَسْبُكمْ أَننا توائِمُ فى الْقيْدِ وإن كنتُ أُوثِر الإنطلاقا

* * *

أَيُّها الفيلسوفُ أَنْفَقْت أَيَّا مَك فيما لايُشْترى بِرَمَادِ

---

(١) الرّفات : الحطام والفتات من كلّ ما تكسّر واندقّ .

بيْنَنَا قصةُ الوجـود .. فحدِّث أَهِيَ زادتْ عنْ يقظةٍ ورُقادِ

* * *

سائل الأَرض هل خَلَتْ لحظاتٍ من تَلَقِّى الأَموات فى كلِّ حينِ
ثمَّ دَعْنى إن لم يَرُقك حديثى عنْك يا بن الرَّقطاءِ والتِّنِّينِ[1]

* * *

حدَّثوا القردَ مرَّةً عن جميلٍ وصفوهُ بأَجْمـلِ الأَوصافِ
فلَوَى ذيْلَه احتجاجا وقال الْـيوْمَ ضاعتْ شريعةُ الإِنْصَافِ

* * *

ربِّ ما أَعجب الأَناسيَّ حـوْلى يتغنَّوْنَ ... والمجـازرُ تَبْكى
فاعْفُ عنِّى إمَّا شككتُ فمن صُنْـعِكَ يا خَالِقى . يَقينى وشَكِّى

* * *

عَبَدَ الأَقْدَمُون أَرْبابَ فِكْرٍ وشَدَوْا فى تقْدِيسِها الأَلْحانَا
وعبدتُم أَنتُم عَبيدَ تُرابٍ وبذلْتُم حَيَـاءكم قُرْبـانا

* * *

يا حبيبى ماذا تُرجِّى من الْهَجْـرِ أَذلّ الفؤاد ؟ أَم نسيانى ؟
أَىَّ ذنْبٍ جَنَيْتُ فى الحُبِّ ؟ حتى تَسْتَبِيكَ الدموعُ من أَجْفانى ؟[2]

* * *

---

(١) الرّقطاء : ضَربٌ من الحيّات أو العَظاء به رقطة ، ج : رقْطٌ . التّنّين : جنس من العَظَاء له رجل أو يد ، فيها أربعة أظفار على نَسَق ، وخامسة فى الكفّ ، وفى رأسه جُمّة شعر ، ومنه ضربٌ بحْرىّ . .

(٢) يستبيك : يأسرك من سبى حبيبَه يسْبيه سَبْياً وسبَاءً : أسره .

رَجِّعِى يا طيورُ أُغْنيةَ الْفَجْرِ فقدْ حنَّ هاجرى للقائى
واسجدى إن أَلمَّ (يَجْمعُه اللَّه) مُذِيبُ الجُفونوالأَحشاءِ

* * *

قدَّر الله أن تكون للشاعر خادمةٌ من أهلهِ، وآلمه نداوُها (يا سيِّدى) فقال :

* * *

لاتُنادى (يا سيِّدى) فَلَقَد ضمَّكِ بى واحدٌ من الآباءِ
نحنُ سيَّان فى السيادةِ لكنّ القضاءَ الأعْمَى أَساس الدَّاءِ

* * *

وأَعطاها دريهمات ففرحت فقال :

هذه المُخْرَجاتُ من كَبِدِ الأَرْضِ تُعينُ المِسْكين فى بلوائه
رحْمتا لِلْغريقِ فى مائجِ التِّيهِ يخال البأْسَاءَ فى نَعْمائه(1)

* * *

ياصدى الصَّوْتِ ضعْتَ مثل ضَياعِ الصَّمْتِ.. بلْ أَنت زِدْتَ عنه ضَيَاعا
أَنْت مثَّلْت لى أَمانىَّ لمّا لمْ تجدْ فى أُفقِ الحياةِ شعاعا

* * *

كتب اللهُ لن يضيع تقىٌّ فلماذا أَرى شقاءَ التقىِّ
ملءُ دير الأَحزان رُهْبانُ دمعٍ كُلُّ بَرٍّ منهمْ بأَلْفِ نبىٍّ

* * *

(1) مائج : مرتفع ، من ماج البحر يموج موجاً وموجاناً : إذا ارتفع ماؤه واضطرب فى عنفوان.

أَيّها الضَّاحِكُون فى مأْتم الجِسْـــــم سلاماً من ضاحكٍ مجهولِ
لمْعةُ البِشْرِ فى مآقيه برقٌ يتَنَدَّى بالْهـــاتن المغلول(١)

* * *

قُبلةُ الشمس للزهور جحيمٌ أَخمدَتْهُ جـــداولُ الأَنداءِ
هكذا قُبلَةُ الْمَشُــوق لِطيْفٍ من هواه...ينسابُ فى الظلماءِ(٢)

* * *

أَيها الزَّاهدُون فى غمرةِ الْإِثْــــم سـلامًا من زاهدٍ عبقرىٍّ
أَطْلَقَ الخيرُ رُوحَه وقضى الشَّرّ (م) عليــه بقيـــدهِ الطِّينىِّ !

* * *

يا بْنَةَ الخمر والسَّنا أسْكريني ودَعينى أَعبُّ مِنْ أَضْوائِكْ
فَنِيتْ جمرةُ الضُّلُوع وكانت قائدى إذ أَتِيهُ فى صحْرائِك

* * *

حينما تسمعين أُغْنيةَ الْحُبِّ فلا تَهْزَئى بما تسْمعينـــا !
إنه حاطبٌ يجوب اللَّيـــالى علَّه يصْطلى فؤادًا حزينَـــا

* * *

أَيُّها الكوكب الْمُشِعُّ من الشُّــرْ فَةِ نُورًا يُضِيءُ قلْبَ النَّهارِ
كَمْ أُلُوفٍ تمرّ ـ دونى ـ فلا تَعْـرفُ مَا بَيْنَنا مــن الأَسْـــرارِ

* * *

(١) الهاتن : الكثير القطر ، من هتن الدّمع : قطر .
(٢) المشوق : المهتاج ، من شاقنى الحبّ إليه يشوقنى شوقاً وتشْواقاً هاجنى .

عجِبَ اللهُ من فقيرٍ يُزَكِّى وغَنىٍّ يُحنِّطُ الأَمــوالاَ[1]
لِىَ قلبٌ يزيِّن البؤسَ للنَّــا س ويرجُو لو كان أَبْأَس حَالاَ

* * *

يا شروقَ الحياة أُنْسيتُ لَأْلا ءَك إِذْ ضمَّنى ظلام الغــروب[2]
مَنْ يُجِيرُ الْغَديرَ يَرْوى جُدوبًـا ثمَّ لاَ تَرْتوى شفاهُ الجدوب[3]

* * *

أَقمارٌ فى الحبِّ ؟ ما أَخْسرَ الرِّبْحَ إِذا كنتُ رابــــحَ الأَوراق
ملْءُ كَفَّيْكِ خافقى .. فاحْفَظيه ليُغنِّيك غُنوَةَ الأَشـــواق

* * *

يوَم أَن هــزَّنى نداءُ اللَّيـالى الـ بيض من ناظريْك .. خُنْتُ اصْطبَارى[4]
حَدِّثينى أَتُخْطِئُ العين حُسْنًـا أَمْ غَرَامى مُضَلَّلُ الأَقـدار ؟

* * *

ما هُيامى بنَيْـلِ قلبـك إِلاَّ خَدَرٌ من سُلافَةِ النَّظَرات[5]
وحنينى إِلَيك وهو يمينى !! أَنْقذينى من حُرقةِ الزَّفرات[6]

* * *

(١) يحنّط : يضع الحنوط فى الأموال . والحنُوط : كل ما يخلط من الطيب لأكفان الموتى وأجسامهم خاصة من مسْكٍ وعنبر وذريرةٍ وصَنْدل وكافور وغير ذلك .
(٢) اللألاء : ضوء السّراج ونحوه .
(٣) الغدير : القطعة من الماء يغادرها السّيل ، ج : غُدُرٌ ، غُدْرٌ ، غُدْرَان .
(٤) الاصطبار : التجلّد وعدم الجزع مع الهدوء والاطمئنان .
(٥) السلافة : الخمر .
(٦) الزّفرَات : جمع زَفْرة ، وهى التنفس مع مدّ النفس الحار تشبيهاً له بزفير النّار .

يومَ أَن قُلْتِ لى (أُحِبُّكَ) بِاللَّحْظِ أَذَبْتُ الفؤادَ شوقًا وشعْرا !
ليْتَ سِتْرَ الغُيُوبِ يؤذِن بالفُر قةِ حتى أَسْقيك حُبًّا وطُهْرا

* * *

أَىُّ قلبَيْنِ فى الصَّبابةِ قَلْبَا نا ؟ ومِنْ أَىِّ عَالَمٍ قُدُسىٍّ
جمعتْنا على طريق الأَماني رَبَّةُ الدَّمْع والبكاءُ الْخَفىِّ

* * *

يا شعاعَ الصّفاءِ فى أُفق الْحبِّ سلامًا من مُدْلجٍ حيرانِ[1]
فجَّرَ الدّمْعَ فى مآقيه حُبٌّ عبْقَرىٌّ النَّوالِ وَالحرمان

* * *

أَىُّ دينٍ يحرِّم الدَّمعَ والشَّكْوَى على عاشقٍ بَرَاهُ حنينُه ؟؟[2]
لا تلمنى إذا بكيتُ فقلبى صَمْتُه كُفْرُه ونجواه دينُه

* * *

يا شِفَاهَ الحبيب إنك فى الرَّسْمِ سَرَابٌ وقُبْلَتى ظمآنهْ
ليْتَنِى إذ نسيتُه فِيكِ أَنْسَى عَبَراتى إمَّا ذكرتُ حَنَانَهْ

* * *

أَىُّ سرٍّ تُطْوَى خفاياهُ عَنِّى حينَما أَلْتقيك فى الأَحْلام ؟
تنْشُرِين الضِّياءَ ثم تغيبيـ نَ فلا تنشقينَ عطْرَ سلامى

* * *

---

(١) المُدْلج : مَنْ يسير فى أول الليل، والمدْلج كذلك : القنفذ ، ويقال له : أبو مُدْلج .
(٢) برَاه : نحته وسوّاه .

صَبَوَاتى ضاعَتْ فَرُدِّى علىَّ الْ   يومَ ما تكْنزين من صَبَواتى
واعذرينى (وقد بخلت) إذا طا   لتْ على نَضرة الصِّبا حَسَـراتى

* * *

حَلَف الكافــرونَ بالحُبِّ (م) فماذا أَبقــوه للْمؤمنينـــا
يا فؤادى ماذا عليْك إذا خُنْتَ هَوَاهــا فلا تُعانى الشُّجُـــونا

* * *

ذَمُّوا من كَرِهْتُمُوه وحَيُّــوا   بالتهَّاليلِ من تَحَبَّبْتمــوهُ [1]
ما أَرَى العَدْلَ بَيْنَكم غير بَيْتٍ   رافعُوه فى النَّاس هم هادمُوه

* * *

حبَّذا لو جهِلتُ أَنِّىَ حىٌّ   لأُقضِّى الحياة صافىالحيـــاة
أَنا أَمْشى فى النَّاس بائع خُبزٍ   زاهدًا فيه قانعًا بالْفُتَـــات

* * *

يا ضَميرى أَكُلَّمَا قدَّمَ الدَّهْرُ نُضَارًا دَفَعْتَـــه مُهْتَاجَـــا
هَبْه خِلْوًا من السَّنَا أَفَلاَ يَجْمُلُ بى أَن أُنيلَــه مُحْتاجَـــا ؟

* * *

لا تُحدِّثْ عن النُّبوَّة والْوَحْى وحَدِّثْ عن باعث الأَنبيـــاءِ
لِمَ لَمْ يَجْعَلِ النبيّين فَرْدًا   سرمدىّ الكتابِ والأَنبــاءِ

* * *

(١) التّهاليل : الإشراق والتلألؤ ، من تهلّل الوجه فرَحاً : تلألأ وأشرق .

لا تقُلْ لى تطوَّر الكونُ والْكَـا ئنُ حتَّى تزيد فى تسْـآلى
وانْطلقْ تبصر الوجود مثالا فقدتْ فيه غيرةُ المثَّـال

* * *

صُوَر الكائنين أَدْعَى إلى السُّخْـر سواءٌ فيه الثَّرى والثُّريَّا
يا قُرودًا منقوصة الْخَلْق .. غيبى لأَرَى الموتَ مُسْتَنير الْمُحيَّا

* * *

أَنا سَكرانُ فاعذرينى إذا أَيْـ قَظَت الكأْسُ نائم النَّزَوات[1]
تاه عَقْلى فلا أَقَلَّ من النِّسْـيَانِ أَرجوه كى يطولَ سُباتى

* * *

غافلينى وأَتْرِعى الكأْس حتى لا أَرَى الرِّجْسَ فى يدٍ قُدُسيَّهْ[2]
رُبَّ جَمْرٍ . يا أُختُ .. يُطْفَأُ بالْجَمْرِ وَحَيٍّ يحيا بِكأْس المنيّـهْ

* * *

يا دُموعى ماذا يَكُفُّـكِ عنِّى أَنا فى مَهْمهٍ فَكُونى غمامَـا
ليْسَ فى النَّاسِ مَنْ يُصابُ فأَبْكِيـهِ ولو كان فى التُّقاة إمامـَا

* * *

ثَوْرتى ثورةُ الْجَواد نفـاه حظُّه فى مُهَاجَر البخـلاءِ
كمْ تمنَّيْتُ صَفْوَ يومٍ فلم أُعْـطَ سِوى خَيْبَتى وطُولَ عَنَائى

* * *

---

(١) النَّزوات : جمع نَزْوة ، وهى الوثبة ، يُقال مَزَج الخَمْرَ فنزت فقاقيعها ، والنزوة الطموح إلى الشيء والمنازعة عليه .

(٢) أترعى : املئى .

إيهِ أَشْلائىَ الطَّريحةِ فى النَّـــا سِ لقدْ كُنْتِ مِلْءَ عَيْنِ الأَمانىّ[1]
أَوَلَمْ يكْفِ هاجرى أَنَّ كــأْسِى فرَغتْ من سُلافةِ النِّسيـــان

* * *

لسْتُ أَنْنى ضرورةَ الفرق بين النَّـــــاسِ فيما يُعْطَوْن من أَرْزاق
غير أَنِّى أُريدُ أَنْ أَسْأَلَ الْقَــا سِمَ أَلاَّ يزيدَ فى إِمْــلاقى[2]

* * *

يا إلهى أَثْقلتَ أَرْضَكَ بالنَّــا سِ .. فناءت وما تُطيق احتمالا
لِمَ هذا الإِسْراف فى الخلْق يا رَبّ ؟ أَهَدْيًا تُريدُه أَمْ ضــــلالا ؟

* * *

قِيلَ إنَّ الخلــودَ للطَّيِّبِ الذِّكْــــــرِ يَرُدُّ الحيــاةَ بعــد الْمَمَاتِ
نبِّئُونى ... أَلِلْخُلُودِ . خُلُــودٌ ؟ ثمّ دَاوُوا عُقُولكم بالسُّبات

* * *

أَغْرَق اللهُ ضاحِكًا من بَرَايَا هُ يُمَنُّون ميتَهم بالخُلُود
يا غرورَ الفانين حسْبُكَ لهوًا وكفاهم مناحةَ الْمفقــــودِ

* * *

سَوْفَ أَطْويكِ يا لَيَالِىَّ فى الْغَيْــــــبِ كطَيِّى لِسَالِفَــاتِ اللَّيَالِى

(١) الشِّلْو : العُضْو .. وهو القطعة من اللحم ، والبقية من كل شىء ، ج : أشلاء ..
(٢) الإملاق : الفقر ، من أملَقَ الرجُل : افتقر .

بين كأْسٍ حمراءَ من نارِ لَيْــلاَ ىَ ... وشكٍّى فى عَوْدِها لِلْوِصال

* * *

ويْحَ من طنَّب الزمانُ عليــه خَيْمَةَ الحُزْنِ فى ربيع الشَّباب
تَخِذَ اللَّيْلَ والمدامع والشِّعْــــرَ عَزَاءً عن فُرقَةِ الأَحْبَــاب

* * *

أَنْكرِى (إنْ قَدَرْتِ) حُزْنَ أَغَاريـ ـدى وقد أَنكرتِ الغرامَ الحزينا
أَنت كأْسى فى حانة الحبِّ والشِّعْــرِ...فكُونى عقلاً أَكُنْ مجنونَا

* * *

بيْنَ جَفْنيْك حانةٌ من لِحَاظٍ مُسْكراتٍ حينًا...وحينًا سُكَارَى[1]
باركَ اللهُ ما بِهَا من كُئُــوسٍ جَمَعَتْ هدْأَةَ الدُّجى والنَّهَــارَا

* * *

عطِّرينى بطيب أَنْفاسِــك الْحَمْــــراءِ وافْنَىْ صبابةً وعِناقا
أَنتِ حَيْرَى بَدَتْ لحيْرانَ فى الْقَفْـــرِ فزادتْ شمسَ الْهَوى إِشْرَاقا

* * *

اهْزئى بالشَّقاءِ ما دامت الْكَـأْ سُ . وما دام حبُّنا فَيْنانـــا
إنَّ مَنْ قَدَّر الشقاءَ علينـــا خلَق الكأْسَ والْهَوَى نِسْيانـــا

* * *

لا تلُمْنى إذا نقمتُ على النَّـــا سِ فقدْ مَضَّنى ضلالُ الناس[2]

---

(١) اللِّحاظ : مؤخر العين مما يلى الصُّدْغ ، ج لُحُظ . .
(٢) مَضَّنى : آلمنى من وجَع المصيبة .

كُلَّما دَاويْتُ جرحى حنُونًــــا قذفُــونى بضَيْعة الإحْســـاس

* * *

سأَل الطِّفلُ والديه عن الشَّيْـــطانِ فاستضْحكا .. حنانًا وسُخْرا
وهُــو شرٌّ لخالدٍ قيَّدَ الْعَقْــــل وأَخفَى تحْتَ المخــاوف سِرًّا

* * *

أَيُّهذا الشيطانُ إن تكُ عبــدًا فأَنَا الله خالق الشيطــــان
لم أُدَنِّس نفْسى بخلْقكَ إلاَّ حينما كنت من بنى الإنْسانِ

* * *

لَك منِّى تشوُّقٌ يُرْمِضُ الرُّو حَ ؟ ولى منك خالدُ الأَعذار؟[1]
آه من خافقى ... ومن أُمْنيــاتٍ غرِقتْ فى مَسَابحِ الأَقــــدار[2]

* * *

أَنا كُلِّى مُنًى فماذا تُمَنِّين ؟ أَجيبى مُريدةً .. لا مُــــرادَهْ
إنْ أَكُن معبدًا فأَنت إلٰـــهٌ أَفْرَدَتْــه خواطرى بالعبــادهْ

* * *

اعفُ عنِّى يارَبِّ إن ضاعَ عُمرى بين شكِّى وحُرْقتى و كُئُـــوسى

---

(١) يرْمض : الرّوحَ : يحرقها ..

(٢) مَسَابح جمع مَسْبَح ، اسم مكان من سَبَح أى مكان السّبْح ، فالمسابح هى المَعَاوِم : جمع مَعْوَم .

ليس فى النَّاس خَيِّرٌ وحُظُـوظى   خُبِّلَتْ فالسُّعود مثل النُّحوس[1]

* * *

سبِّحى يانجـــومُ لِلّهِ ربِّى   وهو ربُّ النجومِ والأَفْـــلاك
إنَّ من لايُسبِّحُ اللهَ فى الكـوِ   نِ بعيدٌ عن ساحة الأمــلاك

* * *

لا تقولى سهامُ عينَىَّ حَمـرًا   ءَ تُغنِّى شوقًا وتسقى حِمامًا
إن عينَ الأَقدارِ أَفْتَكُ إيـــلاَ   مًا . على خافقى . وأَمضى سِهامــا

* * *

عجِّلوا السَّيرَ بالفقيد إلى قبْـــــرٍ يناديــه تُربُه والرِّجامُ[2]
وترفَّق يا قبرُ إن كنتَ جَوْعَا   نَ فَمنَّا الطَّعَامُ والإِطعـــامُ

* * *

يا أَبى آدم الحزين على الفـرْ   دوسِ ترجو من غاصِب الحقِّ حقًّا
ما الذى ضرَّ لو نقِمت لِمَا نَــا   لَكَ بالإِنتحار كى لا نشْـقى

* * *

---

(١) السعود : سُعُود النُّجوم : عدة كواكب يقال لكل واحد منها سَعْد كذا ، ومنها سعد السُّعود وهو أحدها . والسُّعود كذلك : جمع سَعْد وهو اليُمْن ونقيض النحس . أما النحس فهو الضُرّ والجهد ، ج : نحُوس وأنْحُس ..

(٢) الرّجام: جمع رجمة ، وهى حجارة تنصب على القبر .

يا لُبَابَ الحيـاةِ يا فنُّ ما أَسْـــــعدنى إن أَضعْتُ فيك اللبّابا[1]
هم يقولون جُنَّ بالفكر والشِّعـــــرِ أَلاَ مَا أَسْمَى الجنونَ الصوابا

* * *

سأُريكم آياتِ فِكْرى وشِعْـرى علَّكمْ ترتضُون منِّى الغرورا
لَعَنَتْنى الحياةُ إن ضاع عمرى خافيًا رغم رفعتى مغمورا

* * *

أَيُّها الفارغُونَ إلاَّ من المــــالِ ومن حاشدٍ من الأَلْقابِ
لا تظنُّوا الحياة ما تُخرجُ الأَرْضُ فَلأْلاَؤُها خِدَاع سراب[2]

* * *

إجْرِ يا نيلُ باكيًا فعلى أَرْضِكَ تجرى الحُظُوظ جَوْرًا وظُلمَا
حُرِمَ المالِكُ الأَصيلُ وعاف الضَّ (م) يْفُ ما يقتنيه أَكلاً وهضما

* * *

أَيُّها الشَّاربون من كَرَمِ النِّيلِ رويدًا فالظَّامئـون كثيـر
لكم القصرُ. والبنـاءُ عليهم وهُدَى العدْلِ بَيْنَكُمْ يَسْتَجِير

* * *

وَحْدَتى هِجْرَةٌ إلى الفكْر فى الكوْنِ . وكَونى فى الناس هجرة فكرى

---

(١) اللّبّ: العقل، ج: ألبابٌ وألبُب .. ويقال: أنا أحبّك من بنات ألبُبى، أى من أصل نفسى.

(٢) اللألاء: ضوء السراج ونحوه. والسّراب: ما يُرى فى نصف النهار من اشتداد الحرّ كالماء فى المفاوز يلصق بالأرض.

لَيْتَ حبلَ الوجود يُقْطع عنِّى ليمدَّ الفناءُ أَسبابَ قبْرى

* * *

عَبَثُ النَّاس بِالصّداقة أَلْهانى عن الفكْرِ فى حياة الصّداقهْ
ليتهم قابلوا حَنَانى بتَحْنَانٍ وخلَّوا زُورَ الثَّرى ونفاقَهْ

* * *

أَنا من عَالَم الأَراجيف أَقْبَلْتُ فمنْ أَىِّ عالمٍ أَقْبَلْتِ(1)
آه لو كُنْتِ غيرما أَنْت فى قلْبى ومَنْ أَنت يا تُرى من أَنْت

* * *

صَرْخَةُ الشَّكِّ فى دمى أَفْزعتنى فأَرِينى اليقينَ حتَّى أَرَاكِ
أَو فغيبى عَنِّى فما أَنْتِ إلاّ رِدَّةٌ فى خواطرِ النُّسَّاكِ

* * *

أَنا قَدَّستُ فى الغرامِ سَناه وخَلَقْتُ النَّهارَ من إظْلامِهْ
لَيْتها حين قَدَّستْه ظلامًا سجدَتْ مرَّةً على أَقْدامه

* * *

أَيّها القائلون بالنارِ والجنَّةِ والحشرِ فى غدٍ والحسابِ
حسبُكم أَنَّكُم تخافون أَوهامًا وحسْبِى بقيّةٌ من صوابِ

* * *

---

(1) الأراجيف : جمع إرْجاف ، وهو الخبر الكاذب المثير للفتن والاضطراب .

كِذْبٌ أُفْنِى روحى وعقلى وجسمى   باحثًا عن مَظِنَّةٍ من حقيقـــهْ
فإذا الكونُ من جمــادٍ وحِسٍّ   خادعٌ لا يُزيل عنـــه بَرِيقه[1]

* * *

أَيُّهـا النائمون فى غَمرةِ اللَّيْـــــلِ أَفِيقُـوا على سَنَا إشـراق
أنا روحٌ مجنَّح النور لولاَ   سجن أَرضى .. خُلِّدتُ فى الآفاق[2]

* * *

أَنْكَرُوا الحبَّ طاهرا وأَغاروا   بِقَنَاهُم على معاقـــلِ حُبِّى[3]
إنها فى السماءِ ياقوم دَيْــرٌ   ناسِكُــوه مــلائكُ اللهِ ربِّى

* * *

أَيُّها الأَغنياءُ هل حرّم اللهُ عليكم مآدبَ الفاقـــاتِ
أَطْعموا البائسَ الفقيرَ فإن جُعتُمْ فَعِيشُوا على صَدَى الذِّكريات

* * *

حدَّثُونى عن آدم يوم ضاعت   من يَدَيْه قِلاَدَةُ التَّخْليـــدِ
ليْتهم حدّثُوا عن المُنْعِمِ الْغَا   صِبِ يجزى عتيقه بالقيود

* * *

عَبَدَ القِبْطُ فِى صَلِيبهم الْمُبْـــــدَعِ ذِكْرى الشهيد فى (أورشليما)

(۱) يُزِيل : يُنحّى ويُبْعد من أزَالَه : نحّاه وأبعده .
(۲) مجنّح : أى جعل له جناحين .
(۳) القَنَاة : الرّمح ج قَنَوَات ، قناً ، قُنِىّ ، وقنيات ، وصاحبها قنّاءٌ .

ربّما كان فى النّصارى يهودٌ يحسبُون الشهيدَ موسى الكليما

* * *

يا إلهى المشاعَ فى النُّورِ والأَنْسَامِ والرَّوضِ والجمالِ الحَنُون
أَنا ياربّ عابدٌ لك حتّى فى شكوكى عبادتى فى يَقينى

* * *

طاف بى طائفٌ من الوهْمِ زَيَّافٌ فَشَبَّ النيران فى أَصْغَريّا[1]
وطَوَتْنى ذِكْرَاهُ فاحْتَبَسَ الدَّمْعَ وأَصْلَى بناره مقلتيّا[2]

* * *

أَيُّها الشك يابْنَ أَيَّام عمرى ولَيالىَّ فى الشَّقاءِ الطَّويل
أَنْتَ حبَّبتَ لى المنيَّةَ والقبْرَ فأَمْست لُقْياهما تأْمِيلى[3]

* * *

خَبَّلتْنى وِشَايةُ الآثِم الفذِّ وأَفْنتْ صفاءَ نفْسِى وعُمرى
فَلْيَشْىِ العالمون .. أَللهُ يدْرِى أَنَّنى ما صنعتُ غير الخيرِ ..

* * *

بين جنْبَىَّ طائِرٌ فى السَّمَاوَاتِ ولكنَّهُ كَسِيرُ الْجَنَاحِ
كلمَّا رفْرف النَّسيمُ عليه ظنَّ فيه تنهُّدات الرِّيَاحِ

* * *

---

(١) الزّيّاف : المتبختر المختال . والأصغران : القلب واللسان .
(٢) المقْلة : العين كلها ،ج : مُقَل .
(٣) التّأميل : التّلَبث فى الأمر والنظر ، والتدبّر وإعادة النظر فى الشىء مرّة بعد أخرى ليستيقنه .

يا صديقى أبا الْعَلاَءِ سَلاَمًــــا   رَطَّب اللهُ نَفْحَــهُ بالــــودادِ
أَنت أُنْسِى فى وحْشتِى ويقينى   فى شُكوكى ويقْظَتِى فى رُقادى

* * *

فلسفاتُ الأَنغامِ أَعمق غَوْرًا   فى خيالى من فلسفاتِ الأَنيسِ
وهى خرساءُ .. ليس تنطِقُ إلاَّ   بلُغــاتٍ من أَرْجُــلٍ ورءُوس

* * *

أَيُّها السّامِرُ الملوِّحُ بالنَّشْــــــــــوَةِ مِن سُكره بخمر الأَغانى
إبْكِ مِثْلى على أَغَانٍ تلاشَتْ   فى حَنَايَا الصــدورِ والأَفْنــانِ

* * *

قال شيخٌ لزَوْجِه ذاتَ يــوم   دَاعِياً ؛ صانك الْإِلٰه القديرُ
فَتَــوَالَى دعاؤُها أَن تَرَاهُ   مِثْلما كان والشــبابُ نَضير

* * *

بينما كنتُ سائراً فى طريقى   إذْ بشيخٍ قد حطّمته السنونُ
قلت يا شيخُ هل سئمت؟فعيَّتْ   شَــفَتَاهُ وجاوبتْنى العيـــــون

* * *

قال لى مَيِّتٌ يسيرُ به النَّــا   سُ : أَرِحْنى من ضجّة الأَحياءِ
قلتُ : هل أَزعجتْكَ نائحةُ القو   مِ وفى نوْحِها حيــاةُ الفناءِ

* * *

قلتُ يوماً لشاعر . . أَنْت مثلِي قال فى الحظِّ؟ قلتُ بلْ فى الأَمانى
قال ياصاحبى معـــانيك مثلى قلت لا .. قال فالْمُنَى كالمعانى

* * *

صُمْتُ يوماً عن الطَّعامِ فما جُعْتُ لأَنِّى أَرَدْتُ هــذا الصِّياما
وأَكلتُ الطعام يوماً بلاشَــوْق فما زلتُ لا أُحبُّ الطَّعَامَا

* * *

قالَ نثْرى يوماً لِشعْرِى سَلاماً يا أَخِى يابْنَ والدِى ... ووليدى
فردَدْتُ السلام شــعرًا ..فأَلْقَى فوْقَ وجْهِى السلامَ كالمردودِ

* * *

قُلْتُ يوماً لطائرٍ عَبْــقَرِىّ هل تمنَّيْتَ مرّة أَن تطيرا
فرأَى فى الْجَوَابِ عِبْئاً يسيرا لم يكلِّف جناحه تفكيرا

* * *

عَجَمَتْنِى الأَيَّامُ طِفْلًا فما لِنْت لأَنِّى ما كُنْتُ أَدْرى الهُمُوما
ثُمَّ شاءَ الزمانُ أَن يتَمَــنى فَتَمَــنَّى لِعُــودِىَ التَّحطيما

* * *

بَرَحَتْ بى الآلامُ يوماً فأَعْولْــــــتُ كأَن الآلامَ بنت الخلودِ
ليتنى ما خُلِقتُ أَوليْتَ نفسى خُلِقَت من حجارةٍ أَو حديد

* * *

بِتُّ ليلى مُسَهَّدًا بعد أن أُنْـــــبِئتُ أنِّى مسافرٌ فى الصباح[1]
أترانــا نَعْصِى لأنَّا جَهِلنا أَنَّ للموتِ مَوْعدًا كالرَّواحِ[2]

* * *

حدَّثونا عن ابن آدمَ لمَّــا قتلته الأَحقــادُ من هابيلا
ليتهم حدَّثوا عن القاتل الأَخْـــــرق يبكى شقيقه المقتولا[3]

* * *

مكث الفيلسوفُ خمسين عاماً باحثاً عن حقيقــة لحياته
ورأى النَّاسُ بحثه فَرَمَوْهُ بالجُنُون المُشَاع فى خطراته[4]

* * *

ما تكونين يا أَمانى شبابى ؟ وأَنــا مَنْ أكونُ بين صِحَــابى
أنت ذاتى المجهولة الذات عنى؟ وأنا منك مثلُ لمْحِ السَّراب

* * *

كان عندى خدّامة كَايَدَتْنى ذات يوم فمزَّقَتْها عصــايا
ثم غمغمت أعــذر الله لمّا طرد الجدّ لارتكاب الخطايا

* * *

---

(١) مُسهدا : مؤرّقا .
(٢) الرَّوَاح : الراحة ، وهو كذلك اسم للوقت بين زوال الشمس إلى الليل ، ويُقابله الصباح .
(٣) الأخرق : الأحمق ، والخرقاء : الحمقاء ، ج : خُرْقٌ ..
(٤) الخَطَرات : من خطر الشىء يخطر خُطُورًا : لاح فى فكره وذكره بعد نسيان ، أو خطر بقلبه من أمرٍ ، أو رأى ، أو معنى ..

بين عَيْشِي وبين مَوْتي فُروقٌ　　هي عندي يسيرةُ العرفان
غير أَنِّي أرى حياتيَ هانتْ　　وهَوَانُ الحياة سِرُّ هواني

* * *

وهب اللهُ لابن آدمَ أرضاً　　باركتْها السماءُ بالأَمطار
وأرى الأَرضَ لم تكن غيرَ قبرٍ　　جمَّلته الأَقدارُ بالأَشجار

* * *

يا يدَ الله باركى فى يد الفتنة سهماً مجنّحاً دَمَوِيًّا[1]
لم يَدَعْ فى جوانِحى نبْعَ حُزْنٍ　　لم تفجِّرهُ بالبكاءِ شجيًّا

(١) مجنّحاً : أى جعل له جناحين .

أطياف [1]

« من الشعر المرسل »

« إلى كوخها الغريب في عزلته
بين قصور الرّمال والأمواج ».

إذا ما الْعَاشِقُ المجْهولُ أَغْرى الشمسَ باللُّقْيا ، ووراءَ الأُفُقِ الضَّاحِي
فمَنَّتْهُ ومدَّتْ ، كخيوط الوهم . إِشْعَاعاتِها الحمْرَا .
كما منَّيْتِنِى يوماً وفى خدَّيْكِ توريدُ
وسالَتْ من شفاه السُّحبِ صَهْباءُ التَّرَانيم [2]
تهدهد ربَّة الإِشْرَاق إِذْ أَسْكرها الحُبُّ
لكى لا تُعْجلَ الخطْوا
وأَسْكَرَها نداءُ الحبِّ فاسْتقبلت الليلا
وحيَّتْه وأَلْقَتْ ثوْبَ نُسَّاكٍ مَعَاميدِ [3]
وغَيَّبَ خصرَها البحرُ
فكانتْ فى مَرَائى العيْنِ مِحْراباً من التِّبْر
وغنَّى الليلُ فى الآفاقِ أُنشُودةَ أَشْواقه

(١) قيلت هذه القصيدة فى فتاة من فتيات (البرلّس) الفقيرات الجميلات .
(٢) الصّهباء : الخمر .
(٣) معَاميد : جمع : معمود وهو من هدّه الشوق .

وهوَّمَ ذاهلَ الحسِّ وفى كفَّيْه مصباحه

وظلَّل جُنْحُه الدامى نُجُوماً مثل أيَّامى

تَوالَى السعدُ والنحسُ عليها ...

واصْطَلَتْ حرب لَيالٍ حصدتْ عُمرى وعمرَ الأنجم الزُّهْرِ[1]

وماس الضوءُ ...

واختال النسيمُ العفُّ وهناناً بما يحملُ من سِرٍّ[2]

إلى عُشَّاق خفقَاته

تواكبُهم على الأُفْقِ أمانٍ كالأَساطير

ومَجَّ البدرُ رَيِّق نوره المنساب فى الكون[3]

فَكَحَّلَ بالسنا القدسىِّ أهدابا وأجفانا

وما شاء له العجب بمن يرجون رُجْعاه[4]

أذاب اللَّحْنُ أصداءَ

وأفْنى الليلُ أضواءَ

يُسلسل نغمة الميعاد للهانىء بالحبِّ

ويُرعِش جفنَه الضارعَ يحمى مُنية الصَّبِّ ويرعاها

كما كان يزين لروحنا اللقيا

---

(١) الأزْهَرَ : كل لون أبيض صافٍ مشرق مضىء ، والأزهر : القمر ، ج : زهْر .

(٢) الوهنان : الفاتر الكسول .

(٣) الرَّيِّق : الخالص

(٤) الرّجْعَى : الرُّجوع ، والرّجعى كذلك : جواب الرسالة ، يقال : جاءنى رُجعى رسالتى .

ويرعانا إذا جئنا إلى وادى الصبابات

* * *

بربِّك إن رأَيت الشمسَ فى المغرب مشتاقه . إلى عاشقها النَّائى

وناغمتِ شعاعاتٍ لها فى الأُفق خفاقه[1]

وشاهدتِ سُرى الليل وإطرَاقه

وكحَّلَ جفنك الساجى واستأْنى على هُدْبك

فصاغَ لآلِهَاتِ السِّحر أَشراكاً من الأَلْحَاظ مسحوره

وضمَّ البدرَ فى عينيك مَهْدٌ رائحٌ غادِى

كَمَهْدِ الطفل ِ إلاّ أنه من مُقَلٍ سُودِ

وفاض العطرُ الْوَسْنان من خمر ثناياه[2]

على أَعطافك النَّشْــوَى

وراقَصَ طَائِفَ الأَنْسام أفوافاً من الشَّعر

يُموِّجُها على الجيدِ كما يَهْوَى

وتخطرُ فى حناياها الأَفاويقُ[3]

وبَاهَى الشاطئُ الأَسْنى بك الدنيا

---

(١) خفاقة : كثيرة الخفق ، وهو التحرّك والاضطراب .

(٢) الوَسْنان : الفاتر .

(٣) الأفاويق : جمع فيقة ، وهى من الليل أكثره ، وهى كذلك اللّبن الذى يجتمع فى الضَّرع بين الحلبتين .

بزيتونيّة العينين سينائيَّةِ النَّسب(١)
هواها فى عذارى الشَّطِّ أَحْلامٌ غريبات
فحيٍّ العاشِقَ المجهولَ والشَّمْسا
وحَيٍّ الليلَ والبدْرا
وَحَيٍّ فى يبَابِ الحبِّ غضًّا ذاوىَ الزهر
وبين فَرَادِسِ الأَشْواك طيْرًا صادِىَ الرُّوح(٢)
لعلَّ اللهَ يُدنينى
فيُحْيِى ذَاوِىَ الزَّهْرِ وتُروِى العاشِقَ الصَّادى
لأَنْسَى عالمَ الحِرْمان والتَّحْنان والسُّهْد
أُنادِمُ مَنْ إذا أَشْرق فجرٌ أَنكروا الْفَجرا
وإن أَطبقت الظلماء
والظلماءُ ميثاقٌ لبلواهم
أَقاموا مأْتماً للصَّفْوِ بكّاءَ الأَناشيد
تناهى بهم الوجدُ فما يدْرُون إصْبَاحا
ولم يدْرُوا من الليل سوى زحمة آلام
كساهَا القدرُ الجبّارُ من حظِّ المساكين

(١) زيتونيّة العينين : جنس شجيرات من فصيلة الخلافيَّات ، ورقها شبيه بورق الزيتون ، وأزهارها ضاربة إلى الصّفرة وذات رائحة . وسينائية : نسبة إلى سَيْناء ..

(٢) الصادى : العطشان ..

ثيابَ الصَّمتِ والروع
فراحت تقطعُ الأُفْقَ خِضمًّا دافقَ الموجِ
وآهات المحبِّين به كالسُّفُنِ الحيرى

* * *

بربِّك إن صحا الفجرُ ومادَ الأُفق بالبدرِ
وغادتْكِ مع الأَنسام أَطيافُ الهوى الطُّهْرِ
فلبِّى الهاتِفَ المجنون قد ندَّ عن الصدر
وذاب مع النسيم ندًى ليوقظَ ناعسَ الزهر
وتيَّمه شعاع الفجر فانْسابَ مع الفجر
وشاقتْه معانى الروح من رَاوُوق أَشعاره[1]
فمثَّل شوقَه الملتاعَ أَشباحاً وأَطيافا

١٩٤٥

(١) الرّاووق : المصّفاة ، و ... الكأس ، والرّاووق كذلك : إناء عظيم من الزجاج يتّخذ للشراب جمعه : روَاويق ..

تحت الأنقاض

أطْرق الشّاكى ونام المُوجَعُ وانْتَشَى الليلُ بكاساتِ السكونْ

غيرُ شاكٍ كفَّنتْه الأَضْلُع !! وبكتهُ بمَرَاثيهــا العيون

* * *

حـرّم اللهُ عليه الفـرَحـا واستبدَّت بقــواه النُّوَبُ[(١)]

فَجفَا الأَيام فجرًا وضُحى وتمنى لوْ طــواه المغربُ

* * *

هـزَّنى إذْ هَـزّه صوتُ الأَلم فتَسمَّعتُ إلى أصـــدائهِ

فإذا لَحْنٌ تَغشَّــاه النَّــدم ضــارعٌ لله فى عليــائهِ[(٢)]

* * *

قلتُ هذا البعثُ مجهول النَّدى أتُرى يمتدُّ بى أم يُقصرُ

يا يَدَ الأَقــدارِ لَاكُنْتِ يــدًا شابَهَ الناسِكَ فيه الداعِرُ[(٣)]

* * *

قد كَفَانى وكفى قلبى الهوى هَدَّنا من راحتيـــه مِعْولُ

---

(١) النُّوَب : جمع نَوْبة ، وهى النازلة والمصيبة .

(٢) تغشّاه : تغطّى من تغشّى الشىء تغطّى ، وتغشّى الشىءُ فلاناً : غطّاه .

(٣) الدّاعر : الفاسق الفاسد من دَعَر يدْعَر دَعَارَةً : فسَد وفسق ، فهو داعرٌ ، ودَعّارٌ .

خالدُ اللعنةِ مسـعورُ القُوَى يـجهلُ الرحمة فيما يَجْهلُ

* * *

حدِّثينى أَبدُنْياكِ جديدْ ؟!! يا يَدَ الأَقدارِ أَم جفَّ القلم
والذى خبَّأْتِ وعدٌ أَم وعيد ؟ وشروقٌ أَم غروبٌ وظلم

* * *

حدّثينى عن وُجُودِى فى الحيـاه ما الذى أَغْراكِ بى حتى أَجِىء
أَيُّها الْجَانِى الذى فُكَّتْ يداه ورمى فى قيده كلّ برىء

* * *

ها هو القلب الذى طهّرتُه من هوى الدنيا وآثام الشباب
ثار فى صدرىَ إذْ ناديتـه إسترح ياقلبُ من هذا العَذاب

* * *

ظنَّنِى أَهْرقتُ فى البلوى دمه فرمانى بجُحود الجاحديـن
رحمتا للقلْبِ مَنْ ذَا عَلَّمَه أَنّنى أَنكرتُ ماضيه الدَّفين

* * *

ماضِىَ الحبِّ الذى أَلْهمنى صادحَ الشِّعر وفرحان المُنَى
لم يزلْ يملأُ وجْـه الـزمن ضحكاً حُلْوًا وبِشراً وسَنَـا

* * *

قلتُ ياقلبُ حنانًا إنَّمـا هذه الدُّنيا عَجُوزٌ ساحره

أيُّهذا الطفل تُلهيه الدُّمى إنَّ فى الأُولى معــانى الآخرهْ

* * *

قال لى القلْبُ وقد أَحْزنـــــه إننى أُلهيتُ عن حَرِّ جواه[1]

يا مريضَ العمرِ عجِّل دَفْنه قَبلَ أن تُعشيك أَضواءُ الحياه

* * *

كم تَرنَّمْتَ بـأَلْحانِ الصِّبَــــا وتركتَ الدهر يلهو بصباك

ثمَّ وافاك شبابٌ شيِّبـــــا وأَنا قلبك لا قلبُ ســواك

* * *

بين أَحنائىَ آمالٌ دَنَــــا عهدُها بالموت . والموتُ عَجِل[2]

أَفْنِها أَنت فقد تخْشى الْفَنَــا وكلانا عن قريب مُرتحــل

* * *

قلتُ ياقلبُ وما أَبْأَسنِى ! أَنا أَقضى والمُنَى لا تنقضى

ما الذى أَبقيتَ لى من حسنٍ بعدَ أَنْ يُرضيكَ مَالا أَرتضى

* * *

هاتِ آمالى فقد أَعددتُهــا للبِلى . من قبل أَن تَرْوى فَمَكْ

وغدًا تهتف ما أُنْسِيتهـــــــا آه ما أَقْسَاكَ .. بل مَا أَرْحَمَكْ

---

(١) الجوَى : ضيق الصدر من داء لا يكاد يُبين عنه اللّسَان . ، وهو أيضاً : اشتداد الوجد من العشق أو الحزن .

(٢) الحنو : كلّ شيء فيه اعوجاج كالضّلع ، والجانب ، والعظم الذى تحت الحاجب من الإنسان ، ج : أحْناء وحُنِىّ .

قيس

نذرَ العمرَ للغرامِ صبيًّا ... وانقضى عمرُه ولم يجنِ شيّا
غيرَ شوكٍ أدمَى أمانيه فارتَا ... عَ وقاسى الحرمان صبًّا خليًّا
تخذَ الليل معبدًا وسَنَا الحُبِّ إلهًا من سحر فينوس حيًّا
كُلمّا أَطلعَ الكرَى فجرَ حُلمٍ ... حسب الليل صبْحَه سَرْمديًّا
وإذا أشرق الصباحُ ولم يلْقَ سَنَاه ظنَّ الصباحَ عشيًّا
رحْمَتَا للمحرومِ يصنعُ سَلْوَا ... هُ من الدمْع سيْكبًا وعَصيًّا[1]

* * *

قال لى وهو مُطرِقُ الرَّأس حُزْنا ... أىُّ شىءٍ جَنَى الحنينُ عليّا
ليس ذنبًا أنّى أهيمُ بحَوَّا ... ءَ فما زلتُ فى الهَوَى آدَميًّا
نَحنُ فى مغربِ الحياة نسينَا ... بالصَّبابات صُبْحها الأَزليًّا[2]
وأَبونا الطَّريدُ ألْقَى علينَا ... فى هَوَى الغيد درسَهُ القُدسيّا
فأَجبناهُ مؤمنين فقد كَا ... نَ (عليه السلامُ) برًّا نبيًّا
ونَسينا التفَّاحَ إلا خُدُودا ... واشتهيْنَاه فى الخُدود جَنِيًّا

---

(١) السيكب : الهطلان الدائم ، وجفن سيكب أى يهطل دائماً . . عَصيّا : أى خرج من طاعته : منْ عَصَاه يعصيه مَعْصية وعِصْياناً : خرج من طاعته وخالف أمره ، فهو عاصٍ وعصّاءٌ ، وعَصىٌّ .

(٢) الأزَل : القدم : والأزل : مالا أوّلَ له .

ونَسينَا الفرْدوسَ الاّ وُعُودا ولقَاءً تحت الغصـونِ حفيًّا
ونسينا الشَّيطان إلاَّ لُعابًـــا وأَكُفًّا تطوى المعاطفَ طَيًّـا
ونسينا ثـأْرَ النعيمِ الذى ضا (م) عَ وَرُمْنـاهُ فى الغرامِ هنيّـا
ونَسَجْنَا المُنَى محاريبَ شعْـرٍ وتَخِذْنا الْهوى إلهًا عليّـــا
وتـخذْنَا الأَوهامَ دُنْيا فُتُون وأَقمنا عُرسَ السُّهاد بكيّـا
وحرمنا الخلودَ إلا خلــودًا خَلَقَ الفنُّ روحَه الأَبَديَّـــا
وهى حَــوَّاءُ لم تزلْ تُلْهِمُ المُعْجزَ من فنِّها وتُعطى الشَّهيَّـــــا
قد رضينا من أَجلهـا الدهرَ غيْثًا مِنْ رَذَاذ حينًا وحِينًا أَتِيًّا[1]
وأَنا الشاعرُ المَعربِدُ بالْعيْنِ وإن كنتُ بالْفُـؤاد تقيّـــــا
لم أَنَلْ من غرامِها ما تمنَّيْتُ وما زلتُ بالتمنِّى شقِيّـــــا
آه من فتنة تهزُّ وجـــــودى وتشبُّ النيران فى أَصغريّا
أَنا قيسُ ليلاه فى كلِّ ليلىٍ وهواه المشاعُ لَم يَكُ غيّـــا
أَرصُدُ السُّبل ربَّما لاَحَ بـدرٌ فأَنارَ الوجودَ فى ناظِرَيّـا[2]
وأُريدُ الحياة خمرا وشِعْـــرا وغرامًا مُطهَّرًا عبقريّـــــا
ثم تمضى الأَيّام بِى ظامِىء القلْب ولَمَّا أُفْنِ الطريق مُضيّـــا
لاهوًى يرعشُ الجفون خُشُوعا ويُفيض الإلهَام شعرًا رَوِيًّـــا

(١) الرّذاذ : المطر الضعيف . أو الساكن الدائم ، الصغير القطر كأنه الغبار . والأَتىّ : السّيل يأتى من بعيد ، والغريب الدّعىّ .

(٢) النّاظر : الفاعل من نظر ، جمعه نَظّارَة ، والناظر : العين ، و .. سواد العين الذى فيه إنسانها ، جمعه نوَاظر ..

لا ولا قاسمُ الجمالِ على النَّـــاس حُظوظًا يُنيلُنى منه شيّا
أَنا سأْمان زاهدٌ فى حيـــــاتى والأَمانى تكوى حناياىَ كيّا[1]

* * *

قُلت يا صاحبى هناك خيـــالٌ عاش لِلْمُلْهمين يُدْنى القصيّا[2]
فأَرِق شعَرك الحزينَ مدامًـــــا واسْقــه العاشقين خمرًا نَديّا
فتولَّ عنى وغمغم شعـــــرا لم تصافح أَنغامه أُذُنيّـــا

ملاك لعوب

رنَّ فى مَسْمعى نِـداءُ الحبيبِ من بعيـد فخِلتُه من قريبِ
وحَبيبِى إذا تعطَّف نـــادى حينما لا يخافُ عيْنَ الرَّقيب
فَأَجَبْتُ النِّداءَ مُنْتهَبَ الرُّوحِ وفى مُهْجَتى حنين الغريـب[3]
وإذا بى أَرَاه منْ خَلَلِ الشُّبّاك يَبْدُو فى فتْنَة المحجـــوب
ثمَّ حيًّا بكفِّـــه وتـــوارَى فأَرانى الغُروب قبل الغروب
يامَلاكى اللَّعُوبُ ماشئْتَ فاصْنع بِفُؤَادى . فأَنت أَنــت حبيبى

---

(١) حَنَايَاى : جمع حنيّة ، وهى القوس ، وتجمع كذلك على حنىّ ، ويقال : خرجوا بالحنايا يبتغون الرّمايا ..
(٢) القصىّ : البعيد ..
(٣) مُنْتَهَب الروح : مأخوذها من انتهب الشىء : أخذه ، وانتهب الفرس الشوْطَ : فاز فيه ، والمهجة : دم القلب والرّوح ، جمعها : مُهَج ..

من وحى الضحايا :

زوج ابليس [1]

« صدى ليلة ثلجيّة الأشواق ، بُدئت بحنين الجسد
وانتهت بأنين الروح » .

هذه دارُها وتلك رُبَاهــا نَمَّ عنها شَميمُها وسَناهَــا[2]
هذه دارُها تُنَادى غريبًــــا عن حماها ما شامها أَو رآها[3]
هــذه دارُها وقدْ أَمَرَ اللَّيْـــلُ أَخَاهُ الشيطانُ أَن يرْعاهَا
فأَتى دُونَ ناظرى فطــواه وأَتى دونَ ظلِّها فطواهــا[4]

* * *

هذه دارُها وقد كان عهدى بسواها أَلاَّ نُضاعفَ جَهْدى
مَا لرجْلَىَّ تشردان عن النَّهج كانى مُشــرَّدٌ يسْتجْــدى[5]
ما لِكَفَّىَّ أُسْقطا . ويْحَ جدِّى أَىُّ دار أَذمّها اليوم وحدى[6]

(١) تجربة شعورية عن إحدى بائعات الجسد فى حينها .
(٢) الشَّميم : ما يشم وتدرك رائحته .
(٣) شام الشيء يشيم : شيْماً نظر إليه مترقّباً .
(٤) النّاظر الفاعل من نظر ، ج : نظّارة ، والناظر : العين ، و .. سواد العين الذى فيه إنسانها ، ج : نواظر .
(٥) يستجدى : يطلب جدْواه ، والجدْوَى : المطر العام والعطيّة .
(٦) الجدّ : الحَظّ .

شاهَ وجهُ الشيطانِ مالى أراه يتلقّى عزيمتى بالتّحــدّى

* * *

عَجَبًا هذه مَهَاةٌ تــذوب فى أَكُفٍّ تسليمُها تشْبيــبُ

كلَّما دقَّ ساقها رَقَصَ النَّــهْدُ وفاحتْ من جانبيْهَا الطُّيوبُ (١)

وإذا شاقَها المنام دهاهـــــا منْ ورَاءِ الحجاب صوتٌ غضوبُ

أذكرينا أَنْضاءَ جوعٍ وسُهْد وتناسَىْ أَن الطعامَ ذنــوبُ

* * *

شَغَلَتْنى برُوحها الغـــــلابِ عن حريق يشبُّ فى أَصْلابِى

ورَمَتْنى بنظْرَة ثم قالـــــت ما رأَيْنَا سوَاكَ من هيّابِ (٢)

هذه الدَّارُ لم تُهيَّأْ لغيــرى من ضحاياىَ الندمان والأحباب

لا تخيِّب رجاءَ شاة رماهـــا عاصفُ اليأْس فى مُحيط الذِّئابِ

* * *

وإذا بى أُجيب كَفًّا بكـــفٍّ وَأُلَبِّى بضَمِّها صوْتَ حتْفى (٣)

أَحْسَبُ الدَارَ تستحيل عُبابا ثائرَ الموْج من ظلام وخَوْف (٤)

أَو يَبابًا تُزَمْزِمُ الجِنُّ فيـــه وتُرى العيْنَ رقْصةَ المُتشفِّى

---

(١) الطُيوب : جمع طيب ، وهو الأفضل من كل شىء ، وكل ما يُتَطيَّب به من عطر ونحوه ويجمع كذلك على أطياب .

(٢) هيَّاب : صيغة مبالغة من هابَه يَهَابُه هيْباً ومهابة : أجلّه وعظمه فهو هائب .

(٣) الحتْف : الهلاك ، ج : حتُوف .

(٤) العُبَاب : معظم السيل ، وعباب البحر موجه .

وأَرى الحائط المُغيَّب فى الظُّلْمَة شطًّا يُبْدى الظَّلامَ ويُخْفِى[1]

* * *

قُلتُ ياهذه أَنيرى طريقى ! جفَّ حَلْقى فما ينديه ريقى
وإذا همسةٌ مُمَزَّقة الجرس صداها كهَمهمَات الغريق[2]
أَيُّها الطارِقُ الغريبُ تمهَّلْ إنَّ عهْدَ الأَيَّام غيرُ وثيق
ها هنا قصةٌ يُمثِّلها البؤس على مسرح الهوى والرحيق

* * *

ما تَرى ذلك الخيالَ الملثَّم ؟ غاب فى خاطر الدُّجى وتكتَّمْ؟
تلك أُمِّى .. ولست أَعرف أُمًّا وَلَدَتْنى ... والدَّهرُ بالسرِّ أَعلم
عثرتْ مثل عثْرَتى بصُخُور فوْقها زورقُ الحياة تحطَّم
ثمَّ أَمْسَتْ ذكرى شباب وحسنٍ تُلْهِم الدمع أَن يذلَّ فيسجُم[3]

* * *

أَنا فى دارِها أَعيشُ غَريبه وترانى فيها كأَنِّى نَسيبه
عَقَدَتْنى بها من الحظِّ قُرْبَى فكلاَنا منْ أُخْتها مَحْبُوبه
غيْرَ أَنِّي أَعولُها وَأُرَجِّى لشبابى من الحياة نصيبه

(١) شطا : بعيداً من شطّ يشطّ . ويشطّ شطًّا ، وشُطُوطا : بَعُد .

(٢) الهمهمة : كل صوت معه بحح ، والهمهمة أصوات كأصوات البقر والفيَلَة وأشباه ذلك .

(٣) يسجم : يسيل كثيراً أو قليلا : من سجم الدمع أو المطر يسجُم سُجُوماً وسجَاماً وتسْجاماً سال قليلا أو كثيراً .

قبلَ أَن يذهب الشباب وأَبْقى   وأنا من سحْر الشبابِ سليبه

* * *

حَيِّها حَيِّها فقلت سلاما   يا بنةَ الليْل والطِّلا والنَّـدَامى

وتضاحكتْ مُطرِق الرأْس فكْرًا   فى جمال عافَ الحيَاةَ فناما[1]

يا بْنَةَ اللَّيل حدِّثى لا تُـراعى   ربَّما فَسَّرَ المنام المناما !

نحنُ أَلْغازُ ساحرٍ عبقـرىٍّ   جعل الموتَ للحياة لزاما

* * *

ثورةٌ فى جوانحى ليس تهدا   وخيال يُفْنى الكوارِثَ عدًّا[2]

أَىُّ غَيْبٍ ضمَّته تلك التَّهاويـلُ . وأَىُّ اليوْمَيْنِ أَطيب وِرْدا[3]

أَهو يوم الميلاد ينضحُ بِشرا ؟   أَم هو اليوم يُطْعِمُ الأَرض وُلْدَا

ذاك سِرٌّ علمتُه حين راحَـتْ   تتعزَّى . وخِلْتُها تتحـدّى

* * *

قال لِى صمتُها وقلتُ لصمْتى   كيْفَ مالَتْ بِكِ اللَّيالى ومِلْتِ

أَىُّ شىءٍ جنيته من لياليـك سـوى ضَجْعةٍ وحُلْم مُشِـتِّ[4]

أَيْنَ وَلَّى عنكِ الصِّبا وهو سوقٌ   للْغـوانِى كسبْنَهُ وخسِرْتِ

(١) عافَت : كرِهت . من عاف الطعام يعَاف عيْفاً وعِيافاً : كرهه فتركه .

(٢) الكوارث جمع كارثة : النازلة العظيمة والشدّة .

(٣) التهاويل : ما هوّل به . أو ما هالك من شىء ، أو ما على الهوادج من الصّوف الأحمر والأخضر والأصفر . .

(٤) الضّجعة : الدّعة وخفْض العيش ، والضّجعة كذلك : الوَهَنُ فى الرّأى . مُشتّ : متفرّق من الشّتّ أى المتفرّق ، ج أشْتات .

وأتاكِ المشيبُ وهو جـدوبُ　　نَفَخَتْ فيك روحُه فَذَبُلتِ

* * *

وتمثَّلتُ وجْههـا مِحْرابا　　لعيونٍ تَحْسُو الفناءَ شرابا [1]

من بقايا أُذْنَيْنِ مَلاَّ الدُّعَابَـا　　وبقايا خَدَّيْن عَافَا الخِضَابا [2]

وهنا معبد الشِّفاه أَحَالَتْـهُ سمـوم الدّخان قفْرًا يبابـا

والْبِلَى ناشرٌ جناحَ غـرابٍ　　ظَنَّه النَاسُ شعرَها المُنْسابا

* * *

أَىُّ كَوْن محجَّبُ الأَسْـرارِ　　خلْف عينيْك يا بنةَ الأَقـدار

كم رعَيْتِ السُّمَّار أَشباحَ جنٌّ　　تتخفَّى عن واعِظِ الأَبصـار

قُبِرَ السِّحرُ فى الجُفُونِ وماتت　　نَظَرَاتُ الإِغْراءِ للسُّمَّـار

قُبِرَ السِّحرُ فى الجفونِ ونامتْ　　فَوْقَهُنَّ الأَهدابُ كالصّبَّـار

* * *

زَوْجَ إبليس وهو كالنَّفس عبدٌ　　وَإلٰهٌ لِأَنْفِسٍ لا تُعَـدُّ

حدِّثينى عنه فقد كان عقلْى　　يصْطَفِيه إذا جفانىَ زهـدُ

مثَّلتْه أَجسادكُنّ جمالًا　　فهو فيكُنّ شائعٌ لا يُحدُّ

---

(١) تحسو : من حَسَا الرجل المرق أو الخمرَ أو نحوه : تناوله جُرْعة بعد جُرعة ، يحسوه حَسْواً .

(٢) الخضاب : ما يُخضَب به من حنّاءٍ ونحوه .

كلمَّا جاع ملهمٌ أَشْبَعَتْهُ قبلات الهوى ورَوَّاه شهد

* * *

أَىُّ روحٍ أَلْقتْ علىَّ هُداها حينما خِلتُها سَتفْغَرُ فاها ؟ [1]

قلتُ هذا حَدِيثُها سوفَ تحْكِيهِ وكم فى شبابها قد حكاها ؟

يوم كانت أَلفاظُها تتثنَّى رقَّةً لم يبلغْ رحيقٌ مداها [2]

وإِذا باليقين يعصِفُ بالشَّكِّ فتهوِى على يدى راحتاها

* * *

خفق النُّور خفقة المرتاع فعرفتُ الوَدَاعَ قبل الودَاع [3]

مِلْءُ كفِّى ورأْسُها يتداعى وعناءٌ علىَّ هذا التداعى

إِيه يا ربُّ مَاعَصَيْتُك جهْلا بل صغارًا .. من شِقْوتى واندفاعى

فاجْلُ عنِّى الظَّلام كيْمَا أَرى الْمَوْتَ نجَاءً من قبضةِ الأَطماع [4]

* * *

وَعَظَتْ نحو مَسْمعى بِعظام رُكِّبت بين صدرها والهام

وأَسرَّت إِلىَّ أَنْ حَصْحَصَ الحقُّ وخابتْ شماتَةُ اللُّوَّام [5]

---

(١) ستفْغَر : ستفتح .

(٢) الرّحيق : الخمر ، والخالص الصافى منها ، وضربٌ من الطّيب . وفى البيت خلل عروضى .

(٣) المُرْتاع : المفزّع من ارتاع بمعنى فزع .

(٤) النّجاء : الخلوص من الأذى من نجا منه ينجو نجاءً : خلص من أذاه.

(٥) اللُّوّام : جمع لائم وهو من يلوم غيره بالتكدير بالكلام لإتيانه ماليس جائزاً أوما ليس ملائماً لحال اللائم أو حال الملوم ، فهو لائم ، وذلك مَلِيم ، مَلُوم ، واللّوام : الكثير اللوم .

لا حَلالٌ ولا حرامٌ ولكـن راحةٌ من مَتَاعب الأيَّـــام
فإذا الجسم فى طريق التَّدنِّى وإذا الروح فى طريق التَّسامى

* * *

أَشْفقتْ بنْتُ دارِها من ذُهُولى ورأَتْنى كحَظِّها المَخْبول
فَنَضَتْ ثوْبَها وقَالتْ عجيبٌ أَمرُ هذا المتيَّم المجهـول
ما لِكَفَّيْه لا تحسّان كفِّى وهى بعضٌ من حُسْنىَ المبـذول
ويْحها لا تَدْرِى الفجيعةَ إلاَّ يوم فُقْدانِها حفيفَ الذُّيُولِ (١)

* * *

قلت يامن سقطْت فى الناس قدرا سخِرَ الموتُ منَ نواياك طُرًّا
هذه أُمُّكِ الحبيبُـة قد مَا تَتْ فَشُقِّى لها بصدْركِ قبْـرا
فأَفاقت من غَشْية الإِثْمِ هوْنا وعَوَتْ صرخةً تساقِطُ جمرا
فصحبت الظَّلام طائف ليـل لم تشاهِدْ عيناه من قَبْلُ فجرا

* * *

وتخطَّيتُ ساحـةَ الأَجســادِ جامِدَ العين مُستكين الفؤاد
أَىُّ ذنْب جَنَيْتِهِ ؟ أَىُّ ذَنْـب حين خلفتها بلا إسْعَـاد ؟
ما تراها تقولُ إذ فَقَدْتنى خِدْنَ همٍّ وُرُودُه من قتاد (٢)

---

(١) الذّيول : جمع ذيْل . وهو آخر كل شىء ، وأسفل الثوب ، وما تتركه الرّيح فى الرّمْل كأثر ذيل مجرور . ج : أذْيال ، ذُيول .

(٢) خِدْن : صديق (للذكر والأنثى) . ج : أخْدان .

حسْبُها قاسِم الحظوظ وحسْبى بعدَ حينٍ ندامة الزُّهّاد

* * *

وَعَرَتْنِى سَكِينةُ الأَمـوات وَرَثَتْنى مدامـع الحسرات
وسمعتُ الشيطانَ يُلْقى بِسمْعِى طرَفًا من آياته الخالـدات
لا تَلُمْ من تعيش فى كَنَفِ العِرْ ضِ فقَدْ آدها صراع الحياة[1]
ربَّمَا ضمَّ شامِخٌ مُومِسُ النَّفْـس وفى وجْههـا حَيَاءُ فتـاة

١٩٤٥

بخيل

يا بخيلاً وكلُّ نظرةِ عيـنٍ منه كنزٌ للشَّاعر الْمُفْتَـنِّ
أَغْنِنِى عن جمالِ غيرِكَ يا خُذْ و بما فيك من جَمالٍ وحُسنِ
لا تَدَعْنِى أنظـر إليك سرابًا شائِـع النُّور فى سَمَاوَاتِ فَنِّى
أَنت يامَنْ وهبتُه صَفْوَ عُمـرى كيفَ جَازَيْتَنِى بظُلْمِى وَغَبْنِى
لمْ يرَ الناسُ مِنْكَ غيرَ قَـوَامٍ مُبدعٍ فى دَلاَلِهِ والتَّثَنِّى
وأَنا لا أَراكَ غَيرَ وُجـودٍ كامِلِ الخلقِ فى فؤادى وعيْنى

---

(١) آدها : أعجزها وأجهدها .

الفنان [1]

هو نايٌ حُرِمَ الشَّدْوَ فماتت أَغْنياتُهْ
هو قلبٌ مُنِعَ الحبَّ فجُنَّت خفقاتُهْ
هو كأْسٌ عافَه الشَّربُ فجفَّتْ قطراته [2]
هوجَفْنٌ شاقَهُ النومُ فطالت رَعَشاتُه

* * *

وهو نايٌ نَفَخَتْ فيه الأَعاصيرُ فَنَاح
وهو قلبٌ خالد الأَشواق محمومُ الجراح
وهو كأْسٌ فيه للصَهباءِ مغْدًى ومرَاح [3]
وهو جفنٌ ناعسُ الأحلام لا يَدْرى الصّباح

* * *

هو من لا تنظر الأَعْيُنُ منه غيرُ جِسْمِ
وهو فجرٌ لفَّهُ جنحُ الظَّلامِ المدْلَهِمِّ
قدَّر اللهُ عليه الفكرَ من حرب وَسِلْمْ

(١) هذه القصيدة ترجمة ذاتية للشاعر .
(٢) الشَّرْب : القوم يشربون ويجتمعون على الشَّراب .
(٣) المَغْدى مكان الغُدوّ . والمَراح : الموضع الذى يَروح منه القوم ، أو يروحون إليه ، وهو خلاف المَغْدى . ويقال : ما ترك من أبيه مَغْدىً ولا مَرَاحاً : إذا أشبهه فى أفعاله كلّها .

الأُلُوهيَّـــةُ فيـــه ترْتَدى أثوابَ إثم

* * *

ذلك الظَّامئُ يسقِى الناسَ خمْرَ العَبَراتِ
معجزُ الباكين وهو العبْقرىُّ الضَّــحكات
خالِقُ الكوْنِ الذى يخفقُ فوق الكائنـــات
للرُّؤَى فيـــه حيـــاةٌ وفنـــاءٌ كالحيـــاة

* * *

لم يمثِّله سِـــوَاهُ وهو فانٍ فى سِـــوَاه
شائِعُ الرُّوحِ وإن حُدَّ بما تقضى الحياه
إن تَكُ الأَيَّام دَيْرًا فهو فى الدَّيرِ صلاه !
أَوْ يكُ الحزن نشيدًا فهو فى الأَرض صداه

* * *

زادُه حـــوَّاءُ والفنُّ وعلْوِىُّ الرِّغـــاب
خالدُ الأَشْواق مابين حنين واغتـــــراب
فهو للنَّاس نعيمٌ وهو بالنَّاسِ عـــــذاب
إن سَمَا فهُو سحابٌ أَودَنَا فهـــو تراب

* * *

هو مَنْ سمَّوهُ فنَّاناً . وفى الأَسماءِ فنٌّ
وهو ناىٌ وهو كأْسٌ . وهو قلبٌ وهو جَفْنُ
كُلَّمَا طارَ بِنَجْوَاهُ إلى المجهـــول لحنُ

هزَّةٌ من جانِبِ المجهولِ هتَّافٌ مُرِنٌّ(١)
... لايغُرَّنْكَ الذى يَبْدو ففيــه المُسْتكِنٌّ
أنَا يا خالِقُ خلَّاقٌ من البَدْءِ مِفَنٌّ (٢)
قبستَ رُوحُكَ من روحى فَعَيْنِى لَكَ عيْنُ
وبأَحْنائك مِنِّى ثــورةٌ لا تطْمئِنٌّ (٣)

* * *

أَيُّها الفنَّـــانُ ما أَجْمَلَ دُنْيـــاكَ وأَكرمْ
أَنْتَ يا مُبْدعُ ما فى الْكون من حُسْنٍ مُلَثَّم
قَدِّسِ الحُسْنَ وخلِّدهُ فمـــا فى الحسن مأْثَم
أَيُّها الملهم والدَّهْرُ بما يشقِيك مُلْهم
عِشْ كما شاءَتْ خيالاتُك وافرَحْ وتــأَلَّمْ
لاتقُــلْ إِنِّىَ محرومٌ وغيرِى يَتَنَــعَّم
أَنتَ يا محروم تدرى أَنَّ راووقَكَ مُفْعَم(٤)
ومن الحرْمانِ خُلْدٌ هو من دُنْيَاكَ أَعْظَم

٥ أبريل سنة ١٩٤٥

(١) الهتّاف : وصفٌ للمبالغة فى الهتاف ، وهو الصوت العالى يُرفع تمجيداً لعظيم أو احتفاء به . والمُرِنّ : المُصوِّت .

(٢) المفَنّ : صاحب الموهبة الفنّيّة ، كالشاعر والكاتب ، والموسيقِى والمصوِّر والممثّل ، وهو مبالغة من فنّ . والمفَنّ كذلك : الحمار الوحشىّ لتفنّنه فى العدو .

(٣) الأحْناء : جمع حِنْو ، وهو كل شىء فيه اعوجاج كالضِّلَع ، والجانب ، والعظم الذى تحت الحاجب من الإنسان ، ويجمع الحِنْو كذلك على حُنِىّ ..

(٤) الرّاووق : المصفّاة ، والكأس ، والرّاووق كذلك : إناء عظيم من الزجاج يُتّخذ للشراب ، جمعه روَاويق .

الجزء الرابع

فى موكب الحرمان

١٩٤٥ - ١٩٤٦

ذبول

بين هَمْسِ الشِّفاهِ والأَحْـــداقِ
واللَّيــالِى خمــريَّةُ الأَشْـــواقِ
واصطباحِى على الهوى واغْتِبــاقى
ذبُلتْ زهرةُ الصِّــبا والشَّـــباب

* * *

بين صُبْح مُسَهَّدِ الأَنـــداءِ
ومســاءٍ مُعـــذَّب الأَضْــواءِ
واحتــراقى وَوَحْـــدتى وبُكائى
ذبُلَتْ زهرة الصِّــبا والشــباب

* * *

يا رَبيعَ الغــرامِ أَيْن غرامِى
كيْفَ ماتت على فمى أَنغــامِى
وتهاوَتْ على يَدِى أَحْـــلامِى
وذَوَتْ زهرة الصبا والشَّـــباب

* * *

(١) الاغْتباق : الشُرب بالعَشىّ .

صوَّحتْ واحتى وجفَّ مَعِينى[1]

وانتهتْ قصَّــةُ الغــرامِ الحزين

يومِ ضاقتْ بما تُكنُّ جفــونى

من دموعٍ على الصِّبَا والشَّباب

* * *

قــدَرُ الْهوَى كما شــاءَ يجرى

وحبيبٌ فى حُبِّـــه تاه فِكْرِى

بين وصْلٍ صافِى النعيمِ وهَجْرِ

غاضَ فيه نبْعُ الصِّــبا والشباب

* * *

يا حبيبى وأنت سِرُّ هَـــوَانى

ســوف أنساك قَبْل أَن تنســانى

أَيُّها الخالدُ الذى أَفْنَـــانِى

لَهْفَ قَلبى على الصِّــبا والشباب

(١) صوّحت : جفت وذبُلت . . والمعين من الماء : الظاهر الذى تراه العيْن يجرى على وجه الأرض .

لهفة

يامن يُعــــذِّبُنى بفــرْطِ دلالهِ   هوِّن عليكْ
وارحمْ أَسَى الباكى على آمــــاله   صرْعى لديك
قلْبى وحــالُ البائِسين كحالِه   يَهْفُو إليْك
ويكادُ يقْرَأُ غيْبَــه بخيــــاله   فى مُقْلتيْك
مَضَتِ السِّنُون وما انْتَشَى بِوصَاله   إلَّا لديك
ولســوفَ يَلْقى الموتَ من إذْلاله   وتعيش ويْك
يامَنْ يُعذِّبنى بفرط دلالِــــه   لهفى عليك

ليلة وصال

هــذه اللَّيلةُ من عمر الخلودْ فانبرى فى ســماها كوْكبا
وأَعيــدِى ماتغنَّــاهُ الوجودْ من أَغارِيدكِ فى فجر الصِّبا
وأَرينى فرحةَ العاشق فى ظلٍّ مُناه
إنَّما نحنُ على الدُّنيا صباحٌ وســناه

* * *

لاتقــــولى سخِرَ الدَّهرُ بنــا وانطوَتْ صفْحةُماضينا الحبيب
أَنْتِ فى شكواك ياروحى أَنا وكلانا بين أهليــه غريب
فابْسِمِى تبْسم لِرُوحَيْنا أَمانىُّ الحياه
إنما نحنُ على الدُّنيا نشيد وصداه

* * *

يا غرامى بين ربَّاتِ الغــــرام غنَّت الأَشواقُ فى قلْبى فغنِّى
واملئى كأْسِىَ من صفْوِ المُدام وامْلئى كأْسَك من خمْرِ التمنِّى
وامْلئى اللَّيل غراماً من عُيُونٍ وشفَاه
إنَّما نحن على الدُّنيا رَحِيقٌ وشَذَاه

* * *

عطرُكِ النَّائم فى مهْد النهود　　أَيقظتْه قبلتى فانْسكبا
والطِّلا الباسمُ فى وردِ الخدُود　　عَبَدَتْ عينـاىَ فيه الذَّهبا
كلَّما أَسْكرنى الثغر البَرُود　　عربْدَ القلبُ هياماً وصبا
وإِذا طابَ لكفَّىَّ السُّجود　　فى سماءِ الصدْر جُنَّا لعبا
وأَرى الليلةَ من عمْر الخلودِ　　أَنْتِ أَشرقتِ عليها كوْكبا
فأَعيدى ماتَغنَّاه الوجود　　من أَغاريدكِ فى فجر الصبا

وأَرينى فرحة العاشق فى ظلِّ مُناه
إِنما نحنُ على الدنيا صباحٌ ومساه

بعد حين

بعد حِينٍ ستُوارِينى كما وَارَت ِسواى الحفراتُ

بعد حين ٍ تُحرَمُ الدنيا أَناشيدى وتفْنى الأُغنياتُ

بعد حين لستُ أَدرى أَقريبٌ أَم بعيدُ

تنتهى أَحلامُ دُنيایَ ويبْكينى الوجودُ

وتُغشِّى سُحبَ الموْتِ سمائى بعد حين[1]

* * *

كيْفَ غابَتْ أَنجمُ الآمال من آفاقِ عُمرى

ما الذى غَالَ ابْتِسَاماتى وأَبْلى نسْج فِكرى

سأَل القلبُ فلمْ يسعِدْه فى البلْوَى جوابْ

فرأَى أَحلامَه البيضاءَ من نَسْجِ السَّرابْ

وتمنَّى لو أَصابتْه المنايا بعد حين

* * *

ضجَّت الأَرضُ وعافتْنى غدوًّا وَرَوَاحا[2]

واستحالَ النَّغمُ الحنَّان فى سمعى نُواحا

(١) تُغَشِّى : تغطِّى.

(٢) عافَتْنى : كرِهتْنى .

فتَخذْتُ الْهمَّ كأْسِي وليالِيَّ النَّدامَى
وتَسامَيتُ فلم أَنشد من الطين غَراما
علَّني أَلْقى غراهِي في سمائي بعد حين

* * *

في نعيمِ الكأْسِ نسيانٌ لِمَنْ ضاعتْ مناه
ومن الحرمانِ أَن يبكي فلا يُجْدِي بُكاه
وأَنا كأْسِيَ تُعْميني فأَنسى صُبْحي
وتُرِيني كيف أَمْسيتُ .. وحُزْني فرحي
ومُنى نفْسِي أَن تذهب نفسي بعد حين

عتاب

الذنبُ ذنبُكِ ليس ذنبي ... يا مَنْ أَرَقْتِ دُموعَ قلبي[1]
فتنظَّرِى عتْبي فقد ... يُلهيكِ عن نِسْيانِ حبي[2]

* * *

لمَّا التقيْنا والتقتْ ... منَّا على الظَّمإِ العيونْ
هَتَفَ الشبابُ بنا فلَبَّيْنَا ونجْوانا سُكون
قلْبي يقولُ وجدْتُها ... وهو المصدَّقُ لايخون
وأنَا أَقولُ لعلَّها ... يا قلبُ خاتِمة الحنين
حتَّى إذا نامتْ جراحاتى وخِلتُ هواكِ طَبِّى[3]
عزَّت عليكِ هناءَتى فسَلَبْتِنِى أَحلامَ قلْبي

* * *

الحبُّ ... وهو الواحةُ النَّشْوى بأَنسام الحياه
رقْرقْتُ فوق زهورِها عطرى ولم أَنْشَق شذاه
ووهبتُها قلْبي المعذَّب بُلْبُلًا يبْكى أَساه
وأَضعت عمرى كُلَّه أَهفُو إليه ولا أَراه
فرجعتُ أَندبُ واحِتِي وزهورَ أَحلامى وحبِّى
والذنبُ ذَنْبُكِ ليس ذنْبي يامَنْ أَرَقْتِ دُموعَ قَلْبي

(١) أرَقْتِ : سكبت وسفَحْتِ ، من أرَاقَ الماءَ إراقةً : صبّه ، وأرَاقَ دَمَه : سفكه كناية عن قتله إيّاه .

(٢) تنظَّرِى : تأمّلى بعينْيك ، أو توقّعى .

(٣) الطِّبّ : المُداوَاة والعلاج ، من طَبّ المريضَ ونحوه يطُبّ طَبّاً : داواه وعالجه .

ذرية الحب

« أظهر العلم من معجزاته الآثمة ما يسمونه « القنبلة الذرية » ، فإلى العلماء هذه الأنشودة الحزينة السامية بحزنها الذى يطهّر ولا يدمّر »

قبل أن نهبط من جنّتِنَا فى الأزليّهْ

حين كُنَّا ذرَّة فى جانب الله سَنيّهْ(١)

جوهرتْنا يدُه العُليا بنور القدسيّه

فاقتسمناها حياةً فى السّماواتِ هنيّه

وأراد اللهُ أن نلْبَس ثوب الآدَميّه

فافترقْنَا رغْمَ ما يجمعُنا فى العاطفيّه

والتَقيْنا بعد آبادٍ بسرٍّ الجاذبيّه

التقيْنا ... فانتشيْنا برحيق الأبديّه(٢)

ونَهَبْنَا العمرَ أحلام ليالٍ نابغيّه(٣)

---

(١) السّنىّ : الرّفيع ، ومؤنثه سَنِيّة وهى الرفيعة .

(٢) انتشينا : بدأ سُكْرنا وطربْنا ، والرّحيق : الخمر ، والخالص الصافى منها ، وضربٌ من الطيب .

(٣) ليالٍ نابغيّة : مَثَلٌ فى ليلة الهمّ والأرق ، وأصله أن النابغة قال فى وصف ليلة حين غضب النعمان عليه :

فبتّ كأنّى ساوَرَتْنى ضئيلة ... من الرّقش فى أنيابها السم ناقع ...

فضرب بليْلته المثل ، جمعه : نوَابغ ..

ثمّ وليّتُ فماتت أُغنياتى فى يديّهْ

ودجا عُمْرى وهانَتْ بهجةُ الدنيا عَليّه[1]

وغدًا ياتوأمَ الرّوحِ تعُودِين إليّه

* * *

قصّةٌ سَلْسَلها اللهُ وعاشتْها البريّه

الأُلوهيّةُ فيها مَثَّلتْها البشريّهْ

١٩٤٥

(١) دَجَا عمرى : يدْجُو دَجْوًا ، دَجُوًّا : تمّ وكَمل . ودَجَا الليل : تمّت ظُلْمته وألبَس كل شىء فهو داجٍ ، ودَجِىٌّ .

نشوة

طافَتِ النَّشوةُ بالكأْسِ كما طَافَتْ بِنَــــــا
أتراهَا – يا حبيبى – سَكِرَتْ من حُبِّنَـــــا
أَمْ هى النَّشوةُ يا حلو وأَفْراح الوصـــال
بعثتنى حُلُمًا يسبحُ فى دنيـــا الخيـــال
يا حبيبى إنَّما الدُّنيـا شَبَابٌ وأَمَــــانى
يا حَبيبى نحنُ من يـوم خُلِقْنَا .. عاشقـانِ
وغرامِى أَنت ياسرُّ هنائى وهَـــــوَانى
فاسْقِنِى كأْسَكَ واشْرَبْ من فَمِى خَمْرَ الأَغَانى
وانْسَ مَا ضَاعَ من العُمرِ ولا تذكُرْ غَــدِى
فهو غَيْبٌ رُهِنَــتْ ساعتــه بالموعِــدِ
والذى رَاحَ طوَتْــه ظلُمات الأَبـــــد
فارْوِنِى من قبــلِ أَنْ يَذْبُلَ زهرى فى يــدى

* * *

واملأ الكأْسَ وعطِّرهــا بأَطْياب المُــنى
فلقدْ أَسكرهــا الحبُّ كمــا أَسْكَــــرنَا
أَترى روحك أَحْيَتْهـــا فسالت شجنــا
أَم ترى روحك . يا روحىَ . أَحيتنى أَنــا
أَم هى النشوة يا حلو وأَفراح الوصـــال

غريب فى الربيع [1]

« إلى يوم عيد . شربت فيه آخر قطرة من حميم
الوحدة . فى نادى الخليّين » .

أَنا الغريب هنا لا خمرَ أُسْقَاهَـــا
ولا نديم يُعاطينى حُمَيَّاهـــا ؟ [2]

أَنا الغريب هنا ... لا الـــروضُ يبسمُ لى
ولا أَزاهرُه تَنْـدى ثناياهــــا [3]

هنا الخميـلاتُ أَشـواقٌ مُرنَّحـةٌ
العاشِقـون طيـوبٌ فى حناياهـا [4]

هنا الخليُّون لم يُقْدَرْ لـــراحتهم
موتٌ ولم يعدمـوا للنَّفْسِ سَلْواهـا

* * *

هنا الخليُّـون أَحســابٌ وأَنســابُ
حبائبٌ عبْقريَّات وأَحبــابُ [5]

---

(١) كان عنوان القصيدة « حوانى » ، ولكنه غيَّر العنوان حينما نشرها بمجلة الرَّاديو المصرى تحت عنوان « غريبٌ فى الربيع » ، والقصيدة تعبِّر عن شعوره بالوحدة وحنينه إلى حبيبته .

(٢) يُعاطينى : يناولنى . وحُمَيَّا كل شىء : حدّته وشدّته ، والحُميّا : الخمر كذلك .

(٣) الثّنايا : جمع ثنيّة . وهى الطريق فى الجبل . أو الخالصة ، يُقال : هو ثنيّى : خالصى .

(٤) الطُّيُوب : جمع طيِّب : كل ما يتطيَّب به من عطر ونحوه ، وهو الأفضل من كلّ شىء والحنَايا : جمع حنيّة وهى القوس . وتجمع كذلك على : حُنىّ .

(٥) حبَائب : جمع حبيبة . وهى المحبوبة . وهى المُحبّة كذلك .

وخمرةٌ تُسْكِرُ الأَحــــلامَ رِيقَتُهــــــا
وشاربـــون لَهُمْ فى السُّكـــر آدابُ
طـارتْ بهم نَشْـــوةُ اللُّقيـــا ، وغلّلنى
قيدٌ من الوحْدَةِ الْخَرْســـاءِ غَـلاَّبُ
يا حسرتا ... أنــا مَحْرُومٌ ومـلءُ فَمِى
نجْوَى ومِلْءُ دمى شَوْقٌ وتحْنَــابُ

* * *

أَنا الذى ملَّتِ الشَّكـوى أَناشيـــــــدى
ماتَت بقلْبىَ حتَّى فَرحـــــةُ العيــــــد
عيدٌ مضى قبـل أَن تبـــدو بشائـــره
وأَزهقَتْ رُوحَـــه أَشباحُ تسْهيــــــدى
كمْ مرّةٍ هــزَّنى من نايـــــه نَغَـمٌ
فَرُحْتُ أَسْقِى المُنَى خَمْرَ الْأَغَاريـــد (١)
مالى أَرَاهُ كأَنَّ الحُـــزْنَ أَذْهلَـــــه
فلَحْنُه ذَوْبُ آهـــاتى وتنهيـــــدى (٢)

* * *

(١) الأغاريد : جمع أغرودة وهى غناء الطّير أو الإنسان .
(٢) ذَوْب : ماذوّب من الآهات والتنهّدات .

أَنا الْخَلِيُّ الـــذى دُنيـاهُ تَشْبِيـــبُ

وحبُّـه لَهَبٌ فى الرُّوحِ مشبـــوبُ [1]

أَنا الْخَلِيُّ وفى جَنْبِيَّ مَلْحمـــةٌ

خفَّاقةٌ شِعْرُهـــا بالنَّارِ مَكْتــوبُ

حُبِّى أَغـانٍ شريـداتٌ ، وأَخْيلَـــةٌ

وهْنَانَـــةٌ وأَسًى دامٍ وتعْـــذيبُ

حُبِّى جُنـــونٌ وأَحْـــلامٌ مُحَيِّـــرةٌ

وفكـــرةٌ سرُّهـــا بالغيبِ محجـــوبُ

* * *

خلقْتُ بالشعـــر حـــوّائى وجنَّـــاتى

وقلت حسبى من الدُّنْيا خَيَـــالاَتِى

حتَّى أَفقتُ عـــلى حـــوَّاء تهتـــف بى

وفى دمى آدمٌ عاتِى الصبابـــاتِ [2]

فصِحْتُ ياوَيْحَ من أَنْسَتْـــهُ فِكْرتُـــه

أَنَّ الحيـــاةَ هَوًى سامى الصبابـــاتِ

---

(١) التشبيب : التغزل بالنساء .

(٢) العاتى : هو المستكبر الذى يتجاوز الحدّ ، جمعه : عُتَاه ، عُتِىّ . والصبابات : جمع صَبَابَة وهى الشوق ، أو رقته ، أو حرارته ..

يا وَيْحَ لى ولِفَنٍّ كنتُ خالِقَهُ
والْيومَ خالقُه فنُّ السَّماواتِ

* * *

أسَلْوَةٌ أنا ؟ مالى لا تناديني
حوّاءُ فِكْرِى إلى حُبِّ المجانين ؟
حُبّ الأُلوهيَّة النَّشْوى بعفَّتها
وعِزَّةٍ عرفَتْ ذُلَّ المساكينِ
هناك تحلو انطلاقاتى وتَعْرِفُنى
نفسِى .. ويُغرِقُنى مَوْجُ الأَفانينِ (١)
هناك حيثُ اتَّحَدْنا روح شاعِرةٍ
وشاعرٍ بالْهَوَى والْمَجْدِ مَفْتونِ

* * *

هناك حيثُ شربنا خمْرَةَ الأَزَلِ
وكان قلبُكِ يحكى نشوة الأَمَلِ
وكُنْتِ منّى مكان السِّحْر المُقلِ
وكنتُ منكِ مكانَ الشاعرِ الغزِلِ
وقلتِ لى « أَنا » قُلْتُ الْكَوْنُ بعضُ « أَنا »
وقُلْتِ « أَنتَ » فقلتُ : الموت أَهْنَأُ لى

(١) الأفانين : جمع أفنون ، وهو الغُصْن الملتفّ ، والنّوع من الفن . ويقال أفانين الكلام : أساليبه وطرقه .

ياطيبَ مامَـرَّ من أيّامِ فِطْرتنـــــــــــا

يا بُؤْسَ ما أبْقت الأيـامُ مـــــن أجلى

* * *

حوّاءُ !؟ ما طَابَت النَّجـوى لِمُنْتَحِــــب

عُودِى إلى آدمٍ فى التِّيـه مُغْتَـــــربِ

لم يُنْسِـه الفنُّ أنَ الحــبَّ خالِقُـــه

وأنّ أمْـــوَاجَهُ فى الحبِّ كالْحَبَـــبِ (1)

وكيف يَنْسَى وفى عيْنَيْــــهِ جائعِــــةٌ

أرَادَهــا اللهُ أنْ تَقْتَـــــاتَ بالنُّــوَبِ

رُوحٌ من المــــلإِ الأعْلى تَقَاسَمَهـــــا

سِجْنٌ وحُرِّيَـــةٌ مجهـولة السَّبَــــــبِ

* * *

يا فنُّ إنَّك من حـــــواء مجبــــولُ

ياشـعرُ مَعْنَـــاك ضَمَّاتٌ وتقبيــــــلُ (2)

لا تبْكِيانى فلِلْحِــــــرْمـان آخــرةٌ

ولا تظُنَّـــا فبعضُ الظَّـــنِّ تَخْبِيلُ (3)

---

(1) الْحبَب : طرائق تظهر على وجه الماء تصنعها الريح ، والطَّل يُصبح على النبات ، وهو النّدى الذى ترسله عروق الشجر إلى غصونها .

(2) مجبول : مخلوق من جَبَل الله الخلْق يجبُل جبْلاً : خلقهم .

(3) تخبيل : إفْساد للعقل وذهابٌ للفؤاد .

إنّي أُريد الهوى أفكار مُلْهمةٍ
فنّانةٍ ملءُ دُنْيَاها التّهاويلُ [1]
أُريدُها قبساً يُهدى إلى قبسٍ
مُغيَّب نورُه يأْسٌ وتأْميل [2]

* * *

أُريد حوّاءَ من صُنْع الْمَقَادِيرِ
أُسْطورةً شربت خَمْرَ الأَساطير
مخلوقةً من سَبِيئَاتِ القَوَارِيرِ
والذِّكريات وأنفاس المزامير [3]
أُريدها فكرةً لله خالدةً
خلودَ رُوحِى وأَشجانى وتفكيرى
أَسْمُو بها ثم تسْمُو بى إلى فلكٍ
يَفْنَى على نُورِهِ قلب السمادير [4]

* * *

أُرِيدُها كالآمانى صِدْقُها كذِبٌ
أُريدها فرحةً طافَتْ بها النُّوَبُ

---

(١) التهاويل : كل ما هُوِّل به ، أو ما على الهوادج من الا وف الأحمر والأخضر والأصفر .
(٢) التأميل : التلبُّث فى الأمر والنظر ، والتدبر وإعادة النظر فى الشىء مرة بعد أخرى ليستْيقنه .
(٣) السّبيئات : جمع سَبِيئة : الخمر .
(٤) السّمادير : شىء يترءاى للإنسان من ضعف بصره من السُّكْر .

أُرِيدُهَا بِنْتَ أَيَّامٍ مُعَذَّبَةٍ
وأَنفسٍ فى جِنان الشَّوْكِ تضْطربُ

أُرِيدُهَا ولَهَا من نُبْلِهَا نَسَبُ
ومن جَلاَلَتِهَا فى ضعْفِهَا حَسَبُ

وآهِ منهَا ومن وهْمٍ يُمَثِّلُهَا
حتى إذا شِمْتُهَا تَنْأَى وتَحْتَجِبُ

وحدة

« يا أيها الناعى علىّ تكاسلى ،
لستُ الكسول .. بل الكسول زمانى »

أنــا وحــــدى ؟ أوّاه من أنــــا وحــــدى
عِشــــتُ فيها حتّى أرَتْنىَ الْحَـــــدى
« أنا وحدى » جهنّمُ اليأسِ والبُؤْسِ وسَلوَى الْمَغْلوب والمُسْتبِدِّ
هى ذُلٌّ وعِزّةٌ واقتــــدار وهى ذُلِّ وعزّةُ المُتَحـدِّى
أَنا وحْدى وسوف أذهبُ وحدى ليت روحى لا تعرف الحزْنَ بعدى
أنا وحدى ؟ أجل فلا شيءَ يُجدى أنا وحدى لا أعرف الحزن وحدى

* * *

وسأبْقَى وحدى وإن كان صَحْبى مِلءُ عينى ومِلْءُ سمعى ولُبِّى
ما لِعقْلى خلقت يارب فارحم أنا يارب قد خلقت لقلْبى
ما لِعقْلى خلقت فلْيمْضِ عَقْلى ولْتَدَع لى الأيام أشلاءَ حُبِّى
أنا عِطْرٌ مُبَدَّدٌ فى الصحـــارى أنا حرب الآمال واليأْس حَرْبى
أنا سقم وأنت تعلمُ طَبِّ وهو الموتُ يا إلهى طِبِّى

أختى (1)

« إلى بلهانى العزيزة ، فى صمتها المسحور »
وهى شقيقة الشاعر .

أُختى قصيدةُ شاعرٍ غَـــزِل أُختى تميمةُ ساحِرِ الخَبَلِ (2)
أُختى هيام .. وأَنت من أَملىَ لأَنا الحزين عليك يا أُختى

* * *

لأَنا الحزينُ وإِنْ طَغَى فرحى وسكرْتُ مِنْ صَحْبى ومن قَدَحى
حتَّى أُحسّ كهَمْسَةِ الشَّبــح وأَرَاك ماثلة على قُـــرْب
فيفيض نبْعُ البشرِ فى قلبى
وأَرى دُعَابَ الصَّحْبِ من ذنبى
وأَعيشُ فى دُنْياك يا أُخــتى

* * *

كم مرّة أَغرقْتِ فى الضَّحك من غَيْرِ ما داعٍ إلى ضحــكِ
فأَروح أَهتِفُ أَين مُضْحِكُكِ أَهو الزمانُ وجدُّه لعـــب
أَم طائفٌ بالغيبِ مُحْتَجِــب
أَم إنَّها الأَحداثُ والنُّوَب
ولكم يُسلِّى الحــزنُ يا أُختى!

* * *

(1) عنوان القصيدة فى الديوان « أختى هيام » .

(2) التميمة : ما يُعلق فى العُنُق لدفع العين ، ج تمائم . والخَبَل فساد العقل وذهاب الفؤاد .

أَم أَنَّه عقلُ المجانيـــنِ ؟ شيطانُه شيخُ الشياطين
وبذكْرِهِ تحلـــو أَرانينى وبريحه تسرِى تــلاَحِينى [1]
وبفَنَّهِ تسْمُو أَفانينى [2]
يا ليتَــهُ يوماً ينـــادينى
لأَغيبَ عــن دنيـــاى يا أُختى

* * *

ولقد أَلُمُّ بوجْهِك القمـرِى فأتيهُ فى ديمومةِ الفكرِ [3]
وجهٌ كوجهِ إلهة الْخفـــر إطراقةٌ لُفَّت بإِطراقِ [4]
أَو فكرةٌ فى ذهن خـلاَّق
أَو خَفْقَةٌ فى قلــب مُشتاق
أَو دَمْعــة تبكيـــكِ يا أُخْتى

* * *

(١) أرانين : جمع إرْنان ، وهو صوت الشهيق عند البكاء ، وكان الأولى أن يجمع إرنان جمع مؤنث سالم فيقول : إرْنانات ، لأن الخماسى الذى لم يُسمع له فى اللغة جمع تكسير ، يجمع قياسا جمع مؤنث سالم ، إذ أن جمع التكسير حينئذ ليس له قوة جمع المؤنث السالم. والتلاحين : جمع تلحين بمعنى الغناء ، وهو مصدر تخصّص بالإضافة ، ولذا يفيد أن التلحين متنوع الأشكال متعددها ومن هنا يجوز جمعه وتثنيته . أما المصدر الذى لا يجوز جمعه فهو المصدر المحض الذى يفيد مجرد الحدث ولم يُخصَّص بإضافة أو بوصف إلى آخره .

(٢) أفانين : جمع أفْنون ، وهو الغصْن الملتفّ ، والنوع من الفنّ .

(٣) الدّيمومة والدّيموم : الفلاة الواسعة . ج ديامِم ، والديمومة بمعنى الدوام ، ى دَوَم .

(٤) الإطراقة : مَيْل الرأس إلى الصّدر مع سكوت الإنسان فلا يتكلم .

أَو زهرةٌ صُوفِيّةُ الطِّيـــــبِ نامت على مَفْرِقِ محبوبِ[1]

أَو آهةٌ فى صــدرِ مكروبِ أَو نَسْمةٌ فى جَوْفِ إعصارِ

تشْقى بما تصلاهُ من نار

وسلامهــا فى كفِّ جبّــار

كســلامِ روحُكِ أَنتِ يا أُختى

* * *

وتقول أُمِّى حين تلْقــــاكِ يا ليْتَ قلْبِى ما تمنَّــــاكِ

أَو ليت مهدكِ كان مثْــــواكِ لك فى بناتِ الحىِّ أَترابُ

عِرْسَانُهُنَّ لهُنَّ أَحبــــابُ

فأَقول والمقــدور غلاَّب

الحظُّ خانَكِ أَنــــت يا أُختى

* * *

وإذا الطبيبُ وصحبُه تاهــوا قالت أَصابَ الجنُّ مرمــاهُ

وهيام باتَتْ من ضحايــــاهُ قالت ... وقلتُ أُفلسف العُذْرا

الجنُّ مأْمُورٌ قــد ائْتَمَــرَا

والله فكرٌ حيَّر الفكـــرا

وأَذلّهــا بالغيب يــــا أُختى

* * *

(١) المفْرق من الرّأس : حيث يُفْرَق الشّعر ومن الطّريق : الموضع الذى يتشّعب منه طريق آخر ، جمعه : مَفَارِق .

وإذا الْكرى نادى الخليِّيْنَـــا فأَجبْتهِ وهجـرتِ نادينــا
قالوا نَـأَى مَنْ كان يسلينـا فأَقولُ بَلْ مَنْ كان يُبْكينـا
ويحيلُ أَحْنَانَا كقاسينـا
ويُثيرُ فى نفسى البراكِينا
وأَظلُّ أَبخس منــك يــا أُختى

* * *

ولو أَنَّنى طامنتُ من كَمَدِى لرأَيتُ غَيَّكِ آية الرُّشْــدِ
وعرفت فيكِ شقيقة الأَبَــدِ أَشبهتهِ صمْتًا وإِعْجَامَا [1]
وشَأَوْتِهِ عمقا وإِبهاما [2]
وإِذا أَنَارَ ازْدادَ إِظْــلاما
وإِذا أَنَرْتِ دَجَــوتِ يا أُختى

* * *

قاسٍ عليك أَنا ، فــلا تُغْضى إِمَّا قسوتُ فَلَيْسَ من بُغْض
أَنا فى السَّماءِ وأَنْتِ فى الأَرْضِ أَنا فى سماءٍ من خَيَــالاَتى
أَحْيَا بِفِكْرِى وانْفعـالاتى
فانْأَىْ بـأَرْضِك عن سماواتى
تنْأَ القســاوة عنك يــا أُختى

* * *

(١) الإعجام فى الكلام : إبْهامه وذهابه به إلى العُجمة .
(٢) شأَوْتهِ : سبقته ، من شأَوْت القوم أشْأوهم شأْوًا : سبقتهم .

« دَيْنُ » الوُجُودِ وَفَاؤه العَدَمُ والماءُ سرٌّ وجودِهِ الضَّـرمُ[1]
واللُّغزُ حين يَبينُ ينْبَهِـمُ وأرى الحياة وبدؤها الأَجل !
واليـأْسُ أَول خلْقه الأَمـلُ
والعقلُ ينقص حين يكتمِل
ومن الجنونِ العقْلُ يا أُخـتى
أُختى قصيدة شاعرٍ غزل أُختى تميمة ساحر الخبل
أُختى هيام .. وأَنت من أَملى لأَنا الحزين عليك يا أُختى

(١) الضّرم : الاتّقاد والاشتغال ، من ضرِمت النار تضْرَم ضرَماً : اتّقدت واشتعلت .

هجاء [1]

« حينما كنت ثائراً على نفسي راضياً عنها »

لك يا وجْهي التعيسُ هجـائي ... في صباحي ومَغْربي وعشائي

أنْتَ يا متْحفَ الدَّمامَةِ والقُبْـح تنزَّهْتَ عن صفات البهـاء

مع سَبْق الإِصرارِ صاغَكَ ربِّي ... لعنةً في نواظر الأَحيـاء

حسْبُ عيْشي من سوءِ خلقك نحْساً ... وبلاءً مُزوَّدًا ببـلاء

إنِّني كلما لقيتُ فتـاةً ... صفعَتْني بالنظْرةِ الشَّزْراء [2]

وهي لو تنشُدُ الحقائق جُنَّت ... بغرامي وتُيِّمتْ بلقـائي

ورأتني روحًا مُعَطَّرة الحُسْـنِ ... وقلبًا مجمَّعا من نَقَـاء

غير أنَّ العيونَ كالنَّاسِ لا تحفِل ... إلاَّ ببهْـرجٍ وطـلاء [3]

وعيون الجهَّالِ يبهرُها القِشْرُ ... ولِلُّب أَعينُ الحكمـاء

فاعفُ عنِّي إذا هجوتُك يا وجْهي ... فلا زلتُ قُدْوةَ الصُّرحـاء

إن تجهَّمتَ فالحياةُ عُبوسٌ ... أَو تهلَّلتَ فهي نبْعُ صَفَاء

وكفاني أَني أَعيشُ بوجـه ... واحد في السرَّاءِ والضرّاء

---

(١) لم يكن دميا ولكن كان في وجهه حب الشباب ، وقد قيلت هذه القصيدة على إثر كلمة نابية من فتاة داعبها في الطريق ، فقالت له انظر إلى وجهك .

(٢) النّظرة الشّزراء : هي التي تكون بمُؤخر العين في حال الإعراض والغضب والاستهانة .

(٣) الطلاء : الخمر ، وماطبخ من عصير العنب ، والطلاء كذلك : كل ما طليَ به .

ولِغَيْرِى من الْأَناسِىِّ أَن ينشُرَ فى الأَرض مذهبَ الحرْبـــاءِ [1]
مذهب الواغلين فى كلِّ عرض والمُجَلِّين فى سِبـــاقِ الرِّيَـــاءِ

* * *

إِيهِ يا وجهىَ المُقَبَّح عُـــذرًا فهِجَائى من صنْعةِ الشُّعـــراءِ
ليسَ دأْبى الاطْراءُ إلاَّ لغيْرى وحرامٌ على فَمِى إِطْـــرَائِى [2]
عِشْ لنفسى خباءَها فهى عذرا ءُ ومجدُ العَـــذْراءِ ستر الخبَاءِ
لا يغرَّنْكَ ما يُزيِّنُه الناسُ من الحسنِ فهو محْضُ هَبَـــــــاءِ
كم قبيحٍ شأَىَ بأَخْلاَقِه الْغُرِّ جميلاً يتيـــــهُ بالْعَـــــوْرَاءِ

(١) الحرْباء : دويبّة على شكل سامٍّ أبرص ذات قوائم أربع ، دقيقة الرّأس ، مخطّطه الظهر تستقبل الشمس نهارها وتدور معها كيف دارت ، وتتلوّن ألوانا ، ويُضْرب بها المثل فى الحزم فيقال : « أحزم من حرْباء » ويقال : « أصرد من عين الحرباء » لمن اشتدّت إصابته بالبرد ، ج : حَرابىّ .

(٢) الإطراء : الثناء الحسن على الإنسان أوغيره ، والمبالغة فى الشىء .

الجزء الخامس

وطنيات

١٩٤٦

اهداء

إلى « مصر » الخالدة
فى قصرها الذى بنته فى حِمَى التاريخ
وأضفت عليه من سحرها
مُسُوح المجد والعظمـة
فطاولت به قصور الخيال فى دنيا الشعر والشعراء

بنت السراب

أَلْقَى السـرابُ عليـك أرديـة
من نَسْجِـهِ فخَدَعْـتِ صَـرْعاكِ
تتعطَّفين فكلُّهـم فَـرِحٌ
وتَبَاعَدِين فكلّهـم شـاك
لولا جفـاؤك ... قلتُ مـن شَغَفِى
لَمْ يُبْـدِع الخـلاّق إلاّكِ
ولَكِ الجمـالُ وكـلٌّ ما مَلَكَتْ
يُمْنَى الحيـاة فمِلْكُ يُمْنـاك
يا فتنـةً يُـزْهى الإلـهُ بها
فَهْـوَ الـذى بيـديه سَـوّاك

٤ يولية ١٩٤٦

من وحى الشهداء[1]

إلى روح الشهيد الكريم فى جوار الله

مزجتْ مصرُ دمعَها بدمائهْ وتهاوَت تبكيه فى بُرَحائِهْ[2]
لهفَ نفسى عليهما وهى تبكى وهو يشرى بقاءَها بفنائه
كبرت نفسُه الكريمةُ أن يحْيَا حياةَ الجريح فى كبريائه
فأَسرّت إليه أن حطِّم القَيْدَ .. وطهِّر سَنَاك من ظلمائه
فأَجابَ النِّداءَ لبَّيْكِ يا مصر وللصوتِ رجفة فى دمائه[3]
وتعالى إلى السماءِ شهيدًا جلَّ هذا الشهيدُ فى عليائه

* * *

أَكرموا ذكره فقد أكرمَ اللهُ ثراهُ بالفيضِ من آلائه
وأَريقوا الدموع طلاًّ عليه وحميماً يشوى على أَعْدائه[4]
إنه فى الوجود كالفَجْروالنُّور وكالليل فى خلود بقائه
إنه فى السماءِ والأَرض .. روحٌ سَرمدىٌّ مُجوهَرٌ بصفائه
طاف بى كالخيال تَيَّمه الشوقُ وكالصوت غاب فى أَصدائه

(١) ذكرى شهداء كوبرى عباس.
(٢) البُرحاء : الشدّة ؛ ومنه بُرحاء الحُمّى .
(٣) الرّجْفة : الزّلزلة من رَجَف يرجُف رجْفاً ورُجُوفاً ورَجيفا ورجَفَانا : تحرّك ، واضطرب اضطراباً شديدا
(٤) الطّلّ : النّدى . والحميم : الجمر يُتبخَّر به ، والماء الحار والقيظ .

فترامَتْ على فمى زفـراتٌ مُلهماتٌ من حزنه وبكائه[1]
قلت هذا الضياء كان تراباً أَوْدَع اللهُ فيـه سِرَّ سمائه
كيف حَالَ الترابُ ياربِّ نُورًا عَشِيَتْ أَعينُ الدُّنى بسنائه
فتنادت خواطرى إنه الزهـ ـر الذى مات فى ربيع رُوائه[2]
وتناجت سرائرى إنه القلـ ـب الذى خلّدته روح مضائه
إن هذا الضياء ذكرى شهيـدٍ طهَّر الله قلبـه بضيائه

* * *

عاش فى أَرْضِه غريباً وَوَلَّى كشَكَاةِ الغريبِ فى حَوْبائِهِ![3]
عاش فى أَرضه غريبا .. كَمَا عَا شَ الأُلَى خلَّفوه من آبائه
رُبَّ ليـلٍ أَفناه يُزجى إلى اللَّـه ضراعات مسرف فى دعائه
قال ياربِّ هذه مصر تشكو ظُلْم هـذا الدَّخيل فى غُلوائه[4]
ربِّ إن الحيـاة موجٌ عَتِىٌّ زورق النيل فى حنايا تائه
نام ملَّاحـه فأَلوت به الرِّيـح وعىَّ النُّوتىُّ عن إرْسائه
رَبِّ .. هذا الوجود من صُنْع كفَّيـك حرمنـا من خيره وهنائه
أَنت جبّاره لك الحول والقُوَّ (م) ة ميّزت صبحه من مسائه
عَاشَ قومى فيه عبيدا أَذلّا ء لمستعمرٍ حيـاته كَفَنائه

(١) الزّفرات : جمع زَفْرة ، وهى التنفّس مع مدّ النفس الحار تشبيها له بزفير النار .
(٢) الرّوَاء : المنظر الحسن .
(٣) الحَوْبَاء : النفس ، ج : حَوْباوَات .
(٤) الغُلَوَاء : الغُلُوّ ، وغُلَوَاء الشباب : أوّله وحدّته .

فرَّ من « طُبْرُق » و« بئر حكيم » كالنعام الشَّريد فى بيْدائهْ ![1]
ويحه مثَّل الصِّغار جريحا ولدى البرء ضلَّ فى طغْوائه
جُنَّ بالنصر فاستطار سفَاهًا وأحلَّ التقتيل فى حلفـائه

* * *

عجب الكونُ من جماد وحسٍّ لجبانٍ زئيرُه كفنـائه !
مجرمٍ ظَنَّنـا عبيدًا لديه فهو يرجو الخنوع من أُسَرائه
كَيف يدمى بناره من أَحاطو ه بعطف الوفِيِّ فى ضرَّائه
إنَّها قصَّـةُ المهـانة تُتلى فوق أَرضٍ بلاؤُها من بلائه
قصَّـة الإِنكليز فى أَرض مصر وهى نبتُ التاريخ منذ ابتدائه

* * *

مصر..لاكُنْتُ من بنى النيل إن عِشْـ تُ ونيلُ الخُلودِ يَشْقَى بدائه
وأَنا ابنُ الفلَّاحِ عضَّـنِىَ الفقـرُ بنَابٍ، أَوّاه من بلوائه
وأَنا العاملُ الشقىُّ بجهلى المريضُ المحرومُ من أَهوائه
أَنا أَفْنى فى مصرَ جُوعاً وغيرى يتسلَّى بتِـبْره وثرائه ![2]
أَنا أَفْنى فى مَوْطنى وعَدُوٌّ يتلهَّى بخمـره ونسائه
لاعرفتُ الحياة إن عشتُ يوماً وعَدوٌّ يتيهُ فى خُيَلائه

(١) طُبْرق : مدينة فى ليبيا ، وهى مرفأ طبيعى ، وقد جرت فيها وقائع الحرب العالمية الثانية ١٩٤٠ – ١٩٤٢ . وطغْوائه من طغى بمعنى جاوز الحدْ .
(٢) التِّبر : فُتات الذهب أو الفضة قبل أن يُصاغا .

ولنهْرِ الخلودِ فى مَسْمَعِ الْكَوْ ن شَكاةُ المطْعُون فى أحشائهْ
وأنا الشـاعرُ القـديرُ بفنِّى أن أَرُدَّ الحياةَ فى أشْلائِه

* * *

يا شبابَ الْجِهادِ نَادَاكُم النِّيـــــلُ فأَحيُوا أَرواحَكم بِفدائه
إنه النيلُ قلبُ مصر .. وأنتم يا شباب الجهادِ من أَبنائه
أَنْصفُوه ممَّن أَحَلُّوا دمــاءً حــرَّمَ اللهُ سَفْكَهَا فى سمائه
ولكُمْ فى الشَّهيدِ أُسْوَةُ حقٍّ (جلَّ هذا الشهيد فى عليائه)

٢١ فبراير سنة ١٩٤٦

قولوا لهم

« إلى عُمد الاحتلال المؤمنين
بأنفسهم والكافرين بمصر »

قُولو لِمَن نَظَمَ الــرِّوا يَةَ .. لم تعدُ تُجْدى الرِّوَايه
هى فى الصّميم من التَّفـا هَةِ ... والصَّميم من الغَوَايه
سَئِمَتْ مَنَاظِرَهـا النـوا ظِرُ .. منذ أيّام الجِبَايَه[1]
ماذا عليك إذا اعتصمتَ بصَمْتِ مَنْ أعرفَ النِّهايه
فتركت هذى الأَرض .. يَعْمُرها الأُلى للفقر آيــه

* * *

قُواوا لشيخِ السُّوء .. ماضِيك البعيد لديك حـاضرْ
ستظلُّ تلْعن عهـده أَرواحُ سُكَّانِ المقـــابرْ
مِنْ كلِّ موفـور الشبا ب جعلتَه طيَّ الحفائرْ[2]
والأَبرياءُ .. وأَنْتَ ظَالِمُهم .. وعمّـال العنابـر
يا أَوَّلَ البـاغِينَ كم لك فى الضَّلاَلةِ من مآثِر

* * *

قولوا لهم إن الكـرا مةَ دينُ أَبنـاءِ الكِنَانه
جـاءَ الزعيمُ به فآ منَّـا وقدَّسْنـا بيانـه

---

(١) النّواظر : جمع ناظر وهو العين ، أو سوادها الذى فيه إنسانها .
(٢) الحفائر : جمع حفيرة ، وهى ماحُفر من الأرض .

وإليه بَعْدَ اللهِ مَلْ جَؤُنا فى يدِهِ الأَمانهْ
ولقد رأينا دينكم دين المجانةِ والخيانه
فارْضخ إذا لعنتْك مصـ ـر فمصرُ لا ترْضى المهانه

* * *

قولوا لشعْبِ النِّيلِ وَهْ و أَبو الحضارةِ فى الشعوب
المجدُ منكَ فَعِشْ لهُ رغْمَ التَّعاسَةِ والكروب
لا يُقْعِدَنَّك عن مرادِ كَ بطْش جبَّارٍ رهيب
فالموت فى ساحِ العلا خيرٌ من العيش المريب
والحرُّ تُخلقُه الخطُو ب ولا يُنَهْنَهُ بالخطوب[1]

١٠ مارس ١٩٤٦

(١) نهْنَهَهُ عن الأمر فتنهنَهَ : كفّه وزجره فكَفّ ، وأصلها نهّهَهُ .

قلب

هانـــت عليـــه الحيـــاه وأرهقتـــــهُ الخطـــوب
وأذْهلتــــــــــهُ رُؤاه فلم يَعُدْ كالقلـــــــوب

* * *

ولم يعــد غيــر مـــا ... تحكيه عنـــه الليـــالْ
شُهــد شـــأى علقمـــا فى طعمه فاســـتحال[1]

* * *

عوّذْتُـــه بالقـــــران وبالحديث الشريـــــف
من الأَسَى والهَـــــوَان ومن دُنـــوِّ الخـــريف

* * *

عـــوَّذْتــــه فانقضى فى الوهم عمــر العذاب
وزاد عمَّـــــــا مضى فى الحق عمر الرِّغاب[2]

* * *

قلـــبٌ بنى عمـــــره على تمنِّى الأَجــــل
فلم يَكِلْ أمـــــــره إلى هَوًى أَو أَمــــل

* * *

(١) شأى : أعجب وشاقَ ، وبمعنى أحزن ، وبمعنى سبَق .
(٢) الرّغاب : جمع رَغيب ، وهو الواسع الجوف من الناس وغيرهم .

ولم يكمل أمـــــرَه إلاَّ إلى منتهـــــاه
فباركت طهـــــره بالحـــزن كفُّ الإلـــه

* * *

سألتــهُ عن مُنـــاه فقــال لى بعتُهـــا
لِمُشْتــر لو تـــــراه تقــول أُنسيتُهَــــا

* * *

عجبتُ للمشتـــــرى ما حالُــه يا تُـــرى
والبائـــعُ العبقـــرى يقــول لى او تَـــرى

* * *

وطاف بى كالخيـــال شيخ برته الخطوب[1]
وفى يديْــه صِــلاَل[2] طعامها من قلــوب

* * *

سألته ما اسمـــــه فقال هــذا الزمـــنْ
وهالنى رَسْمُـــــه فكلُّه من محـــنْ

* * *

وقال قلبى لـــــه أيَّان فَقْــدُ المُـــنى

(١) برَتْه : نحتته وسوّته .
(٢) الصّلال : جمع صِلّ ، وهو الحيّة من أخبث الحيّات .

أَجابـــــه حالـــــه نقـــدُ الامانى الضَّنى[1]

* * *

يا قلـــبُ إن المُنَى ورثتُهـــا عــــن أَبى
فهـــل يكـــون الضنى بعـــــد المنى مطلبى

* * *

ربَّـــاه ما حـــاجتى إلى امْتِـدَاد الأَجـــل
وفى الثَّـــرى راحتى بعـــد انتهـاءِ الأَمـــل

(١) الضّنى : المرض أو الهُزال الشّديد ، والضّنىّ : السّقيم والمريض الذى قد طال مرضه ، وقد يوصف به المفرد والمذكّر وغيرهما على السّواء ، وبعضهم يُثَنّيه ويجمعه ، فيقول : هم أَضْنَاء .

مجد الدنانير [1]

يا ضيعةَ الدينِ إنْ أهلوه أَذْهَلَهُمْ
مجْدُ الدنانيرِ عن مَجْدِ الرِّسالات [2]

ما بين معتجرٍ يزهو بِسبْحتِهِ
وما يغمغِمُ من ذكرٍ وآيات [3]

وراهبٍ شَرِقٍ بالدمعِ لا نُسُكًا
لكنَّه الدَّيْرُ سجَّانُ اللُّبانات [4]

كلاهُمَا يَلْعنُ الدُّنيا إذا حُرِمَتْ
يَدَاهُ ما يشتهيهِ من لَذَاذات [5]

حتى إذا بَسَطَ الشَّيْطانُ راحتَه
إليه صَاغَ له عذْبَ التحيَّات

---

(١) قيلت هذه القصيدة بمناسبة مطالبة علماء الأزهر بتحسين أحوالهم المادّيّة .

(٢) أذهلهم : جعلهم يتدلّهون ويغيبون عن رشدهم . من ذَهل يذهَلُ ذُهولاً : تدلّه وغاب عن رشده .

(٣) مُعتَجر : من اعتجر الشيخ أى لفّ عمامته . يُغَمْغم : من غمْغَم الرجل : إذا صوّت عند الفزع .

(٤) اللّبانات : جمع لُبانَة وهى الحاجة من غير فاقة . ولكن من نهْمة . يقال : ما قضيت منه لبانَتى : نهْمتى .

(٥) اللّذاذات : جمع لَذَاذَة . وهى صيرورة الشىء شهيًّا . فهو لذٌّ ولذيذ .

وراحَ يجمعُ من آثامِهِ خِرَقًا

ليُلْبِسَ الحقَّ أثوابَ الضَّلالات

يا قومُ هانَتْ على قَلْبِي ضلالتُكم

وصار علمكُم بعضُ الجهالات

إن كان لابُدَّ من دينٍ أَدِينُ به

ويعصمُ النفس من شرِّ الدنيّاتِ(١)

فالدِّينُ دينُ الهَوَى يسْمُو بصاحبه

إلى الملائِكِ فى قُدْسِ السماوات

---

(١) الدنيّات : جمع دنيّة بلاهمز ، وهى النقيصة .

مأتم نهر الرين[1]

واقــــعٌ أَروعُ مــــن نَسْــــجِ الخيــــال
ومن الأَنبــــاء صدقٌ كالْمُحَــــال
ويقينٌ أَذهــــلَ الشــــكَّ فلــــم
يبْقَ للشكِّ عــــلى الأَرض مجــــال
وإذا مــا استيقــظ الحــــقُّ فــــلا
عُــــدَّ فى الأَحيــــاءِ عُبَّــــاد الضَّــلال
لعنــــةٌ خرقــــاءُ فِرْعَونيــــةٌ
تلك يا « هتلرُ » أَم ريــحُ الــزوال[2]
وضحايــــاك الأُلَى أَرْهَقْتَهــــم
شربوا الوهــــمَ عــــلى ذِكْــــر الخيــــال
وتــرى البِيــــدَ وقــــد روَّيتــــه
بالدَّمِ الدَّافِــــق من صِيدِ الرجــــال[3]

(١) قيلت بمناسبة رجوع هتلر من العلمين .

(٢) خرقاء : حمقاء . فرعونية : يشير الشاعر إلى لعنة الفراعنة التى يُقال إنها تودى بكل من يجترئ على التربة المصرية .

(٣) الصِّيد : جمع أصْيد ، وهو كل ذى حول وطَوْل من ذوى السلطان ، وهى صَيْداء .

والْعَذارَى أَوْرَدتْهنَّ الْوَغَى
مَوْرِدًا غطَّت حَوَافِيهِ الصِّلال[1]

واليتامى بين مَفْطُومٍ على
ذِلَّةِ الجوع وأنضاء اعتلال[2]

والثَّكالَى ذُقن من كفِّ الرَّدى
حُمَمَ الثُّكْل فأَبْكين الجبال[3]

أَين يا جَزَّار ما أَرهَفْتَهُ
لبنى الإِنسانِ من دامى النصال ؟

أَين صرحُ المجد قد شيَّدْتَه
فوق أَشلاءِ الضحايا والرمال ؟

مَصْرَعٌ للخيْرِ لم تَحْفِل به
بعد أَن صالَ بك الشرُّ وجال

أَين ؟ لا أَين ! فقدْ ضَمَّ الثَّرى
رائد البَغْيِ فما يجْدِى السؤال

* * *

(١) حوافيه : جمع حافية من حفى نعْليه فهو حافٍ . جمعه : حُفَاة ، وهى حافية . والحافة : من كل شيء : ناحيته . والأصل حَوَفَة مثل قصبة . فانقلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ، ج : حافات . وقد استخدم الشرنوبى « الحوافى » بمعنى الحافات . والصِّلال : جمع صِلّ ، وهو الحيّة من أخبث الحيّات .

(٢) أنْضاء : جمع نضْو . وهو المهزول من الحيوان . والنّضو كذلك : الإجهاد . يقال : فلانٌ نضْو سفرٍ . أى مجهدٌ من السفر .

(٣) الحُمم : الواحدة حُمَمَة ، كل ما احترق بالنار ، ومن ذلك الحمم التى تقذفها البراكين .

مِن ضِفَـــافِ الرَّيْن طـــارتْ شُعلـــة
شَبَّهـــا « الْفُهْرَرُ » حمـراءُ الظِّـلال[1]
ضجَّـــتِ الدُّنيَـــا لهـــا جازِعَـــةً
ثم غنَّـــتْ بعْـــدَ أَن مات الذُّبال[2]
فاكتبـــوا بالنـــار فى تاريخهـــا
صفحـــةً تبقى عـلى مرِّ اللَّيـــال
أُمَّـــةٌ ماتـــت .. لتحيـــا أُمَمٌ
شربتْ من كفِّهـــا كأْسَ النكـــال

---

(١) شبها: أشعلها
(٢) الذُّبال : جمع ذُبالة وهى الفتيلة التى تسرج .



أقاصيص

١٩٤٦

من أحلام الصيف [1]

هتف الشاطئُ باالمـــد ح ألا ترحمنى ؟
أَنا من يــوم خُلِق نا عبقرىٌّ الشَّجَن
عمـــرنا عمـــر هوا ذا وهو عمر الزمن
وعـــلى قربـــك منّى (م) آه ما أَبعـــدنى

فأَسرَّت موجــة فى أُذن الشطِّ الحبيب
كيف تشكونا وإِنَّا منك ياشطُّ قريب
نحن فى قلبك يا عاشق نفنى ونغيب
ولنا فى الرمـــل او تعلم تاريخ عجيب

* * *

وتلاشتْ فتنةُ الأَمواج فى حضْن الرمـــال
بعد أَنْ أَسكرتِ الشاطىءَ من خَمرِ الوصال
وأَغارت موجة حيْرى فحيَّـــتْ فى دلال
وانْثَنَتْ لم تُسعِدِ الشطَّ والشطِّ ابتهـــال

(١) استوحاها الشاعر من أسراب المصيفات .

ورأى الشاطئُ حــوّاءَ تنــاجى آدما

فتمنى لو أغالتــه المقادير فما[1]

ليغنّيها على الخلــوة لحنًا حالمـــا

حُرِمَ المــوج صدَاه حين ولّى ساهما

وسرت حَوّاءُ تختــال على نور الأمــل

وأتى آدم يختـــال على نــور المُقَل

فتغنّى الشطُّ والأمواج ألحان الغـــــزل

نسيــا العتب وهامــا بتغاريــد القُبـــل

حين راحت هى تبنى من رمال الشطِّ قصْرا

يرقص الطَّلُّ عليه وتذيب الشمس تبرا

ومضى آدم يبنى من معانى الحبِّ شعرا

فيزيدان جمال الشطِّ والأمواج سِحْــرا

* * *

ونَضَتْ حوّاءُ عن خبتها[2] مثل السّــراب

ونضا آدم عن صحــرائه[3] مثل السحاب

نسجا ثوبيهما من سحــر أحلام الشبــاب

ثم ناما فوق صدر الــبحر مجنون العباب

(١) أغالته المقادير : أهلكته ، من غاله يغوله غوْلا : أهلكه وأخذه من حيث لايدرى .

(٢ ، ٣ — كنايتان عن الجسم والجبتا : ، والخبْتُ : المتّسعُ من بطون الأرض ، ج : أخْبَاتٌ وخُبُوت .

عربد الموج وشبّت فى رمال الشطّ ثورهْ
قال للأمواج مالى لم أنم فيكن مرّه
وأرى الأنجم تختال على الآفاق حرّه
لهفتا للشطّ يشكو لبنات البحر أمره

* * *

لهفتا للشطّ يهوى الموج والموج مريــــــــد
فإذا ما أقبلت حوّاءُ فالكل عبيـــــــــد
وهى حوّاءُ لها فى كلّ شىءٍ ما تريـــــــد
هى كالأقدار معناها قريب وبعيـــــــــد

فكرة لله لا يعلمها أحكمنـــــــــا
حارت الأفكار فيهـــا .. مذعرفنا الزَّمَنَا
فى هواها قد علمنا وجهلنا المحنـــا
كلنا عطف عليها وهى لا ترحمنـــا

شجن [1]

أَعيشُ أَم أَدَعُ الأَيّامَ للنّـــــــاسِ ؟
سئمتُ دُنْيَـاى من هَمٍّ وَوَسْـــــواسِى

إن قلتُ يومًـــا كفَانِى ما شقيـــتُ بـــه
أَعــودُ أُنْعِشُ أَحْـــــــلامى بإِينـــاسِى

خلَّدت شعــرىَ فى نفسى وأَحْسَبُـــــــه
سينتهى حينمـــا تنشقُّ أَرْمَـــاسى [2]

بنــات فكرِى كُنُوزٌ لاعــــدادَ لهـــا
فما لِقَلْبِىَ مَنْكُـــــوبٌ بإِفْـــــلاسِى

إنْ قال غيرىَ حسْبِى المــــال أَجْمَعُـــه
أَقــولُ حسْبِىَ من دُنيـــاىَ قِرْطـــاسِى

وهبتُ فَنِّىَ ما أُوتيـــــتُ مــــن زمنى
عُمــرى وفكـــرى وآمــالى وإِحســـــاسى

ولى من الفنِّ أَشـــواكٌ غنيـــتُ بهــا
عن كلِّ زَهْــر ذكِىِّ العِطْـــرِ ميّـاسِ [3]

---

(١) كان عنوان القصيدة فى المخطوطة أولا : « حيران » ثم ضرب عليه الشاعر وعَنْوَن للقصيدة « بشجن » .

(٢) الأرْماس : جمع رَمْس وهو القبر . (٣) ميّاس : متُبختر ومُختال .

وللمقاديـــــرِ أَحكامٌ مُحَيِّــــــــــــرَةٌ
منهـــا الرّحيمُ ومنهـــا الجائـــــرُ القاسى
إذا تمنَّيتُ شيئًـــا قـــال لى زمـــــنى
ما أَنت للنَّكبَـــاتِ الشُّــــودِ بالنـــاسِى
وإن يئستُ فلى فى النَّــــارِ منزلـــــــةٌ
كأَننى قاتــــــلٌ أَلْفًا مـــن النـــاسِ

* * *

ربّـــاهُ إن يكـــنِ الآتى كسابقــــــــه
فمُـــدَّ حَبْـــلَ الرَّدَى من حَبْـــل أَنْفَـاسِى
أَفنيتُ عمـــــرىَ فى الأَرجـــاسِ أَقربهــا
فهل تزيـــدُ على الأَيّـــام أَرْجَـــاسِى

أحلام الكوخ [1]

هَدَمَ اللَّيــلُ ما بنــاه النهــارُ

واستكانت للظُّلمــةِ الأَنْــوارُ

ومضى الكونُ يشربُ الليلَ كأْساً

عبقريًّا حبَــابُه [2] الأَقْمــار

واستحالَ الضجيجُ صَمْتاً رهيباً

زحمتــه الأَشباحُ والأَســرار

أَين راح النهار كيف أَتى اللَّيـ

ـل وفيمَ الإِشْراقُ ؟ فيمَ السرار؟ [3]

هى حرب البقاءِ تنتظم الْخَلْـ

ـق ســواءٌ صغارهم والكبــار

* * *

(١) عنْون الشاعر لهذه القصيدة بقوله : « أحلام الكوخ أومن أحلامى » ثم اقتصر على « أحلام الكوخ » وضرب على بقيّة العنوان . وقد قيلت هذه القصيدة فى فتيات فقيرات ولكنّهن جميلات يعشْن بين النخيل ومزارع البطيخ المتناثرة ، وكان جمالهن وبؤسهن يجذب الشاعر إلى الانفعال بهن .

(٢) الحبّاب : طرائق تظهر على وجه الكأس تصنعها الرياح .

(٣) السّرار : سرار الشّهر : آخر ليلة فيه .

وتداعت في الخافقين قلـوب

حين طارت في الخافقين قلوب

عالم جامح وحـظٌّ مُشِتٌّ

وصراعٌ يشيبُ منه المشيب !(١)

فهنا قلْبُ عابد الخُبْزِ والمـا

ء جراحُ أحـلامه ونُدوب(٢)

يتنزّى دمًا فـلا يجد الدَّمْـ

عَ يُعزِّى به الغريبَ الغريبُ

فإذا اشتاق مايعَـافُ سـواه

فالرياض المنضَّـراتُ جُـدُوب

* * *

وهنـاك المُعربِدُ النشـــوانُ

قد تولىَّ تَرْبِيبَهُ الشـــيطانُ(٣)

مستحيـلاتُ غيـره ممكناتُ

في يديه وقولهُ الفرقـــان

ولديه الحيـاة كأْسٌ وحَـورا

ءُ وبحـرٌ أمواجُـه ألحـان(٤)

---

(١) حظٌّ مُشت : متفرّق من الشتّ أي التفرّق ، ج : أشتات .

(٢) النّدوب : جمع نَدْب وهو السريع الخفيف عند الحاجة .. ويجمع كذلك على نُدَباء .

(٣) تولّى تَرْبيبه الشيطان : أي ادعى أنه ربُّه وصاحبه .

(٤) الحوْراء من النِّساء : البيضاء . لايقصد بذلك حَوَر عينيها .

وله الأَمرُ كلَّمـا شـــاءَ أَمراً
وإراداتُ عَقْــلِه ســـلطان
فإذا شــاءَ فالحيـــاة اضطراب
وإذا شــاءَ فالحيــاة أمــان

* * *

قلت يا نفسُ إن هــذا قضاء
قدَّرتْه قبــل الوجود السـماءُ
ما أَردتُ الوجود قَبْلَ وجــودى
وبرَغْمى بعد الوجــود الفناءُ
وأَرى القَصْرَ تَوْأَمَ الكُوخ لولَا
أَنّ هــذا فقرٌ وذاك ثـــراءُ
وأَرانى لصــاحب القصر نــورا
ولو أنى فى عَيْنــهِ ظَلْمَــاءُ
أَنا إن مِتُّ مات فنٌّ رفيــعٌ
وهو إن مات مات طينٌ ومــاءُ

* * *

قالت النفْسُ إنّ دنيـــا الأَمانى
هى دُنْيَا الْخُلُودِ للإنســـانِ

عِشْ بها تنْسَ أَنَّ عُمْرَك وَلَّى

فى جحيم من الهـــوى والهوان

وتُريكَ الكوخ المُحَطَّم قصــرا

شـــائع الظِّــلِّ ســـامِقَ البنيان[1]

والكســـاءَ الرَّديم يُمسِى حريراً

كِسْرَوِىَّ الظِّـــلالِ والأَلـــوان[2]

قلتُ : والواقِــع المريرُ فقــالت :

ذاك داءٌ يُطَبُّ بالنِّســـيان[3]

* * *

فطويتُ الأَعــــوامَ والأَيَّـــاما

حُلماً رائعَ السَّـــــنا بسَّـــاما

وجهلتُ الزمـــانَ فهـــو هبـــاءٌ

ونسيتُ المكانَ والأَحجـــــاما

حين شفَّت روحى فشاهدتُ قصْرًا

يتحدَّى جمـــالُه الأَحــــلاما

(١) سامق : مرتفع .

(٢) الرّديم : المُلَفّق . كسْرَوِيّ الظلال : يريد أنه مخطّط ومُلوّن كثياب ملوك الفرس ، وكِسْرَوِىّ منسوب إلى كِسْرَى

(٣) يُطَبّ : يُدَاوَى ويُعَالج .

ورياضًا تُغَـــرِّد الطـــير فيها

وتُريق الأَلحــان تَنـــدى غراما

وعبيدًا يشْدُون شتَّى لحـونٍ

فى حمَى القصر سُجَّدًا وقيــاما

* * *

وتبِعْتُ الحــادى وكان خيالا

عاش فى عالم المُنى أجيـــالا

أَىُّ فنٍّ ســـامٍ وأَىُّ ابتـــداعٍ

جملَّ من صـــاغ حسنه وتعالى

التماثيـــلُ كالأَناسىّ كادت

تتهـــادى رشـــــاقة ودلالا

والرُّسومُ الْخَرْسَاءُ تهتف بالرائى فيجثو أَمامهنَّ جلالا

نفخ الفن روحــه فى حـــلاها

وكســـاها جـــلالةً وجمـــالا

* * *

عشتُ فى الفَقْرِ كالأَميرِ الْمُطاعِ

شـــاعِرِىَّ الرِّغابِ والأَطمـــاعِ

كلُّ دنيـــاى لذّةٌ وجمـــالٌ

وانبعـــاثٌ إلى الهَوَى والمتاعِ

بين حـورٍ عِينٍ وأَكوابِ خمرٍ
وأغانٍ عُلْويّة الإيقـــاع[1].

وندامى كالزهر يرجون صفْوى
ويخافون ثـورتى واندفـاعى

قاسَمُونى مجـدى وظنّوا نعيمى
خالدًا غير مؤذنٍ بضـياعِ !

* * *

يا ندامایَ واللَّيـالى تَجـورُ
بى حنينٌ إلى البُكَا وشعـورُ

أَفْرِغُوا أَكْؤسَ المُـدامِ فإنى
كاد قلبى مما يخاف يطيرُ

أَنا أَخْشى انهيـارَ مَجْدى وأَرجو
أن يقينا أَحـداثَه المقـدُور

يا ندامایَ ... يالقلبى وعقـلى
ها هى الأَرضُ بالبنـاء تدور

يالقصرى إذ عربد الريحُ فى الجوّ
(م) وشُـقَّتْ لسـاكنيه القبـور

* * *

(١) الحورُ : جمع حَوْراء ، وهى البيضاء من النِّساء .

هبّت الريحُ عاصِفًا مُكْفَهِرًّا

فَأَحالَ القصرَ الْمُمَرَّدَ ذِكْـرى[1]

ربِّ ما كان ذلك القصر إلا

حُلماً لم يطل نعيما وعمرا

خدعتنى نفسى بما قـد تمنَّيـ

ـتُ فهل كان ما تمنيتُ شَرًّا

أَم ترانى جبلت من طِينـةِ البؤ

سِ فرُوحى ترى الفراديس قفْرا[2]

أَم ترانى نهبتُ أَحـلام غيرى

ولنفسى مُنًى على الدهر أُخرى ؟

* * *

وإذا هاتِفٌ يهزُّ سـكونى :

أَنت أَخطأْت فى التمنِّ ظُنـونى

قلتُ يا نفس قالت النفس : دَعنى

ما تمنيت غير مـاءٍ وطينِ

ذلك القصـرُ والنَّدامى هبـاءٌ

حين تصحُو على صُراخِ المنونِ[3]

---

(١) الممرّد : الطويل الأملس .

(٢) الفراديس : جمع فرْدوس وهو البستان الجامع لكل مايكون فى البساتين (مذكر وقد يؤنث) .

(٣) المنون : الدهر . والكثير المنّ . والموت ، وهو المقصود فى هذا البيت .

فاسمُ عن بَهْرَجِ الدُّنَى وتطهَّرْ

بأُلوهيَّـةِ الهـوى والفنونِ

إن فى الفنِّ قـوّتى وخلـودى

ويَقينى إذا افتقدتُ يقـينى!

* * *

وكما يَحْلُم الصِّـبا بالغـرام

وتهيم الزهـــور بالأَنســام

رُحْتُ أَبنى فى عالَمِ الوهْم مجدى

فوق ما خلَّف الهـوى من حُطامى

وَسَرَت بى الأَوهـام تَختِرقُ الحجـ

ـبَ إلى عالَمٍ من النُّـورِ سامِ

حيثُ قام «الأُولَمب» تمرحُ فيه

آلِهَاتُ الأَقـداس والآثـام[(١)]

والقرابينُ من بنى الفنِّ تُزْجَى

من بنات الأَفكار والأَحـلام[(٢)]

* * *

---

(١) الأولَمْب : المَلْعب ، مع أنها فى الأصل تعنى الألعاب الرياضية التى كان يحتفل بها اليونانيّون القدماء قرب « ألمبو » كل أربع سنوات .

(٢) تُزْجى : تُساق وتُدْفَع .

يا مُنَاى اخْلُدِى ويا نفْسُ طيبِى

أَصبحَ الفنُّ كلُّه من نصيبِى

أَين لى بالإِله ربِّ الأَغـاريـ

ـدِ « أَبولّو » يملأُ من الخُلْدِ كُوبِى[1]

ويُتَوِّج رأْسِى بما ضَفَّـرتْه

يده من أَزاهــرٍ وطُيُــوب[2]

فتناهى إِلَىّ من جانب الأُفْـ

ـقِ نداءٌ كوَسْـوَسَاتِ الحبيب

يا غريب الفـؤاد لاقيتَ أَهـلًا

إِنَّ ضيف « الأُولمب » غير غريب

* * *

رنَّ هـذا النِّـداءُ فى أُذُنيَّا

وسرى كاللَّهيبِ فى أَصـغريَّا

فكأَنى مَزَّقْتُ ثوبَ تُرابى

وطويتُ السماءَ روحًـا عليًّـا

وكأَنى أَصبحتُ فى خاطر التَّا

ريخ معنى مُجَنَّحا قُدُسِيًّـا

---

(١) الأغاريد : جمع أغرودة ، وهى غناء الطير أو الإنسان .

(٢) الطيُوب : جمع طيب . وهو الأفضل من كل شىء ؛ وكل ما يتطيّب به من عطر ونحوه ويجمع كذلك على أطْياب .

حين أَلْفيتُنى أنادِمُ أَحلا مى رحيقَ الخلودِ طُهرا ندِيًّا

وعَذارَى «ڤينُوس» يرقصن حولى

ويمَجِّـدْن فنِّىَ الأَبـديّا

* * *

ثم يمَّمنْ معبـد الأَربـابِ

حيث توّجْن بالخلـود شبابى

وتَغنَّين للإِلَـه أَبـولُّـو

آيةً خلِّـدتْ على الأَحقـاب

كلٌّ ما فى الوجـود آياتُ فنٍّ

سـوف تفنى والملك للوهَّاب

غير أَنَّ الحيـاة بالفكر ربًّا

نيَّةٌ طَلْقةٌ بغـيرِ حسـاب

كلُّ عبـدٍ فيـها إِلهٌ صـغيرٌ

يتسـامى ماجدٌّ فى الأَسـباب[1]

* * *

(١) كان البيت فى صورته الأولى التى صدّر بها المجموعة الأولى من شعره :

كل عبدٍ فيهـا إلهٌ صغير يتناهى ما جد فى الأسباب

فغير كلمة يتناهى فى هذه القصيدة بـ : يتسامى ، لأن كلمة يتناهى توحى بألوهيَّة الإنسان حينما يجد فى أسبابها ، وبذلك تهتز عقيدة الشاعر الدينية التى كان يحرص عليها فى ذلك الوقت .

لتمنَّيتُ أن أَعيش حيــــاتى

بين تلك الفــرادس الوارفات

بيد أَن القَيْدَ التُّرابىَّ أَضْــنَا

نى فخلَّفْتُ عالَمَ الآلهــاتِ

وهبطتُ الأَرضَ الشَّقية كالنَّا سِك يَغْشَى مواطن الشهوات

وبدأْت الصّراع فى زحمة الأَحْـ

ياءِ سعياً وراءَ هذا الفُتَــــاتِ

وعمادى خَـــــوَاطِرٌ عبقريَّا

تٌ ووحىٌ من السماواتِ آتِ

* * *

لم يكن يخطِر الشَّــقاءُ ببــالى

لا ولا الخوف من صروف الليــالى

كنت كالطفــل رقَّــةً وحيــاءً

ونزوعاً إلى سماءِ الخيــــــال

أَحسبُ الأَرض جنَّتى أَنا وحْــدى

لىَ فيهــا ماشئت من آمــال

فإِذا جنَّتى ســرابٌ وآمــــا

لِىَ بِيــدٌ تضجُّ بالأَهـــــوال

وإذا بى أُجَابِهُ الدهرَ فَردًا

أرهقته الأَيّـام بالأَثقـــــال

* * *

هذه الأَرضُ لم تزد بوجــودى

غير طير يسمو على التقييد

همُّه الْحَبُّ والينابيعُ والْوَكْـ ـرُ ونجوى رفيقه الْغِرِّيد

وأَنا طائر الفنون فَمَا ذَنْـ

ـبِىَ حتى أَحيا حياة الطَّريد

أَلِأَنِّى أَعيشُ للفنّ أَعــــرى

وأَخو الطِّين ناعمٌ فى البـــرود

ما أَذلَّ الحيـــاةَ إِن كان دنْبى

هو زُهــدى فى الجوهر المعبود ؟

* * *

روَّعَتْ . هذه التهاويلُ حِسِّى

فاستوى عنــدها رجائى ويـأْسِى

وانتبهنـــا أَنا ونَفْسِى من الحُلْـ

ـمِ وكم ضاع فيه يومى وأَمْسِى

ليت يا نفسُ والحقائقُ تبْكيـ

ـنا وجدنا فى الحُلْم ما كان يُنْسى

ليت يا خاطرى ودنياى بَحرٌ

كُنتَ تُرسِى حيث الحقائِقُ تُرْسِى

رُبَّ حُلْمٍ وَدِدْتُ لو عاش دهــراً

ثم ولَّى فكان مِيلاد بُؤس

* * *

أَنْتِ يا نَفْسُ سِرٌّ هذا الشــقاء

شِـــدت مجدى على أســاسٍ هباء

من سماء الخيال عُــدْتُ لأَقتَا

تَ تُــرابَ الحقيقــة النكراء

وهُنَا الكوخ فانعمى بحماه

بجمال الطبيعـــــة العــذراء

إن هذا الوجود قصرٌ بنــاه اللّـ

ـهُ مابين أرضــــه والسماء

فدعينى أَعِش كما شاءت الاقْـ

ـدارُ حيًّـا بقــاؤه للفناء

روح الجهاد [1]

وقد نشرت بجريدة « صوت الأمة »
فى ١٣ من نوفمبر سنة ١٩٤٦

كَبَّرْتُ للروح الأَمِيــنْ   يهدى سناه الحائرينْ
ويكاد رَجْع ندائـــــه   يحيي رُفات الغابرين [2]
ليروا مصارع مجدهم   وضياعـه فى العـــالمين
والذنب ذنب الوارثين   وليس ذنب الغـــاصبين

* * *

ولقد سأَلت الروح ما   حال الكرام الوالـــدين
فإذاه حال الثَّائـرين   وليس حـال الشاكـرين
ودّوا لو اقتحمــوا الزَّما   ن فأَصبحوا فى الكائنين
وتقدَّموا يبنـــون مـــا   هدمته أَيــدى العابثين
هم فى التراب جـوانح   تهفو وأَلسنــةٌ تبيــن
عاشوا لمصرَ ومَجْـدِها   وسلاحُهم نورُ اليقيـــن
ومضوا فكان جـــزاؤهم   أَن أَصبحوا فى الخالدين

---

(١) حذف من هذه القصيدة أربعة أبيات كان يتوجه فيها بالحديث إلى أحد السياسيين القدامى ورأينا عدم ملاءمتها للعهد الحاضر وهذه القصيدة من شعره الثورى السياسى ضد الإنجليز والقصر .
(٢) الرفات : الحطام والفتات من كلّ ما تكسّر واندقّ .

وأرى بَنِيهم أَعظُمًـا بَلِيتْ وأرواحاً فَنيـنْ
شغلتهم الدنيـا عن الْ أخرى بما جمع اليمين
حتى غَـدَوْا حـرباً عليـ نا لا عـلى المستعمـرين
والشعب يرقب والحوا دث كالحجارة لا تلين
والحاكمون بأَمـرهم ياذلَّهم فى الحاكميـن
شابَتْ نَوَاصِيهم وَمَـا سئمـوا حياة الـلاعبين
يتفاوضون عـلى الْجَلاَ ءِ وَوَحْدَةَ الـوادى الأَمين
فاعْجبْ لمقتـولٍ يُفَـا وِضُ فى المَصِير القاتلين
فيمُاطلون ويَخْدَعُـو نَ ويكذبـون ويمْكُرُون
حتّى تلاشَى صوتُ مِصـ رَ وكان لحن الثائرين
ما بين أَحْزَابِ الْيَسَـار وبين أَحـزاب اليمين
يا قومُ إن الحقَّ تصْـرُخ روحـه بالنائمين
سُودَانُ مصرَ وَتينُهـا لا كان مَنْ يَفْرى الوتين[1]
وأرى الجلاءَ قضيَّـة طالت على مرِّ السنين
فاحيوا كِرَامًا أَوْ فَوَلُّوا (م) وَجْهَكُم شطْرَ الْمَنُـون
فالمـوت فى ساح العلا خيرٌ من العيش الغبين[2]

* * *

(١) الوَتِين : الشّريان الرئيسى الذى يغذّى جسم الإنسان بالدّم النّقى الخارج من القلب جمعه : وتْن ، وأوْتنة .

(٢) الغبين : هو المخدوع المغلوب، من غَبَنَه يغبنه غبْناً وغَبَنَاً فى البيع أوالشراء : خدعه وغلبه .

الجنة الحمراء[1]

أأبْكِى هوًى أم فرحةً أم أمانيا ... عَيِيتُ وما يُجدى عَلَىَّ بُكائِيا

إذَا قلتُ إنَّ الفجْرَ بُشْرَى هَنَاءَةٍ ... تُنَازِعُنِى نفسى فأَرتدّ رَاضيا

رضَا الْحَمَلِ المشلولِ فى كف جازرٍ ... وصبر الذى لم يلْق فى الناس حانيا

* * *

وإن أطْبَق اللَّيلُ الرَّهيبُ جُفُونه ... علىَّ ترامَتْ فوق صدرى آهيا

تنوح نُواحَ الظِّلِّ ألْوى بعمره ... هَجير الْفلاَ حَرَّانَ يشوى المآقيا

فَوَا رَحْمتَا للنَّاسِ بل لى فماأرى ... على الأرض ناساً حالهم مِثْلُ حَالِيا

* * *

وجامحةِ الأشواق مخمورة الرؤى ... ترفُّ صباباتٍ وتَنْدَى أغانيا

تعيشُ على الماضى وتخشى رُجُوعَه ... وتهفُو إلى المجهول ما دام خافيا.

وتحرِقُ بالأوهام ما كان زاهرا ... وتُنعشُ باللذّات ما كان ذاوِيا

تَرَاها فَتَنْسَاهَا كأَنَّ وجُودَهَا ... فناءٌ .. فإنْ غَابت أطَلْتَ التَّناجيا

وتحْسَبُهَا أُنثى من الطين روحُهَا ... وتعْشَقُهَا طيفًا من النور ساميا

هى الجنَّةُ الحمراءُ تغْريكَ ناظِرًا ... وتجفُوكَ قدِّيسًا وتسبيك جانيا

* * *

أَرقتُ على أقدامِها خَمْرَةَ الصِّبا ... وأفنيتُ فى لذَّاتِهَا كلَّ مالِيَا

---

(١) يعبّر فى هذه القصيدة عن حالة شعورية مع حوّائه التى كان يتطلّع إليها .

وضيَّعتُ فيها العُمْرَ حُبًّا ولذَّةً ... ونادَمْتُها كأْسى مريرًا وحاليا ..

وضمّختُ أيّامِى بعطرِ شبابها ... وشَعْشَعتُ أَحلامى بنُورخياليا[1]

وقامرتُ بالمجد الذى كان رائدى ... وشوّهتُ تمثالى وحطَّمتُ ذاتيا

وقلتُ لنفسى إنها مَرْفأُ المُنى ... ومَهْوَاىَ ما عاشت وعاش غَرَامِيا

وظاهَرَنى قلبى عليها فأَذْعَنَتْ ... وأَرخيتُ للعشْقِ المريض عِنَانيا

وما كنتُ أَدرى ما يجرٌّ غرامها ... ولكنّ قلبًا فى الضُّلُوع دَعَانِيـــا

وَفى ليلةٍ خرساءَ مقرورةِ الدُّجى ... تمرَّدَ فيها الشّوقُ هَيْمَان عاتِيَا

وعانقتُ فيها السُّهدَ عَيْنًا وخاطِرًا ... وسامرتُ فيها الوجْدَجَهْشَانَباكِيا[2]

سعيتُ إليها جائعَ الروح ظامِئًا ... إلى نبْعِها المسموم حيران شاكيا !

كأَنى خُطا السكرانِ يشقى بها الثَّرَى ... مُغَلَّلةً شلَّاءَ تفنى توانيـــا[3]

أُرَتِّل أَشعارى حنيناً وصَبْوَةً ... وأَسكب روحى فى الظلامِ مراثيا

ويسبحُ ظلِّى فى سَنَا البدر شائعًا ... ويزحمُ صوتى ضجَّةُ الريح شاجيا

وللصمت أَصداءٌ كأَنَّ زفيفَها ... فَحِيحسقيمِ الرُّوحيُشْجِى الأَفاعيا[4]

ورحتُ أَناديها على بُعْدِ دارها ... وأَطيافها الرعناء ترثى لحالِيا[5]

---

(١) ضمّخت : لطخت فى كثرة .

(٢) الجهشان : الفزع بالبكاء أو التهيؤ له .

(٣) مغللّة : مقيّدة بالغُلّ وهو طوق من حديد أوجلد يجعل فى عنق الأسير أو المجرم أوفى أيديهما ، ج : أغْلال ، شلاّء : أى أصيبت بالشلل ، أويبست فبطلت حركتها أو ضعُفت ، جمعه : شُلّ .

(٤) الزّفيف : السّريع الخفيف .

(٥) الرّعناء : مؤنث الأرْعَن ، وهو الأهوج فى منطقه ، جمعه : رعْن .

ومازلتُ أَقْتَافُ الظلامَ وأَحتفى   بقُرْبِىَ منها مُشْرِفًا فى رَجائيا[1]
وأَسأَلُ نفسى هل تُسَرُّ بمَقْدمِى   وترحمُ أَنَّاتِى وتحيى رُفَاتِيـا
وقالت لى الأَوهام أَين وفاؤُها ؟   فقلتُ لأَوْهَامِى وأَين وفائيـا ؟
لقد وهبتْنى الجِسْمَ والرُّوحَ والهوى   ولم أُعْطِها إلا فُتَاتَ شبابِيـا
وما أَنا يا أَوهامُ إلا حياتهـا   وما هى يا أَوهامُ إلاَّ حياتيـا
سأَكفُرُ بالأَقْدَاسِ فى دَيْرِ حُبِّها   وأَجعلُ شيْطَانَ الغرامِ إلَهيا[2]

* * *

وما هى إلاّ وثبةٌ وانطلاقـةٌ   وأَلْفَيْتُنى أَغشى عليها المغانِيا[3]
وأَقدمتُ إقدامَ الجبان على الْوَغَى   ترى الموتَ عيناه بعيدا ودانِيا
وأَلهبتُ بالأَشواق رُوحَ إرادَتى   وأُنْسيتُ إلاَّ لذَّتِى ومتاعِيـا
ومزَّقَ صوْتى هَدْأَةَ الليلِ ضارِعًا   ومزَّقَ وجدى هدأَة الروحِ طاغِيا
وهبّت تُباريِنى الهتاف .. وخِلتُها   تُصارِعُ مثلى رهبةً وتداعيـا
وحيَّيْتُهَا فاستعْجَمَتْ ـ وسأَلْتُها   فكانت كصَمْتِ القبر هاج النَّوازِيا[4]
وقالَتْ بعينيْها .. وهَبْتُ عواطِفِى   لغيرك فاقطع فسحةَ العمرِ خاليا
وأَطرقتُ إطراقَ اليتيم على الأَسَى   وضجّتْ بأَلحان الثَّكالى سمائيا

---

(١) أقتاف الظلام : أتتبّع أثره .
(٢) الأقداس : يُقال « قُدس الأقداس » للتعبير عن مكان من الهيكل كان يدخله عظيم الأحبار من اليهود مرّة فى السّنة .
(٣) المغانى : جمع مغْنى ، وهو المنزل الذى غنى به أهله ، ويقال ماله عنه مغْنى : ماله عنه بُدّ .
(٤) النّوازى : جمع نازية ، وهى الحدّة والنّشاط .

وودَّعتُ دنياها بشجْوِى وَأَدْمُعى ... وهدهدتُ بالصَّبر الجريح فؤادِيا
وقلتُ لقلبى رُبَّما كنتُ مُخْطِئًا ... طريق الهوَى..أو أننى كنت جانيا
وياربّ ليل طال حتى ظنَنْتُـــهُ ... خُلودًا فكان الفجْرُ للظَّنِّ ماحِيا

* * *

لَعَنْتُكِ يا خرقاءُ .. ماكنتُ خائنًا ... ولا كان قلبى فى غرامِك لاهيا
ولكنه دهرى وحَظِّى ومِحْنتى ... تقاسَمْن أيّامى وزِدْنَ شقائيـــا
سأَصْبرُ ياحمقاءُ إلاّ عن البُكَا ... وعن ذِكْرياتى .. آهِمن ذكرياتيا!
ولِلدَّهر أَنْ يَقْسُو . وإنى لصامِدٌ ... وإن حطَّمت سود اللَّيَالى جِلاَدِيا
أَلِفْتُ صراعَ الدَّهْر من يوم ِمَوْلِدِى ... كأَنِّى على الدنيا مُلاقٍ حسابيا

* * *

ويا سَلْوتى عنها – إليكِ – فلم أَكُنْ ... لِأَسْلُوَ مَنْ كانت مَنَارَ حياتيا
سئمتُ غناءَ الحظِّ وانساب غائِمى ... دموعًا على ماذقته .. ومآسيا(١)
وطهَّرتُ نفسى من ترابٍ مرقَّشٍ ... يحنُّ إلى رجعاه لهفان صاديا
ومزَّ تُ آمالى فباتتْ ذبيحـــةً ... مشرَّدَةَ الأَشْلاَءِ تطوى اللياليا
وأَودعتْ صفْوِى قُمقمًا من غياهب ... وأَنكرتُ حتى بسمتى وعبوسيــا
وغامَت على عينى الحقائقُ وانتضى ... لىَ الشكُّ سيفًا ظامىء الحدِّ ماضيا(٢)
وحُيِّرتُ من يأْسى أأُدنى مَنِيَّتى ... فأرحمُ نفسِى أم أُميت حياتيا

(١) كان البيت ينتهى بكلمة ومباكيا فاستبدلها بقوله ومآسيا .
(٢) انتضى السّيف : أخرجه من غمده .

حياتى طريقٌ لستُ أدرى انتهاءه وقبْلاً جَهِلْتُ البدءَ منذ ابتدائيا

وموتى بيدٌ يعزف الغيبُ فوقَهَا مزاميرَ أَشباحٍ تَهزُّ الدَّياجيــا

فَمَالى وللدُّنيا سئمتُ نداءَها أكرِّشها إمّا استجابت ندائيا[1]

دعينى لأبقَى الخالدين يضمُّنى لأَخرج منك لاعَلَىَّ ولاليا ![2]

١٤ ديسمبر ١٩٤٦

---

(١) أكرشها : استخدمها الشاعر بمعنى أدفعها مع أن كرش فى الأصل بمعنى تقبّض ، وكرّش بمعنى قطّب وجهه .

(٢) كان هذا البيت فى أول الأمر : « دعينى لأحْنى التوأمين يضمنى » . ثم ضرب على « أحنى التوأمين » وعدّلها إلى : « دعينى لريح الموت تطفى مشاعلى » . ثم عدّلها فى صورتها الأخيرة إلى « دعينى لأبقى الخالدين يضمنى » .

الجزء السابع

أشعار ورسوم

١٩٤٦ - ١٩٤٧



المتجردة [1]

تجرّدتِ كالحُلُم العاطِفِيِّ أو الفكرةِ الحرّة الثائرهْ
فأَىُّ هوًى عبقرىّ الرُّؤَى أَذَابتْكِ أَشـواقه الشَّـاعره

* * *

أَظنّك حـوّاءَ بعْدَ الخروج مشرّدة فى الدُّنى حـائره
وقد غاب آدمُ يجنى لها من الأَرض أَثمارها الباكره
فنامت عن الكون والكائنات كسَوْسَنةِ الرّوضة الزاهره
وراحت وقد فارقَتْها الجنان تعيشُ على جَنَّةِ الذَّاكره
فياليْتَنى كنتُ صفْصافة تُظلُّ أُنُوثَتك الفـائره
ويا ليتنى خفقةٌ فى النَّسيم تشعشع أَنفاسك العاطره
تنامين ؟ يا للجمال الكسول ويا لمفـاتنـه الآسـره

* * *

(١) قالها فى فتيات مسترخيات كسالى ، نائمات على رمال شاطىء بلطيم ، وقد عَبَرَ بهن الشاعر .

يا فاتنى

قلبٌ يُعـــذِّبه هــواه ما ذنبــه إن قـــال آه
سخِرَ الزَّمـــانُ به فَعا شَ على البقيّة من مُنـــاه
وقضَى الغــرامُ عليه أَن يبكى.. ولا يُجْدى بُكاه
وهواهُ أَنت فكُن له عوناً على ظلم ِ الحيـــــاه

* * *

يا فاتنى بهواك حَسْـــــــــبُك ما أُكَابِدُ من زَمانِى
أَحكم عَلَىَّ بماتشـــــا ءُ فأَنت لى كلُّ الأَمـــانى
إن كان يُرْضيكَ الهوا نُ فإننى أَرضى هـــوانى
أَو كان يُسعدُك الفِـــرا قُ فلا تجد لى بالتَّـــدانى

* * *

الكونُ بعدَكَ ذاهِـــــلُ وكأَنَّه فِكْرِى وحسِّى
وحيــــاةُ نفسى مِحْنةٌ تَفْنى بها أَحــلامُ نفسى
يا جنَّـــة الآمال كيْـ ف رضيتِ لى همِّى ويأْسِى
أَمْسِى مضى وأَخاف أَن يشْقى غدى كشقاءِ أَمْسِى

* * *

المرأة ... لعبتها الرجلَ [1]

« صورة امرأة ضاحكة . .
تحمل على كفّها رجلا راكعاً »

حوّاءُ .. يا سرّ جمال الوجود   يا كلَّ ما نهواه فى العالم
يطيبُ لى بين يديْك السُّجُود   فقد ورثتُ الحبَّ عن آدَم

* * *

رِفْقًا بما فى كفِّك المُشْتهاه   فهو فتى الأَحلام يا جاحده
جعلتهِ لُعْبَةَ هذى الحياه   فيا له من لُعْبَةٍ خالده

* * *

كالْعابد المفتون يحنى الجبين   وروحُه تزجى إليك الرّجاءْ
فما الذى أَغراك إِذْ تَضْحكين ؟   ذُلُّ الهوى ؟ أَم ذاك طبعُ النساء

* * *

بالله يا حوّاء لاتحرميه   من ضمّةٍ .. أَو قبلةٍ .. أَوحنان
فهو امتدادٌ لأمانى أَبِيه   من يوم أَنْ فارق نُعْمَى الجنان

* * *

(١) رأى الشاعر هذه الصورة على غلاف كتاب .

ميعاد [1]

« صورة امرأة تتحدث فى
التليفون مترجمة عن الأثير »

سألقاكِ .. حين تنام النجوم وتصْحو الأَمانى على نورِها
وَتُفْضى الرِّياضُ بأسْرارِها وأسرارُها عِطْر أَزهارها
لنَسْرِقَ من عمرِنَا ساعةً نعيشُ الحياة على ذكرها
فأُسْلِمُ نفسِى وقلبى إليكِ كشادِيةٍ فى حِمَى طيرها
وجسمى ستعصرُه كَرْمَةً وتسقى شبابك من خمرها
وأُعطيك من شفتى قبلةً يذوبُ وجُودُكِ فى نارها

* * *

سألقاكِ طيفًا براه الحنين ودُنْيَا يَحنُّ إلى فجرها[2]
فأسعد يومى .. وأحْيا غَدِى وَأُطْلِقُ روحىَ من أَسْرها

* * *

(١) هذه القصيدة موجودة فى « المخطوطة » ولكن الشاعر قد ضرب عليها وشطبها مع أنها من جيّد شعره وهى تعبر عن انفعال بامتلاك هذه المرأة الهامسة فى التليفون وتنفعل فى حديثها الدافىء ، وتمنى الشاعر أن يكون هو ذلك الحبيب الذى تكلّمه .

(٢) براه الحنين : نَحتَتَه وسَوّاه .

دعيني

بِحُبِّي .. بأَشواقي .. بدَمْعِي الذي هَمَى

بشكِّي ... بإيماني ... وأَوّاه منهما

بذكرى نعيمٍ لم أَذقْ طعْمَ صفْوهِ

وذكرى جحيمٍ عِشتُ فيــه مُنَعَّمَا

بلَيْلَاتِنا النشوى .. بأَحْلامِ حبّنا

بوحدة قلبٍ صَارعَ الدهر راغِما !!

بقولك لى . . والكون نايٌ مُعطَّل

ونحن به لَحْنٌ طوى الليلَ ساهِما

سأَهواك جسماً طهرُه فى أَثامِه

وروحــاً تُرابيا تعذِّبه السّما

دعيني ... وفى نجمى من النور ومضةٌ

تمزِّق عن روحى الظلام المُظْلِّما

وفيكِ شبابٌ .. ترتعى فى رياضِهِ

أَفاعٍ تَشمُّ العطرَ ريحًا مُسمّما

دعيني .. فقد تمضى الحياة ... وينتهى

شبابى .. ولمّا أَجْنِ إلَّا التوهُّما

دعينى .. فقد أفنيتُ فيك مَلاحِنى

وأحرقتُ زهرى .. والشباب المحطَّما[1]

وفى الكأسِ من خمرِ الأمانى بقيّةٌ

سيُهْرِيقُها يأْسِى .. وأحيا على الظَّما[2]

تريدينَنى طيرًا مَهِيضًا جناحُــه

فلا والذى سوّاك جُرحًا وبَلْسما

سأنْسَاكِ . . وهْماً أرّقتْنى طيُوفُه

وحسنًا .. وآمالًا .. وحُبًّا محرَّما

وأعْمَى عن الأُفق الذى كُنْتِ شمسَه

وأُنْكِرُ نفسى حين يحْزُنُها العمى

* * *

دَمِى فوق آمَاقِ اللَّيــالى أرَقْتِهِ

وشِعْرى أحالته .. الرّزايا مآتما[3]

---

(١) الملاحن : مسائل كالألغاز يحتاج فى حلّها إلى فطنة ، ولكنه استخدمها جمعا للّحْن الذى هو : ما صيغ من الأصوات ووضع على توقيع ونغم معلوم (صناعة الألحان) ويعنى باللحن الأغنية الشعرية وجمع اللحن : ألحان ، ولحُون .

(٢) سيُهريقُها يأسى : سيَصبُّها .

(٣) آماق : جمع مُوق ، أومُؤْق وهو طرف العين مما يلى الأنف ؛ وهو مجرى الدّمع ، ويجمع الموق كذلك على أمْواق .

فأَصبحتُ والحرمانُ خمرى وحانَتِى

أَعيش عليـــه جنَّةً أَو جهنَّما

إذا الحسنُ نادى الناسَ حىَّ على الْهوَى

فإنى بحرمانى ســأَحْيا مُنَعَّما

نغم

فى دمى .. من لحنك الماضى .. بقايا نغمِ

لم تزل تشدو بها روحى . . ويرويها فمِى

وعلى أَصـــدائها أَحيا . . ويحيا قلمى

وهى فى بُعْدك سلواى ودنيـــا أَلَمِى

السياسيون القدامى[1]

الحزَانى عــلى الأَسى عاكفونا

بعد أَن صارت الأَمانى مَنُونا

والأُلَى يحكمُــون . . لا يعلمونا

أنهم يَهْدِمــون ما يَبْتَنُــونا

والبنــاءُ الذى يظنُّــونَه مَجْدًا

سيمحــو آثارَهم أَجمعينــا

والملك[2]

خلق الله ذو الجــلالة أَعْمى

ليقــودَ الأَنــامَ للمُهْلكــاتِ

ليته مات قبل أَن يهبط الأَرْ

ضَ ليحيــا والناس كالأَمْــوات

(١) دوّن الشاعر هذه الأبيات الثلاثة فى مخطوطته دون عُنوان . وعنْوَنْت لها بما يتفق ونزعته الثّائرة على الحكم والحاكمين فى العهد الماضى .

(٢) يقصد الشاعر بهذين البيتين الملك فاروق ، إذ كان يمقته مقْتاً شديداً فى تلك الآونة نظراً لانحرافه عن القصد والاعتدال ، ولوقوفه حَجرَ عثْرة ضدّ الأمانى القوميّة ، ولكن الشاعر لم يُعنْون لهذين البيتين كذلك ، فعنْوَنْت لهما .

المواكب [1]

غفـا بعد أَن مرّت الزَّوْبعـهْ يقاسِمُ أَحـلامه مَضْجَعه
شـقىٌّ أَحالتـه أَيامُـه صَـدًى نغمةٍ بالأَسى دامِعَه
يعيش على حرقِ الذِّكرياتِ ويقتـات آماله الخادعه
كأَنى به فى جحيم الحياة نبىٌّ جفـاه الذى أَبدعه
تـراهُ فتقـرأُ فى وجهـه ملاحم أَيَّـامه الضـائعه

* * *

جبين كصحـراء مَجْهُـولةٍ مشى الصمتُ فى جوْفِها حالِمًا
وعينـان تستغرقان الوجـود سجى الليل فوق جُفونَيْهِما
إِلهيّتان ... وشـيطانتـان تغشّـاهما ماتغشّـاهما
وبينهمـا تجثمُ الكبريـاءُ على جـدولٍ يسكر العالما
سِـماتٌ بهنَّ يهيمُ الخيـالِ يمجّد فنّانها الأَعظمـا

* * *

له اللهُ حين أَفاقَتْ رُؤَاه وهامتْ مواكبُهـا فى سَماه

---

(١) كان عنوان القصيدة أولا.. المواكب.. ثم ضرب عليه الشاعر وأسماها «الوجودية» ولكننا رأينا أنّ تسميتها بالمواكب أكثر اتساقاً مع موضوع القصيدة ، وهى من تأمّلات الشاعر فى الحياة والأحياء ونقده للسلوك البشرى وهو ما يسمونه بالنقد الاجتماعى.

طفاوات نورٍ ترى روحه بها غير ماقد ترى مُقْلتاه[1]
رأى نفسه قبساً حائرا تحدّ سناه قيود الإله
أثيريّةٌ غير محدودةٍ وكونٌ يغيبُ المدى فى مداه[2]
رأى حلما حقّقتْه الحياة ليشتفّ أعماق بحْر الحياه

* * *

رأى نفسه .. ليته مارأى وعاش على جدْبه ظامئا
لقد راعه أنه زائلٌ ستُفْنى المنيّةُ ما أنشأ
وأذهلَهُ أن أيّامَه زوارقُ لا تعرفُ الْمَرْفَأ
تمرّ بها صرَخاتُ الرِّياح فتحطمُ مصباحها المُطْفأ
ويَجْهش ربّانُها بالصلاة فيغرقُها الموجُ مُسْتهزئا

* * *

وفى غمْرةٍ من شعاع الخيالْ رأى كوكباً كفّنته الليالْ
تزفُّ حواليه من نوره بقايا سَنَى آلهىّ الجلال
تحدّث عن أمل الوالدين وعن طُهره عيسوىّ المثالْ[3]
هو الأمسُ أو طِفْلُه العبْقرىّ مضى .. والسعادة بنتُ المُحَال

---

(١) طفاوات نور : جمع طُفَاوة وهى دارَة القمرين (الشمس والقمر)، وما طفا من زَبَد القِدْر ونحوه . ويُقال : « أصبنا طفاوة من الربيع » أى شيئا منه .

(٢) أثيريّةٌ : نسبة إلى الأثير وهو عند علماء الطبيعة : سيّال يملأ الفراغ : إذ هو مادة لا تقع تحت الوزن تتخلّل الأجسام ويكون امتداد الصوت والحرارة بواسطة تموجاتها . واللفظة يونانية .

(٣) عيسوىّ المثال : يشير إلى المسيح عيسى بن مريم .

هو الأَمسُ منتحرًا .. والصفاءُ مُهَالاً عليه تراب الـــزَّوال

* * *

وعانقَه كالرُّؤى الطَّافِـــرهْ صبیٌّ تلفَّع بالآخِـــرهْ
يقول له أَين أَحلامُنَـــا وقد كُنَّ كالروضة الزَّاهره
فناداه من أَنت ؟ ماذا تريـد ؟ كَفَى إِنَّ دنيایَ بی كافـره
فقال له أَنا من كُنتَـــهُ أَنا الفجرُ أَو روحُه الحائره
أَنا فی حیاتك معنًی يطـوف وإِن أَنكرتْنی الرّجی الدائره

* * *

فِدًى للطفولةِ سحـرُ الشباب وما هو إلا خداعُ السَّـراب
مُنًى بعثرَتْهَا رياح الزَّمَـان وأَلقتْ بها فی ضمير اليَبَاب
وأَوتارُ قيثارة أَطرقـــت على شفتيها لحون العذاب
تسائِلُها الريحُ عن صمتهـا فتتركُ للصمت ردّ الجواب
فيَاذَرَّةً فوق سطح العُباب نـأَى الشطُّ فالْتحِمِی بالعُبَاب

* * *

يقينُ الحياة وأَوهامُهَـــا سواءٌ إِذا جفَّ إِلهامُهـــا
وما نحن إلاَّ سُطُورُ الكتاب وأَعمارُنا هی أَرقامُهَـــا
وكاتِبُهَا الخالِقُ السَّرمـدیّ وتلك المقـادِيرُ أَقلامُهـــا

نُكفِّــر عمّا جنى الوالــِدان   فيا لِلْبرّيـــــةِ ما جُرمُها[1]

تحفُّ الرزايا بميــــــلادِها   وترتقب المـــوت أيامهـــا

* * *

أتُفَّاحةٌ سرُّ هذا الشقــاءْ ؟   ومن أَجلها كلُّ هذا البلاءْ

تعاليتَ ياربّ .. ماذا أَقول ؟   وأَنت القديرُ على ماتشاءْ

أنا ابنُ الطَّريدين أشكُو إليْك   وملءُ دمى ثورة الأَبرياءْ[2]

أَلم تكُ قدّرْتَ أَن يعْصياك   فلم يخرُجا عن محيط القضاءْ

وإلا .. فلِمْ صُغْتَ هذا الوجود ؟   دَحَوْتَ الثَّرى ورفعْتَ السماءْ

* * *

أَلم تخلق النار .. نار الجحيم ؟   كخلْقِك للدار .. دار النعيمْ ؟

أَلم تقْض أَن يُبعث الأَنبيــاءُ   لكلٍّ هُدًى وطريق قويم

فهذا نبيٌّ بنى يَعْـــــرُبٍ   وهذا الخليلُ . وذاك الكليم[3]

وتلك الشياطينُ بنت اللَّظى   فمنهم ولىٌّ .. وفيهم رجيم

ودُنيا الملائك فوق السحــاب   ونملُ التُّراب وطيرُ السَّديـمْ[4]

* * *

(١) يمضى الشاعر فى هذا البيت على مذهب أبى العلاء المعرّى الذى يلقى التّبعة كلها فى أمر إيجاد الإنسان على الوالدين حينما قال « هذا جناه أبى علىّ » .

(٢) يشير فى هذا البيت إلى خروج سيدنا آدم عليه السلام وحوّاء من الجنّة . .

(٣) نبى بنى يعرب : سيدنا محمد عليه السلام ، والخليل سيدنا ابراهيم عليه السّلام ، والكليم : سيدنا موسى عليه السلام .

(٤) السّديم : الضباب الرقيق . وهو كذلك مجموعة نجوم بعيدة جداً تظهر كأنها سحابة رقيقة ومنه المجرّة ؛ جمع : سُدمٌ ، والمقصود فى هذا البيت : الجوّ .

تباركتِ .. مانفع هذا الوجود   إذا لم نُفارقْ جِنانَ الخلود[1]
وما بإرادتنـــــا أن نجيء   ولا بمشيئتنـــــا أن نعودْ
نُقاسِي الحيــاةَ وآلامَهـــــا   وآخرُها غمراتُ الهمـــــود
وتنذِرُنَــا بعسير الحســاب   ومن ذكره تقشعِرُّ الجلــود
وما ذنبنا نحن ؟ ما ذنبنا ؟   ولم نقترف ماجناه الجدود

* * *

حَنَانَيْك .. لوْ أن لى ما أشاءُ   لكنتُ نبيًّا من الأنبيـاءْ[2]
أُطَهِّر قومى من الْموبقـات   وأَدْفع عنهم صُرُوف القضاءْ[3]
أَو اخترتُ عرْشًا كهذى العُرُو   شِ أَو كنتُ فردًا من الأَثرياءْ
أَو اخترتُ ألاَّ أرى عالَمـــاً   بقائى على أرضه كالفنـاءْ
فكنتُ تراباً كهذا التُّــرا   ب أَوْ مُزْنةً فى جفون السَّماءْ

* * *

حنانيْكَ .. أَرْضُك تشكو إليك   وترْجُو رِضَاكَ وجَدْوَى يديكْ
لقد أَجْدبتْ وهى مخضلَّـةٌ   وما سِرُّها بخفِىٍّ عليـــــك
بحوْلِك سوَّيْتَ أبنـــــاءَها   فعاشوا كما شئتَ فى عالَمَيْك
يعذِّبُهم جهلهمْ بالغيـــوب   ومُظْلِمُهَــا مُسْتنيرٌ لديــك
وتحدو المقاديــر أَحلامهـــم   فتطوى الطريق على ناظريك

* * *

---

(١) إذا لم : يقصد الشاعر بهذا التعبير اولم نفارق .
(٢) حنانيك : يعنى رحمةً منك موصولة برحمةَ .
(٣) الموبقات : الكبائر من المعاصى لأنهن مُهْلكات : واحدها مُوبقة .

خلقتهُمُـــو وخلقتَ الرّدى وباركتَ منجلَهُ الحاصِـدَا

وأغرَيْتَهم بجمـال الوجـود يروْن به صُنعك الخالِـــدا

فلمْ يعرفوك وإن مَثَّلُــوك فأَنت النشيدُ ونحن الصَّدى

وكمْ وحَّدُوك وكمْ عدَّدُوك فكان هُدَاهم ضلالُ الهدى

ومعناك فوق الخَيال الشَّرُود ودونَ مَدَاك انفسَاحُ المَدى

* * *

رآكَ خليلُك نور الشموس وظنُّوك فى الهند نارَ المجوس[1]

وفرعونُ خالَكَ فى نفســه وناجَاكَ آبـاؤه فى أَبيس[2]

وسمَّاكَ « مانا » ظلامَ الدُّجى وناداك «بوذا » بنفس النفوس[3]

وكم فى المحاريب من ساجِدين أَفاءُوا إليكِ بذلِّ الرءُوس

وكم فى المذابح من رَاهــب يريقُ اللُّحون ويُزْجى الطقوس

* * *

(١) خليلُك : ابراهيم عليه السلام .. المَجُوس : أطلق هذا الاسم على طائفة من الكُهّان كان لهم الدور الخطير فى الديانة الإيرانية القديمة لا سيما فى العهد الساسانى ، وقد أطلق هذا الاسم كذلك على فئات من المنجّمين والعلماء . وقد أطلق العرب اسم المجوس على قرصان النورمان والكاندافيين الذين حاولوا فى القرون الوُسطى اقتحام السواحل أو الحدود فى بلاد الغرب الإسلامى .

(٢) أبيس : العجل المعبود لدى قدماء المصريين .

(٣) مانا : أصل هذا الاسم «مانى» (٢١٥ – ٢٧٦ م) وهو مؤسس مذهب المانوية القائل بمبْدأين بالوجود: مبْدأ الخير، ومبدأ الشرّ ، والنور والظلام ، وإليه مرجع اليزيدية . أدخل مانى فى التصوير الفارسى نسق التصوير الصينى ورسم الملائكة والشياطين . بوذا : مؤسس الديانة البوذية ، وهى تقول : إن غاية الإنسان بفنائه وهذا ما يسمّونه « نيرفانا » (Nirvàna) وتُبّاع البوذيّة زهاء ٥٠٠ مليون .

وأنت .. تساميت .. فى كل ما حوى الكونُ فى أرضه والسَّمَا
أُحِسُّك فى الفجر روحَ الضياء وفى الطَّـيْر تغريده المُلهمـا
وفى الزّهر سِرّ حَنـان النَّـدى وفى العطـر تهويمه النَّاسِما
وفى النَّهـر تهويم أَمواجـه وفى الطَّـل إطراقه الحالمـا
وفى الطِّفـل ياليتنى قلبُـه أُحِسُّـــك تسبيحه الباغما

* * *

أُحِسُّكَ فىّ الليل صمتَ النيام وسحرَ النجوم وهولَ القتام[1]
وشكوى المناكيدِ من دهرهم ونجوى المعاميدِ أهل الغـرام
وأذكارَ مُسْتَوْحِشٍ عابــدٍ رآك فأَقْسَمَ أَلاّ ينـــام
وأَدْمُعَ أَفَّاقــة فى الـدُّجى تبيعُ الهوى لتنال الطعـام
تَحجُّ إليك بآهاتهـــــا لتنقذهـــا من أفاعى الظَّلام

* * *

أُحِسُّك فىّ منار السَّفِيــن وعصف الشكوك ورُوح اليقين[2]
أَحِسُّك فى الحسنِ معنى الجمال رفيفَ الشِّفاه وهمسَ الجفون
وفى القبح إذ أَنْت خلفَ التراب جمالٌ زوهُ الترابُ الغَبين[3]
أَحِسُّك فى الحىّ فى الميت فى القبر فى الدُّود ينهشُ جسمَ الـدَّفين

(١) القتام : الغُبار الأسود ، أو غبار الحرب .
(٢) مَنَار السَّفِين : ما يُقام فى الموانى لتهتدى به السُّفن .
(٣) التراب الغبين : المخدوع المغلوب .

وفى الفنِّ مشــرقُ أنــــواره　　وناموسُ أبنائه الخالدين[1]

* * *

لك الأمرُ .. بى من هواك افتتان　　ولا زلت أشكو إليك الهوان
يُقرِّبُنى منــك ذلُّ العبيـــد　　ويبعدُنى عنك قهْرُ المكان
أُريد السموَّ وأخشى السقــوط　　فهبْنى مما قضيتَ الأمــان
نشدْتك فى صبواتِ الحسان　　وفى نشواتى بخمرِ الدِّنــان
فقالوا غـــوىٌّ شقىٌّ الخيال　　يعربِدُ فى رأسه الأُفعــوان

* * *

وزرتُكَ فى الدَّيْرِ والمسجد　　فلم تَدْنُ منى ولم تبعدِ ؟
وألْفَيْتَنِى مُغرقًا فى الرَّجــاء　　فلم تكشف الحُجْبَ أو أشهد ؟
أشعتَ وجودَك بين الوجود　　فَفِى الْحَانِ ألقاكَ والمعبـــدِ
وطمأنتَ قلبى وفزَّعتــه　　فياويحَ لِلْمُؤمِن المُلحِدِ !
وأفْزَعتنى فوسعتُ الفضــاءَ　　إلاّ فضاءً بــه ترتـــدى

* * *

أَطــوف بكونك فى عُزلتى　　فأنسى بآلامـــه محْنتى
وأرْقبُ خلْقَك مــن عَالَمى　　جياعَ ذِئــابٍ على جيفــةِ
تسخِّرُهم شهواتُ الحضيض　　ويخنقهم جشَعُ الطِّينـــة

(١) النّاموس : صاحب سرّ الرّجل . والذى يُطلعه دون غيره على باطن أمره . والناموس كذلك جبريل عليه السلام . جمعه نواميس .

وعدلُكَ فى ظُلْمِهم تائِهٌ   وإيمانهم شِبْه أُسْطورة
ويغذُو التُّرَابُ أَباطيلَهـم   فتسخر منهم أُلُوهِيَّتِى

* * *

جنونُ الرُّؤى وسُعَارُ الأَلَمْ   رفيقاى منذ صحبت القلمْ[1]
عرفتُ من الفنِّ معنى الحياة   وكُنْهَ الخلودِ وسرَّ العدمْ
وأكرمتُ نفسى فَطَامَنْتُهَا   زمانًا .. وغامرت فى المُزْدَحَمْ[2]
فروَّعَنِى أَنْ أَرَي الْعالمين   مقابرَ تنبضُ فيها الرِمَمْ
فعُدْتُ وكلىٌّ رُبُوبيّـةٌ   تطهِّرها عبراتُ النَّـدم[3]

* * *

شربتُ بِرغْمى كُئُوسَ القَدَرْ   وجابهتُ وحدى سهام الغِيَر[4]
وما كنتُ إلاَّ لسانًا أَبـان   وَقَلْبًا أَحسَّ ورُوحًا شعَـرْ
أُحلِّقُ فوق مَرَاقى العقـولِ   وأَزحم فى الطِّين دُودَ البشر[5]
وقد أَحْتفِى ببُكاءِ الظَّـلام   وأَنفِرُ من ضحِكَاتِ القمرْ
فلم أَرَ كالنَّاس فى أَرضهم   تهاويلَ مُخْتلفاتِ الصُّـوَرْ

* * *

---

(١) السّعَار : حرّ النار . وشدّة الجوع . والتهاب العطش . والجنُون .

(٢) فطامَنْتُها : أى حملتها على الطمأنينة بالسكون والانخفاض . وقد خففت همزتها للتسهيل لأن أصل الكلمة فطأمنتُها ، وتخففها العامّة أكثر من ذلك فتقول « طمّنتُها » .

(٣) الربوبيّة والربُوبة : اسم من الرّب وهو من أسمائه تعالى والنسبة إليه رَبىّ . وربّانىّ . ورَبُوبىّ

(٤) الغِيَرَ : غيَر الدّهر : أحواله . وأحداثه المتغيّرة . يقال : لا أراك الله بك غيراً . ج: أغْيار.

(٥) مَرَاقى : جمع مَرْقى وهو الرقىّ . والرقىّ هو الصعود .

فهذا فتًى فى الشباب الغرير يعيش الحياةَ كدودِ الحرير[1]

حَوَى كونُه الكوْنَ والكائناتِ ففيه الْتقى بدؤها بالمصير

وقلَّده الفنُّ تاج الخلــود وما الفنُّ إلا الوجودُ الكبيرْ

فلم تَهدِه غير أَضـــوائه ولم يُصْغِ إلا لصوت الضمير

فأَعْيَتْ مذاهبُه فى الحيــاةِ فياحسرتنا للإله الفقيــــر

* * *

وهذا ابنُ أُنثى غَوىٌّ الفؤادْ رسالتُه أَن يعيثَ الفســـادْ

رقابُ الْأَمَانىِّ مُنْقَـــادَةٌ إليه .. وطَبْعُ الأَمانى العنادْ

حَبَتْه المقاديرُ مُلك الثَّـرى وأَلقتْ إليه أُمورَ العبـــاد

فجُنَّ بأَهوائِه الآثمـــــاتِ يرى بحرهــا ماله من نفــاد

فما خنقته دمــوع الْأَسَى ولا طوَّقته معــانى الحِـداد

* * *

وفى الكوخ .. حيث تقيم المحنْ على ساكنيه ليالى الشجـــنْ

براعِمُ لم تحتضنْها الرِّيــــاض ولا نشقتْ غير ريح الدِّمنْ[2]

يموت النَّدى فوق أَورَاقِهـــا وينكرُها الغيث إمَّا هَتنْ[3]

وتقتُلُها العاصفاتُ الشِّــداد فيدفنها القفرُ فيما دفَـنْ

وكل جنايتهــــا أَنهــــــا تريدُ الحياة فيأْبَى الزَّمـــن

* * *

(١) الغَرير : الحَلَق الحسن . ج غُرَّان .

(٢) الدِّمَن : جمع دِمْنة وهى المزْبلة . أو ما اختلط من البَعْر والطِّين عند الحوض فتلبّد .

(٣) هتَن : هطل وتتابع .

وفوق الذُّرا حاكمٌ فى عُلاه   يرى قومَه أُمّةً من شيـاهْ
شياهٍ تودُّ اخضرار الْجَـديب   لتَسْمَنَ للذِّئب لا للحيـاه
تنامُ على الشَّوْكِ حتَّى إذا   نما الوردُ كان دُخَانًا شذاه
وراعٍ طوتْ نايَهُ السافيـاتُ   وغابَ بجوف الرَّوابى صداه
يَهَشُّ إلى رقَصات الْمُنَى   وكلُّ الرَّدى كامِنٌ فى مُنَـاه

* * *

ويهفُو إلى الكأْسِ إنْ عَرْبدت   ويسجدُ للمرأة المشتهـــــاه
وللذئب مِنْ حـوله شِـرَّةٌ   تصول إذا مَا وَهَى جانبـاه[1]
يرى الرَّاعىَ الغِرَّ ينسَى الحياةَ   وينْسَى الرعيلَ وينسى عصاه
فيشرع من ناظريه المُـدَى   ليقطع عنها سبيل النَّجـاه
وإنْ أيقظ الذئب صوتُ الدِّمَاءِ   فلا ترتقبْ غير نوم الرُّعـاه

* * *

وذى لحيةٍ ترهِقُ الماشطين   ومِسْبحةٍ تُعجزُ الحاسبيـن
يهزُّ النهارَ بِآى السماءِ   فَيُبْكى بترتيلهـا السامعين
فإن جمع اللَّيلُ نُدْمَانَــــه   رآه إمامًا عـــلى الشاربين
يضجُّ بلَعْنة أَقــــداره   ويسـخرُ مِن خالق العالمين
فإن أنت ذكَّرته بالحســاب   أقامَك رمْزًا إلى الجاهليـن

* * *

(١) الشِّرّةُ : الحدّة والنشاط .

ومُنْتَبِذٍ فى حِمى الأَدْيِــــرَهْ   يُفكِّرُ فى الرُّوحِ والآخــره
فإن خَطَرتْ حوله الراهبــات   أَطاحت به النشوةُ الغامِــره
وراح بعينيه يُزْجى الصَّــلاه   إلى كلِّ فتَّانةٍ قاهـــره[1]
بها ما به . . شهوةٌ قُيِّــدَت   فشبَّتْ فثارتْ بها الثائـــره
ويلتقيان فَيبكى المسيــح   ويشكو إلى أُمِّــه الطاهـره

* * *

ومُسْتقْتِلٍ فى صِرَاعِ الضَّنى   ويغسِلُ بالدَّمع ميت المُنَى
تنقّل فى جانبيــه الجـراح   وتأْكل جثمانــه المُثْخنَا[2]
مضى الموت يغزل أَنفاســه   لأَيَّامه كفنًا واهنـــــا
وأَبناؤه الجائعــون العُــراة   يقُدُّون بالنَّوحِ صمتَ الدُّنى
ملاهيفُ يستصرخُون السماء   لترزقهم زائرا مُحسنــا[3]

* * *

ومُنْتحــرٍ بحبــالِ المنى   و نياهُ من نورها يائســـه
يقــودُ الحيــاة بأَوْهامــه   وتقتادُه القُدْرة العابســـه
عجبت له كيف يَنْسى الفناء   ويعشقُ أَحلامه البائســـه
ويُغمضُ عينيه عمــا يكون   إذا اعتصرت جسمه اليابسه

---

(١) يزجى الصلاة : يسوقها .

(٢) المُثْخَن : الذى وهن وضعف ، من أثخنته الجراح : إذا أضعفته وأوهنته .

(٣) ملَاهيف : أى مظلومون مضطرون ، ينادون ويستغيثون ويتحسرون ، محترقو القلوب .

وقامت من الدود نـدّابَـةٌ تُؤَبِّن أيَّامــه الدَّارســـه

* * *

وكم واقفٍ عند باب الصّباح وفى عَيْنِهِ لهفةٌ للمســاءِ
يحسُّ كأنَّ له بالوجود (م) عهدًا شَطُونًا طوته السماءِ[1]
وأنَّ له ماضيًا فى الفنـــاءِ تقدَّمَهُ غابـــرٌ فى البقـــاء
فكل الذى ضمّنتـه الحياة بما لقّنتْ من فُنُون القضاء
له تحت أعماقه صـــورةٌ تؤكِّدُ أن الختام ابتـــداء

* * *

ويارُبّ شيخٍ سقاهُ الزَّمَـان أَعْتقَ مافى كئوسِ الزَّمـان
تحطَّم حتّى لوْ انّ الهـوان تجسَّم كان مثالَ الهـوان
وأطعمه الدَّهرُ والفرقدان ليأْكله الدَّهرُ والفرقـدان[2]
وتسألُه ما معــانى الحيــاة وماذا وَعَى من غريب المعان
فيعيا .. ويشكو إليك الشباب وكيف مضى قبلَ فــوتِ الأوان

* * *

وطفـــلٍ يبـارِكُ ميـــلادَهُ حنـانٌ من الأُمِّ والـــوالدِ
ينادونه بـالْمــلاك الصَّـــغير ويكفونه نظـــرة الحاســدِ

---

(١) شطُوناً : بعيداً ، من شطنت الدار تَشْطُن شُطُونا : بعُدَت .

(٢) الفرقدان : تثنية فَرْقد . وهو نجم قريب من القطب الشمالى ثابت الموقع تقريبا ، ولذا يُهتدى به ، وهو المسمّى (النجم القطبى) ، وبقُربه نجم آخر مماثلٌ له وأصغر منه ؛ وهما فرقدان . والفرقد كذلك ولد البقرة الوحشيّة ، والفرقد من الأرض : المستوى الصلب ، جمعه فرَاقد .

ويستَقبلُون بــه عــالَمًا من الأَمَلِ الباسم الرَّاغــد
ولو أنّهم علمــوا مايَنَــال إذا امتدَّ فى الزَّمن الخــالد
أَراحــوه من نكباتِ الحياة ومن دهــره الكافــر الحاقد

* * *

وطفــل كريحــانةٍ فى عُلاه بنـــاه وهـــدَّمَه والداه
تَلقَّفه الليــلُ مِن أُمِّــــه وأَسكنه جانبـــاً من حمَاه
وزفَّ إليه التمضاءُ العجيبُ يدَىْ مُترَفٍ أعقَمتْــهُ الحياه
فربَّبَــهُ وحبـــــاه اسمُه وما لاسْمِهِ من ثــراءٍ وجاه[1]
فَمَنْ عمرك الله أَدْنى إِليــه أَمن غَرَسَ الغَرْس أَم من جناه ؟

* * *

وطفــلٍ تخِفُّ لدى ذكرِهِ قلوبُ المســاكين من شَعْبِه
يُحيُّــونَ فيه الرّجاء البعيــد ويرجــون لوْ شبَّ فى قلبه
ويخشوْن منه الوريث الجديد لظلم الأَب الحيِّ فى ثــوبه
ويجرى به الفلك السَّرمدىّ عَتِىّ الأُلوهــة فى جذْبه[2]
فينتفِضُ المهــد عن فاتِكٍ تحــارُ المصائبُ فى حَرْبِهِ[3]

* * *

وطفلٍ تمــوتُ على مهدِهِ مُنى الأَمسِ والغــدِ والحاضر

---

(١) ربّبَه : ربّاه وتعهّده . (٢) العتىّ : المتجاوز الحدّ .

(٣) الفاتك : الغادر المغتال .

أنى دُون داعٍ ولا مُوجبٍ ولا سبب واضحٍ ظاهر
سِوَى نَزْوَةٍ فى دم الوالدين تُؤجّ بيَحْمُومِها الفائر[1]
هُما ورِثَاها عن الوالدين وذابا عَلى جمرها السَّاعر[2]
فكانا امتدادًا لأَحلامِهِم وبؤسهم الخالد الْقاهر

* * *

وطفلٍ ينوءُ بآمالِه إلى ظلٍّ والده الباسِق[3]
أنى يطْرقُ الأَرض من سقفها فيا للطَّروقَةِ والطَّارِقِ
فما شاءَ .. فالأَرض والسّاكِنُون فِدَى أَمره النَّافذ السَّابِق
وما لم يشأْ . . فالزمانُ العنيد مُطيعٌ كخنجره الْبارق
وبين السّموم وبين الصّبا كما بيَن فجرٍ إلى غاسِق[4]

* * *

وطفلٍ يسير إلى قبره ولمَّا يزل فى ضمير الغيوب
تُغَذِّيه أَنفاسها فى الحياة طريدةُ بأْسٍ دهتها الخطوب
ففى قلبه جذوات الشروق وفى عينه ظلماتُ الْغُروب
ويفْتحُها فيرى عالَمًا يعذِّبه السِّلْمُ قبل الْحروب
تَتُوهُ الشِّياهُ به فى الذئاب وشِرعتُه النَّهشُ قبل الوُثُوب

* * *

(١) اليحموم : الشديد الحرارة ، جمعه يحاميم .
(٢) السّاعر : المتّقد .
(٣) الباسق : المرتفع .
(٤) الغاسق : الليل إذا غاب الشّفق واشتدّت ظلمته ، والقمر إذا أظلم بالخسوف .

وباكٍ على أمسه .. ضاحك   لغُرّة فجر بعيد الظلال
يُعيدُ الحكايةَ من بَدْئِها   وَينْسجُها بشعاع الخيال
وللدَّهْر طاحونةٌ لا تَمَلّ   تُدوِّرها نكبات اللَّيالْ
وفى جوفِها مثلُ عُمْقِ الفضاء   إذا سوّرَتْهُ رؤُوس الجبال
فما هو؟ . ما الكون .. ما الكائنات   لعلَّ الإجابةَ عينُ السُّؤال

* * *

وباكٍ على يومه قبل أن   يحرِّره الغيبُ من قيده
يرى فجرَه من دُجى ليله   قريبُ الزمان على بُعْدِه
فيرصد بالوهم مافى غدٍ   وكل التعاسةِ فى رَصْدِه
ويَمْزِجُ ماذَاقَ من أمسه   بما يخبأُ الغيبُ فى بُرْده
فيسكب ماحار من دمعه   ويوقظ مانام من وجده

* * *

وذى صَبْوَة شغفت قلبَه   وأَضْنَتْهُ إحدى ذوات الْخَفَرْ
توَلَّه حتّى رأى حُسْنَها   تخلَّق ممّا وراءَ الفكر
ففيها من الشعر والأُغنياتِ   وسحر الرُّؤى والنَّدى والزَّهَر
رَوَى أَملًا وروَتْ مثله   على الحبّ وانتظرتْ وانتظر
وشقَّ على الدهر أن يَسْعَدَا   فجفَّ الغِراسُ .. ومات الثَّمر

* * *

وأَعْمَى العواطفِ شيطانُهـــا غويٌّ الهوى عبقرىٌّ النَّزَقْ[1]
رأى فتنـــةً من بَنَاتِ الخدورِ فما زال بالطيرِ حتّى انْطَلَق
وأَلْقىٰ عَلَيها شِبَاكَ المُنى وجاذَبَهـا الثوبَ حتّى انْفَتَق
فجـاءَ به نسباً شـائعاً يجـوعُ فيأْكلُ ممّـا سرق
سَـواءٌ لديه دمُ الآدمىّ وخمـرٌ بكاسـاتها تُغْتَبَق

* * *

وطاوٍ على الفقر أَيَّـــامَه يحبّ !! فيا للهـوى المتعب
رأى بنت سـيِّدِه مــرّة فقــال هنا غاية المَطْلب
وراح يصبُّ أمــانيّــــهُ أَغارِيدَ فى نايه المُطْـرِب[2]
تئِنُّ من الجــوع أمْعـاؤُه بكاءً على جوفـــه المُجْدِب
فيحسبُه من أنين القلـوب إذا احترقتْ بالضَّنى المُذْهبِ

* * *

وأَعجبُ منـــه ابنــةُ السيِّد تبيعُ الغِنَى بالغرامِ الصَّدِى[3]
رأَت فيه فوق معانى الشباب ذراعا أَشـــدُّ وصدراً ندى
وبين زواجهمـــا حائـلان من الحسب الضَّخمِ والْمَحْتِدِ
ولكنَّه الحُبُّ . قاسٍ عنيد ولا بُدَّ للسهم من منفَـــد

---

(١) النّزَق : الخفّة والطيش فى كلّ أمر ، والعجلة فى جهلٍ وحُمق ، والمكان القريب .

(٢) أغاريد : جمع أغرودة . وهى غناء الطير أو الإنسان .

(٣) الصّدى : شدّة الظمأ .

وكم جمع الحبُّ فى قيده أخا البؤسِ بالأَرْوَع الأَمْجد[1]

* * *

مواليد تجرى الليالى بهم على قَدَرٍ فوقهم قـــادر

كما كان آباؤُهم فى الحياة يكونون والفــرخ للطَّــائِر

وربَّتمَا خالفوا الوالـــدين فقــد يُولَدُ البــرُّ للفاجِرِ

حقــائق جلَّت عن العالمين وغابت عن الباحث السَّــاهر

أَرى وجْهَهَا المُظلم المُدْلهمّ فمَنْ لى بوجــهٍ لها آخر !

* * *

(١) الأرْوع : الذّكى الفؤاد ، والمُعجِب بحسنه وجَهارة منظره ، أو بشجاعته ، وهى رَوْعاء ، ج : رُوعٌ ، وقلبٌ أرْوع يرتاع لحدّته من كل ما سمع أو رأى . .

من الماضي[1]

بين يأسِي وحَيْرتي ورجائي

وصباحي مُكفَّنا بمسائي

بين كأْسِي وخمرها ذوبُ وِجْدًا

نِي وحسِّي ووَحْدتي وشقائي

سأَعيشُ الحياةَ عبدًا لِذكْرا

كِ وأُحيي رفاتها بُبكائي

أَنْتِ يامن عرفتُ نفسيَ فيها

حين أَنكرتُ عِفَّتي وحيائي

كيف أَنساكِ جنَّةً أو جحيما

وأَنا بالهموم بعت صفائي

أَنت أَمْسِي وحاضري ، وغَدِي فيـ

ـك سِرابٌ تهفو له صحرائي

كيف أَنسى يوماً لقيتُك فيه

بأَمانيَّ قبل حين اللقاء

---

(١) هذه القصيدة تعبّر عن حالة شعورية ومعاناة دعت الشاعر إلى استرجاع ماضيه واجتراره؛

لم أَكُن قبله شهيدَ جمالٍ
وثَنِيَّ الْغَرَامِ والأَهواءِ

آه من نظرةٍ أَفاقت عليها
شهواتى وعربدت فى دمائى

آه من همسةٍ أَذابَتْ كِيَانى
وأَطاحت بحكمتى وذكائى

آه من موعدٍ أَشَاعتْه عَيْنَا
كِ وحدَّثْتِهِ بقلب المساءِ

آه من ليلةٍ نسيتُ بها العمر
وأَفنيتُ فى دُجاها ضِيائى

كنتُ فيها الشبابَ أَرْهَقَهُ الْحِرْ
مَانُ حتى استحال فيضَ اشْتِهاء

كنتُ فيها الشيطانَ تحرِقُه أُنْثى
بنار الفتون والإِغراء !

أَسكر الليلَ حبُّنَا فمضى يحـ
لمُ بالخمر والهوى والنِّساء

وأَثار المِصْباحُ رقْصَك فاهتزَّ
(م) خُفوق الأَشعّة الحمراءِ !

أىُّ خمر ملأْت كأسى منها ؟

أَىّ كأْسِ مجنونةِ الصَّــهباء ؟

حَشْوةٌ .. ثم حَشْوةٌ ... ثم غَيْبُو

بةُ حسٌّ ووَسْوَســاتُ نداء

وتهاويــلُ شــاعرٍ سَــحَرتْه

بنتُ ليــلٍ وشهْوَةٍ رقْطــاء

شــاعرٌ عاشَ مؤمنًــا بالمثــا

لِيَّةِ يفْنى فى كونهــا اللَّانهائى

نسجَ العُمرَ من شُعاع الْخيَــالَا

تِ وغنَّى الظلام لَحْنَ الضــياء

ثمّ أَيْقَظْتهِ على فجــرِ دُنْيَــا

كِ فَسَمَّاكِ جنَّــة الشُّــعَراء

أَنتِ زيَّنْتِ لى الخطيئة حتى

كِدْتُ أَرتابُ فى عِقابِ الســماء

حينما رُحْتِ تَجْنَحِين بأَفْــكا

رِى إلى عالمٍ عن الزُّهدِ نَــاءٍ

وتقــولين : مامُقَامك فى الأَرْ

ضِ بلا لــذَّةٍ ولا حَـــوَّاء !!

وتساءلْتِ مادعاوُك فى دَيْرِ
ى ؟ .. فقلتُ : النَّوالُ قبلَ الدُّعاء
فتهلّلتِ ثم قمتِ إلى الْمَـــذْ
بَح نشوى وهْنـانةَ الأَعضـاءِ[1]
وخَبَا الضوءُ .. غير إِشْعَاعَةِ سَـكْ
رى تُحيِّى المكانَ فى اسْتِحياءِ
وعلى مَذْبَح القداسات أَدّيْـــ
ـنَا صلاةَ الْعَواطفِ الحمراءِ !
ومضى الليــلُ فانطلقتُ وحيدًا
أَتَـوَقَّى نواظــرَ الأَحيـــاءِ
وإِخَــالُ الأَنـام يدْرُون مَا كَا
نَ فأَمضى .. والنار فى أَحْشائى
أَتُرَى تذكُرِين ؟ أَم أَنَّ أَخْطَـــا
ءَكِ مِنْ بعــدِها مَحَتْ أَخْطائى
أَنا طهَّــرت بالنــدامةِ ذنبى
فارْجِعِى أَو فأَمْعِنِى فى الجفــاءِ
إِن تَعُودِى فسوفَ أَنفُخُ فى رُو
حِك طُهرى وحكمتى ونقــائى
وإِذا ماعَشِقْتِ أَرضَكِ فامْضِى
وَدَعينى .. فما نَسِيتُ سـمائى

(١) الوهنانة : من النساء : الكسلى عن العمل تنعّماً .

يا الهى [1]

بَشِمَ القـوم بالطعـام .. وجُعنا

وعرِيْنا .. واستمتعوا بالبُرُودِ ! [2]

وجهلنـا .. وعُلِّموا أن يَرَوْنا

فى حماهم جَحَـافِلًا من عبيـد [3]

وطنى مصر .. كيف أَحْيَا عليها

– أنا فلاّحُها – حياة الطَّـريد

وبنو الطِّين يحلمـون مع الليـ

لِ بنجوَى أُنْثَى ورَنَّةِ عـود

همُّهم فى الحياة أَن يقتُلوا الشعْـ

بَ ويُلقوا آمـالَه فى اللُّحـود

نحن نشقى ليسْعدوا .. وَيْحَ شعبٍ

خبّلته الوعودُ إثْـر الوعـود

---

(١) استوحى القصيدة من واقع المجتمع قبل الثّورة ، وهى من شعره فى محاربة الإقطاع والرأسمالية الشرهة فى قوم لايجدون ما يأكلون .

(٢) بشمَ القوم من الطعام : أكثروا منه حتى اتّخمُوا .

(٣) الجَحْفَل : الجيش الكثير ، ج : جَحافل .

عالَمٌ تفْزَعُ العــدالة منـهُ

ووجــودٌ سئمتُ فيه وجــودى

ليس فى الأَرض سيِّدٌ ومســود

فدعــونا مِنْ ســيِّدٍ ومَسُــود

والحياةُ الحياةُ للأُمة الحرّ (م)ةِ فوق الأَغْــلالِ والتَّقييد

ذاكَ دِينُ الأَحــرارِ فى كلٍّ جيلِ

وهو دِينُ الآباء بعــد الجُدُودِ

امرأة[1]

فيكِ معنى من المعانى ... بعيدٌ عن مَرامِى العقول والأَفكار

هو سِرٌّ لما أُكابدُ فى حُبِّك (م) من لوعتى .. ووجدى ..ونارى

أَتُرى تعرفينه ؟ لست أَدرى وأُرانى لكنْهِهِ غيـرَ دَارِ

أَنا مزَّقت عنه كلَّ حجاب نَسَجَتْهُ أَناملُ الأَقــدار

وحشدتُ الخواطرَ الْهِيمَ تَنْسَابُ لتفْنى فى موْجك الهدَّار[2]

وتمثَّلتُ كلَّ شىءٍ عن الْمرأَةِ لُغْزًا يموجُ بالأَســرار

وإذا بى أَعودُ بعــد انْطلاقى فى بَوَادِيك مُوثَقًا فى إِسارى[3]

وأُحِسُّ الشيطان يضْحَكُ فى نفسك منّى فى حيرتى وعِثَارى

أَنتِ . ما أَنتِ ؟ جنَّةٌ كجحيمٍ عندها المؤمنون كالكُفَّــار

كبريائى هانت .. وما زلتِ أُنْثَى تتلهَّى .. بمحنتى وانتحـارى

أَنكرينى ماشئْتِ واحترقى حُبًّا (م) لغيرى .. وامضى مع التيَّــار

لستُ أَرجوكِ..لا..ولا أَنا أَخشاكِ .. ولكنَّه دمى وسُعارِى[4]

(١) كان عنوان هذه القصيدة « مُعْجزة » ثم شطبه الشاعر وهو يراجع شعره وغيّره إلى « امرأة ».

(٢) الهِيم : جمع أهْيَم ، وهو من الرجال ومن الإبل : العطشان أشدّ العطش .

(٣) بَوَاديك : جمع بادية أو بداءة وهي الصحراء ، وتجمع البادية كذلك على باديات . والإسَار : ما يتقيّد به الأسير ، ج : أُسُر .

(٤) السعار : حر النّار ، والتهاب العطش ، وشدّة الجوع .

وشبابي المحروم .. واللّهفةُ الْهَوْ جاءُ تمضي به لغير قَـــرَار

وحياتي الخرساءُ مشدوهةُ الأَحْلام مقرورةُ الـدُّجى والنَّهـــار

لم تعُدْ غير مسرحٍ لأَفَاعي الـ وَهْمِ تغذو بسُمِّها أَفْكاري

فاجْذِبِيها إلى حياتك حينًـا تُنْعِشي ماحرقْتِ من أَزهـاري

وابعثيني فقـــــد تُخلِّدُ أَيَّا مَكِ في عَالَمَ الهوى أَشْعَاري

وأَعيدي إلىّ فجري فقد ضِقْ تُ بصمْتي وظُلْمتي وانتظاري

وإذا ما أَبيْتِ إلا جُموحـا فَحرامٌ عليك حتَّى احتقاري

* * *

أَنتِ.ماأَنتِ؟ حكمتي فيك عَمْيَا ءُ ، وعقلي مُهَدَّدٌ بالدَّمَـــار

لم يكُن حُبُّنَا لقلبي يومًـا من مُنَاه . . ولم يكن باخْتياري

لك منّي تَشـوُّقٌ يُرمِضُ الرُّو حَ ولي منك خالدُ الأَعذار[1]

آه .. يا حسرتي إذا ضاع عُمري ويَقِينِي لـدَيك كَالإِنكـارِ !

(١) يرمض الرّوح : يحرقُها .

الممثل[1]

« مهداة إلى صديقى الأستاذ الفنان
محمود إسماعيل الممثل والمخرج »

هائمُ الرُّوحِ بالهوى والأَمــانى خالدُ الذَّاتِ وهو كالناسِ فَانِ
فيه مافى الحياة من مُشكلات فهو فوق النُّهى ودُونَ العِيَان[2]
لَوْحةٌ أثبتَ الزمانُ عليهـــا أَبَدِىَّ الظلال والأَلْـــوان[3]
هو كالطِّينة التى نحن مِنْهَا فهو كلُّ الأَنَام ِ فى إنْســان

* * *

مَلِكٌ حينما يشاءُ له الفنُّ (م) عزيزُ المقــام والصَّولجان[4]
أَو حقير عُرْيان مزَّقَــه الْجوُ ع وأَضْنَتْــهُ لوعةُ الْحِرْمَــان
وإذا ما أَراد فهــو مــلاكٌ قُدُسىٌّ مطَهَّرٌ صمَـــدَانى
أَو غوىٌّ تضجُّ منه السَّمَاوَا تُ ، مَريدٌ إلاَّ على الشيطان[5]

* * *

(١) امتاح الشاعر هذه التجربة من جلساته مع الممثلين فى نادى الممثلين المحترفين ، وبعد أن عاش معهم تجربة « فيلم فتنة » ومصادقته لبعض الممثلين فيه وتأديتهم الأدوار المختلفة وخاصة إبراهيم السيد الذى كان يسكن معه الشاعر ؛ وكان يمثل فى ذلك الوقت فى المسرح ؛ وكان الشاعر يذهب معه إلى المسرح كل مساء .

(٢) النُّهى : العقل .

(٣) أبَدِىّ الظّلال : الأبَدِىّ : مالا نهاية له .

(٤) الصّولجان والصولجانة : العصا المعقوفة الرأس ، ومنها « صولجان الملك » ، جمع : صَوَالجة .

(٥) المريد : الخبيث المتمرّد والشّرير . جمع : مُرَدَاء .

كلٌّ حيٍّ له لسانٌ وهــــذا وحدَه ناطقٌ بأَلــف لســان
ولقد يُعْجِزُ البيانَ إذا عبَّرَ عمَّا يشـاءُ دون بيـــــــــــان
بانفعَالاتِ وجْهِهِ الإِنســـــانى واختلاجاتِ جسمِهِ الأُفْعُوَانى[1]
بيدَيه .. بِحَاجِبَيْهِ .. بِعَيْنَيْـ ـه بما لا تقوله الشَّفتَـــــان
فهُو باكٍ أَو ضاحِكٌ .. وبليدٌ عبقرىٌّ .. أَو مُعجزٌ ذُو افتِنَان
وإذا حدَّثتْ يدَاه فَمَـــرْحَى وإلى الْملْتقى .. ودعْنى وشانى
واعذرونى .. أَو أنتمذونى .. أَو ابكوا لبكائى .. أَو فَاهزجوا بالأَغانى[2]
وإذا حاجِبَاهُ شـــالا فَإِعْجَـــــابٌ مُحِبٌّ أَو كبرياءُ أَنانى
وبعيْنيه ــ ويْحَ عينيْه ــ دُنيا صبواتٍ وفَلسفات مَعَــانِ[3]
فهُمَــا شُعْلَتَان وهَّاجَتَـــان أَبدًا بالوجُود طَوَّافتــــان
وهما طِفْلتــان عِرْبيدتــــان وإلَهيَّتَان شَيْطانتـــــــــــان
يخفُق الكــونُ حين تأْتَلِقَان وتنامُ الحياة إذْ تَخْبُــوَان
وعلى ثَغْــــره وفى شَفَتيْـــه يتلاشَى السُّكُون فى الهذيان
شَــفتاهُ . . أَوشَاطِئَا البحر، سِيَّانِ . . فــفى قلْبــه مُحِيطُ الزَّمــان
إنْ يقلِّبْهُمَا فَحدِّث عن السَّاحرِ يشقَى بسُخْره الخافِقــــــانِ[4]

(١) الأفعوان : مذكر أفعى وهو ضرب من الثعابين .

(٢) فاهزجوا : فتغنّوْا .

(٣) صَبَواتٌ : جمع صَبوَة . وهى الميل إلى اللهو ، أو الحنين ، والتشوّق إلى الحبيب.

(٤) الخافقان : المشرق والمغرب لأن الليل والنهار يخفقان فيهما . من خفَق يخفُق خفْقاً وخفُوقا : اضطرب وتحرّك .

أَو يُدَوِّرهما فما أَظْمَأَ القُبـ   ـلة تهفو إلى خــدود الْحِســان
أَو يحدِّث عن الغرامِ فقد تصـ   ـبح ـ أَنت الخليُّ ـ عَبْدَ الغَوَانى

* * *

هو إن ثار فالبسيطةُ رُومـا   وهو نيرونها بــلا نيــران
وإذا ما اطمأَنّ فالجــدولُ العاشــقُ يشكو هواه للشُّطــآن
ربّما تلتقيه ينســاب بشْرًا   وبجنْبيْه ثَوْرةُ البركــان
ليت من يحسُدونَــه عرفُوه   فهو كَوْنٌ كهذه الأَكْــوَان
حيْرتى فيه مثل حيرته الكُبْـ   ـرَى إذا عاش فى الوجود الثانى
أَنا ما إن وصفته .. غير أَنى   قد تمثَّلتُ عالَم الفنَّــان



ظـــلال وألوان

١٩٤٧-١٩٤٨

الأصداف [1]

« إلى الإنسانية . . أسرتي الكبيرة »

فوق هذى الرُّبَا أقمت وحيدا ومعى معزفى صموتا جهيدا
أتملَّى الحياة بدءًا عجيبـاً وأُحِسُّ الختام بَدْءًا جديدا
حلقاتٌ من الزمان تغايَــرْ نَ وإن كان صَوْغُهن فريدا
القُرون التى مضت . . والتى تأتى سـواء إذا نسينا القيودا
وبنو الأَرض مثل ذَرَّاتها الغَبْ رَاء تأْبى أَلْوَانُهَا التَّجْديـدا
وحَّدتْهم آلاَمُهم وَأَمَانِيُّهِم وإن لم يحقِّقوا التوحيـــدا
فأَنا أنت حين تسمو وأَسْمو فوجودى يُتمُّ فيك الوُجُودا
أُمُّ كلّ الأَنام قَبْضة طِينٍ فاعذر النور إن أَبى أن يزيدا [2]
وانظر الأَرض كيف تجمعُنا الأَرضُ مصيرًا وأَعظُمًا وجُلـودا
فالتراب الذى يصير نُضَارا كالتراب الذى يصير حديدا

* * *

فوق هذى الرُّبا تخِذْتُ مقامى ومعى حانتى وخمرى وجامى [3]

---

(١) عنون الشاعر لهذه القصيدة أولا بـ « أصداف الشاطىء » ثم ضرب على العنوان بقلمه ، وعنون لها بقوله : « الأصداف » .

(٢) يقصد بالأمّ هنا الأرض .

(٣) الحانة : موضع بيع الخمر ، وهو مأخوذ من الحَيْن وهو الهلاك. الجام : الكأس .

حانتى عالَمُ الخواطر فى نَفْسِى ودُنْيَا الآمالِ والآلام

خَمْرَتى مايُرَاق من ذوب وِجْدا ... نى ، وكأْسى مواكبُ الأيــــام

قَذَفَتْنى الغيوب بالرغم منِّى ... فى عُبَاب من الحوادث طام

هو بحر الحياة .. سطْحٌ وأَعما ... قٌ ، وغرْقى آمالُهم من حطام

يترامَوْن تائهين حَيَــارى ... بين موتٍ دانٍ وعيش دام

والمقادير كالأعاصير تهــوى ... بالْمنَاكيد من ضحايا الأَنام[1]

فاعفُ عنِّى إذا جهلت فإنى ... لستُ أَدْرِى ماغايتى أَو مَرامِى[2]

عشقت نَفْسَها الحقيقةُ فازْدَا ... دتْ خفاءً وأوغلت فى الظَّلام

حين رُحْنَا ـ نحن الظِّلال ـ نراها ... بضرير العقول والأَفْهــام[3]

* * *

خَنَق الطِّين والظَّلام حِجانَــا ... فعمينَا وما هدانا هَــوَانَــــا

نحنُ نرجو من الحقيقة أَن تكشف مَحْجوبهــا وتبدو عِيَانَـــــا

حين نرجو من الذى قدْ بَرَانا ... أَن نراه فى قدسه إذْ يرانــــا

وَيْحَنَا كالْفَرَاش حُمقاً وما أوْهَى حماقاتِنا وأَشْقى خطانـــــا

الفناءُ العديم يطمع فيمــا ... يتحدَّى إعجــازه الإمْكانا

إنما يطلب الأَنام مرامًــا ... سوف يبقى عن الأَنام مصانا

قتل السابقين فى الدهر يأْسًا ... وطواهم من جهله ماطوانــا

(١) منَاكيد : جمع نكْد ، وهو قلّة العطاء ، ويقال : رجلٌ نكدٌ ونكَد : عسرٌ قليل الخير .

(٢) المرَام : المطْلب .

(٣) الضّرير : المضرور أى كل ما خالطه ضرّ .

ليس شيئًا أَن تشتهى كلَّ شىء ... ضاع من يطلب المُحَال وَهَانَـا
فدَع السرَّ خافيًا مثلمـا كا ... ن ولا تسأَل الورى كيف كانا
وإذا شئت أن تعيش سـعيدا ... فاصحب الدهر جاهلا غفلانا

* * *

إن أَشقى الأَحيـاء والأَمواتِ ... آدمىٌّ يعيش بالفلسفـاتِ
يتمنَّى الخلود بعد الْمَمَـات ... وهو حىٌّ معـذَّب فى الحياة
تنظرُ الكائنـاتُ فيه أَخاها ... وهو فى ذاته أَبو الكائنات
ساخرًا يقطعُ الحياة ويَلْقى ... مُضْحِكَات الأَيام كالمُبْكِيَاتِ
سادِرًا والطَّريقُ شتىًّ المنـاحِى ... وهو فى شاغلٍ عن الغايات[1]
يتَّقى حين يطمئن وقد ينْـ ... تجعُ الغيْثَ فى سراب الفلاة[2]
يحسَبُ الناسَ – وهومنهم – شِياها ... جهلوا أَنَّه إِلَـه الرُّعـاة
قل له – إنْ قدرتَ – ما أَنت فى الكو ... ن سوى ذرّة من الـذرَّات
غاية الغَيْبِ أَن تكون كما أَنْـ ... تَ سجينًا ما بيْن ماضٍ وآتِ

* * *

ذلك الغيبُ ! أَىُّ شىء تـراه ؟ ... ضُلِّل العالمون فيه وتاهُـوا
أَنا لا عِلْمَ لى إذا كان عِلْمى ... هو جهلى بكائن لا أَراه
كائنٍ كلُّ كائنٍ منـه يأْتى ... وإليه إذا انتهى مُنتهـاه

(١) السّادر : الذى لم يهتمّ ولم يُبال ماصنع ، ويُقال : هو سادرٌ فى الغىّ : تائه .
(٢) ينتجع الغيث : يطلبه فى مواضعه .. الفَلاة : الصحراء .

وصفوه بما أفاء عليهم وهُمُو يجهلون ما فَحْواهُ
وعلى قدر ما يُطيقون خافُو ه وراحوا يستمطرون رضاه
ويقول الذى تمرّد منهم فتساوى ضلاله وهداهُ
« ليس إلا أسطورةً ذلك الغيْب .. ومالى ولا لغيرىَ إلَهُ »
وهو فوق المحدود إذ هو فوق الـ عقل . فالعقل شارد فى مداه
وهو البحر والشَّواطئ والأَسماك والدُّرُّ والحصى والمياه
وأنا فى محيطه موجةٌ تفـ نى فلا يحتفى بها شاطئاه

* * *

من تراب أنا .. وغيرى تُرابٌ فَخداعٌ ما أشتهى وكذابُ
وهباءٌ مانلتُه .. ولو أنِّى مِلْك يُمناى ما يُظلّ السحاب
إن بُؤسًا أنى ولدت .. وبُؤْسٌ أن أُبَقَّى .. وأن أموت عذاب
لو أراد الذى له الأَمر أن نَسْـ عد ماخان وَالدَيْنا الصَّوابُ[1]
عصيا أمره ... وكان يسيرًا أن يطيعا لو لم يجفَّ الكتاب
قَدَرٌ تنفذُ المشيئةُ فيه وقضاءٌ كَرَبُه غَلَّابُ
لستَ أَنت الذى براكَ .. ولا أَنت المُريدُ المُقَدِّرُ الوهَّابُ
فَدَع الموجةَ العتيَّةَ تُجْرِيـ لكَ كما شاء بحرُها الصَّخَّابُ[2]
لا تقُلْ لَيْتَنى وقد نفذ السَّهـ مُ فما ينفعُ العِطاشَ السَّرابُ

---

(١) يقصد بقوله والديْنا آدم وحوّاء ، وذلك لعصيانهما أمر الله وإخراجه لهما من الجنّة .
(٢) العتيّة : الجبّارة .. بحرها الصّخّاب : المتلاطم الأمواج .

وارْض بالْجَدِّ فالسعادةُ وهمٌ   أَزَلِىٌّ ودعــوة لاتُجَـــابُ

* * *

كم تمنَّيتُ للمُنى أن تكونا   وتمثَّلتُها لجَذْبى عيونــــا

لم تكن هذه المنى لِىَ لو كا   نتْ فَإِنى وهبْتُها البائسينــا

بين جنْبىَّ خافِقٌ بعْثَرَ العُمْرَ دموعًا على الْوَرَى وأنينَا[1]

أنا للناس قد خُلِقتُ فما أَر   جو لنفسى إلا الذى يُفضلونَا

ولقــد أَسكبُ الدُّموعَ لبَلْوَا   هم وهُم فى مَنَاحَتِى ضَاحكونا

ربَّما فوَّقوا السِّهام لقتْلى   فَرَأَوْنى أُبَارِكُ القاتِلينـــا[2]

غيْــر أَنِّى أُحِبُّهــم وأُرَجِّى   لهم الخيرَ والهدى واليقِينـا

وأَراهُم كأَنَّهم فى وُجُــودِى   خطَراتٌ تأْبى علىّ السُّكونـا

فلهُمْ ما أَقول من مُلْهَم الشِّعــرِ طَروبًا أَو ثائرًا أَو حزينَـــا

فَلْيُغنُّــوا به فمــا هو إلا   بعض ما يشعرون أَويُلْهَمُونا

(١) الخافق : العلم ، والأفق ، ولكنه هنا بمعنى الفؤاد على سبيل تسمية الموصوف بالصفة ، لأن الخافق فى هذا الموضع من خَفَقَ الفؤاد يخفق خفَقَانا : اضطرب وتحرّك .

(٢) فوّقوا السّهام : أعملوا لها فُوقاً، والفُوق من السّهم حيث يثبت الوتر منه، وهما فُوقان، جمع : فُوَق ، وأفْوَاق .

حورية المصيف [1]

غَنِّ عذراءَكَ يا شـاطئُ أَلْحانَك واطـربْ

واخلعى ثوْبكِ يا عذراءُ فالنور مُحَجَّب

إخلعى الثوب فتحت الثَّوب نارٌ تتـلهَّب

لاتخافى الموجَ ياحو راءُ فالموجُ مُهذَّب

أَو تخافين فإنى سـأَرى النورَ وأَذهب

* * *

إخلعى الثوبَ فقد جُنَّت به الروح الطروبُ

واسبقى الشمسَ إلى المـاء فقد حان الغروب

والأَمانى حول أَعطافِك تغـدو وتؤوب [2]

وأَنا أَرْنُو بعْينىّ وفى صَـدْرى وجيب

فارحمى الناسَ فلِلنَّـاسِ عيونٌ وقلـوب

* * *

يابنةَ الأَنسامِ والأَمواج والشطِّ السّعيد

(١) من شعره فى المصيف .

(٢) الأعْطَافِ : جمع عطْفٍ ، وهو من كل شىء جانبه ، وهو من الإنسان من لدن رأسه إلى وركه ، ويجمع العطْف كذلك على عطاف وعُطُوف . تغْدو : تخرج فى الصباح . تؤوب : ترجع .

فَضَحتْ عيناكِ ماتُخْفِين من شــوق شهيد
فارفعى السِّترَ فقد أُومن من بعدِ جُحود
أَشْهدينى .. فأَنا الصُّــوفىُّ يفنى فى الشهود
عــذَّب المجهول وِجْــدانِى وأنســانى وجودى

* * *

آه .. بل أَوّاه .. ما أَروع ماكان خفيًّا
أَنْتِ .. ياوَيْحك .. لاتُبقى من الأَسْتار شيًّا
انزعى مِئْزَرك المحســـود .. أَلْقيه .. إِلَيَّــا
إنهـــا الحرّيّة الحمراءُ لاتُغــوى تقِيًّــا
ومن الفتْنــةِ سحـــرٌ يَبْعثُ الشيخ صَبيًّا

* * *

آه لو أَنِّىَ وخـْدِى . هاهُنا آه لو آنِّى
آه من صدرك من نَهـ ـديْك من خصرك .. منّى
آه من ســاقيك مما بين فخذيك وبينى
حملا مَعْبــد أَحــلامى وأَنغــامى وفنِّى
واســتراحا لهيــامِ الرّملِ والموج المُغَنى

* * *

هيه يا عــذراءُ ... ما أَشقى ذِرَاعىّ وثَغْــرى

أسلمي لى أَمر دنياك فقدِ أسلمت أَمْــرى

ضمّةٌ أَو قُبلةٌ تطفىءُ أَو توقــد جمــرى

ما على صَــدْرِكِ يا حسْناءُ إن طاف بصدْرى

ما على كأْسِك يا حــوراءُ إن هشَّ لخمْرى

* * *

لن يقول الناس شيئاً فتعالَىْ واطمئنِّى

لن تَرى منّىَ إلا كلَّ ما ترْضين منّى

مَعبــدٌ أَنت لقلبى مَسْرَحٌ أَنت لعينى

وتُغَنِّى لك أَحلامُ شــبابى وأُغــــنِّى

ويُغنِّى الكَوْن ماشــاءَ له موهوب فنِّ

* * *

لن يقول الناسُ عنَّا . غير أَنَّا قدْ عشِقْنا

فلْيقُولوا ما يشاءُون فما للنَّاسِ جئنَــا

نحنُ للحبِّ خُلِقنــــا ، وبِدين الحب دِنَّا

ما علينــا إن أَشَاعوا السوءَ عنَّا ما علينا

حسْبُنا أَنَّ الأَمَانى والْهَــوَى ملكُ يَديْنــا

احلام غجرية[1]

« إلى . . . دنيا »

مُبْهمٌ كالقضـــاءِ والقدرِ ما زوتْهُ الثياب عن بصرى[2]
ومُرِيبٌ كحُسنِك الغجــرى ما ترينى عينــاك من صور
أتَّقيهــا كَـــدَاهمِ الخطــر

* * *

لم تكن ســاعةً من الزمن جَمَعَتْنى بوجهــك الحسن
إنهــا محنــةٌ من المِحَن حرّرتنى وســعَّرت بدنى[3]
ورمتنى بفتنــة الفِتـــــن

* * *

ليتنى لم أَهِمْ بغُنْــوتِكِ أَو تعاميتُ عند رقْصتِك
أَو تحاميتُ سحر نظرتك آه من نارهــا ... وجنَّتِك
وقضــاءٍ جــرى برؤْيتـــــك

* * *

---

(١) من وحى راقصات متجوّلات من سنباط يراهن الشاعر فى بلطيم ، وكان الشاعر قد أهداها إلى نرجس ، ثم ضرب على نرجس ؛ وكتب بدلا منها دنيا.

(٢) مازَوَتْه الثياب : ماصرفته ونحّته .

(٣) سعّرت بدَنى : أوْقدت بدَنى وألهبته .

أيُّ شيطانة من الغيد أنت يالذّة التجاليد[1]
هالكِ عُودى فبارِكى عُودِى وأريقى خمر الأغاريد
واستبيحى حِمَى التقاليد

* * *

عربدى يا شريدة القدم واكتبى قصة الهوى بدمى
بعثرينى كاللحن ..واحتدمى وارقصى كالنّسيم .. واستلمى
كلَّ ركن فى ذلك الحرم

* * *

جسدٌ أحمر السنا.. جَذِلُ دَموىٌّ يُثيره الغزل
لافِحٌ كالجحيم ... مشتَعِل يستحى أن تناله القبل
فتصلَّى من حوله المُقل

* * *

وشباب كالفجر .. مؤتلِق يَتَنَزَّى ... وكلُّه نزق[2]
وهى تلهو به ... وتحترق وهواها مُعَذَّبٌ قلق
فى حنايا الفؤاد . . يختنق

* * *

لكأنى بروحها جمدا حين أوْهَتْ برقْصِها الجسدا

---

(١) التجاليد ، تجاليد الإنسان : جماعة جسمه وبدَنه .
(٢) النّزق : الخفّة والطّيش فى كل أمر ، والعجلة فى جهل وحُمق .

وكأنى بخـــافِقى سجدا حين مَدَّت إلى المشُوق يدا[1]

تتقاضـــاه درهمـا أحـــدا

* * *

أرْخَصَ الحسنَ ربُّه البارى فاعذرينى يا وحْى أشعارى

حـدّثنى الناس .. أىّ مقدار فوضـوىّ القضـاء ..جبار

جعل الحسن سِلعة الشـــارى

* * *

ألِقِرِش يا روح مضـــناك تتحدّى القُلوب عينـاك[2]

وتجيبين كلَّ ســفَّاك وحيـــاة المـلوّع الشّاكى

وأمـــانيه .. ملك يمنـــاك

* * *

كان قلبى كالهيكل الخرب ضاحك الحزن..باكى الطرب!

يا لخوفى منه .. ويا عجبى حين ألقيتُ راعش الحجب

فشببت النيران فى حطـــبى

* * *

قسمًا بالجريح من وجدى واصطبارٍ أشقى به جهدى

(١) الخافق : يستخدمه الشاعر بمعنى الفؤاد . لأن الخافق فى الأصل معناه العلم ، والأفق .

(٢) مضناك : من أضناه المرض إضناء : أثقله ، وعانى منه وقاسى .

لو تمثَّلتُ جنَّـــة الخلد..! من نصيبي .. لكان فى وَعْــد
تمنحينيــه وَصْــلَه وحــــدى

* * *

يا سماءُ وهبتُهـــا وَمْضى اِقبلينى كما أنا .. وامضى
فاسلكى بى مجاهلَ الأَرض وإذا الناس مزَّقوا عِرْضى
فاحقريهم إن شئت ... أو أغضى[1]

* * *

ســيقولون عنك .. جنِّيّهْ نفسُهــا أفعـــوانة حيّــهْ
سحرتْه فى ذات أمسيّه وتولّى شــيطانه غيّــــه
فكســاها جــــلال حوريّه

* * *

فليثيروا الظُّنــونَ فى أمرى وليطــل ليلهم بلا فجــر
إنـــه الحبُّ مُعجزُ السرِّ ونـداءُ الشَّهيد فى صــدرى
ونضــــوب الحيــاة من عُمْرى

* * *

وأنا .. يا هــواى .. إنسان كلُّه لهفـــةٌ وحرْمـــان
والورى فى الضَّــلالإخوان لن يكونوا غير الذى كانوا
شهوات تنزو وطغيــــان[2]

* * *

(١) أغضى : اصبرى على أذاهم وتحوّلى عنهم .
(٢) تنزو : تثب.

فدَعيهم يصـــارعوا الإِحَنا ولنبــارك بحُبِّنـــا الزَّمَنا
سنعَافُ القصــور والمدُنــا لتكون الدُّنيــا لنا وطنا
وحنايا الأَكواخ لى ســكنا

* * *

سوف نغْــدُو شُــذَّاذ آفاق وأُنــير الدُّنى بإِشــــراق
حين يتْلو الوجود أَشــواقى وحْى أَفَّــاقــةٍ لأَفَّــاق[1]
شــاعر .. كالجمال .. خــلّاق

* * *

ما أَحبَّ الخيالَ مُنْطَلقــا لو نسخناه واقعــاً أَلِقَــا
فمزجنــا الآمادَ والطُّرقــا نضرب الرملَ كيفما اتفقا
لانبــالى أَمَــان أَم صـــدقا

* * *

يضحك الفجر حين يلقانى طلقا من قيود حرمَانى
وثيابى ثيــابُ رعيــــان وأَمــامى فى البيد شــاتان
أَتَصَــبّاهمــا بأَلحــــانى[2]

* * *

(١) الأفّاق : الضّارب فى آفاق الأرض ، ومَنْ لاينتسب إلى وطن .

(٢) أتصبّاهما : أستهويهما وأشوقهما .

فإذا الطّيرُ ناغَم الصُّبحا درّت الشاءُ خالصا صرحا[1]
فملأْنا من طهره القــدَحا واعتبطْنا الفصيل مُنْطرحا[2]
فطعمنا غريض ماذبحـــــا[3]

* * *

ثم نمضى لأيّما سُـــوق بالمهارى العتاق.. والنوق[4]
زاهيـــات بلا تـــزاويق نهتديهن بالدوانيـــــق[5]
والسراويل والأفــاويـــــق

* * *

فإذا ماالظــلام وافـــانا حمَلَتْ حاجَنــــا مَطَايانا
ومَضــينا نبثُّ نجـــوانا وقنعنـــا بخـير دُنيـــانَا
وحمدنا لله رُجْعــــــانا

* * *

يومنا عمرنا .. فإن ذهبا لم نســائل عن مُقبل حُجِبَا

---

(١) الصّرَح : بالتحريك الخالص من كل شيء .

(٢) اعتبطنا الفصيل : ذبحناه سليماً من غير علّةٍ وهو سمينٌ فتيّ . والفصيل : ولد الناقة أو البقرة بعد فطامه وفصْله عن أمّه .

(٣) الغَريض : الطّرى من اللحم والتمر ونحو ذلك .

(٤) المهارى : بالياء مشدّدة ومخففة : جمع مَهْريّة ، وهى إبلٌ نجائب تسبق الخيل ، منسوبة لقبيلة مَهْرة بن حيْدان .

(٥) الدّوانيق : جمع دانق ، وهو السّاقط المهزول ، وسدس الدرهم كذلك.

إن أشقى الأنام ... مَنْ تعبا في تشكيٍّ ماراح وانسَربا[1]
أو تمنٍّ مُغيَّب كتبا

* * *

آه يامَن بعثتِ آلامي آه لوجاذبتكِ أحلامي
وتساقيت خمر أوهامي فتنوَّرت أُفق أيّامي
بضياءٍ من روحك السّامي

* * *

ليت لي منك حظّ أهليك من مجانيك أو تدانيك
كنت أيْقظت كل ما فيك من معَانيك .. أو أمانيك
حين ألقاك أو أُناجيك

* * *

ليت لي مِنْ فؤادك القاسي ما لخمْرِ الحرمان من كاسي
أنت يا مَنْ ذوّبتِ إحساسي قبلات لطَيفها الْماسي
حلَّقت بي عن عالم الناس

* * *

ونزلنا في شوق طفلين فأَرحْنَا رَوَاحِلَ البَيْنِ

(١) انْسرَب : مضى . وانسرب الماء : سال ، وانسرب في حجرة : دَخَل فيها.

بعْد ماهمهمت من الأَيْن   واستهلّت مدامع العين[1]

مُنْبئــات عن حبّ قلبيــن

* * *

ثم رحنا فى خفَّة الْعَجِل   نتحرّى مراشف القبــل

من بيننا فى حوزة الكلل   بعد ما هوّموا على أَمــل

أَن نُريهم منمنم الحُلَــــلِ[2]

* * *

(١) الأين : التّعب .

(٢) مُنَمْنَمَ الحُلل : الحلل المزخرفة المرقّشة .

«س ، ج»

وسألتنى من أنت ؟ لما جئت أطمع فى نَوَالك
يا هـــذه .. إنى أخاف على حياتك من خيـالك
أنا مَنْ عرفْتِ ومن جهلت .. ومن تحيّر بين ذلك
أنا فكرةٌ علويّةُ الأنوار .. لم تخـــطِر ببالك
ملءُ الزمان وجـودهـا وهى السّجينة فى مثالك

* * *

لاتخـــدعَنَّكِ لَهْفَتى وتَهَالُك المتهـــافتين
إنى على رغم الأسى الجبّـار .. صخر لاألِين
أنا فـوق ماتتخيّلين وفـوق ماتتـوهّمين
أنا قصّة الحرمان . . خالدة المنـــاحة والأنين
أنا دمعـةُ الجَفْن الكسير .. وآهة القلب الحزين

* * *

يامَنْ عبدتُ ضياءها ، وزهدتُها جسمًا شـــهيّا
أبقى عليك .. فلن أزيدك من سنا الأحلام شـيَّا
أنا لن أُبالى حادثات الدّهــر يُمطرها عليَّـا
مادام بين جوانِحى قلبٌ أعيشُ به نبيَّـــا
حرمتــه دُنيـاه المنى فأحالهـــا يأْسا شقِيَّا

فرحة [1]

النور حولك مبهور السَّنا عجب — وبين جنبيك قلب شاعرٌ طربُ [2]

وفرحة طافت الدنيـــا مُزَغْردة — شدَّت لها فوق آفاق الرؤى طنب

عيدٌ وأَهلٌ وإخوانٌ وأُمســـيةٌ — فرحى..وبُشْرى لديها يعجز الذَّرب [3]

والشِّعر.. ماذا يقول الشِّعر في أَربٍ — يجثو أمام علاه الشِّعر والأَدب

عمِّي أَبَلَّ.. تعالى الله.. كم نِعَمٍ — له علينَا فمنظور ومُحْتَجب [4]

أُمنيةٌ طالما هزَّت عواطفنــــا — شوقًا..وكم سطَّرت في حبها الكتب

وآذَنَ اللهُ أَن تروى جَوَانِحنـــا — بخمرةٍ من شَذاها يخلق العنب

فالحمد لله.. ماغنَّتْ مطوّقـــة.. — غرّيدة يتناهى عندها الطـــرب

حمدٌ.. لو انِّىَ أَقْلام وأَلْسِـــنةٌ — لكنتُ أَعْجز مَنْ قالوا ومن خطبُوا

---

(١) أنشد الشاعر هذه القصيدة بمناسبة شفاء عمه الحاج محمود شرنوبى . وألقاها بنادى محمد على ببلطيم فى السابع عشر من أغسطس عام ١٩٤٧

(٢) مبْهور : أى غلب نوره الضوء الساطع .

(٣) الذّرب : السّليط اللسان .

(٤) أبلّ : شُفِى .

أحلام الصيف

هتف البحر بالعذارى فلبّيـــــن وجنّت أَمواجه الهيمانهْ
وتنادين ما أَحبَّك يا صيـ ـف وما أَجمل الهوى وزمانـــه
وتواكبن ينثنين دَلالاً ويغنين للصبـــا أَلحانـــه
دمية عند دمية .. وغزال جنب ظبي .. ودوحة عند بانه
قبلات تجسدت فاستحالـت زهرات من المنى ندياـنـــه
وأَغاريد سلسلتها يـــد الله .. وأَغرى بحبها إِنسانـــه
عبرت بى منهن أُغنيـــة سكـــرى حباها ملك الهوى سلطانه
وكساها الفن الإِلهى ثوبـــا سرق الزهر والسَّنا أَلوانـــه
بنت غاب تودّ لو يرجع الغا ب لتروى أَشواقها الظمآنـــه
عبرت بى فقلت هذا هو الفن . . وإلا .. فلن أَكون لسانـــه
ورأَتنى حيران منتهب العين فحيّت بالطلعة الفتَّانــــه
واستراحت على الرمال فضجّت صبوات فى خاطرى يقظانه
كان فى عَينِها وفى شفتيها شهوات مخمورة لهفانـــــه
جاذبتهـا من لهفتى واحتراقى صرخات مجنونة سكرانـــه
خِلتُ قلب الوجود يرعشه الحب فيشدو أَنغامه الفرحانـــه

حين قالت والليل يتلو على الكو ن أحاديث صمتــه النشوانه
ما تكون الحياة من غير حب ؟ قلت شىء لا أستطيع بيانـــه
أنا لم أعرف الهوى فى حياتى وأرانى لن أصطلى نيرانـــــه
لى قلب أخشى الهوان عليــه وإباءٌ حماه قلبى وصانـــه
قالت اسأل به خبيرًا – فإنى ذقت فى الحبّ عزّه وهوانـــه
قلت من أنت ؟ . قالت الجنة الحمراءُ .. واسمى – إذا أردت .. فلانه
ودنت من يدى فشبّتْ لهيبى وأثارت عواطفى (النعسانــه)
وأدارت علىّ من ثغرها الدا فىء كأسا .. عبدت فيه جمانه
ثم قالت وصدرها بين كفّىّ (م) تُناجى أناملى رمّانـــه
لك منّى ماتشْتهيه .. ولى منـ ـك غرام تضنى علىّ حنانـه
قلت هذا وعد أعيش عليه وأُفدِّى بالعالمين مكانـــــه
وصحا الفجر .. فانثنت تتهادى ۞ نسمة حرّة الشذا .. ريّانه
ثم حيّتْ بكفها وتوارت فأهاجت لخافقى أشجانـــــــه

* * *

يا هواها الرهيب .. ماذا قضى الغيب علينا .. وما أخذنا أمانـه
« لك منّى ما تشْتهى » ؟ يالقلبى لو أطالت من قربها حرمانـــه

١٩٤٧

صلاة (*)

مولاى والأيام ينضب جامها ... وتموت دون تمامها أحلامها
يا من تقربنى إليه مخاوفى ... ويرد نفسى عن حماه غمامها
هذا وجودى ليله ونهاره ... هذى حياتى نورها وظلامها
صبح تبغضه إلى مطالب ... للعيش فى كف الغيوب زمامها
ودجى كئيب الصمت مرتاع الرؤى ... شابت كواكبه وطاب مقامها
لا الصبح يهدينى الطريق ولا الدجى ... تعست حياة لا يقر نظامها
تتواثب الآلام فى آفاقها ... غرقى ومن ميت الضلوع طعامها
حرق على حرق يضيق ببعضها ... صبر الأنام ولا أزال أسامها
ومصارع مثلت دورى راغما ... فيها ومسرحها أنا وحطامها
يارب .. هذى الدار مل نزيلها ... فسلامها ألا يدوم سلامها
الهين الميسور من أرزاقها ... تنهال دون مناله آلامها
قلبى ؟ وما قلبى سوى أنشودة ... خلدت معانيها ومات كلامها
روحى ؟ وهل روحى سوى أفاقة ... تفنى على لهب الأسى أيامها
شعرى ؟ وأى قصيدة لم يسقها ... دمعى .. ولم تبك الورى أنغامها
يارب نفسى قد أطلت سقامها ... ودواؤها فى أن يحين حمامها
أنا لا أذم من الرواية بدءها ... لكن أقول متى يكون ختامها

(*) هذه القصيدة من وحى قراءته فى رسائل الأدباء وكان منها (رسالة إلى الله) فيها مناجاة .

الأماني

يا أمانيَّ .. والحيـاة جـــدود !

لا تغيبي عنّى فإنّى وحيـــد

وطريقى إلى حِمَـاكِ شقِىٌّ

والأَمـانى قريبُهُنَّ بعيــد !

* * *

يا أمانيَّ لم يَعُـدْ من بنـائى

يا أمانيَّ لا ولا أَشـلائى

فابعثى لى سعـادتى من جديـد

وأعيـدى إلى ظلامى ضيـائى

* * *

يا أمانيَّ لم يعُـدْ مِن حَيَـاتى

غيرَ روحٍ مُكَفَّن فى رُفَـات

يتمنَّى انطَلاقـه .. وهو غيـبٌ

مُبْهَمُ السرِّ غائمُ اللَّمَحـات

* * *

يا أمانيَّ لست شيئًا كثيـــــــرَا
أنت شيءٌ لا يُعجزُ التَّقديـــــرا
فامْرحِي فى فضـــاءِ وهْمِى وضِجِّى
وأرِينى من السُّرورِ بَشيـــــــرَا

* * *

أَنتِ قصرٌ أَحجـــارُه أَيّـــــامى
وأَزاهيرُ رَوْضِـــــه أَنغـــــامى
ومرائيـــــه من ليـــالى شبــــابى
ودمــــاه عرائس الأَحـــــــلام

* * *

فيه أُنثى شيطانـــةٌ قُدسيّـــــــهْ
صوّرتهـــا عـــواطفى الأَبديّــــــــه[1]
من فتُـــون ونضرةٍ وذُبــــــــــول
وجنـــون ولــذَّةٍ عبْقريّــــــــــــه

* * *

وحواليــه جنَّـــــةٌ فَيْنَانـــــــهْ . !
ومَرَاعٍ مُخْضلّـــــةٌ ريّانــــــــــه

(١) الأبديّة : مالا نهاية لها .

يعشق الطَّلُّ والنَّسيمُ رُبَاهَــــــــا
وتَنَــادَى الهَيْمَــــــان والهَيْمــــانه

* * *

يا أَمَانىَّ والحظــوظُ عجيبـــــــهْ
يا أَمانىَّ لســتِ مثلى غريبـــــــه
أَنتِ أَمْنٌ ونِعمــــــــةٌ وغـــــرام
أَنتِ قصرٌ وجنَّـــةٌ وحبيبـــــــــه

* * *

هـــذه أَنتِ .. فاذهبِى أَو فعُـــــودِى
هذه أَنتِ .. فانْقُصِى أَو فـــزيدى
أَو فكُونِى كمــــا يُحِسُّك قلـــــبى
خطَرات يشقّ بهــنَّ وُجــــــودى

٧ اكتوبر سنة ١٩٤٧

الشاعر [1]

قبل أَن يُبصر الظلامَ الضيـاءُ وتكون الحياةُ والأَحيـــاءُ
كان من كان بدؤه بدء دُنيـاهُ ومن لا يحـــدُّه الانتهـــاءُ
كان والفكرة العظيمة حُلْـمٌ بَعضُـــه الأَرض والسَّما والفضاءُ
حُلُمٌ يُعجِزُ الخيالَ سمـــوًّا حقّقتْـــه الإِرادةُ العصْمـــاءُ [2]
وصَحَا الكونُ بعد غَفْوَتِـه الكُبرَى وفى جفنــه روًى عـــــذْراءُ
واستخفَّ الوجودَ حُسْنُ مَجَاليه وهامت بكُلِّهـا الأَجـــزاءُ [3]
ورأَى اللهَ كل شىءٍ كما شاء .. ولِلهِ أَن يرى ما يشـــاءُ
وتراءَى فاهتزَّ قلبُ الرَّوابى وتجلَّى . . فاسْـــتغْشَت الأَنحاءُ
وتسامتْ إِليـــه من كلِّ أُفق صلوات ينساب فيها الدُّعاءُ
ربِّ ! هذا الوجود من صُنْعِ كفَّيْك ، فأَنت البانى ونحنُ البناءُ
ربِّ والكونُ كلُّه صفحـات لك فيهـــا الأَسرار والآلاءُ [4]
رب هذا الجمالُ جوهرُ مَعْنَاك ، فمعنــاه مُسْتسِرٌّ خَفَـــاءُ

(١) قيلت بمناسبة ذكرى شوقى ، وقد نشرت فى مجلة الراديو فى عدديها ٧٦٦ — ٧٦٧ .

(٢) الإرادة العصماء : الإرادة المنيعة ، من عَصَم الشيء يعصم عصْماً : منَعه .

(٣) المجالى : مواضع الصَّلَع من الرأس وهى مقادمها عادة . واحدها : مَجْلى .

(٤) الآلاء : جمع (الإِلْىُ ، الأَلْىُ ، الأَلَى ، الإِلَى) : النِّعمة.

ربِّ والكائنات روحك فيها فمداها صيرورةٌ لا فناءُ
ربِّ كل الأشياء تنبض فيها حَيَوَاتٌ لكنَّها خَرْسَاءُ
ربِّ أَعجزتَ ، فَلْيُذعْ سِرَّ إعْجَازِك صوتٌ تشيعُه الأصداءُ
ربِّ هذا الإنسانُ ظِلُّك فى الأَرض .. شُعور وحكمةٌ وذَكاءُ
ربِّ والنّاس كالقطيع وهذى الدار دار الدنيا لهم صحراءُ
ربِّ فاخترْ من القطيعِ حُداةً يتناهى بهم إليك الحداءُ
ربِّ واخترْ من الحُداة نبيًّا تلتقى فى كتابه الأَنبياءُ
دينُه أَنت والحقيقةُ والحُبُّ ، فكل الأَديان فيه سواءُ
واسْقِه خمْرَك المُقَدّس حتى تتناسى كِيَانَهَا الأَعضاءُ
وتُنَوِّر له الطريقَ فقد يَعْثر فيها وقصْدُه الاهتداءُ
واحْبُه من عَوَالِم السِّحر نايًا تتناغى بهمْسِهِ الأَرجاءُ [1]
ويَراعًا مُؤَلَّهًا أَبديًّا تَتَسَاقى رحيقَه الآناءُ [2]
وليكن فى اسمه من الخُلْد معنىً تتمنَّى جمالَه الأَسماءُ

* * *

قالت الحكمةُ القديمة هذا مَطْلبٌ لا يُجيبُه الأَرجاءُ
فلْتهنَّأْ بما تحبُّ البرايا فبحَوْلى الإيجاد والإنشاءُ
بعد حين تجرى المقادير بالدَّهر وفيها السرّاءُ والضرّاءُ

---

(١) تتناغى بهمسه : تلاطفه بالمحادثة والملاعبة .

(٢) الرّحيق: الخمر ، أو الخالص الصافى منها . والآناء : ساعات الليل، مفرده : أَنْىٌ ، وإِنْىٌ

بعد حين ينوحُ مَنْ خانه الحظُّ ويشْدُو بالفرحةِ السّعـــداءُ
لم يكن من تناقض الخلق بُدٌّ فمحال أن تستوى الأَشيـــاءُ
كل شيءِ مسخَّر لســـواه فلنُور الصبـــاح كان المساءُ
وشقاءٌ مميَّزٌ بهنـــــاءٍ وهناءٌ يـدبُّ فيـه الشقـــاءُ
وقلـــوبٌ مخمورة بالأَمـــانى وقلوب إلى الأَمانى ظِمـــاءُ
والذى يجمعُ الشتات مثـــال عشقته الأَضدادُ والنُّظـــراءُ
ذلك الخالق الذى أنا فيـــه قوة يشتفى بها الضعفـــاءُ

* * *

شاعر الكون لا يقيِّده الكون وإن ضمَّه تراب ومـــــاءُ
ساحر النور والظلام وكم يسمو فتتفنَّى فى نـوره الظلمـــاءُ
هو قلبُ الحياة يشدو إذا غنَّتْ ، ويبكى إذا شجاها البكاءُ
هو روحٌ مجسَّدٌ روحه الله وفكر عقل هُويُّه إســـراءُ [1]
صوَّرته مشاعرُ النَّاس أُفْقًا تتلاشى فى جـــوِّه الأَجـــواءُ
قلِقٌ كالحياة تقتلُه الأَغلالُ وهـو المُقَيَّد العــــدَّاءُ
ساكنٌ كالفناءِ يخلُق بالأَحلام مالا يجرى عليه القضـــاءُ
يستلذُّ الآلام فى نشْوة الوحْى وفيهـــا الـــدَّواءُ والأَدْوَاءُ
طائرٌ عشُّه الزَّمان ، ومَهْوَى جانِحَيْــه القلوب والأَهــواءُ [2]

(١) هُويه : إسراؤه : الهُوىَ السقوط من عُلُوٍّ إلى سُفْل . . والإسراء : السّير ليلا .
(٢) المَهْوى والمَهْواة : الجو ما بين الجبلين ونحو ذلك . ج : مَهَاوٍ .

مِزهَرٌ لَحْنُه الحياة وينبوعُ أَغانيــه ما تظَـلّ السّمـــاءُ [1]
غنوةٌ ذابت الأَحاسيس فيهـــا وصداها القُلوب والأَهــواءُ
قلبُه العالِم الكبير ونجــواه حنانٌ ورحمةٌ وإخــــــاءُ
خُلقه كالضِّياءُ فى كلٍّ حالٍ فهـــو فى الْحان والمُصلَّى ضياءُ
عقلُه مسرحٌ بنته المقـــادير ووشَّت ظلاله الأَضـــواءُ
مَسْرحٌ .. مُخْرجُ الروايات فيـــه مَنْ إلَيْهِ الإِحيـــاءُ والإِفْنَاءُ
أَزَلِىٌّ . . . مُمَثِّلُــــوه رُؤاه والأَمانى المجنــونة الحسْنـــاءُ
يشهد الليــــلُ والنهار عليهـــا قصّة جُنَّ دُونَهَا العقـــلاءُ
قصَّة المـوت والحيـــاة وكم حَـــارَتْ لديهـــا وضلَّت الآراءُ
شَغَلَتْهُ عن الحياة معانيها وأَغراه بالدَّفيـــــن الطِّـــــلاءُ
فاستحال الظُّهور فيــــه خفاءً واحتوى الكونَ كونُه الوضَّاءُ
وانتشت روحُه الطليقة فى الدهــر بخمرٍ مزاجُها الإِيحـــاءُ
ومضى كالشعاع يسْتبق العمر ودنيَـــــاه ثـورة وامتــلاءُ
جامحَ الفكرِ مستثـــارَ الخيالات قصاراه لــذَّة وانتشـــاءُ [2]
لذَّة الخالقِ الصَّغير إذا ما أَشهدته الحقيقـــة العليـــاءُ
يسأَلُ الله وهـــو فى ذاته الحيرى وجـــودٌ مشعشعٌ لأْلاءُ [3]

---

(١) المزْهَر : العود الذى يضرب به . وهو أحد آلات الطّرب ، جمعه مزَاهر .
(٢) قُصاراه : القصارى : الغاية ، يقال : قُصاراك أن تفعل كذا : حسْبُك ، وكفايتك ، وغايتُك .
(٣) مشعشعٌ لألاء : منتشر الضوء .

فيُناديه : لا تُرَعْ إن تعامَتْ عن سَنَاك الظَّواهرُ الجوفاءُ
أَنتَ منّي منذ استوى الكون طفلا واستقلّت عن ذاتها الأَشلاءُ
فأَثِرْ للأَنام ماتحجبُ الأَغلال عنهم والشهوة الرَّقطاءُ
رُسُلٌ كلُّهم .. وأَنت كتابي ولساني والْوَحْي والأَنبياءُ
سوف تشقى وسوف تسعد كالنَّاسِ ، وكلُّ الذى تراه ابتلاءُ
فاحْيَ للنَّاسِ لا لنفسِك ياشاعر ، واصدح حتى يموت الغناءُ
فإذا مات وانطلقت من القيد فعندى لأَصغريك الجزاءُ
جَنَّة عرضها السَّماوات والأَرض وخُلدٌ يناله الأَصفياءُ
لا يهُولَنَّك الحديثُ عن النار فانى الرحيم والرُّحماءُ
فأَدِرْ لَوْلَبَ السَّفين كما شئت ولا تقهرنَّك الأَنْواءُ [1]
فهُنا الشاطئُ المُغلَّف بالأَسْرار حيثُ المَسيرُ والإرساءُ
وغداً تلتقى بذاتك ذاتى لتقول الحياة والأَحياءُ :
مات فردٌ ممَّن شدا الحقُّ فيهم أَنتم النَّاس أَيّها الشُّعراءُ

٨ أكتوبر ١٩٤٧

---

(١) لوْلَب السَّفين : أداة من خشب أو معدن تنتهى بشكل حلزونىّ ، جمع : لَوَالب . الأنواء: جمع نَوْء ، وهو النّجم إذا مال للغروب ، ويجمع النوء كذلك على نُوآن .

أشواق

إلى صديقي المرحوم « ح . م . ب »

هجع الكونُ ياحبيبي وعادت

كلُّ روح إلى مقرّ هـــواها[1] . .

كلُّ شيء حولي يعانِقُه الصَّمْـ

تُ وكُلُّ العُيُــون نامَتْ رُؤاها

لم يعُــد في الظَّلام روحٌ شقيّ

غير روحٍ مَحَـا الظلامُ سناها

هي روحي التي أَحبّتــك حتى - - - - - -

قدّستْ فيك حزنَها وأَسَــاها

* * *

كلُّ شيء حَوْلي كئيبٌ رهيب

يبعثُ الوَجْدَ أَو يثيــرُ الشُّجونا

كلُّ شيء حولي يشارِكُني الوَحْـ

دةَ والشوقَ والضَّنى والْحَنينَــا

خمدت جذوة الحيـــاة وشبّتْ

جـــذوةُ الحبِّ لوعــةً وأَنينا

---

(١) المَقَرّ : موضع الاستقرار ، جمع : مَقَارّ .

ومشى اللَّيلُ ذاهـل الحسِّ نشْـوا
نَ يحيِّى برُوحِـه العاشِقينا

* * *

اسـأَل الليـلَ ياحبيبي عـنى
فأَنا أَسـأَلُ المقـاديرَ عنْكَا
اسأَل الليلَ ربّمـا أَسعدَ اللَّيْـ
لُ نـداء يحِبُّه الليلُ مِنْـكا
كم شربْنـاهُ رقَّـةً وحنـانا
وأَرقْنـاه أَدْمُعًـا تتشكَّى
وغرسْـنا آمالنـا فيه زهرا
كيف عدْنا نبـدِّلُ الزهر شوْكا

* * *

ياغريبَ الدِّيـارِ لاذُقْتَ يومًا
ماأُقاسِى من محْنـتى وخُطُوبى
يا غريب الدِّيـار هذى مَغَانِيـ
لك تنادى .. ومالَها من مُجيب
أَنت صيَّرتها من البُعـد ثَكْلى
تتسـاقى مع الظَّـلام نَحِيبى
وشـبابى على رُبَاهـا خيـال
عاثِرَ الظِّـلِّ عبـقرىُّ الشُّحوب

* * *

يا حبيبي هذا نصيبي من حبِّك قلبٌ يعيش للحرمان

هذه واحــتي الحــزينةُ تبكيـ

ـك وتشكو إليك ظلْمَ زمــــانى

أتُراهــــا كانت جناية حَظِّى

يا حبيبي أَم قســوة الإِنسان

أَهلُكَ الكافرون بالحبِّ أَهْــلى

والقضــاءُ الذى رمــــاك رمـــانى

* * *

اسأَل الليــلَ يا حبيبي عنى

واعذرِ الليل حين يطرق عيًّــا

أَنا علَّمتـــه الذُّهــولَ بصمْتى

وذهــولى ممــا جنيتُ عليّا ..!

رحم الحبُّ كلَّ أُغْنيــةٍ ماتـ

ـت وحالَتْ رَسْــماً على شــفتيًّا

كان يهفو إلى صـــــداها زمانى

ليغنِّى بهـــا الوجــــود الشَّقيًّا ..

الغرفة المهجورة

إلى صديقى « ح . م . ب »

أَراقتْ عليهــا معــانى الفناءِ ظلال السكون الحزين الرَّهيبْ
ولفَّت مَعَــــالمَها ظلمــةٌ يصارعهــا النور حتى يغيب
يكاد الظــلام إذا جاءَهــا يفــرُّ فإن همهمت لايُجيب
تفــزِّعُــه دونهــــا وحشــةٌ مطلسمة كالشعاع الغريب[1]
وتُعْوِل فى صمتها الذكريات فيَفْرقُ منها الوجودُ الكئيب

* * *

مروَّعــةٌ .. الظِّــلُّ مقــرورةٌ تُعــربدُ فيها رياحُ الخريف
تُقاسِمُنى عــلَّةً فى الضُّلوع مُسَهَّدة النَّار ظمأَى العزيف[2]
تُسائِلُنى وهى مصــــلوبةٌ على مذبحٍ سَرْمدىّ النَّزِيف
متى كان عهـــدك بالرّاحلين وفيهم أُساةُ المريض الشفيف
فأُطرق حتى يضجّ الســكون ويبكى علىّ الظلام الكفيف

* * *

تســائِلُنى وهىَ مذهــولةٌ عن الطِّــفلة الحلــوة اللّاهيه

---

(١) مُطلَسَمَة : مُطْرقة عابسة من طلْسمَ بمعنى أطرق وعَبَس .

(٢) مُسَهَّدة النّار : مؤرّقة النار . العزيف : صوت الرمال إذا هبّت بها الرياح ، أو هو صوت الرمل لايُدْرَى مأتاه .

محجّبــة النُّور عن ناظــرى محرّمة العَزْف والناغِيَــهْ[1]
تســائلنى عنك يا زهــرتى ويا رُوحَ ألحـــانى الشّاكيه
فتتلو عليهـــا رياحُ المســاء قصيدةَ يأْسى وأحـــزانيه
مقاطعها صرخــات الجنون وآهـــاتىَ الــوزن والقافيه

* * *

لهــا اللهُ ما لطمتهـــا الرياح وما اسْتيقظت فى حماها الجراح
وما عانقتهـــا طُيُــوف المساء ومانَاوَحَتْهَــا طيــور الصباح
لهــا الله منبــوذةً بالعـــراءِ مخضّبة بالأَسى والنــواح
لهــا الله منــك وممّا جنيت على زهرهــا الآلهىّ المُفاح
وأَنت لك الله يا فـــكرةً أطيــرُ إليهــا كسير الجناح

* * *

مضى العامُ يا فكرتى فى الجمــال ويا نبْعَ أيَّامىَ الشَّـــاردَه
مضى العامُ يا ليتــه ما مضى على هذه الصورة الواحده
تُمزِّقُــنى عاصفــات الشجون وتخنقنى الغــرفة الهامده
وتجمع بينى وبين الهمــوم تهاويلُ أيّامنــــا البائده
مبعثرة فى حَنــايا المكان تذكّرنى القصّـــة الخالده

* * *

تهاويــلُ ميّتـــة حيّـــةٌ مُتَوَّجَةٌ بجـــلال القِـــدم

(١) النّاغية : الكلمة .

محطَّمــةٌ كأمــانى الجيـــاع   مغلَّفــةٌ بــتراب العــدمْ
أَطــوف بها طَوَفان المجـــوس   إذا خدرتهم عطـــور الصنم
وأَسكب من حولها الأُغنيات   مُسَعَّرة اللحن حـيرى النغم
كأَنى بأَصــدائها فى الظــلام   تُنَقِّب عن أُذن لم تــنم

* * *

تهاويــلُ كالطَّير فى أَيْكةٍ   تمزِّقهــا ثــورةُ العاصــفه
تمــرُّ عليها خطــوبُ الزمان   فتعطِفُها روحهـــا الخائفــه
وفى جوفهــا تستكنُّ الهمــوم   وتنسِلُ حيّـــاتها الزاحفه
مُجَــوَّعَةً تتشــهَّى الْمُــنى   مُضمَّخــةً بدم العاطفــه
وفى عـــالم الفكر أَمثالهـــا   تطــوِّق أفكارى الرَّاجفه[1]

* * *

وأَنت .. وأَنتِ الهوى والجمال   ومعْنَاىَ بين معـــانى الحياه
وأَنت .. وأَنتِ المُنى والشباب   تعيشين فى عالمٍ لا أَراه
وبى من حنينى إلى ملتقـــاك   سُعَارٌ يُحرِّق عمرى لظاه[2]
فأَوَّاه .. أَوَّاه من غنـــوةٍ   مُغلَّلةٍ خنقتهـــا الشفاه
أُريـــدُ لأَســـقيك أَلحانهـــا   فيســخر منى قضــاءُ الإِله

* * *

(١) الرّاجفة : المتحرّكة المضطربة .
(٢) السعار : حرّ النار .

سأَبكيك حتى تموت الدموع | بجفـنىّ والوهم فى خاطرى
سأَبْكيك حتى يغـيم الطـريق | طريق حيـاتى على ناظرى[1]
سأَبكيك قصّـةَ حبٍّ شهيد | قضى وهو فى مهده الزَّاهر
وأَمضى إلى حيث يمضى الزَّمان | إلى مرفأ الأَبَـدِ الزَّاخـر
إلى فجـوة فى رحاب الفناءِ | نزيلا على الأَوّلِ الآخِـر

* * *

سـأَمضى وفى شـفتى قُبلةٌ | سيقتلُهـا جبروت الفنـاءِ
وبين يدىَّ رجاءٌ أَخـافُ | على روحه من عوادِى القضاءِ[2]
بحقِّ الهـوى العبقرىِّ الشجون | على قلبك العبقرىّ الصَّـفاءِ
إذا مِتُّ فامضى إلى غـرفتى | ولا تنْضحى قفرَهـا بالبكاءِ
فعيْنـاك ما كانتـا للدُّمـوع | وروحُـك ما خلقت للشقاءِ

* * *

هناك أَكون وراءَ التـراب | أَحيِّى وجـودك من حفرتى
وأَحـكى لمن غيّروا قصّـتى | وأَعْصِرُ من حزنهم عَبْرتى
فإِن سـأَلونىَ عمّـن أُحِبّ | أَجاب صـدًى غائِرُ النَّبـرةِ
هنالك حيث تمـوج الحياة | وينتحرُ النـورُ بالظُّلمَـةِ
تعيش التى احتقرت قلبَهـا | وأَلْقَتْهُ فى حمْـأَةِ الطِّينة

٢ نوفمبر سنة ١٩٤٧

(١) النّاظر : العين ، والناظر : سواد العين الذى فيه إنسانها ، ج : نوّاظر.

(٢) عوّادى : جمع عادية وهى مؤنث العادى وهى الشغل يصرف الإنسان عن الشىء ، ويُقال : دفعت عنك عادية فلان : ظُلْمه وشره ، وعوادى الدّهر : نوائبه وعوّائقه.

نسيان

أخطأت ميعادك يا طيفها السحرى
فهل ترى عادك شوق إلى شعرى

* * *

مرّت بى الأيامُ بعد فراقها
ممسوخة الألوان واللمحات
بكآءة تمشى على جَمْرِ الأسى
محمومةُ الأفكار والخطوات
كأنها أوهام فى ليل مَوتور[1]
مُعطَّل الإلهام ميت الأسارير[2]

* * *

كم قلت للماضى فى ذمّة الشيطان
وَصُنْتُ أنقاضى عن معول النسيان

---

(١) الموتور : من قُتل له قتيل فلم يُدرك بدمه .

(٢) الأسارير : خُطوط بطن الكف والوجه والجبهة ، واحدها : (أسرار) ، والأسارير كذلك محاسن الوجه ، والخدّان والوجنتان أيضا .

حتّى يثير الحبُّ فى أعماقها

عطف الغريب على الغريب العانى

فتعود باكية الحنان .. وتنتهى

بلقائنا أُسطورة الحرمان

ورحت أَسقيها فى الوهم من كأْسى

وكل مافيها يبكى ولاينسى

* * *

وطاب لى يأْسى وضاق بى صبرى

فقلت يانفسى لا قلب فى صدرى

ومضيت أحطم كل مايغرى بها

من ذكريات فى يدىّ وفى دَمى

وأَكفّ عينى عن مفاتن رسمها

وأثور إن أَغرت محاسنُها فمى

فما الذى ناداك ياطيفها السحرى

فجئت من دنياك بوصلها تُغْرِى

* * *

يا طيفها المفتــون   أستغفر النســيان

يا طيفهــا المجنون   قد هِمت بالحرمان

فامرح كما شاءَ انطلاقُ خيالِها

واملأ حيــاتك بالشرود العالى

فلَرُبَّما لاقَاكَ طيف مُسهدٌ

حُرِمَ الهــوى أَوحالُه من حالى

يهواك أَو تهـــواه   أَو لا .. فما أَدرى

يا طيفهـــا .. أَوّاه   لا قلب فى صدرى

الوهيــة

خِلتُ نفسي يومًا إلٰهًا عظيما قاهرَ الحول .. نافذَ الأَحكام

واستوينا ـ أنا ومجدى ـ على الْخَلْـــقِ نُسَوِّى ما بينهم من خصام

ورأينا الشرور أُمَّ البَلاَيـــــا ومَعين الأَحقـاد والآلام[1]

فاتفقنا ـ أنا ونفسى ـ على الخَيْـــبر ومحو الشُّرورِ والآثـــام

فانبرى كلّ ما حوى الكون والدّهْـــــر يُغَنِّى لَحْنَ الرِّضا والسـلام

وإذا بِى أُحِسُّ بعد عهـــود أن ذاتى موصولة بالأَنـــام

أَنا خيرٌ محضٌ وَمَنْ هُمْ عبيدى ليس للشرّ بينهم من مقام

لم تعُدْ بيننا فروقٌ سوى القد رةِ سرّ الإيجاد والإعـــدام

فتساءلتُ كيف أنماز منهم ... وورائى خيارهم وأمـــامى[2]

وكأَن الشُّرورَ ضاق بها الصَّمْـــتُ فهبَّت من سالف الأَيَّام

ثم قالت : يارَبِّ! لا خير فى الخيْـــرِ إذا لم تحطمْ قُواه سهامى

وامتزاجى به وكـوْنىَ فيـــه ـ ولك العلم ـ أَصلُ كل نظام

وكأَنى سمعتُ فى صوتها الْمَخْـــنوق أَصداءَ حكمتى وكلامى

قلتُ : فلْتَهْبِط الشُّرور إلى الأَر ض .. أَلا ولْيَحْىَ السّنَا فى الظَّلام

---

(١) المعين والمعيون من الماء : الظاهر الذى تراه العين يجرى على وجه الأرض .

(٢) أنماز : أنفصل وأنعزل .

وليدُم ذلك الصراع على الأَر ضِ .. إلى أن يحين بدْءُ الختامِ
وبهذا يخلو لخيْرِىَ وجهى وعلى الأَرض لعنتى .. وسلامى

* * *

كان حُلمًا أَفقتُ منه على صَوْ تٍ قديم الصدى بعيد المرامى
لم يكُن فى الإِمكان أَبدع مما كان .. فاخضعْ لحكمتى ونظامى
ذاك كونى ... فاستَفْتِ ذاتك من أَنت .. تجدها مشلولة الإِلهام
وإِذا ما أَبيت إِلا جموحا فامْتَشِقْ من حِجاك أَمضى حُسَام
واضرب الليلَ والنَّهارَ بحدَّيْه وَمَزِّق به خُدورَ الغمام
فإِذا ما شارفتَ أُفقى فحَوْقِلْ واستعِذْ من ضلالة الأَحلام
وبحسْبى أَن أَنسخ النور فى عَيْنيك حتى يصير مَحْضَ قَتَام
وإِذا أَنت حيثُ كنت – غريقٌ فى بحار الشكوك والأَوهام

* * *

قلت يارَبِّ .. إِنَّ لى فى رِضا الْعَا جز ظلاًّ يطيب فيه مُقامى
فاغْتَفِرْ لى .. فقد تلاشت حماقا تى . . . وعفواً إِذا فقدْتُ زمامى
واكفِنِى شرَّ فكرةٍ مَثَّلَتْنى قاهِرَ الحولِ نافِذَ الأَحكامِ

قلب بلا حب [1]

« إلى حوّاء أوهامى »

تعالَىْ يا بنةَ الأَحلام يا مجهولة الذَّاتِ
تعالَىْ يا ضياءً لم ينوِّر أُفق لَيْلاتى
تعالى يارحيقاً لم يَزَلْ يُرْوِى خَيَالاتى
تعالى نجمع الماضى الذى راح إلى الآتى
تعالى يا غراماً تاه فى دنيا الصبابات

* * *

تعالَىْ فالدّم الفوّار يَغْلى فى شَرايينى
تعالَىْ فالهوى الثرثار ما زال ينادينى
جموحاً ثائر النزوة مشبوب الأَرانين [2]
وهاتيك أَغاريدى أُغنِّيها فتُبْكينى [3]
وأَحلامَ الصِّبا المحروم أطويها وتطوينى

* * *

(١) نشرت فى تقرير عن أعمال نادى اليوسفية للروم الكاثوليك بالقاهرة لعام ١٩٤٩ فى إبريل سنة ١٩٥٠ ، وقد نشرت بعنوان « أشواق الربيع » .

(٢) الجُموح : ركوب الإنسان رأسه بحيث لايمكن ردّه ، النّزوة : الوثبة ، وهى كذلك الطموح إلى الشىء والمنازعة عليه . الأرانين : جمع إرْنان ، وهو صوت الشهيق عند البُكاء .

(٣) أغاريد : جمع أغرودة ، وهى غناء الطير أو الإنسان.

تعالى من وراءَ الغَيْب كالتهويمــة النَّشْوَى[1]

كوحىٍ دافق الأَنوار .. كالإِلهام .. كالنَّجوَى

كسِرٍّ في سماءِ الله لا ندرى له فَحْوى[2]

تعالَىْ ... لم يَعُدْ فى الكأْس نسيان ولاسَلْوى

تعالَىْ .. لم يعُدْ فى الكأْس إلا المُرُّ والشكوى

* * *

تعالَىْ كالربيع الطَّلْق ضحْيــان الأَسارير[3]

نَدِيَّ العطر منضور الرُّبَا .. نشوانَ بالنور[4]

تعالَىْ فهُنَا الكرمةُ ظميــاءُ الأَزاهيـــــر

وهذا الحارسُ اليقظان موهوبُ المـــزامير

وفى أَنغامه تخفقُ أَشباحُ الأَساطيـــر .. !

* * *

تعالَىْ فهنا الحارسُ قد هامَتْ به الكرمــهْ

سقاها الحُبُّ من كفَّيْه نايٌ ساحرُ النَّغْمَهْ

سقاها الحُبُّ ..فانداحتْ أَغانيها مع النسمــه

تُحيِّي موكبَ العشَّاق مُنسابين فى الظُّلْمه

---

(١) التهويمة : شعور الإنسان بالحاجة عند النوم مع هزّة رأسه .

(٢) فحوى القول : مضمونه ومرْماه الذى يتجه إليه القائل ، ج: فحاوٍ ، وفَحاوَى.

(٣) ضَحْيان الأسارير : أى أصابَ محاسن وجهه حر الشمس .

(٤) منضور الربا : أى ربا ذات رَوْنق وبهجة من نضر يَنضُر نضورًا ونُضْرة : كان ذا رونق وبهجة .

وفى كلّ يدٍ خصرٌ وفى كل فمٍ بسْمـــهْ

* * *

تعالىْ طَهِّـــرى بالحبِّ آثامى وأوزارى
تعالى فأَنا وحــدى غريب القلب والدَّار
طَرِيدٌ مثل أَيامى شريدٌ مثـــل أفكارى
تعالَى واسكُبِى سرَّك فى أَعماق أَســـرارى
فقد تبعث أَنفاسك مايطويه قيثـــارى

* * *

تعالَىْ نخلُق الحُبَّ فقــدْ يخلُقنـــا الحبُّ
لنُروِى ظمأَ الدُّنيـــا بما يُوحِى به القلبُ
فقد يخنقنـــا التُّرْبُ ولم نعشَق ولم نصبُ
وننْسَى أَننا « كُنَّا » وفى أَيامنـــا جــدْبُ
تركناه بلا رِىٍّ وفينـــا المنهل العــذبُ

* * *

تعالَىْ ... فالرَّدى الجَبَّار لايحْنُو ولا يرْحمْ
وهذا ســيفه المخضوب لا يَبْلى ولا يُثْلَم
يُرينى ومْضُه مالا يُرينى ظِلُّه الأَقتـــــم[1]
تَعَالَىْ فالغدُ المرهوبُ .. غيمان السَّنَا مُبْهَم
ويا ضيعةَ دُنْيانا إذا وَلَّى ولم نعلَــــم

---

(١) الأقتم : ماكان لونُه أغبر ضارباً إلى سوادٍ أو حُمْرة . وهى قتماء ، ج : قُتْمٌ .

البعث [1]

اسبقى الشمس كالشعاع وثوباً   واسأليها يا أختها أن تثوبا
طال هذا الدُّجى علينا وحالت   ضحكاتُ الحياة فينا نَعيبا ؟ [2]
كل ليل لا بدّ يعقبه الفجـــر فلا تأخذِى الحياة قُطُوبا
وانسخى ظلمة المقادير فجرًا   رائعَ النُّور ساحرًا مَوْهُوبا
ودعى النِّيلَ ذلك الصامتُ الثَّرْ   ثارُ يمرَح على الضِّفافِ طَرُوبا
أو دَرينى إذا دَهَتْك الجِراحَا   تُ أبَادله شوق المغلُوبـا
وأُنَاديه يا نَديمَ الْحَضَـارَا   تِ سلاما كحُبِّنا مشبوبا
أيُّهَا النيلُ يا أخا الأزَلِ الْمَجْ   هُولِ عفوًا إذا جهلتُ النَّسيبَا
ملأت جانحيك من نكبات الدّ   هرِ ما يَمْسخ الشُّروق غُرُوبا
فتفجَّرت فى وجـودى دِمـاءً   وتدفَّقْتَ فى دمائى لهيبا
فاحتقرت الحياةَ يُثقلها القيد   د وأقبلت كالرِّياح غَضُوبا
أطلب المجدَ بالكفاح وأبنى   بعِظَامِى مكانه المَغْصُوبا
ومعى أُمَّةٌ ممزَّقةُ الحـو   ل تُعانِى التقسيمَ والتَّغْريبا

(١) هذه القصيدة تعبّر عن حالة الشاعر النفسيّة ، وتمثّل فى الوقت نفسه وجدان الشعب المصرى وإرهاصات الشاعر بالثورة ، وقد أنشدها الشاعر فى عيد الجهاد ١٣ من نوفمبر سنة ١٩٤٧ .

(٢) النّعيب : الصّياح والصّويت والإنذار بالبيْن .

أُمَّةٌ أَجرتِ اللَّيـــالى عليهـــا ... من تَصارِيفها القضاء العجيبا

شهدت مولد الزمان وعاشت ... تتحدَّى قضاءَه المكْتُوبـــــا

وقضى اللهُ أَن تهـــون عليـــه ... فمضت تشربُ الحياةَ كُرُوبَا

وبنوها ــ أَستغفر الحق أَشْبَـــا ... هُ بنيها يُصْلُونها التَّعذِيبا[1]

حكموا الشَّعْبَ رغْمَ أَنف بنيـــه ... وأَحَالُوا الدستورَ برقًا خَلُوبا[2]

وأَضاعوا الحقوق بالقول مكْذُو ... بًا وبالصَّمت عاجزًا أَو مريبـــا

ومَضَوْا يعبثون .. والغاصبُ العر ... بيـــدُ يرجو لرشْدِهم أَن يغيبا

كم أَعانوه خفيةً وجهـــــارًا ... ليردُّوا به المصيرَ الرّهيبـــا

وأَغاثوه .. واستغاثوه كيما ... يسْحَقُوا ثائرا ويُفْنُوا نجيبا

خدعتْهم آمالهم فتعامَـــوْا ... عن مُنى الشَّعب واستحلوا الذُّنوبا

فلْيَنامُوا يا نيلُ أَو فلْيمُوتوا ... إنّ تحت الرَّماد جمرًا شبيبا ![3]

قُلْ لشعبٍ قادَ الشعوب إلى المجد قديمًا ولم يُبالِ الخطوبـــــا

ذهب السالفُ البعيدُ فهيّىء ... لك مجدًا على الزمان قريبـــا

مِصْرُ أُمُّ الدنيا ونحن بنُوها ... وعلى حبّها طوينا الجُنُوبـــا[4]

---

(١) يُصْلُونها التعذيبا : جعلوها تقاسى العذاب وتحترق بناره. من صلاهُ العذاب أو الهوان . أو الذّل : جعله يقاسى منه ويحترق بناره .

(٢) برْقاً خلوبا : برقاً خادعاً فاتنا . من خلبه بمعنى خدعَه وفتن قلبه .

(٣) الشّبيب : الاتّقاد ، من شبّت النار تشبّ : اتّقدت .

(٤) الجنُوب : جمع جَنْب ، وهو من كل شيء ناحيته ، أو شقه ، أو مُعادله ، ويجمع كذلك على أجْنَاب .

انكَرَتْنا كِنَانَــــةُ الله إن لم نتبوأْ مكاننا المسلوبـــــا
حسْبُنا الفقرُ والجهالةُ والأَمراض نشقى بها شَبابًا وشِيبَــا
كيف يحيا الفلاَّح فى أَرض مصر تعسًا مُجْدبَ الحياة كئيبــا
ويعيش العمَّال أَشقى مِنَ البَهْـــم ومن خيرهم نغذِّى الجيوبا [1]
وهناك المنعَّمُون وفيهـــم يجد الشرّ سامعًا ومجيبــا
يتغنَّوْن كلما أَهرق الشعبُ على الحق دمعــه المَسْكُوبـــا
إنه مَنْطِقٌ يضيق به العقـــل وإن كان كالوجود رحيبا
فلْيَكُ القابعون فى معبد الحكم سلامًا أَو فليكونوا حُرُوبــا
إن للشَّعْبِ ثورةً توقِظُ الغـا فِى وتحيي قبل الجسوم القلوبا
ومن الموت أَن تعيش ذليـــلاً ضائعَ الرأْىِ حائرًا منْهوبـــا
ومن المجد أَنْ يدينَ لك المجــــدُ قويًا ملءُ الحيـــاة أَريبــا
والحياة الحياة قلبٌ وحـــقٌّ فاصحب الدهرَ رائشًا أَومُصيبا

عيد الجهاد فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩٤٧

(١) البَهْم: جمع بهمَة، وتُطلق على الصغير من الضأن والمعز والبقر (الذكر والأنثى فى ذلك سواء).

كأس

سكر الليل بكاسات السكــونْ   وهفا الكون إلى خمر النغــمْ
فأدر فى كفّك الرّاح الحنون   واسأل النشوة نسيان الألـــم

* * *

قل لها يا كأس ماجدّ من الدّهْر علينـــا
نحن فى واديه طيفانِ على الحبّ التقينـــا
فضحِكْنا وبكينا وظمئنـــا وارْتَوَيْنَـــــا
ووهبنا الحبّ دُنْيانا وما بيْن يديْنـــــا
حين غنّت بسمات المُلْتَقى فى ناظِرينـــا
غنوة ضمّت على صفو الأمانى مُهْجتينـــا
ومضيْنا والهوى يدرى إلى أين مضينـــــا
ننشر الأحلام خمرًا كرمها فى شفتينـــا
أتراه كان حلما حبّب الدنيا إلينـــــا
ثمّ ولى وانتهى حلم هوانا فانتهينـــــــا

* * *

ومضى العمر كما شــاء هوانى فى الغـرام
بين شـــوق وحنين وســـهاد ومنـــام

* * *

آه من حبِّيَ ياكأْس ومن ذكرى حبيبي

آه من قلبي وما أَشقاه فى دنيا القلـوب !

آه ممَّا تُشْعل الأَشجـان فيه من لهيـــب

هاتِ نسيانك يا كأْس إذا كان طبيبي

أَنت فى الحُزْن نصيبي وهو فى الحزن نصيبي

الجزء التاسع

١٩٤٨ - ١٩٤٩

البعث [1]

على شاطىء فوق الحياة تمدَّدتْ | على رمله الأَحلام صاحية.. سَكرَى
تنامين يا أَحلام نفسى .. كأَنما | سقتك غيوبُ الله من كأْسها خمرا
تنامين .. حتى يقضى الله أَمره | فيبدل عسر العيش فى عالمى يُسرا
وينضحُ أَيَّامى القفار بوابـــلٍ | من الخير .. أَنسى فى تَواكُبِه الشرَّا
فأَحيا وتحيا بعد موتى حقيقتى | وأَبعث من قلبى إلى خالقى الشُّكرا

* * *

أَأَحلامَ نفسى .. ليتنى كنتُ قادرا | على بعْثٍ ماوَلَّى ونسيان ماجرًّا
أَأَحلامَ نفسى . ليتنى كنت عاجزا | عيِيَّ الحجا .. غفلان لا أُدرك الفكرا
كأَنى بهذا الكونِ قبرُ حقائق | تذوب وتَفْنَى فى حقيقتنا الكُبْرَى
كأَنى بهذا العقل ظلّ خرافـــة | نثور إذا ولَّى ونشكو إذا قرَّا
وهذا الذى أَدعوه قلبى وخافقى | وما هو إلاَّ طائر حرم الوكْـــرا
كأَنى به فى مَوْكِبِ الحبِّ والهوى | صدَى دَعْوةٍ خرساء مجهولة الْمَسْرى
وشعرى .. ومن حبّ الحقيقة نبعه | وياليت أَنى عشت لا أَعرف الشعرا
كأَنى به فى ظلمة الطين ضحوة | أَهال عليها الطين من روحه قبرا

* * *

(١) تمثل هذه القصيدة طوفاناً من التوتّر النفسى والقلق والتمرد على الحياة والأحياء .

وعمرى . . ومن إظلامه يخلق الدُّجى

وينسى لديه الفجر من يعبُد الفجْرا

كأَنى به فى حانة الدَّهْرِ قطـرةٌ حميميّةٌ تنهلُّ فى قلبه جمرا[1]

وحظِّى وقد غسَّلته بمـــدامعى ولم أَحتَسِبْ فيه لدى زمنى أَجرا

كأَنى به فى قبضة الموت زهرة يبابيَّة الأَوراق لاتَنفَحُ العطرا[2]

ويأْسى من الدنيا وسخطى على القضا

وإيمان عقلى بالأَراجيف مضطرّا[3]

شقيت وأَشقيت الليالى بمطلب تمنيّته صبحا .. وحقَّرته ظهرا .

وما هُوَ إلاَّ أن يُطيــعَ إرادتى زمانى . وأَنْ أَحْظى بما أَشتهى حُرًّا

وأُنْسيتُ أَنّ الوهم روح طبيعتى وأَن الذى أَجرى حياتى بها أَدرى

وأَن القضاء الحَتْم مثلى مُسَيّرٌ إلى غاية تستغرق الكون والدَّهرا

* * *

ومن نكدِ الأَوهامِ أَنى أُفَلْسِفُ الْ حَيَاةَ كما أَهوى . ولم أُفنها خُبرا

عَيِيتُ بها فهماً .. وفى العجز راحــةٌ

لمن جعــل الدنيا طريقاً إلى الأُخـــرى

---

(١) الحميميّة : الماء الحارّ ، ج : حَمائم .

(٢) يبابيّة الأوراق : أى جرداء من يبَّبَ المنزل جعله يباباً أى خراباً ، ويقال « خرّبوه ويبّبوه » .

(٣) الأراجيف : جمع إرْجاف . وهو الخبر الكاذب المثير للفتن والاضطراب .

ولكننى والعقل نورى وظلمتى
أحاول بالأَحـلام أن أَكشِفَ السِّتْرا

ومازلت .. والمصباح خَابٍ ضياؤهُ
أَهـدهد آمالى .. وأُرْضعُهـا الصبرا

* * *

رأَيت حظوظَ النَّاس شتَّى فجـاهل
أَمِيرٌ .. وأَهلُ العِلم فى كفِّه أَسْرى

ونابغـةٍ فَـذٍّ .. يعيش مُشـرَّدا
يُكابِدُ مِنْ أَيّامه الذُلّ والفقْـرا

فإن مات هبّ النائمون .. فأَمطـروا
ثَراهُ الجـديبَ القفـر مَدْمَعهم ثَرًّا[1]

وراحوا يحيُّـون الرَّميم بذكـره
وهيهات أَن تُجْدى على الميّت الذِّكرى

لقد كان يرجو القوت .. لامؤمنا به
فظنُّوه يرجـو المستحيلَ أَو الكُفْرا

فأَيَّهما أَختـارُ لو كنتُ مثلهُ ؟
لَعَلِّى بحظِّ الْفَـدْمِ فى سعده أَحْرى[2]

* * *

(١) ثراه الجديب القفر : الذى ييبس لاحتباس المطر عنه .
(٢) الفَدْم : الثقيل الفهم العيّ .

ويَارُبَّ ليـلٍ طَوّقَتْنى همـومُه
ونادمتُـه شكواى والأَدمع الحرَّى

وناديتُ ماضِىَّ الذى راح وانطـوى
فأَقبـل جَهْمانَ الأَسَارير مُغْبَرَّا[1]

ينفِّضُ أذيـالَ الرِّضـا عن تذكرى
لأَيامه اللائى بدأْتُ بها العُمْـرا

فقلتُ أُناجيـه .. وفى النَّفس حَسْرةٌ
تُسعِّر أَنفاسى وتملؤنى سُـخرا[2]

إلى أَيِّمـا واد .. وفى أىِّ مَجْهـلٍ
من الزّمنِ الدّوّارِ فَارَقْتَنى قَسْرا

وأنت ... فهل تَدْرِى بما أَنا جاهلٌ
وهل فيك من هَدْىٍ لأَيّـامىَ الحَيْرَى

لقد كنت فيك الطِّفلَ أُنسـاً وبهْجةً
فها أَنا لا أَدرى الصفاءَ ولا البِشْرا

تمرُّ بىَ الأَيّامُ مشلولةَ الْخُـطى
وتـأْكلنى الأَقـدارُ مسعورةً حَرَّى[3]

وأَسأَلهـا عمَّا اقترفتُ حيـالهـا
وقد يسأَل العلَّامُ مَنْ يجهل الأَمْرا

---

(١) جهمان الأسارير : عابس الوجه .
(٢) تُسَعِّر أنفاسى : توقدها .
(٣) مسعورة : مُتَقدة .

وما هى إلا توْأمى فى مدارهـــــا
كلانا يُقَاسى القــيد والرّغم والقهْرا
وأطرق ماضى العمــر حــزناً وحيرةً
فما زادنى عرفــا .. ولازادنى نــكرا
وما هى إلا كــرَّة الوهْم طائفـــاً
وخلَّفنى المسكينُ أَســـيانَ مُزْورًّا[1]
فعاودتُ تســيارى كما شــاءَ خالقى
ومن أَين للمجبور أَن يعصى الجبْرَا[2]

* * *

أأحلامَ نفسِى .. كلُّ يوم ٍ له غــدٌ
وكلُّ غد أَمسٌ إذا عهــده مرًّا .. !
ويومى غــدٌ باك لأَمس مُعـــذَّبٍ
ينادى غــداً فى الغيب لم يبرح ِ الخدرا
يُنادى غــدًا ... يالَهْفَ نفسى على غد
تكونين فيه المجــد والأَمل النَّضْــرا
أأحــلامَ نَفْسى ليت لى منك ذرّة
أَعيشُ بها عيْشَ الْأَسير إذا فَرَّا

٢٣ نوفمبر سنة ١٩٤٧

(١) أسْيان : حزين .
(٢) التّسيار : الذّهاب فى الليل ، والتّسيار : المبالغة فى السّير .

السراب الخالد [1]

فى طريق يَحفُّهُ الزهرُ النَّضْـ
ر وفى جَوْفِه تَفُحُّ الأَفـاعى
ِسرتُ كالطـائر الرضيع يُبَارِى
أُمَّهُ فى تحـدّر وارتفـاع..!
سرتُ ظمآنَ جائع النفس والقلب سجينَ الرُّؤَى ضَرِيرَ الشُّعاع
ملهماً أَسـتبيح مالا يبيح النَّا
سُ فى عالمٍ قليـلِ الْمتَـاع
وحوالىّ من بنى الطَّيش أَشْبا
هُ قطيـعٍ مُشـرّدٍ فى يَفاع..![2]
دمُهم ماؤُهم .. وراعِيهم الذِّئـ
بُ وأَعراضُهم سُفوحُ الراعِى
كلُّهم ذابحٌ ذبيحٌ فما أَشْـ
بَهَ قلْبَ المريع بالمُرْتاع ..![3]

(١) تمثل هذه القصيدة حالة شعورية ضبابية كانت تؤثر على نفس الشاعر وتؤرّقه وتجعل الحياة علامة استفهام كبيرة لم يهتد للإجابة عليها .

(٢) اليفاع : المرتفع من كل شيء يكون فى المشرف من الأرض ، والجبل ، والرّمل وغيرها .

(٣) المريع : مَن فُزّع . فكأن الرّوْعَ بلغ رُوعَه أى سواد قلبه ، والمرتاع : المفزّع ، من ارتاع بمعنى فزِع .

كفروا بالجمــال والحُبّ والحقِّ

(م) وجُنُّــوا بالشــرِّ والأَطمـــاع

دَمَويُّــون يســتخفُّهم السّــو

طُ إذا جرّدتْه كفُّ الصِّراع

فإذا رَنَّ مزهــرٌ أَو شَــدَا شا

دٍ أَعَــارُوهُ ميِّتَ الأَسْـــماع

* * *

أَلهــذا القطيــعِ أُنفقُ أَيّا

(م) مِى وتُفْنينِىَ الليالى الحزينه

أَلتلك الأَصـــنامِ أَسحقُ عمرى

وأُغَنِّى أَلْحَـــانِىَ المجنــونه

مَنْ سقانى كأْس الحياة ومن صوّر نفسى من المعانى الحنونه[1]

مَنْ رَمَانى إلى التُّراب ومن قدّر للشمس أَن تعيش سجينه

مَنْ بنى الشَّامخ الممرّد فى نفسى وأَعلى آفاقَه .. وركونه[2]

ثم أَغرى بــه رِيَـــاحَ المقــادي

رِ فسوّت سُــهُوله وحُــزُونه

(١) الحنونة : الشفُوقة

(٢) الشامخ الممرّد : المرتفع الناعم الأملس .

ومشى فيـــه عنكبوتُ المنايا

مستبيحاً أيّـامَـه وسِـنينَه

هَمَجِيّ اليـديْن يهـدمُ أحْلَا

مِى ليَبْنى أحـــــلامه الملعونه

ألِمَحْضِ الوجود والموت جئْنـــا

أم لسرٍّ وحكمةٍ مكْنُـــونه

ليت مَنْ فى السماءِ يرحمُ شكىّ

فيُرينى ضـــياءه أو يقينـــه

* * *

مَنْ أنا ؟ من أكون؟ ما كنتُ؟.مابَدْ

ءُ وجودى ؟ متى تكونُ النّهـايه

ما وراءَ الحياة ؟ .. ما غايةُ الدّهـ

ـرِ . ؟ وما كان قبل بَدْءِ الرِّوايه

كان مَنْ أوجدَ الْوَرَى من تراب

ولهُ فى الوُجُـودِ أعظم آيـه

ثم ماذا ؟ .. صمتٌ .. وعِيٌّ .. وعجزٌ

وظـلامٌ .. وحيرةٌ .. وعمـايه ..

وشكوك تعبُّ أيّـام عمـرى

وتُرينى ضـــلالتى كهـــدايه

ومقـــادير تستحِثُّ خُطـــانا

وهى تجـرى بنـا إلى غير غايه[1]

وتمــــرُّ الحيـــاةُ بين سؤالٍ

وجوابٍ يزيد جهلى غوايَــه

ويفرُّ السّجين من قبضة القيـ

ـد فتُنْسى عنـــد الختامِ البدايه

ثم يسلُو على المـــدى أبَــوَاه

وهما كالفقيد .. بعض الحكايه

وكأنَّ الذى مضى لم يجىءْ بعـ

ـد فيستأْنف الجُنَـاةُ الْجِنايه

* * *

لم أكنْ قبل أن أرى الأَرضَ شيئاً

أم ترانى قد كنتُ فى الْغيْبِ شيًّا[2]

أنا أُغْفِى .. وأستفيق ... وأمشى

وأُحسُّ الحيـــاة ملء يديَّا

أنا أعشَى إذا رأيتُ سنا اللّـ

ـهِ يُحيِّى بلمحـــه مُقْلَتَيّــا

(١) تستحث : تتعجل، من حثه يحثه حثاً : أعجله إعجالا متصلا.

(٢) شيّا : شيئا .

وأُغَنى الشيطان ما تُلْهِم الشهوةُ نفسى فيستجيبُ إِلَيّــا

أَنا أَشكو إِذا ابتليتُ ... وأَشْــدُو

حين يصفو الوجــود فى ناظريًّا

أَنا أَصــبو إِلى الصّــباح وأَشْــتَا

قُ إِلى اللَّيــلِ هادِئًا عَبْقــرِيًّا

أَنا أَحيــا كالناسِ مادمتُ فيهم

فإِذا ماخلــوتُ صــرتُ نبيًّــا

صِرتُ شيئًا يحارُ فى فهمه الكو

نُ ولُغــزًا مُحَجّباً أَبــدِيًّا

أَستثيرُ الظُّــنونَ حتى أَرَانى

ثورةً تملأُ الوُجُــودَ دَوِيًّــا

وأَرَى العــالَمَ المُلَطَّخَ بالأَوْ

حَــال قَبْرًا منَ الحيــاة خَلِيًّا

* * *

أَنا أَهفو إِلى الحيــاة وروحى

تشربُ الموتَ فى كُئُوسِ الحياةِ

أَنا أَرْنُو إِلى الغُروبِ بعيْنٍ

قبَستْ نورَهَا من الظُّلمــات(١)

(١) أرْنو : أى أديم النظر مع سُكون الطرْف .

أَنا أَستقبلُ الربيــعَ بقلْبٍ

هامد الحسِّ ذاهــل الخفقاتِ[1]

أَنا أَستشهـــد السماء على ما

أَمطرتنى السماءُ من نكبـــاتِ

أَنا ماض إلى السراب .. فحيُّوا

يَا ضَحَايَا الظَّما شــهيدَ الْفــلَاةِ[2]

أَنا ماضٍ فلا تخفُّــوا إلى قبر

ى ولا تزعجوا سُكونَ رُفَاتى

حطِّمُوا مِزْهرى وذَرُّوا بقـــايا

هُ وصلُّوا فى مأْتم الذِّكرياتِ[3]

واسحقوا هيْكلى وأَلقوا إلى الريـ

ح حُطَامى ... وبَعْثِرُوا أُغْنِيَاتى

واذكُروا ـ إن ذكرتمونى ـ ضياعى

وشُرُودى وحـــيرتى وشـــتاتى

ودَعُونى أَنَمْ فقدْ آن للعـــا

لَم أَن يستريح من صَرَخاتى

---

(١) الخفقات : جمع خَفْقة ، وهى اسم المرّة من خَفَق بمعنى اضطرب وتحرّك .

(٢) الفلاة : الصّحراء .

(٣) ذرّوا بقاياه : انثروها .

صرخة الميـلاد[1]

دعِ النائم اليقْظـان .. لا تسْقه خمْـرا

وأهرقْ عليه النارَ إن شئت والجمـرا

ومزِّق غيابات الْـكَرَى عن جُفُونه

فقدْ أَقسم السفَّاح أَن يخنُـق الفجرا

وهــذا النَّئــوم الْيَعْرُبِىُّ كما ترى

يصارعُ بالأَوهــام أَحداثه الحمــرا

يعيشُ عــلى الماضِى السَّحِيق فليته

يمــدُّ له من نَسْجِ عزْمَته عمــرا

وما الأَمس إلا اليــوم ضيّعته سُــدًى

ولم تَرْعَ فيــه الله والمجــد والذِّكرا

وما أنا فى الأَحيــاءِ إن زال حاضرى

ولم أَدّخر مجــدًا .. ولم أَحْتقبْ فخرا[2]

فقل لفتى الأَعــراب .. والسيف مصلتٌ

على رأْسه .. وَثْبًا إلى الحرب ...لا سُكْرا

---

(١) أنشدها الشاعر فى عيد الميلاد ١٩٤٨ المخضوب بدم المجاهدين من أبناء العروبة فى فلسطين الجريحة.

(٢) أحتقب فخرا : أدّخر فخرا . واحتقب الشيء شدّ حقَبَه، وهو الحزام .

عهدْتك سبّاق الأَمــانى .. فلا تكُن
لدى المِحْنَة الحمقاء أَســوانَ مُزْورّا[1]

سأَلتُك يابنَ الخـــالدين بحقٍّ مَنْ
يُسمونه فِرْعَوْنَ فى المجــد أَو عمرا

كم ارتاعتْ الدنيا التى كنتَ ربَّهـــا
بجَحْفلِكَ الجرّار .. تُزْجِيــه مُغْــبرّا

وكمْ قَوّضتْ يُمْناكَ عَرْشًا مُوَطَّـــدًا
تُخَــادعه مَــكْرًا لتحطمــه كِبْــرا

وكم شرقت من فيْض نورك أُمَّــةٌ
غفا قلبُها جَهــلًا وناظرُها سحرا

أَقمْت وهــدّمت الممالك طـــائرًا
على صَهْــوَة التاريخ مُنْطلقًا حُــرًّا[2]

فماذا دهى عينيك فاظلمّ نورُهــا
وأَطبقتها خــوفا وأَنــكرتها ذعــرا

أَفِقْ فالحيـــاةُ المجد . . . والمجــدُ وثبةٌ
تُعَفِّر وجْــهَ الدَّهــر مَسْعورةً حَرّى[3]

---

(١) أسوان مُزْورًّا : حزينا متحرّقا .
(٢) الصهوة : موضع السّرج من ظهر الفرس ، ومن كلّ شيء : أعلاه ، ج : صِهاءٌ وصُهاً .
(٣) مسعورة : متّقدة . الحرّي : مؤنث الحرّان : الشديد العطش ، ج : حِرَار وحَرَارى .

أَفِقْ فالْيَدُ الشَّلاَّءُ موتٌ وُجُـــودُهــا

ولن يعرف العلياءَ مَنْ يرهبُ القهْرا

وهــذى يدُ السّفَّاح مازال سيفُهــا

خضِيباً يُبارى الموت فى حَرْبه الكُبرى

أراق دماء الشرق ظلما وغالَهُ

ومزَّقهُ بطشًا وحطَّمــه جَورا ... !

ومازال يَسْتَشْرِى على الأَرض داؤُه

وأَوّلُ ما يُدنى الرّدَى داءٌ استشرى[1]

فكُن أَنت يابنَ الشرق لِلدَّاءِ حاسِماً

وأَطْعِمْه نار السيف .. لاتـأْلُه بَتْرا[2]

فمــا آمن التاريخُ إلا بماجــدٍ

يحقِّر فى آماله الموت والدَّهـــرا

---

(١) يستشرى : يعظم افتراسه ويتفاقم .

(٢) لا تأله : لا تقصّر ولا تبطئ .

نشيـد

ذكرى شـوقى

همست في الليل أنوار النجـومْ

تسأل الأرض عن الصمت الذى لفَّ رُباها

فأجابتهـا الرّوابى والغيـوم

إنها الشمس التى راحت وماراح سناها

هذى ذكرى نبيِّ المُلْهمين شاعر الخلد أمير الشعراء

وهب العمر لشكوى البائسين وشَدَا للأرض ألحان السّماء

إنه شوقى الذى أحيا الوجود العربيّـا

شاعر الدّنيـا وكم أطربها ميتًا وحيّـا

ذوّب الحرِّيّة الحمـراء لحنًـا قدسيًا

أسكر النيـل فأعطاه الخلود الأبديّا

أكرموا أُخراه أكرمـوها

واحفظوا ذكراه مجّـدوها

توِّجوهـا بالأماني والجهـود

واجعلوها فجر تاريخ جـديد

لحيـــاة الفنِّ فى الوادى السعيد

وصـــلوا الحاضر بالماضى المجيـــد

واقبســـوا من نورها روح الضـــياء

فهى مجـــدٌ وخـــلود وصـــفاء

نَبْعُه ذكرى أمير الشعـــراء

يا ليت

يامن تحيّر فيـــه قلبى بين إقبـــال وصـــدِّ

إن كنتَ قد أُنْسيتَ وعـــدك إننى لم أَنس وعدى

أَنا فى انتظارك لا أَريم وأَنت فى أَخْذٍ وردٍّ[1]

ياليت أَنَّك إذ رأَيْت تلهُّفى وعرفت وَجْـدى

وقرأْت فى عينى الضَّنى خيّرتنى فاخترت بُعدى

ورضيت بالأَمل القصىّ وعشت بالأَوهام .. وحدى

---

(١) لا أريم : لا أفارق .

يا أخى فى الله

« إلى أخى الجندى الشاعر .. كامل أمين »

يا أَخى فى الله إن العهد فى الله وثيق

وطريق الحق ضَحيا .. ن فهيّا . والطريق[1]

* * *

يا أَخى فى الله .. هذا الفجر ممدود الظلال

كان لى بالأَمسِ محرابُ صَلَاةٍ وابْتهال

ذهب الأَمسُ .. فلا تهفُ إليه ... وتعال

نزرع الأُفق مُنًى حمراءَ .. يخشاها الزوال

ونوشِّى بالقنا المخضوب .. أعناق الجبال[2]

إنها ساعة إيمان .. وعزم ... ونضال

نبتت فى الزمن الغربيب .. بيضاءَ المجال

فاغتنِمْها يقِظَ الوجدانِ .. مشْبُوبَ الخيال

وأَدرْ عينيْك فى البيداءِ .. واستفت الرّمال

فلها فى عالم الصمت ... نداءَات طوال

* * *

(١) ضَحْيان : واضحاً ظاهراً .

(٢) القنا : الرماح .

يا أخى فى الله إن العهد فى الله وثيق

وطريق الحق ضحيان .. فهيّا والطريق

* * *

يا أخى فى الله . هذى القمم الشمّ شهود[1]

لك فيها حسبٌ . ضخم الأحاديث ... مجيد

تُربُها الصّديان .. آباءٌ كرام .. وجدود

توّجوا المجد بتاج الخلد ... والمجد وليد

الزمان الكهل غاب وهمو فيه الاسود

عربٌ كالشهب . وضَّاءُون .. مضّاءُون صِيد[2]

لم يكن فيهم لغير الحق .. والخير .. وجود

وَفَرَاعِين .. على أمجادهم ... صلّى الخلود[3]

ذكرهم فى خاطر الدهر - قديم وجديد

كلهم قلبٌ يناجى ولسان يستعيد

* * *

---

(١) القمم الشم : القمم : جمع قمّة . وهى من كل شىء أعلاه . والشم : جمع أشمّ وهو المترفع المتكبرّ .

(٢) مضّاءون : حادّون سريعو القطع . صِيد : جمع أصْيد وهو كل ذى حول وطوْل من ذوى السلطان .

(٣) فرَاعين : جمع فرعون ، ملك مصر فى التاريخ القديم .

يا أخى فى الله إن العهـــد فى الله وثيق
وطريقُ الحقِّ ضحيـــان .. فهيّــا والطَّريق

* * *

يا أخى فى الله ... هذى القمم الشمّ عدول
هذه الرمالة تحكى أُختهــا فيمــا تقـول
إنهـــا تنشر الذِّرْوَة ماتطــــوى الســهول
ويحها ظمياء .. تخشى الرّىّ من دمّ الضلول[1]
شربته أزرق المعـــدن .. مسموم الأُصــول
ثم دار الزمن المــارد عجــــلان الفصول
وجــــرى صهيون خلف الوهم والوهم قتول
فبنى قبر أمانيــه .. وأغْراه الفضـــول
وأراد الله .. أن ينتحــر الحظ الكســول
فإذا ما شـــاء صهيون .. غثاء فى سيول

* * *

وأتينـــا .. ولنـــا بالنصر .. إيمـــانٌ طليق
نبعث الماضى الذى كفَّنـــه الدَّهر السَّحيق

* * *

(١) الظـَمْياء : جمع ظُمْى ، مؤنث الأظمى ، وهو الأسمر .

يا أخى فى الله .. إن الحرب عمياءُ الدُّخانْ
كان فى عينى نهار . لا تسلْنى كيف كان
طرق الليلُ على الهيجاء أبواب الزمـــان
فاجعــل الليلة دهــرا من جــلادٍ وطِعان
واسْقِ صــهيون لظاها .. حممىّ الغليان
وإذ ناداك من أَحلاف صـــهيون اسان
يتمنّى هــدْنة الحرب .. وإغمــاد السِّــنان
فاذكر القتلى .. وما ذاقــوه من كفِّ الجبان
واذكر الحق الذى يصـــرخ فى كل مكان
وارتقب يومى .. فيومى .. مثلما أَعلم ... دان

* * *

يا أَخى فى الله . . إن العهــد فى الله وثيق
وطريق الحق ضــحيان . . فهيّا والطَريق

* * *

يا عيد [1]

أَقْبِلْ على موكب الحيـارى ياعيـــدُ ياموقظَ الحيارى
أَقْبِـلْ وفى كفِّك الأَمـانى بَارِكْ بها البيـدَ والصحارى
أَقْبِـلْ على الشوق والتمـنى كغائبٍ أَبصـــر الدِّيـارا
أَقْبِـلْ على أَكْبُـــد تلظَّى وأَعْيُنٍ دمْعُهـا استجارا [2]
وسِرْ مع النّاسِ حيث ساروا ودُرْ مع الدَّهـر حيث دَارَا
وسـائِلِ الليـــلَ والنَّهـارا ومَنْ رأى الليـل والنَّهارا
إذا دهى الأَرضَ . . ما دهاها مَنْ شبّها فى الوجود نارا
أَشعلها فتنـةً ضروسًـــا أَشـــاعت البؤس والدَّمارا
علَّمت البُـوم كيف يبْكى خرابَهـا الشـؤم والعمارا !
مصارع لا تزال تجرى وعالم يشتكى انهيـــارا

* * *

أَقْبِـل على العـالم الكئيب فرحـــان أَو باكىَ النَّحيب
وقُل لمن عاقـروا المنـــايا على شجى المدْفـع الطَّروب
عصرتم الكأْسَ فاشربُوهـــا والكأْسُ مسـعورةُ اللّهيب [3]

---

(١) قيلت بمناسبة العيد وعالج فيها الشاعر نكبة فلسطين .

(٢) الأكْبَد . ومؤنثه كبْداء : من كان عظيم الكبد ، أى من عظُم بطنُه من أعلاه . ج : كُبْدٌ . وتلظّى : أصلها تتلظّى : حذفت التاء لضرورة الشّعر .

(٣) مسعورة : متّقدة .

لاتبردوا بالشـــــراب حتى   لاتسلكوا أبْعـدَ الدُّروب
والحرب ماتعلمـــــون فوضى   تُغْرى بأُسلوبهـا العجيب
بَدأْتُمُـــــــوها . . فلا تُوَلُّوا   والرِّيح فى أوّل الهبـوب
وأَرضـكم . أَرضـكم فشقُّوا   فى جـوفهـا القبـر الغريب
لا تجعـلوا رىّ ما نمتــــــه   إلاّ حميمَ الدّم الصّبيب[1]
منكم .. وممّن بغى عليـكم   سيّان فى شـرعـة الحروب
فلم يَعُـدْ فوقهـــا مجـالٌ   للمنطـق الرّائع الرّتيب

* * *

كم هـدنةٍ أُعْقبت بأُخـرى   لم نَجْن من مَـدِّهنّ خيرا
إلاّ مزيـدًا من الضحـــايا   يزيدنا فى الرِّجـال فقْرا
نقدُم حتى يقـــول قـوم   النصرُ للعُـرب لا مفـــرًّا
ويصبح البرّ من دِمـــانا   ومن دِمـاءِ العـدوّ بحْـــرا
حتى إذا الهيجـــة استحرّت   ودمـدم الموت واكْفهـرّا[2]
لاذوا بأَكْنـافنــا فقـــالوا   السّـلْم بالعاقلين أَحْـــرى[3]
كأنَّمـــا العقـــل أن يُوَلِّى   المقتـــول للقاتلين ظهـــرا
فقـل لهم تبًّ ما أَرادوا   أَصبح عهـدُ السلام ذِكْرَى

---

(١) الحميم : الجمر يُبتَخر به . والقيظ . والماء الحارّ . الصّبيب : ما يَنْصبّ .
(٢) استحرّت : اشتدّت . دَمْدَم : غضب . اكفهرّ : عبَس .
(٣) الأحرى : الأفضل والأجدر .

بنيتمُ القبــــر فاســـكنُوه ـ يا ذُلَّــه فى القبـورِ قَـبْرا
يضـمكُمْ شـاكياً وترجـــو صِـبـاؤُه او تكون أُخـرى

* * *

أَقبلت عيـدًا ؟ ! وأنت عيدُ لو قَـــرّ شيطانها الْمَريدُ[1]
وددت لو هاجــــه نِـدائى وهــزّه صــــوتى الجديد
الفُلْك « يا فُـولك » نحن فيه وموجُ طُغيــانكم شديد[2]
أَردتم السّــلْم فاستجبْنـــا والدهـــر ما بيننا شـهيد
وكم بـــذلتم لنـــا وُعُـودا ولم تـدُم منكم الوعـــود
فما وثقــتم ... ولا وَثِقْنـــا فحــربُنا طــارف تليــد
فَأَضْرِمُـوا النَّــارَ أَضْـرِموها فكلُّنـــا عنـــدها وقود
ونحن أبنـــاء من شَـدَوْها مَلاحِمًـــا روحُهـا الخلود
ومجــدُنا المجـد .. ماعلمتم ويعلم الله والوجـــــود

... ...

أَقبلتَ عيدًا ؟! فأَنت عيــد يا عيد .. لوفُكَّت القيــــود

(١) قرّ : ثبت وسكن . المرِيد : الخبيث المتمرّد الشرّير ، ج : مُرَدَاء .
(٢) الكونت فولك برنادوت : وسيط هيئة الأمم المتحدة فى مشكلة فلسطين .

تهنئة

« لصديقى وأخى مسعد أفندى
محمود شرنوبى لمناسبة زفافه »

ملك القلوب بحبِّه وتوحَّدا وسبى العيون بحسنه فتفرّدا

سَلْ عنه عشاق الكمال فإنه بنفائس الخلق الكريم تقلّدا

عيدُ السعادة كان يومَ زفافه أفْديه عِيدًا فى الزمان مُخلَّدا

دامتْ له النُّعْمَى ودام دُعَاؤُنا لازال مُسعُد بالأَمانى مسعدا

حياة

أنا أَحْيَى كطائر حطَّم القيد ولمّا يزل أَسير الفضاء

أَعشق الموت فكرة فى خيالى أَتحدّى بها قضاءَ القضاء

وأُمِيت الحياة فى قلبىَ الحىّ وأَرثيه قبل حين الرِّثاء

أَنا حىٌّ ولست أَدرى أَحقًّا أَنا حىٌّ أَم لست فى الأَحياء

عيد الهجرة

أكبرت عيدك هجرة المختار ... عن كل ما أُزجيه من أشعارِ[1]

عيدٌ تخفُّ له القرون جلالةً ... لمقامه المحفوف بالأسرار

خرج النبيّ الهاشميّ مهاجرا ... فيه على حذرٍ من الكُفَّار

وبجنبه الصدّيقُ ملءُ فؤاده ... حبُّ النبيّ وخشية الجبَّار

وهب النبيّ حياته وحماه من ... بطش الطغاة وعصبة الفجّار

حتّى إذا بلغ النَّكالُ حدودَه ... بالمصطفى وصحابه الأَطهار

تركوا الدّيار مهاجرين بدينهم ... مُستَبْدلين ديارَهم بديار

وأَمامهم خيرُ الأَنام وخِلُّه ... متعاطفين على أَحبّ جوَار

حتّى إذا أَمنا المكائد أَشرقت ... أَنوار أَحمد فى حنايا الغار

أَوَيَا إلى الغار الكريم فعشَّشت فوق المغار هواتف الأَسحار

والعنكبوت بنى معالم بيته ... قَدَرًا من المتصرف القهار

يشكو أَبو بكر إلى المختار ما ... يلقى فيُذكره بلطف البارى

ويقول والتاريخ ينصت خاشعًا ... قولا تخلَّد فى فم الأَدهار

«الله ثالثنا» فلا تحزن. ومَنْ ... ينصره يأْمَنْ من أَذًى وضِرَار

* * *

---

(١) أزجيه : أسوقه .

حتّى إذا سئمت قريش حربه رجعت رجوع مسربل بخسار
ومضى النبيّ إلى المدينة شاهرا سيف الهدى وصحائف الأَنوار
وأَتى الإله بنصره وبفتحه فَعَلاَ بناءُ الدين بالأَنصار
واشتدَّ حول المسلمين ففتَّحوا بهدى الحنيفة مُغلق الأَمصار
والله ناصر حزبه ومن اتَّقى بالله أَمّنه من الأَخطار

* * *

صلَّى الإله على النبي وآله والمرسلين الصفوة الأَخيار
مالاح برق فى السماءِ ومادَجَا ليل .. ولاحت ضحوة بنهار

عام ١٣٦٨

ذكرى المولد

كل حُبٍّ مصيرُه للذَّهــاب غيرَ حبِّ الشفيع يومَ الحساب

ذاك حبٌّ مصيرُهُ لبقــاءٍ وخلــودٍ ونِعْمــة وثــواب

حبُّ نبعِ الأسرارِ مشكاة نور الــحق .. مفتاحُ رحمــةِ الوهَّاب

كوكب المجد فى سماءِ الأُلوهيــة قطبُ الحقيقةِ الجذَّاب

مَوْئِلُ المذنبين فى موقف الهَوْ لِ إذا ما تأَذَّنوا بالعذاب

كعبةُ القاصدين من كلّ فجٍّ ما استقلَّت دوّاءةٌ بسحاب[1]

جاءَ كالصبح بعد ليلٍ طويل خائفٍ مُظلم الجوانح كاب[2]

فأَضــاءَ العقول بالفيصل الصّا دق من قوله الكريم الصــواب

وهداه الحكيم ... ينبوعه الوحــى.. وأخلاقه الفِساح الرّحاب

---

(١) دوّاءة : من دَوّى يدوى واسم الفاعل داوٍ للمذكّر وصيغة المبالغة دوّاء على وزن فعّال ، وزيدت تاء التأنيث وهى زيادة قياسيّة ، فيقال : خبرٌ دوّاء ، ومسألة دوّاءة بمعنى تتردّد وتشتهر . . . وقد استخدمها الشاعر فى الرياح بمعنى تحمل السحاب .

وهذه المادة لا توجد فى معاجم اللغة ، ومن هنا يقول كثير من اللغويين إن استخدامها خطأ ، ولكن عدم وجودها فى معاجم اللغة ليس دليلا على أنها غير موجودة . لأن هذا الفعل الثلاثى المجرد موجود فى الشعر العربى القديم ، إذ وُجد فيه دَوّى بالتخفيف ، يقول عنترة العبسى :

طرقتُ ديارَ كندة وهى تَدْوِى دَوِىّ الرّعد من ركب الجيــاد

فهى إذن عربية صحيحة ، ولا داعى للقول بأنها خطأ .

على أنه من القواعد المقرّرة إذا كان الفعل ثلاثيا مضعّفاً ، فلا يُعقل أن يكون المجرّد معدوماً .

(٢) كاب : متغير اللّون من غيظ أو تراب . وكاب : مُظْلم.

فى ربيع الشهور جاء ربيعاً انفوس طويلة الإجـــداب

من أَبٍ معرق النِّجار وأُمٍّ هى منه فى عـــزّة الأَحساب

كرُما منبتًا فجـدُّهما الأَعــــلى الخليل المنعوت بالأَوّاب

وَابِأَهْلِى فِدَاهما فى الصِّبا الغضِّ بريئَيْنِ من أَذًى أو معاب

لم يقيما فى الأَرض إلا قليــلاً إذ أقاما على نوًى واغتراب[1]

أَو يمتَّع كلاهمـــا بشباب أَفدح الخَطْب ميتةٌ فى الشباب

لهف نفسى عليهما وعليــه حينما خلَّــفاه فى الأَتراب[2]

خلَّفاه لليُتْم والفقر والوحـــــدة طفل الأَحلام والآراب[3]

أَتيَا الأَرض كالسّحاب إذا ما وهب الخيـــر وانثنى لغياب

كان سِرًّا باحـــا به .. ثم راحا وهو ما زال آية الأَحْقَـــاب

* * *

صـــلواتُ المـــدى عليه رضيعا خشن المُسْتراح غضِّ الإهاب

تتَحامـــاهُ أَعين الظـــئر ممّا شاع من فقره لدى الأَعراب[4]

لا أَبوه حىّ ولا أُمه الأَيْـــــم ذات اليسار والأَنْشاب[5]

(١) النّوى : التحوّل من مكان إلى آخر . والنوّى : البعد . والفراق .

(٢) الأتراب : جمع تِرْب ، وهو المماثل فى السنّ ، وأكثر ما يستعمل فى المؤنّث .

(٣) الآراب : جمع إرْب ، وهو العقْل ، والحاجة .

(٤) الظّئر : المرضعة لغير ولدها ، ويطلق على زوجها أيضا ، ج : أظئُر ، أظآر ، ظُئُور .

(٥) الأنشاب : جمع نَشَب ، وهو المال ، والعقار .

لا ولا جـدُّه وأعمـــامه بعـــــد بـأحلاف ثروة واكتساب
وســلامٌ عليــه بعد سنين مُقفِـرات كوالح الأَنْيــاب
مات فيهن جــدّه فتهــاوى صرح برٍّ وانهدّ ركن اغتصاب
ومضى المصطفى لخير الرسالا ت يبارى الحيــاة أىّ غلاب
يرتعى الشاءَ بالقليل من الأَجـــــر عفيف المُنى طهور الثياب[1]
قانع النفس مُطمئن الحنــايا قدسى الرضا قرير الرِّغــاب
يبلغ الهــزل مسمعيه فيمضى عن دواعى الهوى مضىّ الشهاب
ومن الهـزل مايميت وإن قيـ ـل بقصد السرور والإطـراب

* * *

بـأَبِى راعيــا يُطيف به الدهـــــرُ غضيضَ العينين من إعجاب[2]
بعد حينٍ يرعى الخليقة بالخيـــــر وطهر الأَخلاق والآداب
بـأَبِى تاجـرا أَمينـاً نقيًّـــا لا بذى حَلْفَـةٍ ولا سبّاب
ساكن الروح لاتطيش به البشرى صبوراً على احتمال المُصــاب
بـأَبِى خاطبًا خديجة بالأَخــــلاق غرَّاءَ كالثَّنــايا العذاب
لا بمـــالٍ ولا بجاه فما المـا ل وما الجاه غير لمـع سراب
ونجيًّــا لله فى غـاره الأَنـــــور والليل قاتم الجلباب
مُحْيِيًا سُنَّةَ الظلام بما يُلْـــهَمُ من نورِ قلبه الْمُنْساب[3]

---

(١) يرتعى الشاء : يجعلها ترعى . والشّاء : جمع شاةٍ وهى الواحدة من الضأن والمعز والظباء والبقر والنّعام وحمر الوحش (يقال للذكر والأنثى) . وتجمع كذلك على شياه.

(٢) الغَضيض الطّرْف : المسترخى الأجفان ، ج : اغضاء ، وأغضّة.

(٣) المُنْساب : الذى يذهب كل مذْهب حيث شاء.

يشرق الكون بابتهالاته البيـــض ويهتز للــدُّعاءِ المجاب

وحــواليه أُمة تعبـــد الصخـــر وتُوفِى النُّذور للأَنصاب[1]

تَئدُ البنت خشية العــار فيهم وهىفى الإرث غيرذاتنِصاب[2]

ويبيحون ما الضمــائر تـأْبا ه وعقلُ الغَوِىِّ مثل اليباب

ويعيشون كالقطيع فبعض الـــشَّاءِ راع وبعضها كالذِّئاب

كلُّ خـير مُضيّعٌ فى حِماهم كلُّ حقٍّ مهــدّدٌ باسـتلاب

ضرب الجهــل حولهمبسياجٍ من شرور وحــيرة واحـتراب

أُمّة أَقفرت عُقــولًا وعيشًــا فحماها فى الأَرض غيرمهاب

وهو فيهم كلياة القدْر فى الدهــــر وكالنور فى الظلامِ الْخابى

أَملِ الكون منذ كان وفى الغيـــب وقبل الأَكوان دون ارتياب

يفرد الحقّ بالعبادة والحبّ حنينــا للقادر الغــلَّاب

خاشــعاً والأَمين يتلو عليــه فى الحِمى القدسى آىَخير كتاب

قم فأَنذِرْ واصبرْ لحكم الإِله الــــحقِّ ربِّ العبيدِ والأَرباب

إنما أَنت شــاهدٌ وبشيرٌ وسراجٌ يهدى أُولى الأَلباب

* * *

بأَبى داعيــا إلى الله فردًا ثابت العزم كالرّواسى الصلاب

لايخاف الأَذى.. ويُؤذَى فيعفو ويُجَازِى جفــاءَهم باقْتراب

(١) الأنصاب : جمع نُصْب . وهو ما كان يُنْصب ليُعبد من دون الله .

(٢) تئد : تدفن بناتها وهن على قيد الحياة .

وينيرُ القلوب بالقول والفعـــل حَيَّ السُّؤال عَفَّ الجواب

ويُحبّ المستضعفين ويُعطى عطفـه للفقـير دون حساب

يلتقى الكائديه باللين والحلـم وخفض الجناح والتحباب[1]

همُّه أن يتم ماجاءَ للنا (م) س به من هدايـة وَمَتَـاب

فإذا تمّ للرسـالة ما يرجو فما دون ذاك مَحضُ خِلاب[2]

* * *

ويتمّ الهـدى ويعلو صـداه ويعمّ الإسـلام كلَّ الرحاب

ويقول التاريخُ هذا الذى جمَّـل وجْهَ الزمان بعد اكتئاب

فينيرُ الوجودَ بعـد ظـلام وتقَرّ الحياة بعدَ اضطـراب

ويعمّ السلام والحـق والعدْل وتُمْحى فوارق الأنساب

فبنو الأَرض فى الحقـوق سواء الرءُوسُ الشَّمّاءُ كالأَذناب[3]

ليس لِلْيَعْرُبىِّ فضل على الأَعْـجم إلا بسعيه لِلْمَـآب

وبغـير التقـوى العزيزُ ذليل وبها العبـدُ مُسْتعزُّ الجناب

* * *

هكذا عاش سيِّدُ الخَلْق طرًّا والأُلى بعدَه من الأَصحـاب

---

(١) الكائديه : الكائد : اسم فاعل من كاد بمعنى مكربه وخدع ، أو حاربه وأراده بسوء ، واسم الفاعل مضاف إلى الضمير من إضافة اسم الفاعل إلى مفعوله . وأصل التركيب « الكائدين له » ، ومن ثمّ فإنه لم يلحق ألْ بالمضاف إليه ، لأن المضاف وصف جمع ، وهذا جائز فى اللغة العربية .

(٢) خلاب : خداع .

(٣) الشمّاء : المترفّعة المتكبّرة .

عصموا دينهم وشادوا فسادُوا وأنـــاروا الطريق للأَعقـــاب

وخلفنـــا من بعدهم فهـــدَمنا ما أَقاموا للمجـــدِ من أَسباب

وافترقنا إِلى طوائف لا تحـــــفل إلا بالغُنْم والأَسْـــــلاب

كلُّ حِزبٍ بما لَديهم قـــريرٌ يا لَقـــومِى من كثرة الأَحْزاب

داؤُنا الدَّاءُ والدَّواءُ لدَينـــــا فى هدَى المصطفى ونور الكتاب

غير أَنَّا بعْنا الكرامةَ بالذُّلّ (م) فذُقْنـــا المُصابَ بعد المُصَاب

وإذا لم يراقب اللّهَ قـــومٌ جعـــلَ اللّهُ سعيهم فى تَبـــاب

* * *

إِيه يا قلبُ والذنوبُ كبـــارٌ والمنايا كثيرةُ الأَســـــباب

ضاع عُمـــرى يا حسرتاه عليه فى فتونى وشِقْوَتى واضطرابى

لم أُقدِّم خيراً ولم أَبغ وجه الله (م) فيما أَنفقتـــه من شـــبابى

ليس فى صفحتى من الخير إلا أَملى فى رعاية التَّـــوَّاب

غافرِ الذنب قابل التَّوْبِ مَوْلى الـ

فضلِ كهفِ المَحْروب والمُنْتَاب[1]

مُلْهِمِى يوم لا رجاءَ رجـــائى حين أُعْطَى كما يشاء كتابى

أَنا إن كنتُ قدْ أَسأْتُ فإِنى بَشَرٌ أَصلُ خلْقِه من تراب

ما اقترفت الذنوبَ إلاَّ لجَهْلى ولحُمقى وحيـــرتى واحتجابى

---

(١) المحروب : من سُلب ماله وترك بلا شىء . والمُنْتاب : مَنْ أصابه خطبٌ أونزلت به نازلة .

ولأنى أطعت نفسى وعظّمـــت أمـانى شيطانها الكذّاب

ولقـــدْ عُدْتُ يافؤادُ فلا تـأ ... سَ على مافقدْته من طِلاب

كلُّ مافاتَنـا متاعُ غـــرور ... فاصنع الباقياتِ قبل الذهـاب

ولنـا فى الشفيع أقوى رجاءٍ ... إن هَوَتْ كِفَّتى لفقـر ثـوابى

طُفْ بِوَادِيه فى خُشوعٍ وذلٍّ ... وتمسّح بأطهـر الأعتـــاب

قل لخير الأنام حُبُّك حَسْبى ... يا مناطَ الآمالِ يومَ المـآب[1]

بك أرجو مع الوســيلة قربى ... من جناب أكرِمْ به من جناب

كلُّ من فيه أنبياءٌ ومختا ... رون قدماً من صفوة الأحباب

ويقينى بذى الجـلال يقينى ... فهو سبحانه العليم بما بى

(١) المنَاط : موضع التّعليق ، ويقال هو منى مَنَاطَ الثريّا : شديد البُعد ، وفلان مَنَاطَ الثريّا : شريف عالى المنزلة .

الصديق [1]

أملٌ لا يزال فوق المـــرام فهو وهمٌ كسائر الأَوهـــام
شابت الأَرض وانحنى كاهل الدهـــــر وسرّ الصديق طيّ المعامى [2]
فهو مازال كالأَساطير .. حلم حائر فى الشفاه والأَقـــلام
غير أَن الخيال أَسعدَ قَوْمـــا فأَفاضوا فى وصفه بالتسامى
والخيالاتُ كالحياة .. حظوظٌ والأَمانى وليـــدة الآلام !
وضحايا السَّراب والمثل العلـــيا يضيعون فى ضجيج الزحام..
حدّثوا أَنَّ مِن مَعَانيه ـ لوكـــا ن ـ حنانَ النَّدى وطهرَ الغمـــام
وجمال الصباح تتْلو عليه الطيـــــر ما ألهمته روح الظَّلام . ! !
وانعطاف الغصون رنّحها الشو ق إلى دافقٍ من النور . . هام [3]
ومراح العبير يفضى إلى الرَّو ض بأَسرار قلبه المستهـــام
وانطلاق النسيم يحبو إلى الزهـــــر حيىَّ الخُطا عفيفَ الغرام

---

(١) قيلت هذه القصيدة فى أحد أصدقائه الذين كان يوليهم عطفه كل الولاء ، ثم حدث بينه وبين هذا الصديق سوء تفاهم كما يحدث بين الأشقاء ، فانهدم قصر المثاليات فى نظره وارتدى نظارة سوداء وقال لعبد المقتدر خطّاب سأنظر إلى الحياة من خلال هذا المنظار حتّى لا يرى عينى أحد .

(٢) الكاهل من الإنسان : ما بين كتفيه أو مَوْصل العُنُق فى الصلب ، ويقال فلانٌ كاهل بنى فُلان : مُعْتَمَدهم فى المُلمّات ، وإنه لشديد الكاهل : مَنيع الجانب .

(٣) هامٍ : اسم فاعل من هام يهيم هَيْماً وهَيَمَانا : تحير واضطرب وذهب كل مذْهب .

وصفاءُ الأَصيل تنسجم الأَلـــوان فى راحتيه أَىّ انسجام

وجـــلال الدّجَى ترفَّــه حتى ليُحسّ النّمـــاء فى الأَكمام

حدَّثوا أَنّ من معانيه معنى جلَّ هذا المعنى عن الإِعظام

فهو إن أَخلص الأُخوّة والحبّ (م) سما عن أُخوّة الأَرحـــام !!

وإذا حقق الوفــاء تجلّــتْ رحمة الله فى قلوب الأَنام !

صدقوا وصفه ولم يصدق الدهـــر مُنَاهم فضاع سحر الكلام

وجرينا خلف السَّرابِ وعُدنـــا بعد حين بالأُمنيات روامى[1]

ذهب الصدق والصديق فدُنيا النَّا (م) سِ دُنيا الذِّئـــاب والأَغنـام

كم صديق محّضتــه الوُدَّ صرفا كان أَقسى علىَّ من أَيّـــامى

وصديق سقيتـــه من حنانى فسقانى كؤوس عيشٍ زؤام

وصديق جعلت نفسى فــداه ذائِدًا عن حياضه بسهـــامى

ثم مال الزمان يومًا بحظّى فإِذَاهُ فى الرَّوع أَوّل رام .. !!

وصديقٍ حميته من ضيـــاعٍ فبنى صرحَ مَجْده بحطامى !

وصديق جعلتُ أَهلى له أَهـــلاً وعطفى لأَهلــه وسلامى

وجعلتُ الوجودَ جنَّة قلبيـــن يعيشان فى ظلال الوئام . !

فحياتى حياته فى المعانى الْـــآدَميَّات والوجود السَّامى !

---

(١) رَوَامى : جمع رَامَةَ ، وهى موضع بالبادية ، وقد يُثنُّونه باعتبار طرفيه ، وفى المثل : « تسألنى برامتينْ سَلْجما » يضرب لمن يطلب الشىء حيث لايوجد ، ولكن الشاعر تصرّف فيه أكثر من تثنيته فجمعه جمع تكسير .

كان بيتى مقامه .. ومتاعى   فى يديه .. وزادُه من طعامى
لم أخُنْه بالغيب .. بل خنتُ نفسى   وهدمتُ البناء قبل التمام . !
حين أطلعته على كل سرٍّ   غاب إلا عن ربِّىَ العــلاَّم !
كان يرضى فتستحيل حياتى   فرحة عبقريّــةَ الأنغام !
فإذا ما بكى .. ففى ذمّة النِّسْـــيانِ أحلى الأفكار والأحلام
ثم وَلَّى .. فلا تسَلْ كيفَ ولَّى   وسَلْ الدهرَ عن ضحايا اللئام
وإذا ما سألتنى .. مَنْ صديقى   بعد طول التجريب والإحكام
فهو من لم أُطعمه زادى ولم أُلْــــبِسْهُ ثوبى ولم أُقاسمه جامى[1]
وهو من لم أبحْه سرى ولم أُعْـــلمه أمْرى فى ثورتى ونظامى
وهو من لم أَهبه حبى ولم أُســـكنه قلبى .. ولم أُعِرْه اهتمامى
وهو حلم .. كهذه الأحـــلام   وهو وهمٌ .. كسائر الأوهــام
شابت الأرض . وانحنى كاهل الدهـــر   وسرُّ الصديق طىّ المعامى
وستفْنى الدنيا .. وتجرى النهايا   ت .. وتطوى صحائف الأيــام
وهو مازال كالأساطير . لفظ   حائر فى الشفاه والأقـــلام
والأحاديث عن وجود صديـــق   كالأحاديث عن وجود السّلام

١٩٤٩/٣/٥

(١) جامى : كأسى.

ابن عمى [1]

ابن عمِّى مات ... فامضوا بى إلى قبر ابن عمى
ودعــــوا همى فقد ودّعتُ منـــــذ اليـــــوم همّى
غير ماجـــدّ من المـــوت الـــذى آذن قـــــومى
فرماهم ورمـــــانى .. ومضى .. ماشـــــاءَ يــــرمى

* * *

ابن عمى مات .. ما بين صبـــــــاح .. ومســــاه
مات والأَحــــــلام تجلـــــوه .. كما يهــوى هــواه
مات .. والنعمة والقـــــــوة فيــــــه .. والحيـــــاه
فدعونى من هـــــوى الدنيا .. وعزُّوا من نعـــــاه

* * *

أَيهـــــا الخلاَّن .. والـــرَّاحة .. والموت .. هنــــا
أَين من كان يرانـــــــا ونــــــــراه معنـــــــــا
أَين من كان يحـــــاكى نَضْرَةَ الدنيـــــا لنــــا
غيّبَ التُّرْب سنـــــــــاه وهـــــــو فى أَعيــــــننا

* * *

---

(١) صُدفت الشرنوبى كان من جلساء الشاعر وكان يؤثره الشاعر بحبه وإخلاصه .

أيها الرّاحــــلُ والغبْراءُ قبــر .. فـــوق قبرِ
أَيها السّــاكن .. والموكب بالأقــدار يجــرى
أَدْنِنِى منــــك .. على قربك من سرٍّى وجهــرى
أَدْنِنِى منك .. فما أَدْرِى .. بما أَصبحت تــدرى

* * *

أَدْننى منك قليــلا وادْنُ مــن روحى قليــلا
إن لى فيك رجـــاءً ورجـــائى أَن يطُـــولا
فلقد صاحبتُ - مُــذْ فارقتنى - الصبـــرَ الجميلا
وبقلــــبى من تباريحك نـــار لن تحـــولا[1]

* * *

أَيهـــا الراحل . . ماذا بعـــد فقـــدان الحيـــاه
ما الذى بعـــــد انْعِتاقى يعــلم الله مـــداه[2]
بعد أَن يجـــــرى قضـــاء شاءَ أَن يجرى الإلــه
حار فيـــه كلٌّ من دبّتْ عـــلى الأَرض خُطـاه

* * *

بعد أَن يطبق جفنى وترى الظلمـــــــة عينى
ظلمة المــوت الــذى ماذقتــــه إلا بظـــنٍّ

(١) التّباريح : الشّدائد ، وتباريح الشّوق : توهجه .

(٢) انْعتاق : خروجى وتحرّرى من الدّنيا .

ظلمةُ الفقــــد الذى ييأَسُ فيـــــــه المُتَمَنِّى
ظلمة البيْن عن الدنيـــــا .. وعن نفْسى .. وعنِّى

* * *

ما الذى بعـــــد انْعِتَاقى وزَوَالى عــن رِفـــاقى
أَين أَمضى ؟ وإلى أَين ؟ .. وقد فُكَّ وثـــاقى
سيصلُّون على روحى . . ويبكـــون فِـــراقى
ويقـــولون إلى الله .. شبابًـــا فى البـــواقى

* * *

سيقـــولون إلى الله .. شبابًـــــا وكهـــولا
ويبكُّـــون كثيـــرًا ظنـــه الناس قايـــلا
شاعرًا عاش .. ولم يصنــــع بما قـال جميـلا
غير أَن يرثىَ ماكان .. ويرجـــو المستحيــــلا

* * *

شاعرا عاش كما شـــاءَ الذى الأَقــدار أَمــره
والــذى يلطف بالعبـــد .. فما يُغْلب صبـــره
والذى لاشىءَ إلا عنـــده يطلـــب ســـــرَّه
والــذى الرحمـــة من أَوصافـــه .. والقهر قهره

* * *

أَيها الرّاحـــل - والدنيـا بما فيهـا .. تهـون
حينما أذكـر .. ما تصنـع بالنـاس المنــون
الرّحى الشَّمْطَاءُ .. لا تفتأُ تجريها السنـون
والبرايا بين شدقيهـا .. قلوب .. وعيـون

* * *

شغلتنى عنك أَحـزانى .. فلـم أَشهـد سـواك
ورأَى وجهــك أَهلونــا .. ومولاك يــراك
وجـــرى نعيك فيهـم وتولَّتك الْبَــوَاك
وأنا أَجهل ما تخفيـه من حــرّ أَســاك

* * *

ذقتُ فى موتــك ماذقت .. وما زلت صبـورا
وأَرى نعيك أَعمــانى .. وقــد كنت بصيــرا
وبعــادى عنك أَنْسَــانى .. وقــد كنت ذكورا
غير أَن أَبكىَ مَنْعَــاك .. وأَستوحى القبـورا

* * *

طبت فى مَثْـواك ما شـاءَ الرحيم المستعــان
وعلى دارك غفــران ..ونــور .. وأَمــان
وعلى أَكْبَادِنــا بعــدك .. ســلوان الزمــان
أَيها الخالـد .. لا تغنى لمعنــاه .. معــان

ياقلمى

أَصَامِتٌ أَنت أَم نشوان يا قلمى ؟

أَم أَخْرَسَتْكَ الليالى السافحات دَمِى ؟[1]

أَم غِيضَ نبْعُ الأَمانى الحور فانطمَسَتْ

آيات نورك فى داجٍ من الظُّلم ؟ [2]

أَم ودَّعَ الخافِق المسكين صبوته

فنام عن دهره .. والدهر لم ينم ؟

أَم أَنَّ عهدى بأَحلام الشباب مضى

وكنت ترجو شبابى دائم الحلم ؟

وأَىّ حـــالٍ على الأَيَّام باقيـــة ؟

أَم أَىّ عهد شباب غير منصرم ؟

أَفديك مادار فى وهمى ولا خلدى

أَنى سأُلقيك بين اليأْس والندم ؟

---

(١) السّافحات : جمع سافحة وهى التى تسفك وتُريق الدم أو الدمع من سفَح الدم أو الدمع يسفَح سَفْحاً وسُفوحاً: سفَكه وأراقه .

(٢) غيض نَبْع الأمانى : أى اختفى وامّحى . الحُور : جمع حَوْراء ، وهى البيضاء من النّساء ولا يُقْصد بذلك حَوَر عينيها .

بالأَمس كنت مثير النقع فى بلد
ألقى إلى الزمن الباغى يد السلم
واليوم لاذاقت الأَقــلام مابرحت
تسقيك دنياك من حزن ومن يتم

* * *

كم ليلةٍ يا شهيد الصمت حالمــة
رصَّعتها بالدَّرارى البيض من كلمى[1]؟
حَاكَى صريرُك فيها كلٌّ ماسمعت
أُذْنَ الحياة من الأَصوات والنغم[2]
حكيتَ شدْوَ القمارى فى تَهجّدها
تبيت تبعث نجواها مع النَّسَمِ[3]
ولوعةَ البلبــل المهجور أَلْبَسَــهُ
بعد الأَحبّــة أثوابًا من السَّقم
صحبْتَنى فى زمانٍ مَلّ صاحبــه
فمــا تغيّر ما أَحببت من شيمى
صحبتنى فى غــرامى والهوى قسم
وما حَبَــانى إلا أَيسر القسم

(١) الدرارى : جمع درّىّ ، وهو الكوكب المندفع فى مضيّه من المشرق إلى المغرب .
(٢) الصَّرير : الطّنين .
(٣) القَمَارىّ : جمع قُمْرىّ ، والأنثى قُمْرِيّة ، وهو ضربٌ من الحمام مُطَوّق حسن الصوت . ويجمع كذلك على قُمْر .

فكنتَ صاحب سرِّى فى رِضاً وقِلًى

وأقرب الناس عن شكواى فى صممِ

أشكو إليك فتصغى لى .. وتكتب ما

أُمْلِى عليك أمينًـا غيرَ مُتَّهم

وكنتَ لى فى صراع الدّهر مُعْتَمَدًا

فى حالة الْوَفْر أو فى حالة العـدم

لم تبغِ أجرًا عَلَى الحالين من أحد ..

ولا خشيت الأَذى من ظالمٍ غشم

وكم رسمت لأَخلاق الورى صُوَرًا

مَزَجتَ أَلوانهـا بالماء والضَّرم

والنـاس لولا سجاياهم سواسيـة

وأَكرم الناس أَوْفَى الناسِ بالذِّمم

فمـا سئِمْتَ وقـد شاركتنى مِحَنى

ولا برمْتَ وقـــد قاسمتنى أَلَمى

وكم أَخى رحمٍ أنستـه شهوته

ما قالت الكتب والأَخلاق فى الرَّحم

* * *

يا صاحب الأَمس .. ما للأَمس مُرْتَجَعُ

والذِّكريات تعيد الرُّوح فى الرِّمم

والأمس عمرى .. فيومى لم يُرَمْ .. وغَدٌ

غيبٌ .. وتأْمِيلُه ضربٌ من الوهم [1]

ومِلْءُ قلبى أمانٍ مهدُهــــا نضِرٌ

زُغْبُ الحواصل لم تنهضْ ولم تقُم

وأنت قد تذكرُ الماضى .. وما وأدت

كَفَّاه من أمــل غالٍ ومن همم

وقــد تقول احترقنا لهفةً وأسىً

ولم يعد ما طوته راحةُ العــدم !

رحماك رحماك .. لولا بَرْحُ عاصــفة

من الحنين إلى دنياك لم أهم !! [2]

ولى مع الفنِّ ميثاقٌ بــدأْتُ به

عمرى .. وأعطته روحى أعظم القسم

أخــلصت للفن حتى خاننى زمنى

فكيف أنساه والميثاق ملءُ فمى

عَوْدًا إلى الدّوحِ يا صدَّاح .. منطلقا

واسلك طريقَ العلا .. إن العلا حامى

قدعشتَ فى السَّفحِ حتى ضِقْتَ بى وبه

فما وراءك إلا شامــخ القمم !!

١٩٤٩/٤/٢٧

---

(١) التأميل : الترقب والرّجاء .

(٢) البرْح : الشّدة . والعذاب الشديد . ويقال « لقىَ منه بنات برْحٍ »: الشّدائد والدواهى، والبَرح : الأمر المدهش المعجب .



١٩٤٩ - ١٩٥٠

أنا فى شعرى

أَنا فى شعرى .. وشعرى قصَّتى لست فى جسمى .. ولا فى رسمهِ

بين كفَّيك وجـودى خافقا وفـؤادى .. غارقا فى دمه .َ !

ويح لى منه . . ويا ويح لـه ولمن يسبح فى عَيْلَمِه[1] !

ربَّمـا أَحزننى فى فـرحتى وشـدوتُ اللحن فى مأْتَمِه ! !

(١) العَيْلَم : البحر . والبئر الغزيرة الماء ؛ ج عيالم .

اليها [1]

« إلى التى لا أزال أغمرها بحبى وهيامى
وأشواق . . إلى تلك التى لا أدرى متى
أراها .. والتى يخيل إلىّ أحيانا أنها تخاطبنى ..
وتصلنى وتهجرنى . . وتــكتب إلىّ . . .
أنا فى يديك صحيفة
بيضاء فاكتب ما بدا لك . . .
وأكتب إليهـــــا . . . »

أُخت أَحلامىَ الذواهب ... مرحى
بخيالاتك التى فى خطــابك[2]
حــدِّثينى وأكثرى .. واعــــــذرينى
إن نَـأَت بى الأَحــداث عن محرابك

* * *

حدِّثينى عن كلِّ شىءٍ سوى الحبّ .. فإنى أَصبحت أَكره ذكره
واســأَلينى عن كل شىءٍ سوى الحب .. فإنى أَصبحت أَجهل أَمره

* * *

حدّثينى ولا تظنّى بىَ الظنَّ .. فما زال لى فــؤاد يحنّ
لاتقــولى إنى فقــير إلى الحبّ .. فذكراه فى فؤادى تئــنّ

* * *

(١) تمثّل هذه القصيدة شفافية الحب وروحانيته وتخلّصه من النوازع الأرضية .

(٢) مَرْحى : جمع مَرِح ، وهو اشتداد الفرح والنشاط ، أو التبختر والاختيال . ومَرْحى : كلمة تعجب تُقال للرّامى إذا أصابَ .

أنا كالناس غير أنّي عرفت الحبَّ معنى من السـماء عليّـا
وهمو يعرفونه . . شهواتٍ وَوجـودًا مُدَنَّسًـا أرضيًّـا

* * *

حدّثيني عن كلّ شيءٍ سوى الحبّ فإنى لم أَلق فى الناس حُبّـا
وإذا شِئتِ أن نكون حبيبين .. فلا تجعلى شبابك ربّـا

* * *

اعبدى فكرة من النور ... عليا
تستثير الخيـال والوجـدانا
نحن لم نأْت للحيـاة لنـفنى
ثم تفنى من بعـدنا ذكرانا

* * *

نحن جئنا لنعبد الله فى الكون .. وإنست عبادة الله لهوا
إنها أن نذوب فى كل معنى من معانى الوجود . . يخلق صفوَا

* * *

دُونَك الغـانيات فى كلِّ أَرض
فانظرى . . كيف عِشْنَ للشهوات ؟[1]

(١) الغانيات : والغوانى : جمع غانية . وهى مؤنث الغانى . وهى المرأة الغنيّة بحسنها وجمالها عن الزّينة .

والرجال الرجـــال . . أَعماهم الطيـ

ن فتـــاهوا فى عالم الظُّلمـــات

* * *

وإذا شئتِ أَن تكونى ابنة الطيـ ن.. فلا تطفئى سراج وجودى

وإذا شئتِ أَن تكونِى كما أَهـ وى فغَنِّى معى نشيد الخلود

* * *

هاهنـــا . هاهنـــا حيـــاة المعـــانى

طهرت من حقـــارة الإِنســـان

هـــذه أُمُّنا الطّبيعـــةُ لم يطـ لق سواها من القيود كِيانى[1]

* * *

هاهنـــا التعبـــد الإِلهى مُذْ كا

ن وكُنَّا . . فى عالم الأَســـرار

تخشع النفس فى حمـــاه .. وتحلو

سبحـــات الأَرواح والأَفـــكار

* * *

كلُّ شىءٍ هنـــا يمثّـــل جـــزْءًا

من كِيان الخليقـــة اللّانهـــائى[2]

---

(١) الكيان : الطبيعة والخليقة .

(٢) اللانهائى : غير المتناهى .

هــذه الحبّةُ الضّــئيلةُ تــروى
قصّــة السنديانــةِ الشَمّاءِ ! [1]

والْفَرَاش الوديع فى جِـرمه الْوَا
هِن كالنّسر فى رحــاب الفضــاءِ [2]

ووراء الأَشــياءِ .. روح تُلبِّى
رغباتِ الحيــاةِ . . فى الأَشــياءِ

* * *

حلــوة هـــذه الطَّبيعــة كالحــلْ
م . . إلٰهيّــة كطفل جميــل

كل حين .. تجلى بثــوب جديد
من أَعاجيب فنِّهـــا مغــزول

* * *

كلّما جئتهــا وعنـــدى ســؤال
جاءَنى حسنهـــا بأَلف جواب

---

(١) السنديانة الشماء : السنديانة : شجرة من شجر الأحراج ، غليظ السّاق . متين الخشب . الشماء : المترفّعة المتكبرة .

(٢) جرْمه الواهن: الجرْم : الجسَد ، ج أجْرَام . جُروم ،وجُرُم ، وجرْم الصوت :جهارته . الواهن : الضّعيف.

وإذا ضقتُ ساعة بمصاب

فلديها تفريج هذا المصاب

* * *

فدعى النَّاسَ يحلموا بالأَعاصِيـ

ـرِ . . وحيِّى معى حياةَ السّكون

وتعالى .. فبادليني صفائى

وعن الصّبر والرّضا حدثيني

* * *

حدثيني عن كل شيء سوى الحبّ (م) فإني لم أَلق فى الناس حُبّا

وإذا شئت أن نعيش سعيديـ ـن .. فلا تجعلى شبابك ربّا

صلاة الشمس

سبّحي يا شمس باسم الخـالق وٰاسكبي نورك فى كل مكان
وإذا قبّلت وجـه المشرق فاقرئى للنيـل تاريخ الزّمان

* * *

هاهنا يا شمس مجـدٌ لم يزل صـوته يملأُ أَسماعَ الليالى
أَيقظ الدنيا صـداه فى الأَزل وله عاش الفراعين الأَوَالى [1]
نيلُنـــا بارك الله عــلاه ورعــاه
مجــدُنا سار فى أنواره ركب الحياه
ســاحر الأَضواءِ زاهى الأُفــق يتغــنَّى باســمه كلٌّ لســان

* * *

حــدّثى النيل المجيد الأَعظما مَسرح الدهر ومحراب الخلود

---

(١) الفراعين : جمع فرْعون . وهو ملك مصر فى التاريخ القديم .
الأوالى ، والأوائل ، والأولون : جمع الأوّل ، ومؤنثه أُولى . ج : أُوَل . وأُولَيات . ضدّ الآخر . وإذا جعلت الأول صفة لا تصرفه فتقول لقيته عاماً أوّلَ . وإذا لم تجعله صفة صرفته فتقول : مارأيت اه أولا ولا آخراً .

واسألى مصرَ وناجى الهرما آية العلياء فى سِفر الوجود
حدّثيها كيف صلَّى الدّهر فى محرابها
واسأليها كم شدا المجد على أبوابها
كلّ لحنٍ بالأمانى خافق ودّ لو دام صداه الخافقان[1]

* * *

حدّثى يا شمس عن تاريخنا مُذْ شهدْتِ الدهر طفلا وغلاما
كم شعوب قبست من نورنا فكسوناها خلودا وسلاما
كلُّ مجدٍ لمحة من مجدنا العالى التّليد
كلُّ خالدٍ نفحة من خلدنا السامى المجيد
كلّ تاريخ عظيم مشرق قد وعاه ورواه الهرمان

---

(١) الخافق : المتحرّك المضطرب . من خفق يخفق بمعنى اضطرب وتحرّك . والخافقان : المشرق والمغرب . لأن الليل والنهار يخفقان فيهما .

خمس وعشرون عاماً

« ٢٦ مايو سنة ١٩٢٤ »

« ٢٦ مايو سنة ١٩٤٩ »

خمسٌ وعشرون عامــا مرّت سَحَاباً جهَاما[١]

فما زرَعنَ صــــفاءً ولا حصـــدْن سلاما

وما زرعن سوى اليــأْ سِ ناضرا بسّــاما[٢]

ولا حصدْن سِوى العمـــــر أَنجمًا تترامى[٣]

يدور رأْسى إذا ما حســبتها أيّــاما !

وأَفقـــد العقل إمّــا حســبتها أحــلاما

مشيتُ فيها على الشَّـــوْ ك لا أَمــلٌ اعتــزاما

أُكافح الحقدَ .. والْحَا قــدين .. والأَوهــامــا

واليأْسَ..والبؤسَ .. والهــــمّ .. والأَسى .. والأَنَاما

وأَجْبَـــهُ الدهــر فردا ذا مِرّة .. مقْــداما[٤]

أَسْــقى المنايا منــايا من همّتى .. وسِماما[٥]

(١) الجهَام : السّحاب لا ماء فيه .

(٢) النّاضِر : الحسَنُ المُشرق ذو البريق الصّافى .

(٣) الأنجم : والنِّجام ، والنُجوم : جمع نَجم أحد الأجرام السماوية المضيئة بذاتها . .

(٤) ألمِرّة : القوّة ، والعقل أو شدّته ، والأصالة والإحكام ، ج : مِرَرٌ ، وأمْرار .

(٥) السِّمام ، السُّمُوم : جمع سُمّ ، كُل مادّة سامّة . .

وكُلَّمـــا راشَ دهرى سهما .. بريت سِـــهاما

وكلَّما اعــوجَّ رمْحِى قَــوَّمته .. فاســتقاما

لايعرف الخوفَ قلبِى ولا أَهــاب انهــزاما

ولا أُبالى جرى الحظُّ (م) مُـــدبرًا أَم أَقــاما

مادام عزمى جليــدًا على الزَّمان .. هماما[1]

ومِلْءُ ثوبِى من الصَّيــــــدِ أَرْوَعٌ .. لا يُسامَى[2]

حلبتُ دَهْرِى وحظى فما بلّلت أُوَاما ![3]

ولا اصطنعتُ خُلُــودًا ولا ادَّخَــرْتُ حطاما

* * *

خمس وعشرون عاما ذابت جوًى وسقاما[4]

تهوى على أُمِّ رأْسى حِجارة ورِجَـــاما ![5]

كأَنمـــا ترجُمُ النُّـــو ر فيـــه .. والأَنغـــاما

وتلتظى فى حيــــــاتى سحبا تفيض ضراما[6]

لم أَدْر فيمَ تولَّت وكيفما ... وإلى مَا

---

(١) جلَيد : قوىّ صابرٌ على المكروه . .

(٢) الأرْوع : الذّكىّ الفؤاد المعجب بحسنه وشجاعته ، ج ؛ : رُوعٌ .

(٣) الأوام : حرارة العطش ؛ يقال فى جوفه أوَامٌ وأوار .. والأوام كذلك : الدُّوار .

(٤) الجوى : ضيق الصدر من داءٍ لا يكاد يُبين عنه اللسان ، وهو أيضاً اشتداد الوجْد من العشق أو الحزن ..

(٥) الرّجام : جمع رَجْمة ؛ وهى حجارة تنصب على القبر .

(٦) تلتظى : تلتهب وتتوقّد ، والضِّرام : الاتقاد والاشتعال .

وســوف أبلغ حيني كما بلغت الفطاما[1]
والجهــلُ آخر علمي وإن دُعيتُ الإْمَامَا

* * *

سئمتُ ذاتى وظــلّى وصَبْوَتِى.. والغراما[2]
وصــار أقصى أمانىّ (م) أن أذوق الحِماما[3]
وبات عيشى على الأر ض محنــةً وغــراما
سئمت حتى التمنّى ! والدّمــع والإبتساما
والأرض والسّــاكنيها والأُفــق .. والأجــراما
والحسن والعاشــقيه والزهــر .. والأنســاما
والشعر .. والفكر . .والفنّ ... والهــوى والهياما
والليــل يشبه حــظّى والنور يحكى الظلاما
فلست أطلب شيئاً مهما دنا .. أو تسامى
وما أُريد حــــلالًا من المُنى .. أو حراما
حسْبى وفوق مُــرادى ألاَّ أُطيــل المُقَــاما
وأن أرى لحيـــاتى نِهايةً .. وختــاما

* * *

ياربّ لازلت حيًّــا أُصـــارع الأيّــاما
أَطْفو على السطح.. ظِلاًّ من السكون مقــاما

(١) الحين : الهلاك . .
(٢) الصّبوة : الميل للّهو ، أو الحنين والتشوّق إلى الحبيب . ج : صَبَوات . .
(٣) الحمام : الموت . .

وأسكنُ القـــاع روحًا معـــذَبا مُسْتهاما [1]
لا يرحم السَّطح ضعفى ولا يقينى انْحطـاما [2]
ولا أرى لىَ فى الْقـــا ع مضجعاً .. أو مناما [3]
ولى من الأَرض قبْـرٌ سيحتــوينى رِماما [4]
لابدّ منه . . وإن طا ل بى المقـــام وداما
ياربّ .. فاقض على شِقو تِى وهــبْنى الســـلاما
وفى يــديك زِمــامى فلا تمدّ الزِّماما . ! ! [5]

* * *

ويا رفـــاق حيـــاتى وصــفوتى . . والنَّدامى
دنا الرحيل .. فلا تقـ طعوا لعهــدى ذِماما [6]
وإن جزعت .. فلا تُسْـ رفوا علىّ مَـــلامًا [7]
وإن مضيتُ فـــلا تذ رفوا الدموعَ السِّجاما [8]
خفُّــوا إلى حمل نعشى وألبســـونى القتاما
وأشــيعونى وداعـــا وحطّمــوا الأَقْـــلاما

---

(١) مُستهاماً : هائماً .
(٢) انحطاماً : تكسُّرا وتهشُّماً . .
(٣) المضْجَع : موضع الضّجوع ، والضُّجوع : وضْع الجنْب على الأرض أو نحوها .
(٤) الرّمام : جمع رِمّة . وهى العظام البالية .
(٥) الزّمام : الخيط الذى يشد فى البُرة أو فى الخشاش ثم يُشدّ إلى طرف المقوَد ، ج : أزِمّة ..
(٦) الذّمام : العهد والأمان والكفالة ، والحقّ والحُرْمة ، ج : أذمّة . .
(٧) المَلاَم : العذْل والعتْب ، ج : ملاوِم . .
(٨) السّجام : الكثير ..

وتوّجوا بالأَقاحى جبَّانتى .. والخُزامى[1]
واستغفروا لى فيَا طَالما اقْتَرفتُ الأثاما
ولم أُرَاقبْ لجهلى الواحد العلّاما

* * *

فإن مررتم بقبرى مسلّمين لِمَامًا ![2]
فلم أَحيّ صديقا ولم أَردّ سلاما
فلا تقولوا طواه الْبِلَى رحيقا وَجَامًا
فربّما كان موتى بعثًا .. وصمتى كلاما
وربما صار جسمى تحت الرّغام رغاما[3]
وذبتُ فى الطّين طينا فما أُريد انْقِسَامًا
وإن جعلت الدياجى كأْسا .. وصمتى مداما
فلا تثيروا ظُنُونا ولا تديروا اتّهاما
وودّعونى خفافا كما أَتيتم .. كراما
ولا تزيدوا زحام الْقُبُورِ حولى زحاما
ولا تقولوا فقدنَاهُ فى الخطوب حساما
أَومات .. لم يقض حقًّا ولم يبلغ مَراما
فحسْبُ حىٍّ شقاء خمس وعشرون عاما

(١) الخُزَامى : عُشبة طويلة العيدان ، طيبة الريح ، فيها نورٌ كنورْ البنفسج ، وليس فى الزهر أطيب ريحاً منه . .

(٢) اللّمام : اللّقاء اليسير . (٣) الرّغام : التراب ..

حياتى [1]

الحمد لله علـى ما قضى | والشكر لله علـى ما أمرْ
فما أظنّ الأرض تحوى فتى | وجوده قد كان إحدى الكُبَرْ
مثل فتى يدعونه شاعـرا | وما بغير الموت يومًا شعر
حياتُه ليلٌ دميمُ الـرؤى | مروّع الأشباح .. كابى الصُّوَر [2]
تفترس الأحداث آمالـه | وترتوى من دمهـا المنهمر
أحمق منـه وهـو يبنى المنى | تلك المنى إذ تتحدّى القـدر

* * *

أتى فلم يَفرح بميـلاده | إلا نديمـاه الأسى والفكر
حيران لا يعرف عن نفسه | إلا كما يعرف هـذا الحجر
يبكى بلا دمع وفى قلبـه | ما يُغرق الدنيـا إذا ما انفجر
وربّما زان له ضعفـه | أن يشتكى آلامـه للبشر
لكنّـه يخشى مواساتهـم | فى محنةٍ .. الصبر فيهـا انتحر
فينطوى .. والله أدرى بما | يثـور فى بركانـه من شرر
لا يعرف الصبر .. ولكنه | لمّـا رأى طول الظلام اصطبر

---

(١) « تمثل هذه القصيدة هدنة نفسية فى أحضان الإيمان » .

(٢) دَميم الرّؤى : قبيح الرّؤى ، ج : دِمَام . كابى الصور : أى متغير الصور من غيظ أو ظلام فى الرؤية .

بين أمانيـه .. وبين الرّدى عهد قديم العهد .. باقى الأثَرْ
فكلما رفّ علـى أُفقـه ضياؤهـا .. عاجله فانـدثر
وكل يوم منـذّ من عمـره مقبرة فى صحراء العمـر[1]
أَجداثها الملقـاة فى جوفهـا أَحـلامه المحترقات الزهر[2]
وكلُّ حينٍ عنـده مأْتم لميت فى قلبه يُحتضَـرْ
يمضى كما يأْتى .. فلا نـأْمة يبكى لها أَو نغمة تُدَّكَر[3]

* * *

يهفو إلى النسيـان فى عالم ليس من الأَحزان فيـه مفرّ
أَخلاقـه البيضاءُ .. ميراثه عن الكرام الوالدين الغـرر
فهى الثراءُ الضخم إنْ فاقةٌ حلَّت به ... ومجده إن فخر
وفى حنايا صدره خافـقٌ دقَّاته ثرثارة لا تقـرّ
تدقّ باب القبر مجنـونة وتؤذن الثّاوى بقرب السَّفر

* * *

كم عاش للناس بأَحلامـه وآب .. لم يحمد .. ولم يفتكر
يرثى لكل الناس فى حزنهم ويحتفى بعُرسهم إن عبَـر
حتى غدا فى موجهم ذائبـا كأَنَّه سمع لهم أَو بصر

---

(١) كذا فى الأصل وعجزُ البيت يوجد فيه خلل عروضى وصحته صُحيراء .
(٢) الأجداث : جمع جدَث ، وهو القبر .
(٣) النأمة : الصوت الضعيف أيّاً كان .

لكنهم والطين معبـــــودهم   وأمهم أُم الخنا والدُّفَـــرْ[1]
هدُّوا عليــه مابناه لهــــــم   ولم يراعوا قلبــه المنكسر
هــذا يهوذاه الذى باعـــــــه   وذاك بيلاطسه المحتقـــر[2]

* * *

فى عمره حقل فسيح المدى   لم يدر ساقيه ولا من بذر
حقل من الأَوهام تنمو بــه   أَشجارها مختلفات الثمــر
الموت فى زقُّومهـــا كامنٌ   والجنَّة الحمراءُ فيها سقـــر[3]

* * *

نهاره قزمٌ سريع الخطى   معذب الآصال داجى البُكَرْ[4]
والليل وحْشٌ فوقه جاثم   مُشوَّه الخالقة دامى الظُّفُــرْ
يظل يسقيهُ بلا رحمـــــة   ويقرع الكأْس له إن فتر
فإن غفا .. مدّ له مسرحـــا   حــدوده فوق مرامى النظر
تمثل الأَحلام فى سجنـــه   رواية الماضى الذى قد غبر
رواية الماضى .. وفى بعثها   بعثٌ لتاريخ الأَسى والسّهــر

* * *

---

(١) أم الخنا والدُّفَر : الدنيا الداهية ذات الآفات والنوائب .

(٢) يهوذا المكابى : قائد يهودى حارب قواد انطوخيوس : طهّر بيت المقدس ، قتل فى الحرب (١٦٠ ق م) . بيلاطس : حاكم اليهودية (٢٦-٣٦) أسلم المسيح للموت وغسل يديه قائلا : « أنا برىء من دم هذا الصديق » ..

(٣) الزَقُّوم : شجرة مُرّة كريهة الرائحة فى جهنّم ثمرها طعام أهل النّار ، والزقُّوم أيضاً : كل طعامٍ يَقْتُل ..

(٤) القَزَم : الضئيل الجسم القصير القامة (للواحد وغيره مذكرا أومؤنثاً) ، ج : أقزام .. والآصال : والأصُل والأصْلان ، والأصائل : جمع أصيل ، وهو الوقت حين تصفرّ الشمس لمغربها .

قال وقــد ضاقت به نفسه وعاودته الذكريـــات النُّكر
ربَّاه هــذا زورقى حائـــر معطَّل المجـــداف لا يستقر
كأَن هذا البحر فى جوفـــه معربد الأَمواج .. طاغٍ .. عكر
ظلّت رياح الدّهر تلهو به وهو لها مستسلم لم يَثُــرْ
لا يبلغ القاع .. وإيمانـــه بالسطح .. لا يدفع عنه الخطر
أَرْثى لنفسى .. وله .. كلَّمـــا شارفت منجاةً .. هَوَى وانحدر[1]
وكلما حنَّ إلى شـــــاطىءٍ صاحت به الأَعماق .. لاتنتظر

* * *

ربّـــاه .. هذا أَنا فى زورق عبدك .. فاصفح إن لسانى عثر
أَفرغت كأْسى .. من رحيق المنى فقد وجدت اليأْس عين الظفر
كانت لنفسى مثل غيرى .. مُنًى يتيمة عــذراء .. مثل الدرر[2]
أَفنيت عمرى .. أَتغنى لهـــا ما تلهم الشمس . ويوحى القمر
حتى جرى ما أَنت أَدْرى بـــه أَستغفر الله .. وأَشكو القـــدر
فعدت والحسرة فى أَضلعـــى محطَّمَ العُــود .. عيَّ الوَتَـــرْ
أَلتهم اليأْس .. وأَحشو بـــــه فمَ النَّصيحِ الْفَدْمِ .. إمّا هذر[3]
وكلما ساءلنى صاحـــــب ماذا ترجّى فى الغد المنتظـــر
أَقول ما يرضيك يا خالـــقى ويسحق الوهم .. ويفنى الضَّجر
« الحمد لله عــلى ما قضى والشـــكر لله على ما أَمـــر »

(١) المَنْجاة : النجاة ، وهى التخلص من الأذى ، يقال . هو بمنجاة من كذا ، أى بموضع نجاةٍ ، ج : مَنَاجٍ .

(٢) الدّرر : جمع درّ ، وهو اللؤلؤ العظيم الكبير ، والواحدة درّة ..

(٣) الفَدْم : الثّقيل الفهم الْعيّ ..

روحانيات

« سبحانك »

« ١ »

تعاليتَ .. لا مولى سواك .. خلقتنى
ولم أك شيئا قبل بدء وجودى

وأشـــهدتنى ما كان عنّى خافيا
وربَّ شهيدِ الْعَيْنِ غير شهيـــد

تُعرِّفنى آيـــات كونـــك أنّنى
قديم .. فكونى فيه غير جديد

فمعنى وجودى فى معانى وجودهـا
كمعنى نشيدى فى كلام نشيدى

وإن كان سِرِّى فى الحقيقة مُبدعا
فسرِّى فى الأكوان قبل شهودى

تعاليت .. ألبست المعانى مظاهرا
تشير إلى نور .. هناك .. بعيد

وراءَ حدود الغيب .. تهمى فيوضُه
على خافق فى الصدر .. جدّ جهيد[1]

(١) الفَيْض : الكثير الغزير ، ج : فُيُوض .

مظاهر تبْدو للعيــــون وتخْتفى

وأسرارها العليـــــا وراءَ قيودى

محجَّبة .. لولا ضياك .. جهلتها

فعشت بعقـــل فى الوجود شريد

تُسِرُّ إلى الأَرواح نجوى غرامها

بتدبير مُبْدٍ للحيـــــاة ... معيد

تعاليت .. لم تُبْدِع من الخلق كونة

بلا حكمة تهـدى فـؤاد رشيـد

فما ذرّة فى الكون إلاَّ وعنـــــدها

مكان ركوع أَو مكان سجـود

« ٢ »

اَحْسِن الظَّنَّ بالعـــــلىّ الكبير

فهو ربُّ الإحســــان والتدبير

واسأَل الله فضله .. فهو ربُّ الْـ

فضْـــلِ .. واذكر تيسيره للعسير

وتضرَّعْ إليــــــه فى كلِّ وقت

فإليـــــه مصير كلِّ مصيـــــر !

كلُّ حينٍ لربِّنــــــــا نفحات

فتعرَّض لهـــا بقلـــبٍ طهــور

لا تدع للهـوى عليك سبيـــلا
فالهـــوى سيِّد الغَوىِّ الغَرور
وامحق اليـــأْس بالرجاءِ .. وسلِّم
وَكِلِ الأَمر للعليم الخبيـــــر
إن شرّ النفـــوس نفسٌ يؤوسٍ
دائم سخطه عـــلى المقـــدور [1]
حالُه فى الحياة من حال إبليس .. قنوط من الرحيم الغفور
إنَّ معنى الإبليس من جعل الْيَأْ
سَ من الله حظَّــــه فى الأُمور [2]

« ٣ »

نُـــودِّع من نُودِّع .. ثم نمضى
إلى ما كان من هزل كجـــدٍّ !
كأَنَّ الذَّاهبين بنو فَنـــــاءٍ
ونحن بُعيْدَهم أبنـــاءُ خُلـــــد
نقـــول متى نتوب . . ونحن نعصى
ونسأَله النجـــاة بغير جهـــد

---

(١) نفسٌ يئُوس : انقطع أملها وانتهى طمعها ..
(٢) إبليس : علَم جنْس للشيطان . وأبْلَسَ من رحمة الله : يئس .

ونَنْســـاه .. ويذكرنا .. فنطغى

ونسعى فى الضَّلالة دون قصد

ونطمع أن يكون لنـــــا ظَهيـــرا

ونحن نعيش فى حَسَدٍ وحِقْـــد

تعالى الله .. كيف يكون عونًا

لماضٍ فى الغـــواية مستبـــدّ

تركنا الأَمـــر بالمعروف ... حتّى

كأَنَّ الأَمـــر بالمعروف مُرْدٍ[1]

بيـــوت الحقِّ تنعى مَنْ بناها

ودور اللهو لا تُحصى بعـــدّ

وصار العـــــدل فينا مثل بيت

من الأَوهام .. قام بغير عمد

فإن شئنـــا فبكرٌ مثل زيـــد

وإن شئنـــا فبكْرٌ غير زيـد

---

(١) المرْدى : المهْلِكَ ، من أردى فلاناً : أهلكه ..

« ٤ »

لابــــدّ للمخلوق من ربّـــــه

في صفوه الفاني .. وفي كربه(1)

وفي يســــار العيش أو يســـره

وفي ابتعاد القلب ... أو قُربه

وكيف لا . ؟ وهو القويّ الذي

لا أمر للمخلوق في جنبـــــه ؟

هل من غنًى بادٍ ســــوى فضله

أو من هوى باق سوى حبّه ؟

« ٥ »

أنا بالباب واقفٌ ... فدعوني

أتطهّـــر بفيضكم ... وشئـــوني

أنا بالباب واقف ... وسأبْقى

واقفا فاسمحوا .. ولا تحرموني

أمّنوني عــــلى مصيري إذا ما

سكبتْ أدمعَ الوداع جُفُـــوني

(1) الكَرْب : الحزن والغمّ الذي يأخذ بالنّفس ، ج : كُروب .

وانظرونى قبـــل الممات بلحظ
قُـــدسىٍّ من نور عَيْن اليقين[١]

وإذا ما ذكرتكم فاسمعـــونى
وإذا ما نسيتكم فاذكُـــرونى

أُذكرونى أَذْكركمـــو .. وإذا ما
نِمْت يوما عن ذكركمْ .. أيقظونى

لا تقولوا : عصيتَ .. أو كنتَ .. أو لا
ترتَقِبْ غير أَخْذِنـــا بالْوَتِين[٢]

فرجائى فيكم .. رجـــاءُ ذليـــل
فى عزيزٍ بحولـــه .. ومتين

وبكم أَحتمى ومنكـــم أُرجِّى
وذنـــوبى على يدى وديـــونى

إن لى فى « وما خلقتُ » مكانــاً
أَزليًّا من قبـــل أن تخلقونى[٣]

وبِنُعْمى « ورحمتى » وبـــرُحْمَى
« غافر الذَّنْب » سوف أَمحو ظُنونى

(١) اللّحظ : النّظر بمؤخر العين من جانب الصّدْغ .

(٢) الوتين : الشّريان الرئيسى الذى يغذّى الجسم بالدم النّقى الخارج من القلب ، ج : وُتُن وأوْتنة .

(٣) يشير إلى قوله تعالى : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » .

وبأسرار لطف « قل يا عبادى »

توّجــونى .. وبالرِّضا جمّلونى[1]

فأنــا عبدكم . . ومالى سواكم

فالْطُفوا بى ... بفضلكم .. وارحمونى

أنقذونى من قبــل أن تُغرِقَ الذُّنـ

ـبُ بأمواجها ســفينةَ دينى

شأنكم رحمةٌ . وفضلٌ .. وعفوٌ

والمعاصى والمهْلكــاتُ شُئُونى

وإذا لم يكن لمثــــلى نصيبٌ

من حماكم .. فما أشــدّ شجونى

---

(١) يشير إلى قوله تعالى : « قل يا عبادىَ الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله .. » إلى آخر الآية .

من دموعی [1]

على أُفقى سحابـــــات وفى نفسى أَعــــاصيرُ
نهـــارى التائـــه الحيرا ن تقديـــر وتدبيـــر
وليلى الشــــارد اليقظـا ن أوهـــام وتفكيـــر

* * *

وفى راحتى العـــاجـــزة الشَّـــلاَّء آمـــال[2]
وفـــوق من بنـــات الدّهـــر أَحمـــال وأَثقـــال[3]
وفى صـــدرى كآبـــات وفى رجـــلىّ أَغْـــلال[4]

* * *

سحابـــاتٌ من الأَيّـــا م والآلام والهـــمّ
تموّجهــا كمـا تهوى أَعاصيـــر مـــن الـــوهم
تُعـــذّبنى وتُضنيـــنى وتقتلنى بـــلا جـــرم

* * *

أَعاصيـــر مـــن الأَوْهَـــا م تحْـــدو ركب أَيَّـــامى

(١) (تمثل حالة شعورية انسكبت فيها نفس الشاعر بدموع روحه) .
(٢) الشلاّء : المُصابة بالشلل ، أو التى يبست فبطلت حركتها أو ضعفت ، ج : شُل . .
(٣) بنات الدّهر : شدائده ، ويقال : بنات الأرض : المواضع التى تخفى على الراعى .
(٤) أغلال : جمع غُلّ ، وهوقيد من حديد أو جلد يجعل فى عنق الأسير أو المجرم أو فى أيديهما .

تجـوب مجاهـل الدُّنيـــا لتسكن تيـــهَ أحـــلامى
وفـوق أزاهـرى الظّمـأى تنقّـل خطوهـــا الدامى

* * *

نهـارى ليلـــة بيضـــا ءُ أَو سوداءُ .. لا أدرى
يمـرّ كصـورة ممســـو خة الألـــوان .. فى فكرى
تمثّــل قصّــة الإنســـا ن .. منــذ بدايــة الدّهر

* * *

وليـــلى حائـــر الأنجـــم مخنوق الخيـــالات
صبغت بلـونه عمـــرى وأحـلامى الشريـــــدات
وفى مذبحــه المهجـــو ر أحرقت ابتهـــالاتى

* * *

وفى راحتى الشّـــــلاّ ءُ نـاىٌ صامـت ملجـم
أغانيـــه . . أمانى العُمـــر ميّتـة بـــلا مأتـم
تجىءُ فلا أُحسّ بهـــا وتمضى دون أن أعلـــم

شاعر الحب والمجد

« فى تأبين الشاعر الخالد على محمود طه »

لا أنا خالد ولا أُمنيـــــاتى فوداعاً مسارح الذِّكريـات

ووداعـــا مواكب الفتنِ الحُمْــــرِ ودنيا الأَحلام والصَّبوات

أقفرت واحتى وصوّح كَرْمى وطغت علّتى .. ومات أُسَاتى[1]

ودنا الشاطئ البعيد .. فرفقًـا بسفينى يا آخر العاصـفات

هوّنى ما استطعت من ثورة البَحْـرِ .. وردّى أمواجه العاويات

وارحمى .. إن تلك العواصف تدرى رحمة .. وحدتى مع الحـادثات

ذهب العمر .. وانطوت صفحات ويح لى من سطورها الكابيات[2]

لست أدرى . كيف اصطبرت على ما أمطرتنى الأَيّام من نائبات

ذهب العمر .. قطرة فى محيـط دمـوىّ .. مـروّع الثّـورات

وأطلّت نهايتى .. وهى أبْهى منظرا من مفاتن الغانيات

هذه غايتى التى كنت أرجو ها .. وهذا الختام بدءُ حياتى

فارتقبنى يا ليـلُ بعد قليلٍ عنـــد تلك المقابر الثّاويات[3]

---

(١) صوّح : ذبُل وجف . الأساة والإساة : جمع آسى ، وهو من يُعالج الجراحات . .

(٢) الكابيات : المظلمة .

(٣) الثّاويات : المُستقرّات والمقيمات ، من ثوى بالمكان وفيه يثوى ثواءً وثُويّا : أقام واستقرّ .

لم يعـــد غير ليلة وصـباح وأُوَارَى فى ضجَّة النائحات

* * *

قــدرٌ لافرارَ منه .. وكأْس أزلىٌّ .. مقسّم القــطرات

تلتقى حوله الشفاه.. فما أَشْـــبهَ حالِ الأَشواك بالزّهرات

الأَساطين عنــده كالصَّعَــاليـــكونجمُ السّما.. كصخر الفلاة[1]

مصرعٌ كلُّنــا مسـوق إليــه واجتماع . مآله للشَّتــات[2]

ومصـير أَمشى إليــه كما تمـ شى.. وتمشى النِّمال فى الحفرات

وســواء لدى الحقيقة سعيِ فى اضطرابٍ أَو مشيتى فى أَناةِ[3]

قصّــة بدؤُها صراخ وعقبـا ها .. وحربٌ يدعونها بالحياة

هكذا شاء ربنا .. فأَرِحْــنى من أَراجيف هــذه الفلسفات[4]

وأَدِرْ ذكر من مضى من قديم أَو جديد .. فهذه .. مثل هاتى

وسَلِ الأَرض.هل خلَت لحظات من بكاءِ النُّعَاة والنَّادبات؟[5]

وسَلِ اللَّيل والنَّهار .. وما بيـــنَ الثَّرى والسَّماءِ من كائنات

قل لهــا مات شاعر الحبّ والْمَجْدِ .. فكم قد أَرَقْتِ من عَبَرات ؟

---

(١) الأساطين ، والأساطنة : جمع أسْطُونة وهى العمود ، ويقال : هم أساطين الزّمان ، أى أفراده وحكماؤه .

(٢) الشّتات : التفرّق ..

(٣) الأناة : الحلم والوقار ..

(٤) الأراجيف : جمع إرْجاف . وهو الخبر الكاذب المثير للفتن والاضطراب .

(٥) النُّعاة : جمع ناعٍ ، وهو الذى يأتى بخبر الميّت ، أو المشيّع ، ويجمع على « ناعون » كذلك .

مات مَنْ نَغَّم الحيــاة وسَاقَا ... ها رحيق الخلود فى كلمات

شاعر الفكرة الجديدة .. تقْتا ... د عصىّ الأَوابد الشَّاردات[1]

رائــد الموكب الذى فجّر الشِّعْ ... رَ ينابيع بالهوى . . دافقات

ساحر العالمين فى « كِلْيُبَطْرَا » ... أَىّ حلم جلاه فى النَّغمــات

طائرٌ طــوّق الوجــودَ جَناحا ... ه .. وغنَّاه أَروع الأُغنيات

لم يقف عند دَارِسٍ من طلولٍ ... أَو يشَبِّبْ بالأَعظم النَّخِرات؟[2]

صاحب الزورق الشَّرود ومَلَّا ... حُ سفين العواطف التَّائهات

النَّدىّ المشبوب.. والفاتك الصُّو ... فىّ .. والضاحك الجريح الشَّكاة

الأَنيقُ الرّشيق .. والسلسلُ الرّق ... رَاقُ . . صافى الخيــال والمرآة

لُؤلؤِىُّ الأَلفــاظ . . لايتَصَبَّا ... ه ضجيج البهارج الزَّائفات[3]

مُنشىءُ الجنَّتين .. هاتيك للرو ... ح.. وهذى للخمر واللذَّات

الرّبيع الظمآن.. والحالم الْيَقْ ... ظانُ . . والمارد الجميل السِّمات

الطَّليقُ الوثَّاب .. لم يخل أُفقا ... من عذارى أَحلامه الخالدات

البديع الفتَّــانُ فى كلِّ ما يَخْ ... فِق فى شــعره من الآيات

---

(١) الأوابد : جمع آبدة ، وهى الأمر العجيب يُستغرب له ، وأوابدُ الكلام غريبه وعجيبه . والشاردات : جمع شاردة وهى فى اللغة غرائبها ونوادرها .

(٢) يشير الشاعر إلى بدء القصائد العربية القديمة التقليدية ، حيث كان الشعراء يتغنَّوْن فيه بالأطلال الدارسة والرّسوم الّتى عفّى عليها الزمن ، أو يشبّبون بإنسانة فنيت ولم يبق لها وجود .

(٣) البهارج : جمع بَهْرج ، وهو الباطل ، أو الردىء ، أو الدرهم الزائف ، ويقال : بهرج الكلام : زيفه . يتصبّاه : يستهويه ويشوقه ..

القويُّ العِمْلاقُ .. لم تكفه الأَ رْض فغنّى بعالم الآلهـــات

وأَرَانَـا من الملاحم فنًّـا مُعْجِزَ السِّحر .. قاهرَ البيِّنات

أَقسم الدهر .. ماشدتْ مثلها الدُّنْـ يا .. ولارتَّلت شفاه الحياة

صدق الدهر .. وهو جدّ كَذوب حين يغرى الأَحيـاءَ بالأُمنيات

ظلّ يسقيه وهو يشرب حتى صرعته الكئوس مختلفـات

ظل يسقيه وهو يشرب ظمْآ نَ لهيفَ الفؤاد والنَّزعات[1]

بين ُخذْهَا .. وهَاتِهَا .. ولكم يحْـ مل بؤُس الحياة فى ُخذْ..وهات

لافِح الشَّـوق .. لايلـذُّ له الما ضى .. كمايستبيه سحر الْمَوَاق[2]

شاعرا بالحياة ... ترجف بالفتْـ نة من حوله . . وبالفاتنات[3]

دافقًـا .. لايصدُّه دون مَجْرا ه نقيق الضَّفادع العاجزات[4]

مؤمناً بالجمـال والحق والْخيْـ ـرِ . . طليق الأَسباب والغـايات

مسلماً فى اعتقـاده .. عالميًا فى هواه المجنَّح العاطفـات

دينـه ربُّه .. فكلُّ بنى الأَرْ ض أخوه . . على اختلاف الذَّوات

يا لَدنيَا أَقامهـا .. يا لَفنٍّ شـاده بالخـواطر الملهمـات

يا لَروحٍ مقدَّس .. كان لايؤ مِن إلا بالنُّـور والنَّيِّرات

---

(١) لهيف الفؤاد : محترقه ، واللّهيف : المظلوم المضطر يستغيث ويتحسّر .

(٢) لافح الشوق : محرقُه . يستبيه : يأسره . الموَاق والمآق : جمع مُؤْق ، وهو مجرى الدمع مما يلى الأنف .

(٣) ترجُف : تتحرّك وتضطرب اضطراباً شديداً .

(٤) النّقيق : صوت الضفدع ..

يا لَنفسٍ كريمـــة . . عَصَمته   من ضلال الخلائق السافلات[1]

يا لَعقـــلٍ محلّق .. كان لا يَحْـ   فِل إلا بالخلق والمعجزات

يا لقلبٍ طواه فى صدره الرّحْـ   ـب قوىّ الرجاء والخفقات

يا لَعمر أفنـــاه .. لم يك إلا   خفقة فى جوانح النَّســمات

يا لَفنٍّ بنـــاه .. هَشَّ له الْمَجْـ   ـد . . وحَيّى أبراجه الشاهقات

يا لَداءٍ سقاه من كأسه المـــرّ   شراب الدُّموع والحســرات

يا ليومٍ طارت إليه المنـــايا   داهيـــات تموج بالدّاهيـــات

سوّدت فجره .. وألْقت على مَغْـ   ـنـــاه ظلّ الفواجع الدّاميات

قام فى صبحه.. سليماً مُعَافًى   عبقرىٌّ الآمـــال والرّغبـــات

يشهد الكون أنّه عاد للكَوْ   نِ جديد الإلهـــام والصّلوات

يا لَحلم شـــداه مزّقـــه الْمَوْ   ت وألْقى صداه للسّافيات[2]

يا لَقبرٍ حواه .. لم يحْوِ إلَّا   جسدًا لايعدُّ فى الهامــدات

يا لَمجْـــدٍ غَـــذَاه نور الأَمانى   وسهاد الجفون والأُمســيات

يا لَنيلٍ أَجراه فى شعره الْخا   لِدِ حرّ الضفاف والموجـات

يا لمصر تهتاجهـــا صعقـــةُ الْهَوْ   لِ وتحيي آلامها الدّارســـات[3]

---

(۱) السّافلات : جمع سافلة ، وهى مؤنث السّافل وهو النّذل الخسيس .

(۲) السّافيات : جمع سافية وهى الريح التى تحمل التراب وتذرّه .

(۳) تهتاجها صعقة الهوْل : تهتاج : تثور لمشقّة أو ضرر . والصعْقة : من صعق الرجل يصْعَق صَعقاً : غُشى عليه وذهب عقله .

مات شـوقى ..وحافظٌ.. وخليلٌ والعَليّـانِ .. والمغيَّبُ آتِ[1]

يالَشَرقٍ أَعطاه من قلبه العا شق أغلى الدُّمـوع والبسمات

يالأَرضٍ ضـاقت بدنياه حيًا كيف أمسى بها .. من الأَموات؟

* * *

أيُّها الخالدُ الذى كان بالأَمْـ ـسِ سراجا يضىءُ فى الظلمات

أيُّها الكوكب الذى غاب فى التُّرْ بِ حزين الشّعاع والومَضات

أيُّها الشّاعر الذى كان يـوما قمّةً لاتُنَـال بالنَّظـرات

أنت لازلتَ فى الضّمائر حيًّا خالـدًا.. مشرقًا .. برغم الممات

لك فى الكون دولةٌ .. ومكان يتحـدَّى تقلُّب الحادثـات

حسبك اللهُ .. كم أرقْت على النّوْ مِ وأحـلامه من العَـبَرات

حسبك الله .. كم شدَوْتَ فأَشجيـ ت .. وكم قد رويتَ من حُرُقَات

حسبك الله .. وهو أكرم من وفَّـ ى جزاءَ الكرام بالجنّاتِ

وعلى قـبرك الأَشمِّ دمـوعٌ وسلامٌ مُبَـارك الرَّحمـات

---

(١) يشير الشاعر فى هذا البيت إلى موت أحمد شوقى ، وحافظ إبراهيم ، وخليل مطران ، وعلى الجارم ، وعلى محمود طه .

طال الطريق [1]

طال الطريق .. فمن يقول لسادرٍ
حيرانَ .. حسبك .. قد بلغت مُناكا [2]
وطرقت أَرضا . . ضاع عمرك كله
من دونها . . وتمزّقت قدماكا
فجّرت قلبك جدْوَلًا .. تسقى به
زهرَ المنى .. وجنيتَها أَشــواكا
وهدمت صرحا للشباب مُشيّــدًا
لتقيم للمجد العظيم سِمَاكا [3]
وجرى القضاءُ بحكمه .. وكعهده
فخسرت هــذا فى الحياة وذاكا
وبقيت وحدك .. لاتملُّ تساؤلاً
والحيرة الخرساءُ .. رجْع صداكا

---

(١) « قال هذه القصيدة بمناسبة فشله فى دخول كلية دار العلوم إحدى كليات جامعة القاهرة » .

(٢) السّادر : الغافل .

(٣) الصَّرح : القصر ، البناء العالى .. البيت المزوّق .. والسّماك : كل ماسُمك . حائطاًكان أو سقفاً . والسّماكان : نجْمان نيِّران ، أحدهما فى الشمال وهو السِّماك الرامح ، والآخر فى الجنوب هو السّماك والأعزل ..

وطوى عُباب الدَّهر ما أمَّلته
يا ليته لمَّا طواه .. طواكا

* * *

طال الطريق .. فمن يقول لسادر
حيران .. حسْبُك يا جعلت فداكا
أبت اللَّيالى أن تغيِّر ثوبها
وظللت تصبغ ثوبها بدماكا
رُحماكَ إن الله بالغ أمره
وهو اللَّطيف .. فنَادِه رُحماكا
رُحماك . ضاع العمر .. وانقضت المنى
والأَمر أمرك .. لا إله سواكا
لولا رجائى فيك .. قلّ تصبُّرى
وقطعت حبل شقاوتى .. لولاكا
فامنن بعفوِك .. إن أَردتَ .. ونادِنى
فالعبد عبدُك .. والقضاءُ قضاكا

حظوظ

مكانتى .. أصغر من حقِّى وحاجـتى أكثر من رزقى
وحكمة الخـالق فى خلقه أَعماقهـا .. أبعد من عمقى
النَّاس.. هذا ثوبه سـندس وذاك يشكو الخرق للخرق
وبينما تلقى الذى نجمـه عـالٍ دنىءُ النَّفس والخلق
تلقى فقـيرا ملءُ أَسـماله فكر .. وفنٌّ .. معجز النَّسْق[1]
مقادر بالغيب محجـوبة وحكمة أَعيت على الخلق
أَفنيت أَيَّامى على بابهـا وفى يدى غلٌّ .. وفى عنقى[2]
أَطرقه مستصرخا شـاكيا حيران بين العقـل والحمق
فما شفت وجدى .. ولا كفكفت دمْعى .. ولا أَصْغَت إلى طرقى
فعـدت والحسرة فى أَضلعى والغصَّـة المرَّة فى حلـقى[3]
أَصبحت لا أهفو إلى حاجـةٍ أَكثر من حـرِّيَّة العتـق

* * *

فلتشرق الشمس بأَنوارها أَو فلْتَغِبْ عن مسرح الأُفق

---

(١) الأسْمَال : جمع سَمَل ، يُقال : ثوبٌ سَمَل : خَلَق بالٍ وسكّن سين النسق للضرورة وأصلها التحريك .

(٢) الغُلّ : قيدٌ من حديد أو جلد يُجعل فى عُنق الأسير أو المجرم أو فى أيديهما ، ج : أغلال.

(٣) الغُصّة : ما اعترض فى الحلق من طعام أو شراب ، ج : غُصَص ..

سِيَّان .. مادام الذى أشتهى فوق الفسيح الرُّحب من طرقى
ولتسرع الأيَّام فى سيرها أو فلْتسِرْ وَهْنا .. وفى رفق
فغاية الأيَّام مهما عدت كغايتى .. والفضل للسَّبق
أمسِى الذى أسرفتُ فى نعيه لاقيته يوما بلا شوق
وحاضرى .. أنأى على قُرْبه من الغد المحجوب عن أُفقى

دهرية [1]

الّليـــل والسُّقم والقيـــود والأَملِ الضَّــائع الشَّـــريد
وثورةُ الوجـــد فى كيـــانى طليقـــة مالهـــا حــــدود
وحيـــرةُ الفكر حين تغشى سماءه السُّحب والرُّعـــود
ولوعـــةُ الحرّ حين يمسى وزاده النَّـــار والحـــديد
والموكب الضخم وهو يعدو وخلفـــه الســـائق المريد
يصبّ من ســـوطه جحيما تشـــوى بنيرانه الجـــلود
على صِراط من المنـــايا يشبّ من تحتـــه الوقود[2]
رواية لونهـــا طـــريف لكنَّما ثوبهـــا تليـــــد
يا دهـــر ما فيك من جديد فهـــل ترى ناظرى جـــديد
أَسماءُ أَحـــداثك الدّواهى يضمُّهنَّ اسـمك الوحيـــد

* * *

آمنتُ أَن الحيـــاةَ أُنثى من طبعها الوصـــل والصُّدود
وأَعجب الأَمر فى هـــواها أَنِّى إلى حبّهـــا مَقُـــود

---

(١) كتب مقدمة هذه القصيدة على لسان الممثل إبراهيم السيد وهما يسيران أثناء معركة فلسطين وكانت القاهرة ملبدة بالغيوم ، والكآبة تعلو وجوه الناس ، فقال له إبراهيم « فى الطريق .. سأسقط ولكن وأنا أبتسم » .

(٢) الصِّراط : الطريق الواضح .

فيا رفاق الطَّـريق غنُّـوا فربَّمـا يقـــرب البعـيد
غنُّـوا فأَحمـــالنا ثقـــال والدَّرْبُ من دوننـــا مديد
ســوف أُغَنِّى .. وأَسـتعيد ما ضجَّ فى خاطـرى نشيد
وســوف أَهفو إلى الأَمانى ما دام لى فى الثَّرى وجــود
وســوف أَصبو إلى انعتاق وإن أَذلَّتنىَ القيــــود[1]
فأَبلغـوا هــذه اللَّيـــالى أَنِّى كأَحـــداثها عنيـد
وأَننى رغم ما أُقاسى من حــرّ آلامها ســعيد
حسْبى وحسْبُ الحيــاة منى أَنِّى على ظلمهـــا شـهيد

(١) الانعتاق من الشيء : الخروج والتحرّر منه .

أطلال راقصة (١)

(إليها . . إلى المسكينة التي نبذتهـا
الحياة ، وما زالت تعيش على ذكرياتها)

أطرقى .. أطرقى .. فقد ضمَّك الليـ
ـل .. وألقى عليـك ثوب ظلامِـهْ !
أطرقى .. فالحيـاة فى قلبك الْمظْـ
ـلِم ماتتْ موءُودةً فى حُطامـه !
يا بنة القفـر مزَّقتـك سوافيـ
ـه .. فلا تذكـرى أسى أيّامـه (٢)
واقبعى فى غياهبِ الَّليـل حـتَّى
يشرق الفجـر من وراء غمامه (٣)

* * *

اقبعى هاهنـا ولا تَفْغَـرى فَـا
كِ بقـول مستحدث .. أو مُعَـاد (٤)

---

(١) أنشدها الشاعر فى « كازينو » صفيّة حلمى الذى كان يسمّى « كوبانا » فى عجوز شمطاء متزيّنة بأرخص المساحيق وبشكل غير متّسق بحيث تمثل « عروس المولد » ، والبنات يتضاحكن عليها فتأثر الشاعر من هذا الموقف ، وتخيّل أنها كانت راقصة وكانت ملكة جمال فى الوقت نفسه ، وكان الناس ينظرون إليها نظرة إكبار لا نظرة احتقار كما يحدث لها الآن من البنات اللاتى يتغامزن عليها .

(٢) السّوافى ، والسافيات : جمع سافية ، وهى الريح التى تحمل التراب وتذرّه .

(٣) الغياهب : جمع غيهب . وهو الظلمة

(٤) لا تفغرى فاك : لا تفتحيه مندهشةً .

ودعى الّليـــل مثلما جاءَ يمضى

والبسى من دُجَاه .. ثوبَ حِــدادِ

ودعينى أُصغى إلى همســـه الْحَا

ئر بين الآزال والآبـــــاد[1]

لا تضجّى ولا تضيـــق بصمتى

فهو زادى وعُدَّتى وَعَتَـــادى

* * *

دونَكِ الكأْس فاشربيهـــا وذوقى

لذَّة المـــوت فى ثنايا الرّحيـــق

اشربيهـــا فأَنت قصَّةُ دنيـــا

هَا .. ونامى فى حضنها واسْتَفيقى[2]

واسأَليهـا فعندهـا علمُ أَيَّــا

مِك منــذ التقيتمـا فى الطَّريــق

اسأَليهـــا ولا تكفِّى بكـــاءً

فوق أَطـلال فجـرك المَشْنــوق

* * *

(١) الآزال : جمع أزل، وهو القدم، والآباد : جمع أبدٍ ، وهو الدّهر ، ويجمع كذلك على أبُود .

(٢) استفيقى : استيقظى .

قصّةُ الكأْس أَنتِ مثَّلتِها يَــوْ

مًا .. فقــد كنتِ مثلها .. للجميع

يوم كان الزمــانُ فيك ربيعـــا

عبقــريًّا وكنت روح الرّبيـــع

دفَنَت عِطْـــرَكِ الأَعاصير يَابَدْ

هَاءُ فابكى واستمتعى بالدُّمـــوع

وإذا شئت أن تعيشى على الْـــوهْ

م ِ فغنِّى قبـــل انطفــاءِ الشُّموع

* * *

لاتثورىعلى الحياة فقدجفَّ (م) ت زهور الحياة فى رَاحتَيْكِ[1]

كُنت والحسن والشباب فأَصْبَحْـ

تِ وما من أُولاءِ شيء لَدَيْـــك

فاعذرى النَّاس إن مَضَوْا عنك لايَلْ

ونَ ، فالنُّــور مات فى عينيْــك

ودعى الذِّكريات تقتـــات ما أَبْـ

قتْ أَفاعى الظَّــلام فى شفتيــك

* * *

---

(١) راحتَيْك : تثنية راحة ، وهى واحدة الرّاح ، أى الأكفّ ، ج : راحات .

لم يَعُــدْ فيـــك مايسرّ العيـــونا

فاعــذرى العابثـــاتِ والعابثينـــــا

نَسَلت ريشك المنايـــا وأبقـــت

جســـدًا هالكًا وروحًا حزينــــــا

وبقايا قلبٍ وأَشْــــــلاءَ نفسٍ

وشعــاعاً تحت الرّمــاد سجينـــــا

وحطــاما قد عَضْعَضَتْه الرّزايـــــا

يتنزّى مدامعًــــا وأنينـــا .. ![1]

فإذا ما أَعيــاك خبث الغـــوانى

فاغمــرى كيـــدهنَّ صفحًا ولِينا

وإذا أيقظَتْ شجـونَك حَــوْرَا

ءُ وأَغرتْ بقبحــك الشامتينــــــا

فاسخرى من جمالهـــا وصِباهـــا

واحقريهـــا بكثرة العاشقينـــــــا

أَو عِظِيهَـــا .. فربّ شيطانة مِنْ

كُنَّ قالت فأَبكت الواعظينـــا

* * *

---

(١) يتنزّى : يتوثّب ويتسرّع .

حدّثيها عن الهوى والرِّفاق

واللّيالى .. والخمر .. والعشّاق

وجسومٍ أشقيتِها بالتّنائى

وجسوم أسعدْتِها بالتّلاقى[1]

حدّثيها عن كل شيء سوى الحـ (م) بّ .. فما عندكنّ غير النفاق

حدّثيها عن الفتى النّاعم المِمْـ

رَاحِ .. نذل العواطف الأفّاق[2]

كيف أغراك ذات ليل .. وولّى

هاربًا من عفافك المهراق

تاركًا ثوبك الممزّق للنّا

رِ .. وعصف الرِّياح .. والأشواق

حدّثيها مادام فى كوكب العُمْـ

ـرِ شعاع مهدّد بالمحَاق[3]

ثم غيبى عن زحمة الموكب الأعْـ

ـمى .. وعيشى للحزن والإطْرَاق

---

(١) التّنائى : الابتعاد .

(٢) الممْراح : النّشيط .

(٣) المحاق : ما يرى فى القمر من نقص فى جرمه وضوئه بعد انتهاء ليالى اكتماله ، وليالى المحاق : ليالى مرور القمر فى مرحلة المحاق .

أَطــرقى أَطرقى فقــد ضمّك الليْـ

لُ .. وألقى عليك ثوب ظلامــه !

أطرقى .. فالحيــاة فى قلبك الْمُظْـ

لِمِ ماتت مــوءودةً فى حطامـــــه

يا ابنةَ القفْـــــر .. مزّقتك سَوَافيـ

هِ .. فلا تــذكرى أسى أيّامـــه

واقبعى فى غياهب اللّيــــل حتّى

يُشرِق الفجـــرُ من وراءِ غمامــه

على ضفاف الجحيم

« إليك يا قاهرة . . إلى أصوائك القاسية التي طالما عذّبت عيني وأنا قابع هناك في الجبل المضياف بصخوره الحانية . . وكلابه العاوية . . وصمته الكئيب . .

ثم إلى هؤلاء المترفين الكسالى . . الذين ينكرون عليّ إيماني بالألم وعبادتي الدموع ، وإخلاصي للأحزان »

إنّي هنا - أيّتها المدينةْ الحرّة الفاجـرة المجنونهْ
أحبس في جفني الرؤى السّجينه والأدمع الوالهة السّخينه[1]
إني هنا أغربل السّكينه وأزرع الخواطر الحزينه
مِلْءَ ضفاف الوحدة المسكينه وفي يدي فجري ستعبدينه
يوم تزول الوحدة الملعونه

* * *

إني هنا .. فعربدي وثوري ملء عنان اللّهو والسّرور
ومزّقي بضحكك المخمور غلالة ينسجها تفكيري
لتستر العريان من شعوري ويحجب اللافح من سعيري[2]
الجائع المدمّر الضّرير يودّ لو يعصف بالقصور

---

(١) الأدمع الوالهة : المتحيّرة الحزينة .

(٢) ويحجب اللافح من سعيري : لتحول دون إصابتها من الثورة المتّقدة في نفسه التي تشبه النار تصيب وجه من يتعرّض لها وتحرقه .

وساكنيهــا عابدى الفجور النَّائمين فى حِمَى الحريــر
الغافلين عن أسى الفقيــر واوءةِ المشَرَّدِ المدحــور [1]
الوالغين فى الدَّم المهـــدور من غصب الكادح والأَجير
إنى هنا .. يا جنَّة الحقير آكل جوعِى وأضمّ نيـــرى
وليس لى فى الأَرض من نصير إلاَّ ضميرى آه من ضميرى
أَلبسنى ممَـزَّق السّتـــور وجاءَ بى حيًّا إلى القبـــور
أَقرأُ فى ظلامهــا مصيــرى وأَعــرف الغــاية من مسيرى
بعد احتراق الأَمل الأَخيـــر وفرقـــة الصّاحب والعشير
هذا أَنا فى العالم الكبيـــر فوق رُبَا المقطَّم المهجـــور
متَّخذا من أَرضه سريـــرى من الحصى والطِّين والصُّخور
وتحت سقف الأُفُق المَطِير والعاصف المزمجر المقــرور [2]
أَنام نوم العاجز الموتـــور على نباح الكلب والهرير [3]
وقهقهات الرَّعد فى الدَّيجور تسخر من عجزى ومن قصورى
ومن ضراعاتى إلى المقـــدور وقلبىَ المحطَّم الكسيـــر
وأَنتِ يازنجيّة الضَّميـــر تدرين قدرى وترين نورى
فتُفنجزين ضحكة المغــرور وترتدين كفن المقبـــور

(١) المدحور : المُبْعد المطْرود .
(٢) المقْرور : الذى أصابه البرد .
(٣) الموتور : من قتل له قتيل فلم يدرك بثأره . والهرير : صوت الكلب دون النّباح .

هازئة كالزّمن العيهـــور من المثالىّ الفتى الطهـور[1]

فلتهزئى .. فلست بالمقهـور وتغرقى هزءًا فلن تثيـرى

إلاّ دخان الحاقـد المسعـور وثورة المقيّد الأسيـــر [2]

ولن تعيشى فى فم الدهـور إلا بفنٍّ الشّاعر القديـــر

الحائر المضطرب المَمْـرور[3] تحيّـــة الخلد إلى العصور

وآية الجبّـار فى المجبـور ونفحة الأقداس فى الماخور[4]

الواحة السّجواءُ فى الهجيـر تشرب نار الفدفد المسْجور[5]

لترســـل الظلَّ إلى المحـــرور

* * *

إنّى هنا أيّتهـا المدينـــه الحرّة الفاجرة المجنونـــه

أحبس فى جفنى الرُّؤى السّجينه والأدمع الوالهـة السخينـه

إنّى هنا أغربل السّكينـــه وأزرع الخواطر الحزينـــه

ملء ضفاف الوحدة المسكينه وفى يدى فجرى ستعبدينه

يوم تزول الوحـــدة الملعونـــه

---

(١) العيْهور : الفاجر .

(٢) المسْعُور : المجنون . والحريص على الأكل وإن ملء بطنُه ، ج : مسَاعير .

(٣) الممْرور : الذى غلبت عليه المِرّة وأهاجته ، فهو ممرور . والمِرّة : العقل أوشدّته ، أو الأصالة والإحكام ، أو القوّة . (٤) الماخور : بيت الرّيبة ، أومتَجمّع أهل الفسق .

(٥) المسجور : المتّقد .

تحية تقدير

« إلى الأستاذ الكبير عزيز أباظة لمناسبة تشريفه الاجتماع التمهيدى لتأليف نقابة المؤلفين – بنادى نقابة الصحفيّين فى يوم ١٥ من يونيه ١٩٥٠ » .

عزيزَ الحمى .. مادون نبعك من وِرْدِ
وبى لهفة الظامى إلى كوثر الخُلْدِ

حببتك فاعلم أن حبّك ساعِىْ
إلى المجد .. والحبُّ العظيم أخو المجد

بنوك الأُلى نادَوك والبحر صاخب
وزورقهم حيران محتجبُ القصد

ضحايا السُّفوح الجرد .. مهما تسنَّموا
فغاية مرقاهم إلى الكُتُب الجُرْدِ[1]

أُعيذك ممّا يملأُ الدَّهر عيشهم
به من أفانين التَّعاسة والكيد[2]

يضيئون .. والأيَّام تشرب نورهم
لتتركهم لليأْس والبؤس والسُّهد

(١) السُّفوح : جمع سَفْح ، وهو أسفل الجبل الذى يغلظ فيسفح فيه الماء . وتسنّم الشىء : علاه وركبه .

(٢) الأفانين : جمع أفنُون ، وهو النّوع من الفنّ ، ويقال أفانين الكلام : أساليبه وطرقه .

ويستنبتــون الصَّخر .. والنَّاس حولهم
من الخير فى ظِـلٍّ كظلِّك ممتــــدٍّ
أَبا الشِّعــر ما جدْوى يرَاعى وسحــره
إذا لم أَنل حقِّى .. ولم يأْتلق سعدى[1]
وما نفــع مقدام تجهَّــم حظُّـــه
وفى راحتيه يضحك الصَّـارم الهنـدى
أَبا الشِّعر لمَّا عربد المــوج طاغيـــا
وأَلقيت للحيتــان آخــر ما عندى
أَتيت .. وفى قلبى أَمــانىّ كلُّهـــا
بنور محيّـــاك المبـارك تستهـدى[2]
رأَينـــاك أَقوى شاعر وأَعــــزَّه
بيانا وسلطانا على الزَّمـــن الوغـــد
فحقِّق منَى الفَنِّ الجميــل وأَهلِــه
فغيرك لايُسدى .. ومثلك من يُسدى
رعاك الَّذى فوق السَّماوات عرشــه
وأَولاك ما يرضى المعـالى من الحمـــد

(١) اليراع : القلم.

(٢) المحيا : الوجه.

من وحي رمضان

١٣٦٩ هـ

على دارك يا جــــارى   صباحَ الخيــر من دارى
سلاما لا أُريد بقـــو   له إلاَّ رضـا البـــارى
فقد أَوصى كما تعلم   قلبَ الجـار بالجـار
ومن حقِّك ، أَن تأْمن   آثــامى وأَخطــــارى
ومن حـــقِّىَ أَن تسْـــتر   عــارى إن بَدَا عــارى

* * *

ولكنّى على عينيْـــك   أَشكــو ظلم أَيّـــامى
يمرّ الشَّهــر بعد الشَّهـــر   والعــام مــع العَـــام
ولا تسمع أَنَّـــاتى   ولا تـــرحم آلامى
أَجــوع .. وفى يديك الخبز   .. أَعجنــه بأَحـــلامى
وأَدحـــوه بآهـــاتى   وآكله بأَوهـــامى[1]

* * *

ويا جارىَ .. كم من ليلة   ظلماء كالقبـــــر . !
طوانى ثوبها الـــدَّاجى   وأَطفالى عـــلى حجرى[2]

(١) أدحوه : أبسُطه وأوَسِّعُه .
(٢) الدّاجى : المُظلم

أَهَدْهِدُهمْ وأُبكيهم ... وأبكى معْهم عمرى[1]
وأنت بما نُكابِدُه ... من الآلام لا تدرى
فما أَدناك من عينى ... وما أَنْآك عن فَقْرى

* * *

ولى يا جار – مثل الناس – زوج ما أُحيْلاها
وما أَقسى حياتينا ... على الفقر وأَشقاها
ترى زوجك فى النِّعْمة لا تبرح دنياها
فما تفتأُ ترثينى ... بما تسفك عيناها
ومن سوّاك سوَّانى ... كما شاءَ وسوّاها

* * *

ويا جارى أَتى الشَّهر ... الذى أَعرفه وحدى
فعمرى كلُّه رمضا ... ن .. حرمانٌ ... بلا حدٍّ
فهل تعلم ما أُخفى ... من الحزن وما أُبدى
أَخاف إذا أَتى العيد ... كما جاءَ على ولدى
وعندك كلَّ ما ترجو ... وفقرى .. كلُّ ماعندى

* * *

أَخاف إذا أَتى العيد ... ونادانى المواليد

(١) أهدهدهم: أحرِّكهم حركةً رقيقة مُنظَّمة .

أبانا .. ذهبَ العُمْـر وأشقتْنــا المواعيــد
لكلِّ النَّـاس أَعيــاد ونحن .. أمَا لنا عيد ؟
وكم قلت لنا صبـرًا فربَّ النَّـاس موجــود
وما بالصـبر يطفى غلَّــة الحرمان .. منكـود

* * *

أخاف على حيــاءِ النفـــس أن أبــذله كفرا
أخاف على عفـاف الـزَّوج أن تُهريقه قسْـــرا[1]
وأن ألبس عار الــدَّهـــر .. بَعْد تصبّرى دهرا
فأقتل خشــية الإملا ق ... أو أَسرق مضطرًّا[2]
فأزْدادُ عــلى خســرى بما أَصنعه خســـرا

* * *

أيَا جارى سأَلْقى خالـقَ الجنَّـة والنـــار
سأَلقـــاه لأَشكـوك إلى ساحـــة جبّـــار
وأَسأَله بحــقِّ الفقر .. أن يأْخذ لى ثـــارى
فإن ساءلتنى عفـــوا سأَعفـو دون إصــرار
فقـــد أوصى - كما أعلم- قلبَ الجار بالجـــار

(١) قسْرا : عنوة .
(٢) الإمْلاق : الفقر .

ويا عيد

رمضان ١٣٦٩ هـ
يونيه ١٩٥٠ م

رقرقت فيك مَلاحِنى وغنائى ... يا عيد.. رغم تكاثر الأرزاء[1] !
ولمَنْ أغنى إن لقيتك صامتا ... ومراكب الألحان ملء سمائى
أشرق على وجه الليالى كوكبا ... ضافى الجلال معطَّر الأضواء
وأفضْ على جدب الحياة صبابة ... من كأسك الروحيّة الصهباء
يا عيد يا أمل السماء إذا دجت ... بالحادثات مواسم الغبراء
تجرى الحياة بليلها ونهارها ... ولك المكان الفرد فى الآناء[2]
ملء الحمى باكون طال حنينهم ... للفرحة النشوانة العذراء
يستنبتون الصخر لايرثى لهم ... قلب وآخر سعيهم الهباء
فانفح بمائك قفرهم وانسج لهم ... من نورك المسحور ثوب هناء
واطرق على الكوخ المحطّم بابه ... ضَيْفًا على سكّانه التُّعساء
يا واهب النعماء كم من أكبد ... فى الارض ظامئة إلى النعماء[3]

(١) ملاحن : يستخدمها الشاعر جمعاً للحن الذى هو ما صيغ من الأصوات ووضع على توقيع ونَغم معلوم (صناعة الألحان) ، ويعنى باللحن الأغنية الشعرية ، والقياس فى جمع اللّحن : ألحان ولُحُون .. كما أن الملاحن فى الأصل : مسائل كالألغاز يحتاج فى حلّها إلى فطنة . والأرْزَاء : جمع رزْء ، وهو المصيبة .

(٢) الآناء : ساعات الليل ، ومفرده : أنى ، إنى .

(٣) النّعْماء . الخفض والدّعة ، والمال ، ج : أنْعم .

قل للألى ذهب الغنى بعقولهم ... فَنَسوا ضحايا الدهر والبأساءِ
لاتجعلوا يومى على عِلّاته ... حربا على الأَيْتَام والفقراءِ

* * *

الأَرض دونك فامْضِ فى آفاقها ... وامزج قريب فُساحها بالنّائى[1]
وسَل المدائن والقرى عن حالها ... فى زحمة الشهوات والأَهواءِ
تنبئك ثرثرة القطيع بأَنّه ... ضاقت عليه منافذ الصحراءِ
الأَرض مازالت كعهدك مسرحا ... للقصة الملعونة الشوهاءِ
والناس قابيل وهابيل وما ... من آدم فيهم ولاحوّاءِ
موسى لديهم كاذب ومخادعٌ ... والسامرىّ مصدّق الأَنباءِ[2]
يتهافتون على الحطام وربّما ... شربوا السموم ليظفروا بدواءِ
ويمجِّدون السلم وهو وسيلة ... فى شرع أَحكمهم إِلى الهيجاءِ
شعب يعيش على دماءِ ممالكٍ ... وممالكٌ تحيا بغير دماءِ
ومَقاصِرٌ للعدل شامخة الذرا ... الظلم فيها سيِّد الزعماءِ[3]
ميزانها المخبول وجه منافق ... وبناؤُها من أَعظُم الضعفاءِ
المدفع الجبار فصل قضائهم ... والهدم غايتهم من الإِنشاءِ

---

(١) الفُساح من الأرض الواسعة . من فسُح المكان يفْسح فَسَاحةً : وسُع فهو فسيح وفُساح وفُسح
(٢) السّامرىّ : مَنْ ينتمى إلى السامرة ، وهو عظيم من عظماء بنى إسرائيل من قبيلة السامرة .
(٣) المقاصر ؛ والمقاصير : جمع مقصورة ، وهى الدّار الواسعة المحصّنة .

إن يحكموا فالشاة ذئب وادع ... والذئب إن عدلوا صريع الشاء[1]

فى كل واد للسلام مآتمٌ ... مجنونة تبكى على العقلاء

الكون فيهـا والحياة رهينة ... بالوثبة الذرّيّـة الحمقـاء

* * *

الأَرض دونك فامض فى آفاقها ... حتى تمـلّ بها من الإعياء

فإذا تعبت فأَلْق حملك واسترح ... فى الشرق وامدد أَطول الثؤباء[2]

فهنا الكسالى الفاشلون تحوطهم ... نُوَب الزّمان السود بالظلماء[3]

(يقفون والفلك المحرّك دائر) ... ماضٍ مُضِيّ البارق العدّاء[4]

سكروا بأَوهام الحياة وأَسـلموا ... سُفن المنى لمصارع الأَنواء[5]

وتنكّروا للمجد وهو أَمـانة ... ورثوا مفاخـرها عن الآباء

انى نظرت فثمّ شعبٌ ضائعٌ ... عفن الحياة ممزّق الأَشلاء

أذنابهم فى القيد مثل رءُوسهم ... رغم اختلاف القدر والسّيماء[6]

يتقاسمون الذلّ لقمـةَ سائل ... عجزت طبيعته عن الإعطـاء

---

(١) الشّاء : جمع شاة وهى الواحدة من الضأن والمعز والظباء والبقر والنّعام وحمُر الوحش ويقال للذكر والأنثى ، وتجمع كذلك على شياه .

(٢) الثؤباء : حركة للتّفسّم لا إرادية ، نتيجة الفتور من هجوم كسل أو نوْم .

(٣) النوب : جمع نوبة ، وهى النازلة والمصيبة .

(٤) البارق : اللاّمع المتلألىء . العدّاء : الشّديد العَدْو .

(٥) الأنواء : جمع نوء ، وهو النجم إذا مال للغروب .

(٦) السيماء : العلامة .

الدِّين فيهم سُبَّة وَمَعَرَّةٌ يمشى العزيز به على استحياء[1]
والكفر فلسفة يهيم بحبها مَنْ شاء أن يُدْعى مع الحكماء
أُمَمٌ على الماضى تطيل بكاءها وتنام عن مستقبل وضَّاء
رِمَم يعافُ الدُّود ريحَ طعامها وتُعَد رغم الموت فى الأَحياء[2]

* * *

يا عيد يا ضيف الزمان أسامعٌ أَم لستَ تسمع دعوتى وندائى
مازال قومى يحسبونك مثلهم غِرًّا تهيم بزخرف وطِلاء
لبسوا لك الثوب الجديدوتحته أَجسام عبدان الهوى أَسراء
لبسوا لك الثوب الجديدفقل لهم العيد عيد القلب لا الأَزياء
واقرأْ عليهم قصَّةَ المجدِ الذى شادتْ دعائمَه يدُ القُدماء
مجد العروبة والخلود بذكره ثمل الفؤاد منوَّر الأَرجاء
واشرح لهم معنى الحياة وقل لهم المجد للحرِّيّة الحمراء
واملأْ مسامعهم بصيحة شاعر فتحت يداه الخلد للشعراء
(تالله مادون الجلاء ويومه) عيد نكون به من السُّعداء

---

(١) السّبّة : العار . والمعرّة : الأذى والمساءة والمكروه ، والمعرّة كذلك : موضع الجرب .

(٢) الرّمم : جمع رمّة ، وهى العظام البالية .

أنا ... وأنت

هذا مكانك في الهوى ومكاني رغم اختلاف الدار مقتربانِ
يا روح أحلامي ونبع خـواطري ومنـاي في فرحي وفي أشجاني
لهفي عليك قريبـة وبعيدة محجوبةُ الأَنوار عن أجفاني
الليل بعدك حانتي .. ومدامعي خمري.. وأشباح الأَسى نُدماني

* * *

جرت الحياة بنا على أقـدارها مابين حيرتها وبين قرارها
روح تعيش على الجمال وفكرة الخلد واللاهوت من أسرارها[1]
نَهَبُ الظلامَ ضياءَ قلبينا معا ونحدّث الأَيّام عن أفكارها
كانت لنا دنيا .. وصوّح زهرُها فسَلِي رياح الموت عن آثارها[2]

* * *

لولا احتراقي في الهوى ووفائي لطوى الظلام قداستي وضيائي
فعلى الطريق ـ كما علمتِ ـ مقابرٌ مازلت أرثي أهلها بِبكائي
شربوا من الشهوات أعتق خمرها ومضوا .. بلا صَوْتٍ ولا أصداء
ولهم على ظهر الحياة بقية شتّان بين ترابهم وسمائي

* * *

(١) اللاهوت : الله ، وعلم اللاهوت : علم يبحث عن العقائد المتعلّقة بالله .
(٢) صوّح زهرها : ذبُل وجفّ .

هل تذكرين.. وقدسمعْتِ لحونى   وأنا..وأنت..والهفتى وحَنينى [1]

عادتك أحلام الشباب.. فقلت لى   أهواك .. رغم تعاستى وشجونى

أهواك؟..ليتك صُنتها عن مسمعى   حتى أكون شهيدها .. وتكونى

كانت تعلَّة عاشـق ونعيمه   لو كانت الأقـدار طوع يمينى

---

(١) اللّحون : جمع لحن . وهو ماصيغ من الأصوات ووضع على توقيع ونغم معلوم (صناعة الألحان) ولكن الشاعر يستخدم اللحن للأغنية الشعرية .

عهد علينا

يا من تمرّ بنا الدنيا بأجمعها ... فلا نرى عندها دنيا ..ولادينا

حبًّا لكم .. إن سلونا كل شاغلة ... ولم نكن عنكمو يوماً بِسَالينا

وعندكم علمنا .. والله ثالثُنا ... وإن ظلمنا.. وسمّينا مَجَانِينـا

أنحن نشغل عنكم .. لاوربّكم ... وربِّنا .. والذى يعطى المساكينا

ويجمع الشمل بين العاشقين..رضًا ... منه وحبًّا لمن عاشـوا مُحبِّينا

* * *

أبعدكم نعشق الدنيا.. ونطلبها ... ونحن منكم.. وإن كنا بعيدينا

عهد علينا.. وإن طال الطريق بنا ... ألَّا نرى غيركم فى القفر هادينا

عهد علينا .. وإن أَكْدَت وسائلنا ... وغاب فى التِّيه دون القصد حادينا[1]

---

(١) أكْدَتْ وسَائلُنا : جحدت وقصّرت. التّيه: المفازة لاعلامة فيها يهتدى بها. ويقال: أرضٌ تيهٌ مَضَلّة ، ج : أتْياه ، جج : أتاييه . الحادى : الذى يسوق الإبل بالحداء ، ج: حداة .

الدار [1]

هذه القصيدة إليك وحدك ، فاقرئيها ، فأنت فيها ، وأنا ، بين معانيها .

كذبت هند..حين قالت لك القلـ ـب عزيزًا بالحب والإيمانِ
كذبت هند..حين قالت لك الحبُّ (م) وما شئت من رضًا .. وحنان
فلقد أخلفت مَوَاثِقها[2] القد م وباحت بالسرّ .. قبل الأوان
ومضت تشهد الأنام على حبى (م) وأغرت بصبوتى[3] خـــلّانى
كذبت هند .. لا أقول بطبع غير أن الدلال.. سرُّ الغـوانى
وهى فى الحبّ جنَّتى .. وجحيمى وجنونى .. وعزَّتى .. وهـوانى
وأنا فيه .. مثلما عهـــدتنى قبل بدء الوجود .. والأكوان
أستشفّ المنى .. خلال الزمان وأذوق المحـال .. كالإمكان
وزمانى علىّ .. والعجز من طبعى فإنى على الحقيقــة فان

---

(١) كان عنوان هذه القصيدة : « يا غريبة الدّار » ولكن الشاعر اختصره إلى « الدّار » فقط .

(٢) المواثيق : جمع مَوْثق ، وهو العَهْد .

(٣) الصبْوة : الميل إلى اللهو ، أو الحنين والتشوّق إلى الحبيب ج : صَبَوات .

وزمانى منى .. وإن كنتُ عنه نائيـا فى الوجود والحسبان

وهو داجٍ حيناً .. وحيناً مضيءٌ عبقرىٌّ فى البخل .. والإحسان[(١)]

كذبت هند .. فلتكن أُختعفوٍ فلقد صرت خلّةَ الحرمان[(٢)]

ولتكن فى فراقهـا مثل هندٍ يوم كان الزمانُ من أَخْدانى[(٣)]

يوم كانت منى .. وكنت هواها قبل أن أصطلى بنـار الهوان[(٤)]

كنت معنى جلالها.. وبهاهـا وسناها المحجوب عن أجفـانى

الهـا .. لا أشم ما يبعث التر ب ومن يسكنونه من دخان

عبقريًّا .. لوضاقت الأَرض بالليـ لِ لأَسكنته ذرا وجـدانى

وأحطت الجو الذى هو فيه بضبـاب الفنـاء .. والنسيان

ثم أَلقيت .. للأُلى يسكنون الـ أرض مَرساتَها بغير امتنان[(٥)]

قائلا .. فلتك الحيـاة نهـارا مثلما كان قبل خلق الزمان

وليكن نور شمسهم .. هو هاديـ هِمْ إلى نور ربها الصّمدانى[(٦)]

هؤلاءِ الأُلى يضـيقون بالنـو ر إذا كان عالىَ الفيضان

---

(١) داجٍ :مُظلم .

(٢) الخلة : الخصْلة ، يقال : فيه خلّة حسنة وخلّة سيئة ، ج : خلال ..

(٣) الأخدان : جمع خدْن، وهو الصديق .

(٤) أصطلى بنار الهوان : أستدفىء.

(٥) المرسى : محط السفينة قرب السّاحل ، ج مَرَاسٍ

(٦) الصّمَدَانى : اسم من أسماء الله الحسنى .

هؤلاء الأُلى يموتون فى الليـــــل فلا يحرمون من أكفانى
أنا فيهم أعيش يا هند وحدى عبـد قلـبى وعبد ما أحزانى
قسما بالذى أكِنّ من الوجـــــد وبالسافيات من أشجانى[1]
ما أنا عندهم ولا همّهم همّى ولا نومهم لعينى بهـــانى

* * *

قرّبى مرتقاك يا هند ما اسطعـت فقد أتعب الصعود جنانى[2]
أنا يا هند .. لا أزال اينها الوا قف بين السفوح .. والكثبان
أنظر النور خلف وجهك ينسا ب على العالمين والأزمان
وأنا بين مؤمن القلب حيرا ن سعيدًا .. بقلبى الحيران
أتمنى عليك أن تلهميـــنى بعض ما تلهمينه من معـانى
قانعـاً بالذى تجبين مــنى سابحاً .. فى وجـودك الربّانى
كوكب يبعث الحياة .. ويجلو ما وراء الأكوان[3] ..من أكوان[4]

* * *

قرّبى مرتقاك يا هنـــد .. حتّى التقى بى ..عند اشتعال التفانى[؟]
عندما يصبح الضجيج سكونا فى خيالى .. والنوحُ مثل الأغانى

---

(١) السافيات : جمع سافية ، وهى الريح التى تحمل التراب وتذرّه . ولكن الشاعر استخدمها هنا فى الحزن والهمّ الدفينين. (٢) المرتقى : الرقىّ وهو الصعود .
(٣) الأكوان : جمع كَوْن وهو عالم الوجود .
(٤) الأكوان : جمع كوْن وهو الوجود المطلق العام .

عندما تغرب الحياةُ ومَنْ فيـــــها ويبقى الباق .. ويفنى الفانى
عندما تنتهى النهاية حتى لا أرانى .. والحق أنى أرانى
عندما تنطقين .. سبحان ربى فأُصلِّى فى قبلة « السبحان »
عند ما تسمعين فى آية « الملـــــك » سلاما من ربنا الرحمن
أنتهى عنــده .. وأدرج فيه برداء الجـلال والإيمـان
ثم نمضى عن الوجود ومن فيـــــه لنفنى فى الانتهاء الثانى
قدُسٌ هُو .. ورحمةٌ .. وانطلاقٌ من قيود الجزاء والغفـران

* * *

يا جنونى .. من لحظةٍ أنا فيها قاب قوسين .. من حمى الديّان
أشتكى عنده الهوى.. وأُلبِّى توبةً لاتزال ملء جنـانى
توبتى عن تعشقى .. واصطبارى وهيامى بالروح والريحـان
يا جنونى.. من لحظة..تنتهى بى لوجود .. مقدَّس .. روحانى
أنتشى عنده بخمر شهودى لمكانى .. وأين منى مـكانى
عندها أرتقى إليك .. وأسعى بفؤادى مع الضياء الوانى(١)
عندها أستحيل لله سـرا غاب إلا عن خالق الإنسان
سرّ عبد أطاع داعية الحبّ بقلب معنـاه فوق المعـانى
يا جنونى منها .. ومنك.. ومما جمعته .. لذّاتنـا .. من أمانى

* * *

(١) الوانى : الفاتر الضعيف الكليل العيّ .

إيه يا هند .. ما لقلبٍ .. كقلبي   يشهد الحب .. خافياً .. كالعيان
لستُ أَدري أَيّ القلوب أخو صد   رى وأيّ الأَسرار ما فى كِيانى
أتراني أَرى بعينيّ من نو   رك ما تيّمت بـه أَلحانى
لست أَدرى نهايتى ما مداها ؟   بعـد طول السهاد والحرمان
أترى أَلتقيك ؟ ما لبعيـد   عن فؤادى وخاطرى .. وهْوَ دَان ؟!
أترى أَلتقيك .. أين .. وما تخـ   ـلص نفسى من وحدتى .. وزمانى
والقيود التى أُكابد .. من ذا   تى وخطو الزمان قيد عِنَانى
لا أنا ملءَ راحتى .. لا .. ولا عمـ   ـرى طوع الأَغلال والأَرسان[1]
فسلام عليك .. ما عشت .. منى   وسلام على فؤادى الفـانى
وسـلام على المحبّين قبلى   وعلى الدّارجىّ فى أكْفـانى
فمن الحب بدؤهم .. وإليه   منتهاهم .. ومَنْ سقاهم سقانى
وسلام عليك .. ما شيّعتنى   عبرات من جفنك النديان
فلقد عشت كالأَنام .. زمانا   باسم الوجد .. ضاحك الأَحزان
ومضت ساعتى وليس بكفّـ   ـىّ سوى راحتى .. وثوب أمانى
وسـلام على هوانا من اللـ   ـه سـلام القداسة الرّبّانى
وسلامٌ علىّ يوم أُلاقيـ   ـه وحبىّ على يدى .. وهوانى

(١) الأرسان : جمع رسن ، وهو ما كان من الأزمّة على الأنف ، ويجمع الرّسن أيضا على أرسُن .

الجزء الحادى عشر

مع الريح

١٩٥٠ - ١٩٥١

سكرتى [1]

أَلا إِنَّ سكرى .. سكر عبدٍ له كأْسٌ

سواه له كأْس غويٌ .. وله نَفْسٌ

سوى نفسه .. يا حسرتا .. ثم حسرتا

لنفسي من كأْسي .. وواحسرتا كأْسِ

* * *

شربت . فأَعمانى الرّحيق . فخلِّنى

أَلا أَيّها السّاقى .. فإنى غدًا أَحْسو [2]

وأَشرب ياساق .. وأَنت بسكرتى

عليم .. إذا فاضت بموجاتها الكأْسُ

غدًا لى طِلَّى ياساق .. فامض .. فإننى

هلوكُ انتشاءٍ لم تذق مثله النفس [3]

أَراك كأَنى مقبـــل بك – مدبر –

وأَنك مثلى .. مبحر بى .. لا ترسو [4]

---

(١) فى حانة الحياة وحظه فيها .

(٢) أحْسُو : أشربه جرعة بعد جرعة .

(٣) الطّلى : الخمر ، والطّلاء : كل ما طلى به .

(٤) لاترسُو لا تثبت ولا تتوقّف .

أناتك .. أوقل لى .. إذا ما تركتنى

قليلا .. لأصحو .. ما الذى ضُمِّن الطرسُ [1]

أممّا قضاه الله – يا ساق – مخرج

أناتك يا ساقى .. فمابى – غداً – رأسُ

أفكّر .. هل شاء القضاء .. وأنت هو

فقلبك مازالت عواطفه تَقْسُو

وما زلت تُدْنى لى الشراب .. وتملأُ ال

كئوسَ .. وتُغْرِينى .. ومافى فمى حِسٌّ

أناتك ياساقى .. وحسبك ماترى

فما فى دمى روح .. ولافى يدى أنس

نعم .. دَعْنَ .. يا اللَّهمّ رحماك .. واكفنى

وجود سقاة الإنس .. ما وجد الإنس

نعم دَعْنَ يا ساقى .. فبينى وبين ما

تعيش حدودٌ .. لايخفُّ لها الحَدْسُ [2]

وجودى الذى فيه أنا .. غير ماترى

نعم يا الذى أعنى .. فعالَمِىَ القدس

---

(١) الطّرس : الصحيفة . والكتاب الذى محىَ ثم كتب ، ج : طروس ، وأطْرَاس .

(٢) الحسْدْس : الفراسة ، وفى اصطلاح المناطقة ، سرعة انتقال الذّهن من المقدمات إلى النتائج .

وإن كنتُ ملءَ الطين ذاتاً وحاجةً

فقد خلقَتْ للطين هاتيكم الشمس

* * *

تباركت يارب السماوات.. ها أنا

وها أنت.. فى كل الوجود.. لك المجد

جرى ماجرى.. فامحـ الغداة ـ الذى جرى

إلٰهىَ.. أو أثبت.. فإنى لك العبد

أقمت قيامات علىَّ.. وجـاز بى

قضاؤُك.. ما دبرته. النَّحس والسّعد

أَمرّ بذاتى فى مسائى وضحوتى

وحظِّى من ذاتى.. هو القرب.. والبعد

أَمرّ بها اليوم الذى أنا قيـده

كما شئت.. لادفعٌ لدىّ. ولاردّ

كما قد مررت الأَمس.. والأَمس حاضرى

ومرجوٌّ ما يأْتى به المجهـل الفرد

نعم.. مرّ بى ماضىً - ياربِّ - مقبلا

علىّ.. فأَعمانى.. ولى النظر الوقْد[1]

(١) النّظر الوقْد: النظر المتلألىء.

ظلامٌ أضافته الليالى .. وطلسمت

غواشيه ..فهو التِّيه ..والضِّيق..والسهد[1]

أضافتْه .. حتَّى شاب .. وهو تؤامها

لها فيه أحلام .. وفى ضمّه قصد

ليالٍ .. وهى الذاهبات – على المدى –

هباءٌ.. وفجرى دونها الدهـر– مرتـدُّ

كفرت بها ربّاه .. فامنن .. فربّما

بكيت أسًى يوماً .. وأفنانىَ الوجد

وأنت لمن يبكى .. وإنى لنــادمٌ

وإن كان ذنبى أننى – للورى –ضدّ

فهم عبدوا الطاغوت..واستمرأُوا القذى

وهاموا بدنياهم– وردّوا..ومارتدّوا[2]

ولاسبّحوا للحقّ .. أو قدّسوا العـلا

أَو استَمْنَحوا السّقيان مَن عِنْدَه الوِرْد[3]

---

(١) طَلْسمَت غواشيه : غُمضت وأبْهَمت. والغواشى : جمع غاشية وهى الغطاء ، أو غلاف القلب . وداء يأخذ فى الجوف ، والمعنى أغمض وأبهم غطاؤه أو غلاف قلبه .

(٢) الطّاغوت : الشيطان ، والساحر ، وكل رأسٍ فى الضلال يصرف عن طريق الخير . ج : طواغيت وطَوَاغٍ . استمرأوا : استطيبوا القذى ، أو وجدوه مريئاً .

(٣) السّقْيان : جمع سَقى وهو إنزال الغيث من السماء .

وإنى لَفِيهم .. يا إلٰهى .. وسيّدى

وما بيننا ظلّ – من البعد– ممتدّ

* * *

نفختُ لهم نايى .. وغنيت ألْحنى

وأطعمتهم زادى.. وفتّحت مسكنى[1]

وقلت لهم هــذا مكانى .. وأنتمو

أحبّة قلبى .. ما أراد مُكوّنى

لكم هو .. ما ساقيتمونى ودادكم

صفاءً يروّينى .. ويلهم أرغنى[2]

وإنى الْمغنِّيكم .. وخادم وفْدكم

وعبدكمو .. عبدا لضيفٍ وضَيْفَنِ[3]

لكم جلوَتى .. نشوان.. يغمرنى الرضا

مدى ما أرى فيكم نــديما يحبّنى

فماذا جنت كفّاى منهم سوى الذى

يطير له قلبى شعاعاً .. وينفنى .؟!

---

(١) ألحن : جمع لحن ويستخدمه الشرنوبى للأغنية الشعرية خروجاً به على حقيقته العرفية التى وضع لها.

(٢) الأرْغن : آلة موسيقية .

(٣) المغنّيكم : المغنى اسم فاعل مضاف إلى مفعوله « كم » ، والضّيفن : من يتبع الضيف وهى ضَيْفنٌ ، وضيفنة .

وماذا بعيْدَ العطف منى عليهمو

سوى ما ترى نفسي .. وترويه أعينى

ملاحم من شعر الزمان .. جميعها

دموع .. وأنّات .. تغيب .. لتنثنى[1]

خضبت بها أُفقى .. ورطَّبت واحتى

وإن لم يكن فيها غَنَاءٌ لمجتَنِ

وماذا بقلبي – عاد – بعد تجاوزى

سنى الطفل .. يا أَنعم بهاتيك من «سنى»

أَلَا لَم يعد يا قلب فيك سوى المنى

منى الأَمس والمجهول .. والحاضر الدنى

منى الأَمس يا قلباه .. والغيب دونها

وأَنت بمعنى الغيب ذاكى التفطن

وأَنت بمعنى الغيب أَدرى .. فطالما

فَرَرْت إلى تحقيقه مِنْ تَظَنُّنِى

---

(١) ملاحم : جمع ملْحمة ، وهى كناية عن عمل شعرىّ طويل يتألف من أناشيد عدّة نُظمت فى وصْف حرب من الحروب ، ووصْف جيوشها وأبطالها والأمكنة التى دارت فيها ، تشترك الآلهة فى وقائعها وتقوم على الأساطير والخرافات كإلياذة هوميروس وما شاكلها ، ولكن الشاعر استخدمها بمعنى القصيدة التى تعبر عن تجربة فى الحياة من تجاربه التى عبر عنها بشعره .

فما عدت إلا بالذى أنت أهله

من الهم .. والوهم الضَّلول .. المدجِّن[1]

حنانك قلبي .. فالمنى .. أنت عالم

بتخداعها .. علم الجهول المزكِّن[2]

* * *

حنانك قلبي .. وامض بى .. حيث لا نرى

سوى اليأس فى واديه .. سأمان .. أصفرا

نرى اليأس فى واديه .. والموت عنده

وأخبار ما يجرى .. وآثــار ماجرى

نرى اليأس قلبي .. فهو أولى بنا معًا

وأقرب رحمى بالضحايا .. بنى الثرى[3]

نراه كأيّام .. لقيناه عندها

كريما .. رحيب الباع .. لا ينكر الورى

فهم عرفوه – قبلنا – خير راحة

يضىء إليها اللّاهثون من السُّرى[4]

(١) الضَّلُول. والضِّلّيل : الكثير الضّلال المبالغ فيه ، وصاحب الغوايات والبطالات . المدجّن : الذى دخل فى الظلام .

(٢) المزكّن : المشبَّه الملبّس .

(٣) الثرى : التراب .

(٤) السرى : سَيْر عامّة اللّيل (يذكر ويؤنث) .

وهم عرفوه غير هذا وحاكما

عجيب القضا يا – عادلًا . ما تهوّرا

مليكاً له فى كل بادٍ وَمبهمٍ

من الدّهر سلطان يذلّ التجبرا

وهم عرفـــوه شـــاعرا كل حظِّه

من الشعر .. أن يبكى على اليوم أشهرا

كما عرفوه – دون ذلك – تاجرا

على ظلمه .. يبتاع منه .. ويشترى

ونحن عرفنــــاه على كل حالة

وعشنا – على عينيه – يا قلب أعصرا

عرفنـــاه عرفان الأَحبّـــة بعضهم

رفيقًا على حاليه – سرًّا – ومظهرا

فما كان إلا اليسر فى كل عسرة

وما كان إلّا للمُلِمّات مطهرا ..![1]

فما لِكِلَيْنَـا بعـــد – يا قلب غيـره

رجاء وإن أفنى .. وأضنى .. وحيّرا

---

(١) الملمّات : جمع مُلمّة وهى النازلة الشديدة من شدائد الدّهر .

نعم يابن أيامى الحزينات دائما

ويا عاهل الآلام فى كل ما أرى

هو اليأس مهوانا القديم .. وحصننا

فدونك .. فاجعل أوّل الحب آخرا[1]

---

(١) المهوى : السقوط من عُلو إلى سُفْل .

الأفعى (١)

« إليها فى كل جحر .. وبين
أحضـــان أى ثعـــبان »

اشغليني بما تريدين منّي واملئي بالغرام سمعي .. وعيني
بفنون الإغراء .. باللهب الثّا ئر من جسمك البديع الأَغنّ (٢)
جسمك العبقريّ .. شكلا. وظلاً الغويّ .. الغنيّ .. عن كل حسن
اشغليني .. فقد تنالين من عُمْـــــرِيَ يومًا .. نقضيه كالحالمِيْن
عند هذا الرُّكن القريب من الأَرْ ضِ .. وإلا .. فعند أبعد ركن
هو يوم .. كأيّ يوم .. سيمضي أو مضى .. فالحياة .. لونٌ كَلوْن
سنقضّيه وحدنا .. ثم ترْضِيـــــنَ .. وأشكو .. أوتشتمين . وأُثني
بين خمر رخيصة .. وأغـــانٍ ساقطاتٍ .. تجرى على غير لحن
ودخانٍ مُعَطّرٍ نتعاطـــــا هُ .. بعيدا .. فى وَكرِنَا المستكنّ (٣)
وحديث مهلهـــل عن ليالـيـــ ـك .. وعن قلبك الصغير المُسنّ
ونكات حفظتِها عن أبي النُّوّا (م) سِ أو عن جُحا الحكيم المِفَنّ (٤)
تتقاضينني عليهـــا حياتي وتقولين .. قد رجعت بغبْنٍ
هو يوم كأيّ يوم .. سيمضي أومضى .. فالحياة .. لون كَلوْن

(١) تعبّر هذه التجربة عن رفضه للمرأة حينما يكون غاضبا عليها .
(٢) الأغَنّ : ذو الغُنّة فى الصوت . (٣) المُستكنّ : المستتر .
(٤) المفَنّ : صاحب الموهبة الفنيّة ، وهو مبالغة من فنّ .

سنقضّيه وحدنا .. ثم ترضين وأشكو .. أو تشتمين .. وأثنى

وبعينىّ لهفة .. وانتظار وبعينيك ما يثير .. ويُضْنى

اشغلينى .. وقربينى منْ كَرْ مِك .. أجْنى قطافه .. وأُغْنى

كرمك المشتهى .. القريب من الأيْدى .. وإن كان غاية المتمنى

خفيت فيه من أنوثتك الحمْراء .. دنيا .. حدودها فوق ظنّى

يا بنة الليل .. والخطيئة .. والآفاق .. والسجن .. والهوى .. والتمنّى

قصّةٌ أنت ألَّفتها الليالى من شذوذ وحيرة وتجنّ

أشعلينى نارا .. فلن تحرقى منّى إلاّ ما جفف الدهر منى

ثم يبقى لدىّ من صبواتى ثروة فى مواسم الحب تغنى[1]

أشعلينى .. وعربدى .. واذيقينى مالم أذق .. وتيهى .. وضنّى

واسحرينى ظلاًّ لظلّك فى العَالَم .. وامضى كما تشائين عنّى

ثم عودى إلىّ .. بعد قليل تجدينى .. كما أنا .. فاطمئنى

* * *

لا تظنى أنى سأُعطيك أيّامى جميعا .. فالخير ألاّ تظنّى

لن تنالى منى .. سوى ما تنال الْعَيْن .. من فحمة الظلام الدجنّى[2]

غَمَرات من الظلال .. تناديك وتبكى عليك .. وهى تغنّى

ستكونين فى قصيدى بيتا تهدم الريح جانبيه وتبنى

---

(١) الصبوات : جمع صَبْوة ، وهى الميل إلى اللهو ، أو الحنين والتشوّق إلى الحبيب .

(٢) الدجنّى : جمع دجُنّة وهى الظّلمة ، أو الغيم المطبق الريّان المظلم لا مطر فيه .

أنشودة الغرباء[1]

النَّدامى .. وما أُحبّ النَّدامى حرمونى- على البساط - المدَاما[2]
حرمونى .. وخمرهم من عصيرى ومضوا - دون أن يقولوا سلاما

* * *

أيها الراحلون عنّى- رويــــدا فمن الهجر ما يكون حراما .. !
أيها الراحلــون عنى .. وأنتم صفوة الكأْس .. لذة .. وانسجاما
أيها الرحلون .. أَغْلَقَت الْحَا نة أَبوابها .. وباتت ظـــلاما
وجفا الكأْس راحتِى .. ونَأَى السا قِى ..وأغفت عينى ضَنًى وسقاما[3]

* * *

أيها الراحلون .. مانمت عنكم إنما نمت حيرة .. وانحطاما
كنت يوما .. وكنتمو .. ثم شئتم ما أرانى - قبل الختام - الختاما
بعتمونى بفرقــة .. أنا فيهــا أوحد العاشقين خمرا .. وجاما[4]
لم يعد لى من حبّكم غير أَحْلاَ م .. صداها يشتّت الأَحلاما

(١) تعبر هذه القصيدة عن حالة شعورية تمثل فترة من حياته ، فرقت فيها الحياة بينه وبين أهله وأصدقائه وسمّاره .

(٢) المُدَام : الخمر .

(٣) الضّنَى : المرض أو الهزال الشديد ، وهو كذلك السّقيم والمريض الذى قد طال مرضه ، وقد يوصف به المفرد والمذكر وغيرهما على السواء ، وبعضهم يثنيّه ويجمعه فيقول : هم أضناء .

(٤) الجام : الكأس .

ذكريات .. أبكى لها .. وأغنّى ... وهى لى بعدكم هوى .. ونداما

أيهَا الراحلون عنى .. وعن كأْ ... سِى .. وحالى .. لاترهقونىَملاَمَا

إن تغنَّيتُ أو بكيت .. فإنى ... عبد قلبى .. مدامعًا .. وابتساما

إن تغنّيت أو بكيت . سواءٌ ... أعشق الناس ..منْ سلا .. ثم هاما

* * *

أيها الراحلون .. لاتذكـرونى ... شاديا يملأُ الدُّنى .. أنغامـا

أيها الرّاحلون .. لا تذكروا منِّـــــىَ ... إلاَّ الأَوجاع والأَسقاما

أُذكرونى .. أخا الليالى الحيارى ... فى هواكم .. وابن الدموع اليتامى

سوف أَحيَى لكم .. وإن كنت عنكم ... نائيا .. لا أرى لديكم مقامـا

سوف أَحيَى لكم .. فإن مت يومًا ... فاحفظونى .. فقد حفظت الذماما

أيها الراحلون .. إن مت يومًـا ... فلقد مِتُّ قبله أيامــــــا .!

فوداعا .. على المحبة والشَّـوْ ... قِ .. وداعًا .. ولهفةً .. وسلاما

أيها الراحلون .. مهما جفوتم ... فأَنا من عهدتمونى غرامـا !

(١) الملام ، والملاَمَة : اللّوم ، واللّوم : العذْل والعتب ، ج : ملاوم .

(٢) الذّمام : العَهْد والأمان والكفالة والحقّ والحرمة ، ج : أذمّة .

عاد الربيع أو أين أنت !

عاد الربيـــع ولم تعـــودى   يا نبع أفراح الوجـــــود

عاد الربيع .. ولم تعـودى   فعلام أمنحــه نشيدى ؟

ولمنْ أغنِّى .. والفضاءُ الطلق   يسخر من قيـــــــودى ؟

وبأىّ لحنٍ والأغاريـــــد العذاب.. هجرن عودى[1]؟

أنا للفناءِ .. فلا تمنِّينى   بأحلام الخلـــــــــود ..

(١) الأغاريد : جمع أغرودة ، وهى غناء الطّير أو الإنسان .

سلوى

ذهبت عنك - ياحزين - الهموم فاسلُ ماسطعت . فاللطيف قديم
أو فبَاكِ الأيام .. وابك مع الأيَّا م .. حتى تنسى .. وأنت العليم
أيها الذاهب - الغداة - مع الأوْ هام .. تسعى وراءها . وتهيم [1]
ذهب الأمس .. والذى أنت فيه ذاهب .. والغد الْمرَجّى .. مقيم

* * *

فاهف - ماشئت - نحوه وامض ماشئ ت إليه .. وناجه .. وافن فيه
فهو غيب .. وأنت تأنس بالغيـ ب وتشقى .. وأنت من عارفيه
لك ما للّذين راحوا .. فآبَا ؤكَ منهم .. فى الحق .. والتمويه
ولك اللَّذْ لمن همو .. أنت فيهم من نسِىٍّ .. وجاهل .. ونبيه [2]

* * *

لك ما للذين راحوا .. وما أنْ تَ قديما .. إلا وأنت .. جديدا
أنت كالخلق .. فكرة ومثالا مبدئًا ... فى تأمل .. أو معيدا
أنت كالناس .. ماوصلت حِبَا لكَ .. إن قائدا لهم أومقودا
لم تكن ذات لحظة رب شىءٍ فأفِقْ .. تشهد الربيب المريدا [3]

(١) الغَدَاة : ما بين الفجر وطلوع الشمس . ج : غدَوات .
(٢) اللذْ : إحدى لغات اسم الموصول للمفرد ، وهى : الذى ، واللذِ ، واللّذْ ، واللّذىّ ، ولَذىْ .
(٣) الرّبيب ، والرّبوب : زوج الأم الذى يربى لها ابنها من غيره ، ج : أربّاء وأربّة .

يا رفيقى

« لمخرج الشاعر الحر الأستاذ محمد كمال عبد الحليم المحامى ديوانه الرائع « إصرار » وفيه بعث جديد لفكرة الحياة المثالية التى يهفو إلى تحقيقها كل مؤمن بذاته ووطنيته وإنسانيته ، فكان من أثر اشعاعه فى نفسى هذه الأبيات التى أضعها بين يديه تحية خالصة لديوانه الخالد العظيم » .

يا رفيقى .. وأنت موحى قصيدى ⠀⠀ وإليك العظيم من تمجيدى [١]

يارفيقى – وأنت أنت .. بنفسى ⠀⠀ ما تمنيه من رجاءٍ مجيـد

تتمنى لنيلكِ العِـز والْمَجْـدَ ⠀⠀ وتلك الآمال .. سر وجودى

فأنا فى الذى تحسّ .. وتبلـو ⠀⠀ أَنت .. رغم ابتعادنا فى الوجود

* * *

يارفيقى .. ونحن – ماقلت – «جرحا ⠀⠀ ن يسيلان من دمٍ وصديد » [٢]

بيدينا دواؤنـا .. فالتمسـه ⠀⠀ فى نشيد .. يحدو سَرَايَا الجنود [٣]

والتمسه فى مدفع آدمىّ ⠀⠀ يتغنّى بمدفع من حديـد

والتمسه فى الحقل يخضعه الْفَلاَّ ⠀⠀ ح كرها .. بكفِّه المكـدود

والتمسه فى عامل يبدع الْمَصْـ ⠀⠀ نعَ فنًّا بفكـره المجهـود

والتمسه فى كل مايعمل الشعـ ⠀⠀ ب .. وبارك حياته من بعيد

---

(١) موحى قصيدى : مُلْهمى .

(٢) هذه الكلمات مقتبسة من شعر الشاعر محمد كمال عبد الحليم فى ديوانه « إصرار » .

(٣) السّرايا : جمع سرية ، وهى القطعة من الجيش ما بين خمسة أنفس إلى ثلثمائة .

ذلك الشعب .. والحياة تساقيـه كئوسا .. من الضنى .. والجمود
لم تزل فيه من حياة الْأَوَالِيـن .. بقايا .. من عزة .. وصمود[1]
نحن منه .. فنحن نصلى كمايصلى .. ونشقى بحظه المنكـود
يارفيقى .. والشعب يغمره الصَّمْتُ .. تَسمعْ لصوتـه المخمود
إنّ تحت السكون .. تعوى الأعاصيرُ .. انتظارا ليومها المعهـود
يوم لاينفع الأفاعى فحيـح ويكون الفضاءُ .. زأرَ الأسود[2]

* * *

يارفيقى ـ ونحن ـ ماقلت ـ «روحان يضجّان فى حديد القيود »[3]
لا يكن لحنك البديع نواحا دائما .. وانطلق بحلـو النشيد
أَو .. فخافِت به . إلى أن يوَاتينا صباح .. متوّج بالسُّعود[4]
عنده ننفخ الْأَرَاغِن بالنجـوى ونحيى أنغامها من جديد[5]
يارفيقى .. وليس هـذا غريبا فبعيد الآمال .. غير بعيد
بعد حين .. سنلتقى ـ وينادى كلُّ شيخ فينا .. وكل وَليـد
من أنا .. دون عزة وعـلاءٍ وطموح على الليالى وطيـد ؟

---

(١) الأوالى : جمع الأولى ، وهو الأحق والأجدر والأقرب .
(٢) الأفاعى : جمع أفعى ، وهى الحيّة من شرار الحيّات . فحيح الأفعى : صوتُها . زأر الأسود : صياحُها من صدورها .
(٣) هذه الكلمات مقتبسة من شعر محمد كمال عبد الحليم فى قوله : روحان يضجان ... الخ
(٤) فخافتْ به : فخفضه أو أخفه . والسعود : جمع سَعْد ، وهو اليُمن ونقيض النحس .
(٥) الأراغن : جمع أرْغُن ، وهو آلة موسيقية نفخية ، وقد جمعه الشاعر بالرغم من أن اللفظة يونانية .

من أنا .. إن رضيت للوطن الأمجدِ عيش الأغلالِ والتقييـد
من أنا ــ في الحياة ــ إن حَمَلتْني ميّت الذات .. فانيا في ركودي
من أنا .. والوجود حولي فسيح إن تقيّدت بالصُّوى .. والحدودِ[1]
الحياة الحياة حولي .. وما أزْجوه منها ضرورة اوجودي[2]
والأماني العصماءُ ملئي .. وفيها كل مالي .. وعدّتي .. وعديدي

* * *

يارفيقي ..مامصر ؟ماالشعب؟مافِرعون. ؟ ماعمرو ؟ما كرام الجدود
يارفيقي مامصر . ؟ وهي من الْعَالَم كالسيّد العريق الطريـد
يارَفيقي ماالشعب.. ؟ وهو بقايا حلمٍ ضاع من خيالٍ شريـد
يارفيقي ونحن أبنــاءُ فِرعَـون .. وحراس مجده في الوجـود
كيف ضاع الذي ورثناه عنـه وبقينا نبكي لمجـدٍ فقيـد
يارفيقي ونحن أخلاف عمـرو أين مِن وَالدٍ مَكَان وَليـد
يا رفيقي .. ونحن في القيد سيّان .. كفانا رضًا بنــار القيود
انطلق فكرة .. وحلّق خيالا وانبعث وثبة بغير حـــدود
وافض مابقلبك الحر من نــور على أُفقك الحزين .. المديـد
فَغَدٌ بيننا .. وفيــه أَمَانِيــنا .. جنود .. أكرم بها من جنود

---

(١) الصوى ، والأصواء : جمع صوة ، وهي ما غلُظ وارتفع من الأرض ، وما نصب من الحجارة ليستدل به على الطريق .

(٢) وما أزجوه منها : أيسره منها ، من زَجا الشيء يزجو زجوًا ، وزجوًا ، وزَجاء : تيسر واستقام.

ولنا فى السماء .. مجد نُحَيِّيـ ... هـ .. ونحيا لفجره المنشود
فسلام عليه يوم نلاقى ... حُسنَهُ زاهيا بنور الخلود
وسلام على الحمى وبنيه ... من ضحايا الحرمان والتشريد
الكرام الأُلى استحالوا عبيدا ... لعبيد .. سادوا . بفعل عبيد

أنا

أَنا سرٌّ الجنون .. قبل الجنونِ ... قبل أَن تستقلّ كاف بنونِ
أَنا ظلّ الهوى القديم .. ومعنا ... ه .. ومَجْلى جماله المكنون[1]
أَنا روح المغنى .. وآية ملك الـ ... خلق .. قبل الإبداع .. والتكوين
أَنا وجه الوجه الجميل .. ومرآ ... هُ .. ومهدى ندائه الكيْنونى
« كنت » قبل الأَكوان .. ذاتًا وسرًّا ... ملءُ معنى محبّة «الياسمين»[2]

---

(١) مَجْلى : مصدر ميمى من جلا يجلو جلاء بمعنى ظهر ووضح . المكنون : المختفى المستتر .
(٢) الأكْوان : جمع كوْن ، وهو عالم الوجود .

لولا .. ولولا (1)

« هذه الأبيات ظلٌّ بعيد . . لموجدة من مواجد أستاذى فى الله ، السيد العارف الأكبر مولانا الإمام محمد ماضى أبى العزايم . . قدس الله أسراره ورضى عنه وأرضاه »

لولا .. ولولا .. ولولا عبدٌ قديم لِمولى(2)
لأَصبح السرّ جهـرا منّى .. وأَصبحت قولا
وغبت عن كل شىءٍ ممـا بدا .. وتجلّى
اولا عناية عين الـــرّحمن . . حين تجلّى

* * *

لولا .. واولا .. ولولا كرامـة .. ما تخـلّى
سبحانه .. وتعـالى مولاى .. مادمت مولى(3)
فإنه هـــو يدرى أنى تفـــانيت ذلّا
وأَنه .. وهو ربى بعبـده الـذلّ أولى
وأَننى .. وهو ربى مسكينه ليس إلا

(1) أنشد الشاعر هذه القصيدة بمناسبة زيارة الشيخ أبو العزايم إلى بلطيم ، وكان الشاعر من بين مريديه .

(2) المولى : الربّ .

(3) المولى : العبد .

وإنّنيــه فكن لى يارب .. قولا .. وفعلا[1]

* * *

مولاى .. مادمت أهـلا فسوف ألقاك أهـلا

ولست أعرف – مولا ى غير ذاتك أهـلا

ولا لغـيرك فضــل وكيف يملك فضـلا

إلا بفضـلك ربى ربى تعـالى وجلاّ

هو الكريم المـرجّى لِمـاهُ دقَّ وجَـلَّا[2]

فى كل حين وآن ما دمت أملك قــولا

ولى بنجـواه وجـدٌ والهجر يعقب وصـلا

* * *

مولاى .. ما كان بعدى إلا انطباعا وقتـلا

وقـد تجـرد قلبى من كل غير تخلّى

فكن لعبدك – ربى– ما دام للفضـل أهلا

وامنُنْ .. وصلّ .. وسلِّم «مولاى زكّى وصلّى»

---

(١) وإنّنيه : أصلها وإنى هو ، فوضع ضمير النصب محل ضمير الرفع للضرورة الشعرية ، وبناه على الكسر فى محل رفع خبر إنّ وهذا غير صحيح . لأنه لم يرد له فى كلام العرب نظير فيما أعلم .

(٢) لماه : أصلها لماهو أى للذى هو ، فوضع الشاعر ضمير النصب أو الجر محل ضمير الرفع ، وبناه على الضمّ فى محل رفع لأنه صدر صلة للموصول ، وهو مثل التركيب السابق « وإنّنيه » لم يرد له نظير فى كلام العرب فيما أعلم .

قومى [1]

وقفت عمرى على قومى وآمالى
وبعتهم همّتى .. والمطمح الغالى[2]

أحْيَى لهم وأفدّى مجدهم كلفا
بالعالمين .. جوادًا غير بخّال

إن ضاحكوا دهرهم .. باريتهم فرحا
ورحت أشدو هنىّ القلب والبـال[3]

وإن تنادوا إلى همٍّ يؤرّقهم
ألقيت فى النار أنفاسى وأوصالى

قومى .. وهم زينة الدنيا وبهجتها
وفى سماء المعالى نجمها العالى

أعمامى الصِّيد ـ فى الإسلام منبتهم
والعيسويون فى التاريخ أخوالى[4]

أهوى هواهم .. وأفدى منهمو شهبا
يشيّدون العلا .. بالعلم والمـــال

---

(١) هذه القصيدة تمثل إنسانية الشاعر وإيمانه بالرحم الإنسانية لا إيمانه بالفردية الخاصة .

(٢) المطْمَح : هو الهدف السّامى الذى يتطلّع إليه المرء .

(٣) باريتهم : عارضْتُهم ونافستُهم .

(٤) الصِّيد : جمع أصْيد ، وهو كل ذى حول وطول من ذوى السلطان .

قطرة خمر

« كنت أخشى عليها أن تسيل ، وهي على حافة
الـكأس . . ولـكنها . . ولكنها سالت »

سـالت القطرة من كَأْسي التي هي كأْسي .. وأنا الحاسي لماها[1]
سالت القطرة من كأسي .. وما شدّ تظمائي إلى برد نَدَاها
أَو لظاها .. فهي كأْسي وحدها وأنا وحدي ـ على الدهر ـ فتاها

* * *

هذه الكأْس أَنا شـــاربها وهي تدري أَنني عبد طلاها[2]
هذه الكأْس رَفُوقٌ دائماً بالنّدامي .. فلماذا لا أَراها ؟
صرعت حسّي .. وأفنت يقظتي ووجودي .. ومضت نحو مداها
تثبت العقل وتمحوه كما شاء من فجر ـ وفي البدء ـ ضياها

* * *

يا بنة الدنيا .. ومَجلَى حسنها والرّدى العاصف من نار أَساها[3]
كيف لم أَلقك يوما .. مثلمـا لقي الناس الأُلَى .. ذاقوا هواها
هم أَساغوك .. وساغوك .. ندى عبقريا .. ونعيما .. ورفـاها

(١) اللّمى : حافة الكأس .

(٢) الطّلا : الخمر .

(٣) مَجلى : مصدر ميمي من جلا يجلو جلاء بمعنى ظهر ووضح .

وأنا .. ما ذقت مما ذقتـــه منك .. إلا حرقا عشت أخاها

أنا ـ يا كأسى التى أشقيتنى كأسك الحىّ .. عيونا .. وشفاها

وفؤادًا .. خافقًـــا .. ملتهبا يتمنّاك ـ على الدنيا ـ إلٰهــا

نذر العمر لأحلام الطـلا وطوى العمر. انتشاءً.. وانتباها

راضيا حينا .. وحينا ساخطا قيد جبّارين .. روحى .. وهواها

* * *

أنا يا كأسى التى أذبلتنى من سقى كرمك بالخمر القديم

أنا ساقيك .. فلا تستكثرى لحيانى قطــرات من حميم[1]

أتصبّاها .. لتحلو .. مثلما يتصبى مرّة الرأى حميم[2]

أنت يا كأسى .. وما أقربنى منك .. فى أعماق معناك الختيم[3]

لاتكونى جمـــرات دائمـــا فأنا الشّرْب الحىّ .. والنديم[4]

حيْهلًا يا كأس .. مادام الهوى ملء حبّاتك .. يفنى ويهيم[5]

لاتغيبى مـــرّة واحــــــدةً واسبحى يا كأس فى سرى وهيم[6]

قبِّلى روحى وقلبى .. وانشـــرى فوق أشواقى أفواف الغيــوم

---

(١) الحميم : الماء الحارّ.

(٢) اتصبّاها : استهويها وأشوقها . الحميم : القريب الذى تودّه ويودك .

(٣) الختيم : التّام من ختم الشىء يختم ختمًا : أتمّه وبلغ آخره وفرغ منه .

(٤) الشرب : القوم يشربون ويجتمعون على الشراب .

(٥) حيهلا : أقبل وعجّل .

(٦) الهيم : جمع أهيم ، وهو من الرجال العطشان أشد العطش .

واذهبي بى .. عن مَوَامى وحدتى　　واسحقى ذاتى.. كما يهوى العليم[1]
وانشرى سحرك ملئى .. واجعلى　　دون مثواك .. حميَّاى العديم[2]
وابعثى أسرار ما أسقيته　　من يد النور وجدواه العميم
باعث الفيض الذى أغرقنى　　وطفا بى .. وهو بى برّ رحيم

قلب حائر

تحيّر قلبى .. من يحب؟ .ومن يسلو ؟　　ومَنْ هى من دون العذارى له أهل؟
ولو كان قلبى جلمدًا لأراحنى　　وجنّبنى مادونه النار والقتل[3]
ولكنه قلبى .. وقلبى خميلة　　يبابية الأغصان .. ليس لها ظلّ[4]
على أن فيه من ندى الحب قطرة　　يهيم بها الصّادى ويزكو بها المَحْلُ[5]

---

(١) الموامى : جمع مَوْماة ، وهى المفازة .

(٢) الحميّا : الخمر ، وحُميّا كل شىء شدّته وحدّته .

(٣) الجلْمد : الصخر ، ج : جلاَمِيد .

(٤) الخميلة : الشجر الملتف ، ج : خمائل . يبابيّة : جرداء .

(٥) الصّادى : العطْشان . المحلْ : الجدْب ، والجوع الشديد ، ج : أمْحال ، ومُحُول .

اخوتى [1]

إخــوتى أحباب قلبى   من بنــات وبنين
فلهم عطفى وحــبى   دون كل العــالميــن

* * *

نحن فى البيت زهور   تَمــلأُ البيت عطورا
وهنــاء .. وصــفاءً   وجمــالا .. وسرورا

* * *

نحن إن كنا صغارا   فأمانينــــا كبـــار
ولنــا الحب رداءٌ   ولنا المجــد شــعار

* * *

قد عرفنا حبّ مصر   مذ عرفنــا والدينــا
نحن منهــا وإليهــا   وهى منــا وإلينــــا

(١) ألقاها وهو مدرس فى مدرسة بلطيم الابتدائية للبنات .

اشواق

ياحبيبي ملأ الفجر انا كاســـاتنا من ضـــياه ونداه
فاصح ياحلو .. فقد حنّ للقياك السّنا وشـــدا الطير غناه

* * *

كل شيء هاهنا يسألنى ياحلو عنـــكا الروابى والغصون
كل شيء هاهنا يذكرنى أكثر منكا أيها القاسى الحنون

* * *

أيها الهاجر لاذقت حنينى وولـــوعى بلياليك الحســـان
لم أعد أملك إلا ذكرياتى ودموعى وبقـــايا من أمانى

* * *

آه ياهاجر من مرّ الليـــالى
وهى تجرى بين سقم وملال
آه من حبى .. ووهمى .. وخيالى
وأمانٍ كلما طافت ببـــالى
أشعلت نار حنينى للوصـــال

* * *

عُد إلى العشّ فقــد أوْحشه بعدك عنــه مثلمــا أوحشنى

ياحبيبا ليس فى قلبى ولاعينىّ منــه غير نار الشجن

* * *

ياحبيبى ملأ الفجر لنا كاســـاتنا من ضياه ونداه

فاصح ياحلو .. فقد حن للقيــاك السّنا وشدا الطير غناه

عودة

ملأْتِ بالدمع كأْسى أبكى به أمنيـــاتى
فلا تظُنى فـــؤادى قد نام عن ذكرياتى

* * *

يامن أخاف عليهـا من لوعتى وحنـــينى
لا تنـــكرينى فـإنى أحببت فيك شجـونى

* * *

داريت حبّك حتى لا أُبتلى بحســود
إذ أنت أجمل عندى من كل ما فى الوجود

* * *

وكم وهبتك قلبى وقلت روحى فـداك
ولم أزل .. غير أنى محيّر فى هـــواك

* * *

أغريتـنى بالتمـنى فصار طبعاً لـديّا
فبالذى ضـــاع منى ماذا جنيت عليّـــا

* * *

لا تســألينى عمّـا يقوله الناس عنـا
فكل ما أنا أدريـــــه .. أنّنا قد عشقنا

* * *

لاكنت .. إن كنت أدرى عن غيرنا أىّ شىّ
وكيف .. والحبّ أعمى عينىّ عن كلّ حىّ

* * *

مازلت أذكر يوما نويت هجرك فيه
فكان حبّك أقوى من كل ما أبتغيه

* * *

ورحت أوسع نفسى لوما .. وهجرا ..وذُلّا
حتى استرحت..وعاد الغرام أقسى .. وأحلى

* * *

وها أنا بعد طول السُّهاد .. والحرمان
قد عدت .. فاستقبلينى بلمحة من حنان

* * *

هذا أنا .. فاعذرينى إذا سئمت اصطبارى
فما كَحَالِكِ حالى ولاكنارك نارى

* * *

يا من أغار عليها من كل شىء تراه
وكل حسن بديع لحسنها منتهاه

* * *

لكل حبٍّ أوان ككل ما هو فان
وأنت .. حبك فوق الرّدى – وفوق الزمان

اعطوها حقها

« لمناسبة مطالبة المرأة بحقها فى الانتخاب »

أفسحوا للذى تريد المجـالا ودعوها إذا أردتم كمالا
إنها رحمةٌ .. وصبرٌ .. وحبٌّ كرمت فطرة .. وعزت خصالا
افتحوا البرلمان .. وانتخبوها فَلَكَمْ فاقت النساءُ الرجالا
ولديكم تاريخها فاقرأوه تجدوها على النبوغ مثالا
وانظروا كيف صاغت الأجيالا واستطاعت أن تخلق الأبطالا
وانظروا الأرض لو خلت من سناها لاخلَتْ كيف تشتكى الإمحالا[1]
مزّقوا هذه الغياهب عنها تعرفوها .. حقيقة .. وظلالا[2]
تعرفوا القوّة التى لم تروها فتقيموا لمجدها تمثالا ..
واذكروا آية الحكيم فقد تصلح لو تعقلونها الأحوالا
« وعصى آدم » وما قال حواء فسبحان قوله وتعالى[3]
واخضعوا مرة لحكم الليالى « فالليالى من الزمان حبالى »

---

(١) الإمحال : الإجداب .
(٢) الغياهب : جمع غيهب وهو الظلمة .
(٣) يشير إلى قوله تعالى « وعصى آدم ربّه فغوى » .

عبقرى

«ألقيت فى ذكرى محرر المرأة «قاسم أمين» ، بدار الاتحاد النسائى ، فى ٢٣ من إبريل سنة ١٩٥١ »

يتناهى الأنام والأيــــــامُ ولك الخلد دولة ... ومقــام

يجثم الفكر خاشعا حول مثوا كَ .. وتروى أمجادَك الأقلام[١]

ويقولون عنـــك متّ .. وآثا رُك نورٌ لا يعتريه ظـــلام

أيها الميت .. كم من الناس حيّ هو ميت .. لولا الخطا .. والكلام

* * *

عبقرىّ .. له على الشعر حــق فَمَرَاقِى نبوغه لا تُــرام[٢]

الزّعامات .. كالحيــاة .. فنون فهى بعث .. أو ثورة .. أو سلام

وهو فنٌّ من الزعامة مختـــا رٌ .. وخلقٌ من الزعيم جســام

جاء فى أمةٍ من الشرق حيــرى مزّقتهــا الأغراض والآلام

باعثا فى الوجود وثبة روح آبــد .. لا تحدّه الآطــام[٣]

خافقا كالحياة .. يَقظان كالنو رِ طليقا كأنّـــه الأنْســام

السياسات حوله .. عصبة تبـــنى .. وأخرى رجاؤها الانهدام؟

(١) يجثم الفكر حول مثواك : أى يلزم مكانه أمام منزلتك فلا يبرحها .

(٢) المراقى : جمع مَرْقى ، وهو الرق ، والرقّ الصّعود .

(٣) آبد : خالد . الآطام : جمع أطم ، أطُم ، وهو الحصْن ، أو البيت المرتفع .

وهو ماض كأنه آيةُ الفجْـــــر .. إذا حف جانبيه القتام[1]
حاملا ملء ذاته فكرة البعـ ـث لشعب تقوده الأَوهـــام
جاهلٌ .. يحيا .. وقد نقد الدهـ ـر .. كما عاش فى المتاهات سام

* * *

ويروحون يبحثون ـ وخلف الليل دوح . بها البنــاءُ يُقَـــام
جهلوا أمرها وحجّبها عنهم ضباب ـ من صنعهم .. وغمــام
وانتهى سرُّها إليه فما أغـــــنى .. ومن حوله الكسالى نيام
شاءها صيحة .. ففكَّت قيــود وارتقت أُمّــة وتم نظام

* * *

أَيها الثائر المحرر مـــــاذا من معانيك تدرك الأَفهام ؟
لم يزل صوتك الندىّ كمــا كا ن . وإن غاب وجهك البســام
آه لوتستطاع رجعــة ميت قبلما يؤذن الحيــاة الختام
لرأَيت الذى غرست وقـــدآ تى ثمارا كأَنها الأَحــــــلام
بلغت مرفأَ الأَمانىّ ـ ياقـــا سم ـ حواءُ ـ والرياح جهــام[2]
بلغته .. وحقَّقت ما أَرادت رغم ما أَرصدت لها الأَيّـــام
إنها يا أَيها الحبيب كما شئْـــــت .. كفاح .. ويقظة .. واعتزام

(١) القتام : الغبار الأسود ، أو غبار الحرب .
(٢) المرَفأ : مَرْسى السفن ، ج : مَرَافئ . الجهام : السحاب لاماء فيه .

باركتها « هدى » العظيمة حتى لقيت ربها .. عليها السلام[1]

ولدينا من روحها نفحات هن للنيل - صبوة .. وغرام

لم يزل سيرها على وجهها الأهـدى.ومن حولها الصخور فِئام[2]

حاربوها .. وما يزالون .. والمو كب يجرى .. وروحه الإقدام

لست أدرى .. وليس غيرى أدرى ما مَدَى مايريده الأقوام ؟

أقيُودا .. والكائنات انطلاق ؟ أم ركودا .. والعالمون اضطرام ؟

أم يقولون : إن للدين حدًّا تحمد الحرب - دونه - والخصام ؟

وهو الدين حجة الجهل إن خا ر .. وأعيا ببيانه الإفحام

* * *

أيها المرجفون .. قد ذهب الأمـس وهلّ الضحى .. ومات الظلام

ولها حقّها الذى يدفع التا ريخَ عنه .. والعقل .. والإسلام

وغَدٌ بيننا .. ومنه سندرى أحلال تحريرها أم حرام ؟

والأتيّ العالى من السيل لا يمـ نع تهداره حصى أو رجام[3]

---

(١) يشير إلى الزعيمة المصرية هدى شعراوى رائدة الحركة النسائية فى مصر .

(٢) الفئام : الجماعة من الناس ، ولا واحد له من لفظه ، ج : فُؤْمٌ ، فُؤُمٌ . والفئام كذلك خلاف الغطاء ، وهو ما تفترشه فى الهودج ونحوه .

(٣) الأتىّ : السّيل يأتى من بعيد . الرجام : جمع رجمة ، وهى مايوضع بين الحقلين من حديد أو حجر ليميزهما . والرّجام كذلك جمع رَجم ، وهو الحجارة التى توضع على القبر ، أو البئر .

صمت الظلال

هذا الطريق الطويـــــل المدلهــمّ الظـــــلام[1]
قد حار فيــه الدليـــــل وضجّ منه الزحـــــام

* * *

هذا الطريــق الطـــويل متى يرى منتهـــــاه
متى يراح الضَّلِيـــــل فيه .. ويلقى عصـــاه[2]

* * *

حصبـــاؤه لا تـــبـــزال مخضوبـــة بالدمـــــاء
تروى عليهـــــا الصِّلال ملاحم الأشقيـــــاء[3]

* * *

الجائعين العرايـــــا والناعمين الكســـــاه
راحـــوا جميعـــا ضحايـــا آمالهـــم فى الحيـــــاه

* * *

راحـــوا فما من سعيـــــد منهم .. ولا مـــن شَقِى

(١) المدلهم : الظلام الكثيف .

(٢) الضليل : الكثير الضلال المبالغ فيه ، وصاحب الغوايات والبطالات .

(٣) الصّلال : جمع صلّ ، وهو الحيّة من أخبث الحيات . ملاحم : جمع ملحمة ، وهى كناية عن عمل شعرىّ طويل يتألف من أناشيد عدّة نظمت فى وصف حرب من الحروب ووصف جيوشها وأبطالها والأمكنة التى دارت فيها ، وبالرغم من ذلك فإن الشاعر يطلقها على قصص الأشقياء .

الشيخ مثل الوليد والحُرّ كالمُوثَقِ[1]

* * *

فسلْ رمال الطريق هل تذكر الراحلين
تلق الجواب العتيق يأْتيك عبر السنين

* * *

ليس وراء السؤال إلا سؤال سواه
فاقنع بصمت الظلال عما تقول الشفاه

قبلة

« كانت تقرأ شعرى فى تأثر واحتفال ، فوجدتنى
— دون وعْى — مندفعاً نحوها لأضمّها ،
وأقبّلها . . فغضبت . . أو تغاضبت »

حينما رحت تهزجين بشعرى وتقيمين صفحة بيديك
لم يدع لى الهيام شيئا من الْعَقْلِ .. فقبّلت — جامحا — شفتيك
فاعذرينى .. فربّ عامٍ تولّى وأنا مهمل المكان لديك

(١) الموثق : منْ شُدّ فى الحبل وغيره ، أومن أحكم بعهْد .

يا شرق

مجــدٌ يهان .. وعزة تتضعْضع حتّام أَنت على الزمان مُضَيّع[1]

فى كل يوم حادث وضحيــة وبكل وادٍ مأْتم .. وتوَجُّع ؟

ما أَنت فى الدنيا ؟ وماذا ترتجى ولكل حرٍّ فوق أَرضك مصــرعُ

مازلت من ماضيك أَقرب ثاكل عهدًا بما يُدمى العيون .. ويُدمِع

أَيَئِسْتَ ؟ أَم آمنت أَنك زائلٌ ومن العقائد ما يضِرّ . . وينفع

يا معبد الطاغوت .. دينك باطل فلكل إثمٍ فى رِحابِك موضع[2]

* * *

أُمم كأَطراف الجذيم .. فناؤها إرثعلىنُوَبِالحياة .. موزَّع[3]

أَبناؤها الغرباءُ فى أَوطانهـــم كفٌّ مُصَفِّقَةٌ .. وأُذن تسمــع

ومضلَّلٍ وهب الحياة لمذهـــب النارُ بعضُ دُعَاته .. والمدفــع

ومؤمِّل عند الكريهــة حظَّـــه بعد الكفاح .. منيّة لا تدفع[4]

أَشلاءُ معركة الحياة .. وعندهم أَن الجهاد تنابذٌ وتَقاطُع[5]

---

(١) حتّام : أصله حتى ما ، حذفت ألف ما الاستفهامية تخفيفا ، ومعناه : إلى متى ؟

(٢) الطّاغُوت : الشيطان ، وكل رأسٍ فى الضّلال يصرف عن طريق الخير ، ج طواغيت رحابٌ ، رَحْبٌ : جمع رحْبَة وهى الأرض الواسعة ، ورَحْبَة المكان : ساحته ومُتّسعه .

(٣) الجذيم : منْ قطعت أطرافه بسرعة .

(٤) المُؤمّل : المترجّى المترقب.

(٥) التّنابُذ فى الجهاد : المجاهرة به . وتنابُذ القوم عبارة عن اختلافهم وتفارقهم عن عداوة .

فإذا تنادَوا للفِـداءِ تفرّقـوا ... وإذا تداعَوا للسِّلاب تجمَّعُوا[1]

ما ضاءَ مطلعهم بنجم ثاقـب ... إلا وكان القبر ذاك المطلـع

* * *

ياشرق .. والأيَّام دائبة السُّرا ... والليل حولك..والرّدى ..والبلقع[2]

طال الطريق.. وفى حُداتِك فتنة ... ووراءَ وجهك أفعوانٌ أبقـع

ما زلت أَنظر دون فجرك غيمة ... يحمومة .. للسمِّ فيها منقع ![3]

يا شرق .. والتاريخ وثبة أُمة ... ترجو الحياة .. ورأْسها مترفِّع

أخشى عليك.. وأنت تحلم عابثا ... ألاَّ يكون لما يفوتك مرجـع

(١) السّلاب : جمع سَلَب ، وهو ما يُسلَب وينتزع قهْرًا .

(٢) السرى : سير عامّة الليل (ويُذكّر ويؤنث) . والبلْقَع : الخالى من كل شيء ، يقال : مكانٌ بلقَعٌ ، وطريقٌ بلقعٌ ، ج : بَلاَقع .

(٣) اليحمومة : الشديدة الحرارة .

اعتذار

سامحيني إذا شدوت .. وألقيت إلى الريح ثورتي .. وظنوني
فالهزار الغريب .. قد يتغنى وبجنبيه عاصفات الشجون[1]
أملي . واحة .. وعمري صحرا ءُ .. وكأْسي فيّاضة باللحون[2]
والدموع التي غسلْت جـــراحي بنداها .. باتت بغير معين
والطريق الذي احتواني بالأَمـــس.. بعيد عن ناظري.. وهو دوني
والرِّفاق الذين نادمتهم كأْ سي طواهم عنِّي ضباب السنين
صرت وحدي وآه من صرت وحـــدي ثم أَوّاه من صداها الحزين
والغد العبقريّ إن كان من حظّي .. فأَنواره لغير عيـــوني
فإِذا ما أَطلقت نفسي .. وغنَّيـــت.. فأَصغي إليّ.. أَو..سامحيني

(١) الهزّار : طائر حسن الصّوت (فارسي معرّب) . ويقال له : هزار دستان . لأنه يغني ألحانا كثيرة .

(٢) باللّحون : بالأغنيات .

الحكمة

رأيتهــا تمشِى وفى كفِّهــا عكّازة كظهرها الأَحــدبِ
تشكو إلى المجهول حرمانهــــا وضيقها بالعــالم الأَرحــب

* * *

ومثل شهقات سراب يموت كانت خطاهافوق وجه الطريق[1]
من حولها أَلف خيال يفوت وليس فيهم عارف أَو صديق

* * *

ظننتهــا تبحث عن نفسها مثلى .. فأَلقيت إليها السلام
وكان خوفى سوءُ إغضائهــــا أَشدّ من خوفى ظنون الأَنام[2]

* * *

لكنها حيّت .. وقد أَسبلــــت أَجفانها .. واستضحكت فى حنان
قلت إلى أَين .. فقالت إلى لاحيث .. حيث البحر .. والشاطئان

* * *

قلت لها ما البحر .. قالت تراب أَنبت فيــه المــاء سرّ الأَزل
أَمواجه أَنت .. وهذى الكعاب واليأْس من شطآنه والأَمل[3]

* * *

(١) شهقات : جمع شهقة ، وهى المرّة من تردّد النفس فى الحلق بحيث يُسمع فيُصبح صَيْحة .

(٢) الإغضاء : الصبر على الأذى والتحوّل عن مصدره .

(٣) الكعاب : جمع كعْب ، وهو كل ماارتفع وعلا (أى الشرف والمجد) .

قلت لها من أنت قالت كيان ... كل كيان فيه منِّى حيـــاه
أنا هو الناقوس .. والمُعْمَدَان ... والمعبدالقدسى .. وروح الصلاه[1]

* * *

أمشى ومصباحى عـــلى راحتى ... تطفئُ منه الريح .. أو تشتعـل
للأرض عندى عالم فاضـــل ... وللسماء العـالم الأفضـــل

* * *

فى الكوخ تلقانى .. وبين القصور ... أَبيع أنوارى لمن يشتـرى
وربّما مرّت علىّ الدهــــور ... لم يكسبوا منّى .. ولم أخسر

* * *

الموت من ذاتى كما للحيـاه ... فجوهرى مشرق معناهمـا
أنا .. وما يظهر مجدَ الإله ... لاشىء فى الناموس إلاَّ همـا[2]

* * *

غريبةً أحيا .. وكم من غريب ... آنست دنياه بروحى الحنـون
وعدتُ إذ لم ألق لى من حبيب ... أسأل نفسى من ترانى أكـون

* * *

---

(١) النّاقوس : مضْراب النصارى الذى يضربونه إيذانا بحلول وقت الصلاة ، ج: نواقيس .
والمُعْمَدَان : الذى يعمد بالماء للتوبة داعيا إلى الرجوع عن الخطيئة ، والذى بشّر بمجىء المسيح، وهو يُوحَنّا المُعْمَدَان : ابن زكريا واليصابات من أنسباء يسوع المسيح .

(٢) النّاموس : جبريل عليه السلام ، وصاحب سرّ الرجل ، والذى يطلعه دون غيره على باطن أمره ، وبيت الرّاهب ، ج : نواميس .

وأطرقت تسكب من عينهـا شجون فكر .. ومعانى خلـود
ثم مضت .. كأنها لم تكـن تملأ – من حين – على الوجود

* * *

ومثل شهقات سراب يمـوت راحت خطاها .. وهى تطوى الطريق
من حولها ألف خيال يفـوت وليس فيهم عارف .. أو صديق


ثانيا
القصائد النثرية

أفكار

« إلى لحظات الإشراق الخالدة فى تاريخ الظلام »

أيها الفلق الملثّم بضباب الألم[1]
أيُّها الفجرُ المحيّر بين النور والظلمة
هذه صلواتى أبعثها إليك باسمة الدمع دامعة البسمات
لعلّ فيها بقيّة من عبير روحى[2]
تسبح وتهيم ... فى محرابك الصامت
لتوقظ فى قلبك الناسى معانى الرحمة والإشفاق

* * *

هذه صلوات زهرة برّية
أذهلها نسيم الغـــروب
غروب الشباب فى ربيع العمـــر
وطيّرت الأعاصير عطرها أباديد[3]

---

(١) الفَلَق : الصبح ينشق من ظلمة الليل ، والطريق المُطْمئن بين الرّبوتَين . والمُلْثم : من يشدّ اللثام على وجهه . واللّثام عبارة عن نقاب يوضع على الفم أو الشفة ، ج: لُثم . والضّباب : سحابٌ يُغشى الأرض كالدخان ؛ ويكثر فى الغداة الباردة .

(٢) العَبير : أخلاطٌ من الطّيب ، وقوم عبير : كثير .

(٣) أباديد : يقال : ذهبوا أباديد : فرقاً متبدّدين ، وطيرٌ أباديد : متفرقة .

وأرهقت عودها لفحات الجحيم فى التيه المقفر
تيه الأشجان والحرمـــان
فكونى نداها الحنون الباسم
وانقليها بيديك الصوفيّتين
إلى الأصيص المجهول فى البستان المجهول [1]
يا خمرتى فى دنان الغيب
باركتك نسمات الخلود فى الوادى الأقدس
ورقرقت أمواجك الناعمة النائمة .. يد الله
خالقُ الْحَان والندمان .. والخمر والساقى
وعطّرتك أطيابُه .. وكرّمتك أقداره
فلم تطوِّف بك أنفاس عربيد
يشربك ليحيا . ثم يموت
وأنا ... كأسكِ الظامئ
أحِنّ إلى قطرة يتيمة من نورك الخمرى
أشربها فأحيا .. ثم أموت ..ثم أُبعث ..
كأساً من الشعر لو تُسْقَى الشموس بها
ترنّحت ومشى التاريخ سكرانا

(١) الأصيص: وعاء كالجرّة له عروتان يُحمل فيه الطّين ، وهو أيضا وعاء تزرع فيه الرياحين ، ج : أصائص .

يا زَهْرتِى الشقراءُ فى واحة المجهول

كم طابت النَّجْوى المطائرِ المجهول

فى واحة الصدرِ

وجُنَّتْ الأَيام .. شوقًا إلى الأَنغام .. والعطر والأَنسام

يا زهرتى الشقراءُ فى واحة المجهول

* * *

ياخَلْقَ أَوهامى .. يا ربّة الأَوهام

يا نارَ أَحلامى .. ياجنَّة الأَحلام

هذا هو الكونُ .. كونٌ كما شِمْتُه .. فى مشرق العمر

أَنوارُه ظُلم .. أَفراحُه أَلم ... وحبُّه حقد

هذا هو اللحن .. عن مَسْمَعى صنتُه .. كيما تغنيه روحى

لتسمعه روحك .. يا روحى

فنُسْعد الدنيا بالحبِّ والنجوى

من قبل أَن نمضى قلبين محرومين

من فرحة العمر .. فى مغرب العمر

* * *

يا صفوة الأَشجان .. والسُّهد والتَّحنان .. والحب والحرمان

ياهمسة النشوان .. من خمر إلهامه

يا فكرة الفنان يا سحر أَنغامه

قلبى رضيع الحانْ والله ساقيه
يهفو إلى قطره من نورك الخمرى
أَو نسمة حُرَّه من طيبك السحرى
أَو دمْعَةٍ ثرَّه تبكيه أَو تبكى[1]
شبابه الحيران فى مهمه النسيان[2]

أملى

أَن أُبْعَثَ من قبر النسيان
وأَن تبهرنى أَضواءُ الحياة الخالدة
حياة الفن والحب والحريّه
فهى الحياة التى أَطمئن إلى أَنها من خلق الله
والله – تعالى – فنان محبوب . حرّ اليد والفكر والإبداع
هو الذى خلق الفنّ قبسًا يهوى ويضل ليهدى
وهو خالق الحبِّ جنونا وعقلا
وخالق الحرّية .. انطلاقا مقيّدًا بأَغلالٍ أَثيريّة
مشاعة فى ملكوته الأَعظم .. شيوع روحه الأَمين
فى قلبى ونفسى وروحه وعقلى وخاطرى ... و.. أَملى . .

(١) الثرّة : الغزيرة ، من ثرّ السائل يثُرّ ثرّا ، وثرورا : غزر وكثر . فهو ثرٌّ ، وثارٌّ ، وهى ثرّة .
(٢) المهمه : المفازة ، والبلد المقفر ، ج : مهامه .

حياتى

حياتى دميةٌ لم تتم

فقد شوَّه خَلْقَها مثَّالها الفنّان

بعد أَن أَودع فيها من ذاته أَروع المعانى وأَبدع الأَفكار

ولكنها معان سجينه .. وأَفكار مقيّده

لم يأْنِ لها أَن تطفو

فالدّمية خرساءَ العين زنجيّة اللسان

أَراها فى خيالى كأَنها تنادى الزمن

أَيها المجنون فى عَدْوِهِ

اِمْضِ بِى إِلى خالقى

فإِنى أَرجو أَن يذكر عنى أَنى شقيّه

من يوم أَن كنتُ فى يديه

لاحول لى ولاقوّه

ويا فرحتا إِن أَنا شاركت غيرى من الحيرات

فى جهاد السماوات

حتّى إذا فتحت أبوابها
حمدت من المأساة ختامها
وقنعت عنه . برضاه عنى وعن حزنى وصمتى
حين أحترق وحدى بأشجان الوحدة
وشغله عنى بسواى من دُمَاه
فى مَمْثَلِه المجهول

أولى

بين أفراحِ المواليد أتيتُ العالما ؟
لست أدرى أمُريدًا جئتهُ أم مرغما
أو أنا أدرى .. كما يدرى ذبيحٌ ألما !
إنها النار فلا تلقوا عليها ضرما !

آخرى

أَيها النّاسُ لقد نفضت من عمرى يدى !
وهفت روحى إلى رُؤْيَة مايَطْوِى غَدِى
آه لو أَملك أَن أَعرفَ كُنْهَ الْأَبَدِ
آه لو أَنى لا أعرف معنى الأَبد
فهو أَعمق من ظلام اليأْس
معجزة لا إرادة لها فى إعجازها
لغز طلسَمه السَّاحرُ الأَعظمُ
فاستغلقت أَسراره
وأَظنُّه خالد السرِّ
لايكشف إلا لعينه الساحره
فى وجهه السحرى
ويا ليتنى أَعلم ما بعد فناءِ الْمُوجَدِ ؟
أَهو بعثٌ رهنت ساعته بالموعد ؟
أَم .. أَم هو الوهم .. مُبْعِدُ الدانى .. ومُدْنى البعيد ؟
أَم هو الزَّبد
الفكرة التى ندّت عن ذهن المحيط
فى ثورته على السّابحين والغرْقى

صلوات

اللهم إنى تبت إليك من ذنوب أنت تعلمها وقدّرتها فكانتْ
وأنا أعلمها ولم أُقدرها وكانت
اللهم فاجعلها كأن لم تكن
لأنى أُريدها ألاّ تكون .. وأنت ربى وأنا عبدك .

* * *

اللهم إن كنت عصيتك فلأعرفك....
وقد عرفتك
وكثير من الناس غيرى أطاعوك ولم يعرفوك
فعرّفهم إليك وقرّبنى منك..

* * *

اللهم إنى رأيت الناس فى أعمالهم
فرأيت أشباح فاتكين وأرواح جازرين
وأنت صنعتنى على عينيك
شبح إنسان .. وروح ملك

أو هكذا أريد أن أكون يارب ...... وأنت قادر

اللهم فباعد بينى وبينهم بيدك الرفيقه

وأيِّدنى بك اللهم .... وأسعدنى بك لى ولهم

* * *

اللهم إنك فى السماوات معبود ... ومعبد .. وعابدون

وفى الأَرضين كذلك

وفى الفضاءِ كذلك

لاهم افتح بينى وبينك سبيل حُبِّك

لأَسمع صلوات الملائكة والجنَّة والناس وتسبيحهم

فى السموات والأَرضين

لأَفنى فيها وفيك.

* * *

اللهم يامُلهم الإنسان أَن يحب

والحيوان أَن يُشبل

والطير أَن يحنو

أَنا أُحبّك ... فأَحببنى ... مريدا

وأَنا أَحنو على الناس .

فامنحهم يقظة القلب .. لاغفوته .. وصفاء النفس ... لا رنقها

وانطلاق الأَسر .. لا أَسر الانطلاق

ولو مُرَادَيْن...

* * *

لا همّ إنى ظامئٌ إلى منهل صوّره لى حنينى إليك

جائعٌ ملهمٌ بوحى الخبز السماوىّ

الذى أَتلقَّى فتاته حينما يزدردنى الحرمان ...

إلا قلبا يخفق بك ... ولسانا يذكرك .. وعينا تراك

لاهم فارونى ..

واشفنى بقطرات غيثك الأَزلىّ الأَبدىّ

وأَعطنى

وأَنِلْنى ولو بقية كسرة

من مائدتك الأَزلية الأَبديّة

* * *

لاهمّ إنى نقعت نفسى فى كأْسٍ من الفكر الثائر والجد العاثر

وأَذبت ترابى .... فى محيط التراب

ولكننى كنت أَرى روحى ترفُّ على أَثباجه

تنادينى نداءَ المستغيث بالأَمل

... أَفِقْ يا قبرى من رقدتك

فما بقى على فراقنا إلا ما يعلم الله ...
فاسمُ عن طريق المعلوم فقد التاث
وانتظر المجهول فهو الغياث

* * *

لا همّ إن القابل أعمى ... يتخبط فى دياجير غيبك
والماضى أعمى مثله ....
ولكنّ بيديه مصباحاً يشيع الظلمة فى حاضرى
وقد مللته ... ومللت مصباحه
فهو من التراب
فابعث إلىّ من غيبك ..
أيها المجهول .. المعلوم
إشعاعةً تملأُ علىّ طباق فكرى ونظرى
فأنت وحدك الهادى
وأنا وحدى الضلول
وحسبى ندائى
ولك فرض تضرّعى
يا أكرم مضيف لأفقر ضيف

* * *

لاهمّ إنك للكون والكائن ... كشراع السفين

تمضى دونه إلى الهاوية .. فلا ترفق بها

وإلى الناجية ... فلا تحنو عليها .

وتسير (به) إلى الهاوية ....

فتخفق ذؤابته على السطح كذراع الغريق

ألا فانظروا ... ها هنا حى يموت

وتسير (به) إلى الناجية فتأمن مكر الطريق

ألا فانظروا ... ها هنا ميت يحيا

لاهُمَّ ... فِسرْ بى

أنا الزورق الهيمان رغم شراعه

إلى ناجية العدم –

لأرى عالماً أحنُّ إليه

حنين الشعاع الغريب فى بيداء الأُفق الدّاجى

إلى نافذة الشمس بعد الغروب

* * *

اللهم يا منقذى من التِّيه ! ....

وقاذفى فى القفر ! ....

ويا مطفئي بنـــوره ! .....

ومضيئي بنوره ! .....

ويا مُسعدى بإشقائى ! ....

ومُشقيّ بسعادتى ! ....

يا رَبٍّ

إلى من تكلنى

إلى نفسٍ همُّها الخير للناس والنعمة ؟

وهمّ النَّاس لها الشر والعدوان ؟

أَم إلى ورقة صفراءَ من ورق الخريف يقال لها القلب ؟

كلما رنَّ فى أعماقه نداءُ الحنين إلى الصديق ..

خفق خفقة المحموم ثم جُنَّ

حتى إذا لقيه فآواه ونصره ..

نادته أَلْسنة الأَشباح الهائمة فى مروج الشرّ

فيشُون ويدسُّون

وينحتون من أَيّامهم تماثيل الفتنة ليعرضوها عليه

ثم ليصطفُّوا من حوله

ليبيعوه كلّ متحفٍ بدرهم

حى إذا استيقظت الفتنة

وجمعت من حولها الرُّقَى والتمائم
هبت الورقة الظامئة هبوب الاعصار
ثم نامت بين أحضان الجدوب
وهى يا ربّ كأحضان القدر الساخر تضمّ يتيما فقيرا
أم تكلنى يارب إلى الناس ؟
وهم من علمت يوم عصاك أبوهم
وأنت تعلم يارب أنهم شأوْه فى المعصية
فحرثوا الأرض وزرعوها شوكا وقتادًا
وطردوا الأفق ثم نشروه هلاكا مرسلا منك إليهم
ثم منهم إلى أنفسهم
وأقبلوا على شهوات الطين
يسوقونها طائعة وعاصية
إلى حَيْث تقام مذبحة السماء ... فى الأرض ! !
ليطعموها شهيّة لهم ....
على مائدةٍ خمرها دم النسك
وساقيها جازر النبوّات وصريع النبيّين
أم أنت ... يارب ... موكلى إلى عقلى ؟
هذا الأرقط الخالد فى رأسى

على أمواج من الشك القاتل واليقين الذاهل
لايهتدى ولا يقرُّ
وكأن أبى أن يقرَّ ويهتدى
ثم انقاد ... فأراد
بعد أن خبّلته صفعتك الخالدة
ونداؤك الخالد
(أفِق يا مخلوق ... فها أنذا)
(أنا الملّاح المجهول)
(صانعَ السفينة بيدى)
(ومُسَيِّرها بريحى)
(ومجريها على موجى)
(أنا صاحب المحيط الأعظم)
(من بدئه الذى لاتعرِف)
(إلى نهايته التى لاتعرف)
(فدَع شكّك ... وارقب يقينى)
(أما ترى فجره الصادق)
(ونبعه المرتوى)
(ورحيق نبعه الرقراق)

يسبح فى محيطه ويهيم

(أما تذكرنى ... يا أخا عبدى ؟)

(أيام كنت أشقّ عليك الظلام ... وأمنعك الصخور)

(أنا .. هو ... هو)

(ولاشىء إلا أنا)

(وما أنت منى إلا همسة خاطر)

(فارفق بنفسك وبأخيك)

(واجنح إلىّ)

(أهْدِكَ بفجرى)

(وأُروّكَ بنبْعى)

(وأُطهِّرك برحيقى)

ورفقت به يارب فهديته إليك

ورفق بى فأراحنى

وجنح إليك بى

وجنحت إليك به

فهديتنا بفجرك

ورويتنا بنبعك

وطهَّرتنا برحيقك

فحيينا بك

وفنينافيك

* * *

يا نهايتى ... أنا بدوك

ياآخرى .... أنا أوّلك

يا من لا أوّل له معروفا ....

ولا آخر له مكشوفا .....

قرِّب لى نهايتى

كما أُحبّ وأرجو

وكما تحبّ وترضى ..

٢٤ مارس ١٩٤٥


ثالثا
النثريات

امشاج

الحبيبان درّتان فى صدفة مهما طغت عليها الأَمواج فهى أَبدًا على السطح .

* * *

لا شىء من نعيم الدنيا يعدل سعادة رجل يحبّ امرأَة أَحبته .

* * *

الحظُّ فى الدنيا كالكرة فى الملعب ربَّما فاتت اللاعب ليتلقَّفها المتفرِّج

* * *

لعل قطرات النَّدى على الزهر دموع ملاك عشق الشمس ... ولعل فى الشمس طبيعة الأُنثى .. تجفف الدموع ... لتصبّ النِّيران .. ! ! !

* * *

هل المستقبل ... يا حبيبى ... إلا ذلك الأَعمى الذى يتخبّط فى دياجير الغيب ؟ يحمل فى يمناه الأَمل ... وهو رضاك ...
وفى يسراه اليأْس ... وهو قِلاك ...
ويا ويحى إِذا لم يَسْتَرِدَّ ما أَودعته يُسرى أَخيه الماضى فى يدى ..

* * *

أَيها الفلق الملثَّم بضباب الأَلم ... ...
أَيها الفجر المحيرّ بين النور والظلمة ... ...

هذه صلواتى أبعثها إليك ... ...

باسمة الدمع ... ... دامعة البسمات

... ... لعل فيها بقية من عبير روحى ... ...

تسبح وتهيم ... ...

فى محرابك الصامت

لتوقظ فى قلبك النّـــــــاسى

معانى الرحمة والإشفــــاق ...

* * *

لا تطالب بالحق الذى لك ... حتى تؤدى الواجب الذى عليك

* * *

بين الطريق الذى تسلكه .. والطريق الذى يجب أن تسلكه .. فارق يسير .. وذلك .. هو أن تعرف ماذا تريـــد .

الفن

هل الفن إلا انطلاق وخلق .. وثورة روح على جسمه
تكلفــه العيش فى نــــوره فيقبس منــــه على رغمه

* * *

الشك : ... ...
وما الشك إلا ربيع العقــول وإن كان فى لفحه كالخريف

* * *

الأرض : ... ...
هى الأرض شطرنج هذا القضاء ونحن على ظهرها كالـدّمى

* * *

اليـــأس : ... ...
إذا فقــد المرءُ آمـــــــاله أقام على عمــره مأتمـــا

* * *

إذا خوت البطون من الطعام ، امتلأت الأفكار بالثورة

* * *

بين الشعراء أصنام لا تحطمها كثرة المعاول وإنما تحطمها قوة اليـــد الهادمة ..

أَضيفوا إلى أَلقاب شعرائنا لقب (شاعر مقتضى الحال) .

لا زالت مصر بلد (مَن قال) لا (ما يقال)

وأنكر إن قالوا أأَحببت جاهدًا ويقسم قلبي إنه لعميـــد ! ! !

وأَعلم إنكارى هواى مضاعفـــا أَساىَ ولكنى لذاك مريـــدُ

* * *

لأَنْ أكون زهرة فى دمنة خيرٌ من أَن أَكون شوكة فى الرّياض . .

* * *

قلت لمجنون مرّة .. لعلك جائع لا تجد الطعام . فنظر إلىّ نظرة رثاء وقال .. بل أَنا مكتظٌّ أُرَجِّى الجوع .

مثل المرأَة والرجل كمثل حيّة بنى لها الأَرقط بيتا من الزهر فى جنة فينانة ثم أَخذ يشبل عليها ويسوق لها من هوامّ الأَرض ما أَسمنها حتى إذا شبعت وارتوت .. احتمت بالشوك ثم قالت له .. هلاَّ أَطعمتنى نفســك .. ؟ ؟ ؟

أنا ونفسي

بين نفسي وبيني عــداءٌ أظنُّه قديما

فما خلت من آثاره لحظة من لحظات عمرى وما أظنها ستخلو .. فى المجتمع الآهل بالصحب والأصدقاء .. وكلٌّ يلتمس السبيل إلى الضحك والإضحاك بما أُوتى من حذق وقدرة على الانفلات من حدود التفكير الأسود ... أجدنى مقيدا بأغلال خفيّة .. تحول بينى وبين المشاركة فيما يأتيه الناس وما يدعونه من فنون الدعابة والمرح .. بله الاندماج فيه ..

أنا الساعة جالس .. وعن يمينى إنسان دقيق الحسّ مضحاك مهذار له قدرة على ابتكار النكتة وابتداع المضحكة من النوادر .. فهو إذا أخذ فى فنٍّ من فنون القول ... لابد من أن تتخلله المضحكات ... ولو اقتضى الحديث فى هذا الأمر الجدَّ كلّ الجد ..

وقد يروى حادثة تفجع القلب وتكلِمه ويصير يتقلّب فيها إلى أن يجد أو يوجد منفذا لدعابة .. فما يبقى من الوجوم المخيِّم على السامعين أثر ... وعن شمالى إنسان آخر لا يقل عن هذا مشاركة فى فنون الهذر والضحك والفكاهة .. ولكنه يمتاز عن أخيه بأن لدعاباته

(أو فيها) نوع عقلى أضفاه عليها تعليمه وثقافته .. فهو خريج مدرسة من مدارس المعلمين .. وكلاهما فوق ذلك يضرب فى فن الشعر بِسَهْمٍ قد يطول وقد يقصر ، وإن كان التفاوت بينهما فى الجودة والفنية منمازًا ..

ومع هذا أو مع أنى أنا الآخر مصاب بنكبة الشعر .... فما الشعر إلا نكبة . غير أن إحساسى بوجودهما يكاد يتلاشى فى محيط صمتى وسكونى وتبرمى بالحياة والاحياء . فما أَحد فى هذا العالم ببالغ من نفسى مبلغًا ضؤل شأْنه أو خطر فكل ما أَمامى ومن أَمامى من الأَشياء والأَشكال والأَناسىّ هيولى منثورة تكاد تنعدم .

* وكل الذى فوق التراب تراب *

وما أَظن ذلك إلا استجابة لابد منها لكل ما قاسيته وما زلت أُقاسيه من نفسى وفكرى ... فمتى يموت إحساسى؟ ومتى أَنتهى إلى عالم لا أثر فيه لآلامى ولا لآمالى ؟ !

أظن المسافة قد قصرت فالشعور بالأَلم والانفعال به بدءُ السُّمُوِّ عن المادّية إلى الروحية ، ولعلّ هذا هو بعض العزاء لى ، ولمن يظلمهم جناح البؤس الروحىّ العظيم ! ....

لك يامصر

لك يا مصر من شبابي أنضره وأقواه .. ومن أمانيَّ أعظمها وأنبلها وحياة الشاعر يا مصر .. شباب وأمانيّ ...

لك يا مصرُ من قلبي إيمانُه ، ومن عقلي فكرُه وبيانهُ ، ومن روحي صفاؤها .. ومن نفسي جمالها .. وحياة الإنسان يامصر .. قلب وعقل وروح ونفس .. لك يا مصر من وجودي أعظم مافيه من سني الجهاد وأيام العمل .. ولك من حياتي أروع ما تحوي من سموّ وطموح وكفاح وأمل ..

* * *

هذه يدي يا مصر .. يدٌ باركَتها يدُ الله .. فلم تمتدّ إلى ريبة .. ولم تعلق بها فاحشة .. ولم يدنس طهرها حرام ... وفي يدي يا مصر . قلم لم تغازله شهوة ، ولم يسخِّره باطل .. فهو للحق لأنه من الحق .. وما أقولها تخيُّلا ولا تجمُّلا – وليس في قولي ما يضير .. لأنه وحي الضميـر ..

وقد يقول غيري إن قلمه من قصب الفراديس ، وهو في الحق ناي،

إبليس ... وقد أقول أنا إن قلمى قطعة من الحطب .. وهو فى الحق أثمن من الماس وأغلى من الذهب .. وسواءٌ علىّ أكان قلمى من السماء أم من الأرض .. فحبّك يامصر مداده ، ومجدك قرطاسه .. وخلودك أغلى أمانيه ...

إن أمجاد العالم – يا مصر – أقباس من شعلة مجدك .. وحضارات التاريخ من صنع حضارتك ، ولك المجد فى الأولى .. فلمَ لا يكون لك المجد فى الآخرة ؟

ولقد أشرقتِ على العالم – يا مصر – يوما .. فهديت الحائر ، وأنرت الدّياجر ، وألهمت الشاعر ، وأعجزت الساحر .. ولقد أتى عليك ... يا مصر ... حينٌ من الدهر لم تكونى فيه شيئًا مذكورًا ... والذّنب ذنب الغاصبين يا مصر لا ذنبك أنت ، ولا ذنب أبنائك .. فقد كانت معاول الغاصبين أقسى من القدر .. فلم ينفع أبناءك تضرّعهم إلى الله أن يُذْهبَ الغاشية ويصنع بالغاصبين الظالمين .. ولم يكفهم يا مصر ما أنت فيه من فقر وجهل ومرض .. فزادوك جهلا وزادوك مرضا .. وزادوك فقرًا .. وسوّلتْ لهم أنفسهم أن يبنوا صرحهم على حطامك ، فاستأسدوا واستدانوا .. وخدعوا ومانوا ... ومهّدوا السبيل للمستعمر فى قلبك أنت يا أمّنا العزيزه .. وأتاك المستعمر بناره وحديده وبطشه وغدره ... فأعان الأولون

الآخرين ، واجتمعت كلماتهم على إذلالك فكان لهم بعض ماأرادوا .
ولكن عناية الله لم تحرمك من نظرة حانية انعقدت إشعاعاتها فتكوّن زعيما تشرق على يده شمس مصر في الآفاق نوراً لا بنائك - يا مصر - وناراً على أعدائك . . ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ... ويحقّ الله الحق ويمحق الباطل ولو كره الكافرون .

٣٠ ديسمبر ١٩٤٥ م

ظلال وألوان

فى ساعة صمت

والليل كأنه قلب العاشق المهجور

أخلدَ إلى السلوى .. بعد أن جاهد أشباح هواه

فأجهدته ... وألقت به على تراب الواقع

والكون كله كالآهة المقرورة

تنبعث من قلب طائر مستوحش

دوَّخته الريح .. فلم يجد له بين الرياض عشًا يأوى إليه

وأنا ... فى وحدتى

أمثل راهبًا من رهبان الأساطير

لم يكمل دوره بعـــد

لأن الشاعر الملهم الذى بدأ القصة ...

لم يرد أن يكملها .. حتى يستوحى عالمه الأثيرىّ الحالم

معانى القوة والخلود

ومن حولى ... ذكريات غير مسطورة

إلا فى صفحات الوهم ... الطائرة فى مهب الريح

.... وتستغرقنى أحلامى وخيالاتى

فأنظر من وراءِ الحجب

لأرى الأهرام الثلاثة ... قصائد المجد الخالد

التى لازالت تتحدّى بمعانيها كل شاعر ظهر فى هذا الوجود

ومن فوقها مصر

أم التاريخ

وفى يدها مشعل الحضارة والحريّة

تحدُّ سناه قيودٌ وهنانة

صنعتها يد المستعمر الغاصب

ودعّمها بخيانته وظلمه

كل طائش الأحلام من صنائعه

وهى تهتف بى

يابنىّ العزيز

إن لك فى هذا الوطن مكانًا لابد لك من أن تناله

رغم كل الخطوب والشدائد

فأنت منى .. ولك خيرى .. وعلى غاصبيك لعنتى

أنا مصر ... يا بنىّ

خلقت الحضارات ... وأقمت دعائم الحرية فى كل زمان ومكان

وهذا مشعلى الخالد ... فى يدى

مشعل أشعلته يد الله

وباركته نفحات هذا الوادى الأقدس

وغذاه النيل العظيم

بزيت تفجرت ينابيعه من جنان الخلد

ولقد أبَى علىّ الغاصبون وأشياعهم

أن أرفع يدى به

لأُنير للعالم طريق المجد والعظمة

ولكن الله الذى خلق هذه اليد

وبارك هذا المشعل

أبَى عليهم ما أرادوا

وهكذا يأْبى الله إلا أن يتمَّ نورهِ ولو كره الكافرون

ولقد رأيتك يا بنىَّ ... تمشى وكأنك واقفٌ .. فما خطبك ؟

قلت يا أُمّاه ...

إن القيد الذى غلَّلَكِ

لازالت فى قدمىَّ منه حلقات

تغللنى عن المسير

وتحول بينى وبين الاندفاع فى طريقى

وقد رانت على عينىَّ من ظلمات الاحتلال ما حجب أمامى الطريق

حتى رأيتك تهتفين بى

وفى يدك هذا المشعل

فأفاقت فى خاطرى ذكريات عنه

فاضوؤه فى ناظرى آثار لم تمت

منذ كنت فى عالم الغيب ... خيالاً أطوف بالكون طوفان الفكرة العظيمة فى ذهن الفنان الأعظم .

وسوف لا تموت هذه الآثار النورانية

فإن النور لا يموت

ولقد أقسمت عيناى منذ رأيت المشعل اللألاء فى يدك المقدسه

لتعيشنّ على سناه .. ولتقتاتنّ بضوئه

حتى تتم رسالة القوة .. ويعمّ الضياء العالمين

على يدى الإعصار الرحيم

الذى يزيد النور قوة وشيوعا

ونفاذا فى أعماق الظلمات المشدودة ستائرها على القلوب والأفهام والأنفس والأرواح ...

هذا الإعصار الذى كمنت فيه قوى الحضارات المتعاقبة على شاطئك الأخضر .. منذ فجر التاريخ

... قالت مصر ... وإنى لأعرفه يا بنى

إنه الزعيم المرتجى

الذى يمنح مصر من خيره مداد الحياة



رابعا

الزجل والأغانى

«يا مالك الملك»[1]

الأَسدُ فى غابها بيقرّر مصيرها النُّوقْ
وِفْ أَوّل القايمه أَبْكم له لسان مَلْووقْ
والشعبُ مفلوق وصوته فى مهجته مَخْنوق
ولو يسيّر أُمور الشعب أَحبـــــــابه
يبَات ويصْبح سعيد الحال وباله يروق

* * *

أُلوف من الفلاحين مايملكوش فــدّان
وفرد يملك أُلوف من مال ومن أَطيان
وِوْلاده يتعلموا فى الجامعة بالمجّـــــان
وابن الفقير ينْطرد مِ المدرســة ويْصِيع
وإن جه يطالب بحَقّه ينسجن فى لُومَان

* * *

(١) هذه قصيدة زجليّة يعبر فيها الشاعر عن الحالة السياسية فى مصر وانحدارها على أيدى الملك وبطانته من الحكّام الذين يتسلّطون على الشعب ومقدراته ويتناسون مصلحة العامل والزارع وغيرهما من أبناء الشعب الحقيقين . وفى هذه القصيدة يبين الشاعر أن مصرليست عزبة لحاكم . وليس الشعب خادماً له ، ويتمنى فى الوقت نفسه أن يخرج فاروق وبطانته من مصر .

والعامل اللى اندفن قبل الممات مَغْبـــون
وحالتُه مايرضهاش عاقل ولا مجنون
لويِعْيَا ســاعه يبيع الحلَّه قبل الْهُون
وإن حبّ يوم فى السّنة يجيب للعيال لحمه
معناها إنَّه حيصبح بعدها مَدْيون

* * *

ياحاكم الشعب لازم تِبْنِى أحــكامك
على رضا الشعب واوعى تعيش فى أَوْهامك
أَو تفْتكر مصر عِزْبه واحنــا خـــدامك
دا الظلم له يوم مِسيرَك تُنكوى بناره
وتبْكى وتنوح على عمرك وأَحـــلامك

* * *

يامالك الملك عدلَك تاه فى ظلم النـــاس
الكلب فى مصر له خُدَّام وله حُرّاس
وابن البلد حقّه ضاع بين النِّسا والكاس
يا رب قرّب نهاية الظلم واسْـعدنا
ويطلع الكلب م ِ الدولة معَ الأَنـجاس

طواف

طوّفى يا روح بالوادى الأمــين وانهلى زادك من نور اليقين
واســألى المختار فى روضــته آية تهــدى قلوب الحائرين
إنّه يا روح .. نور الحق بين العـــالمين
صفوة الخلق .. حبيب الله .. خير المرسلين

* * *

قبِّلى الأَرض التى سار عليها خير من رفَّت على الأَرض خُطاهْ
واسكبى نجــواك ما بين يديها فلديها نَبْعُ أَسرار الإِلــه
صاحب الحوض الذى يروى قلوب الظامئين
يوم لايغنى شفيع ،وهو خير الشـــافعين

* * *

سيِّد الناس أَتى الدنيا يتيما عربيًّـــا قرشـــيّا هاشـــميّا
أَلهم الدنيا الطريق المستقيـــما وهدى الكون صبيّا ونبيّـــا
دينه الحق وفيـــه رحمة لليائسين
وأَمان للحيـــارى وهـــدى للمتَّـــقين

* * *

يارســولا منه يستوحى الزمن كل لحنٍ من أناشــيد السلام
باسمك التاريخ غنَّى وافْتَتَنْ وهــدى للنُّور أبنــاء الظلام
هــذه روحى تنــاجى عيــدك الضاحى المبيــن
فتقبّلهـــا طــوافا حــول واديك الأمين

موال

بعد اللى كان من هوانا ليــه تجافينى
وتحــرّم النــوم وأحــلامه على عينى
يا للِّى هــواك فى فؤادى جمر يكوينى
مادمت قاسى علىّ مين حيســعدنى
لا قلبى ناسى ولا كاسى مســلِّينى

فلسطين

فلسطين يا كعبة العالمين ويا مهْبط الوحى والمرسلين
نُفدِّى حماك بأَرواحنا فنحن الأُسود وأنت العرين[1]

* * *

أَقيمى على الدهر عرش الخلود وهزِّى بصوتكِ قلبَ الوجود
وهبّى فهذا أوان الصراعْ وقد آن للبغى أَلَّا يَسود

* * *

سنحميك من كل وغدٍ أثيم ونُصلى أعاديك نار الجحيم[2]
ونكتب بالسيف تاريخنا ونبعث مجد الجدود القديم

* * *

فلسطين نحن شباب الفداءِ هتفت بنا .. فأَجبنا النداء
فحيِّى العروبة فى حربها وحيِّ بنى العرب الأَقوياء

* * *

(١) الحمى : الشيء المحمى . العرين : مأوى الأسد والضّبع والذّئب والحيّة العظيمة ، وهو فناء الدّار ، ج: عرنٌ ، والعرين كذلك العز والمنَعَة
(٢) نُصلى : نُلْقيهم .

محوتِ بنورك جنح الظلامْ ولازلتِ للنيل حدّ الحسام

فأنت هوى الشرق.. أنت الحجاز وروح العراق .. وقلب الشآم

لك المجدُ فى الأرض منذ القدم فمدّى جناحيك صوب القمم[1]

فقد أقسم العربُ أن يفتدوك فإمّا وجودٌ وإمّا عدم

* * *

فلسطين يا كعبة العالمين ويا مَهْبِط الوحى والمرسلين

نُفَدّى حماك بأرواحنا فنحنُ الأُسود وأنت العرين

---

(١) الصّوْب : الجهة ، والمطر بقدر ما ينفع ولا يُؤذى . القمم : جمع قمّة ، وهى من كل شىء أعلاه .

انت

أنت دنيـاى التى تهتف بى فاسكُبى عطرك فى روحى اسكبى
واعصرى قلبىَ خمـرا واملئى كأْس أيامك منها .. واشربى
واغمرى الكون شباباً ومُنى
وانسخيه نغمـةً فى لَحْنِنَا

* * *

يا بنةَ الفجرِ وأحلام النَّدى
كل شىءٍ لأمانيك فـدى
لاتقولى من أنا .. يا فتنتى
أنت كأْس لم أذقها أبدا
أنت لحنٌ فى حياتى خالد
وأنا والكوْن للَّحن صدى

* * *

أنا عطر نائم فى شـفتيك أنا شوق حائرٌ فى ناظريك
أنا طيف سـابحٌ فى أُفـق راعش الأنوار من خلق يديك
فابعثى روحى من غَفْـوتها واسحرينى نغماً فى أُذنيك[1]
كل ما أشدوه فى دنيـا الهوى فهو منك .. يا حياتى..وإليك

١ يناير ١٩٤٨

---

(١) غَفْوتى : اسم المرّة من غفا يغفو غفْوًا : نام نومة خفيفة .

أغنية المولود

اتمنّى يا قلبي   واتهنّى ياعيني
جاني فرج ربّي   بالخير يراعيني
اتمنى يا قلبي

* * *

هادانى بهديه   سيد ، ومين فى بهاه
وف حسنه ياعنيّه   غير القمر فى سماه
يناغى ويواوى   ليّه واقناوى
وضحكته تساوى   ما تماسكه يمينى
اتمنّى يا قلبى

* * *

فاتت سنين وايام   وانا وابوه عايشين
ما بين رضا وسلام   وإن كان فؤادنا حزين

كنـــا بنترجـاه وبنطلبــه من الله
لحـــدّ ما شـفناه يرضيـــه ويرضينى
اتمنى يا قلبى

* * *

يا رب اعيش والاقيه والقى اللّى بَاتْمَنَّاه
يحمى بإديه أراضيه والخير يجينا معاه
وتهنّى بيه أهلـه وابـوه ويسلم لـه
يارب ويدوم لـه ويكيد عـــدوينى
اتمنى يا قلبى

* * *

اتمَـــنّى يا قلـبى واتهـــنّى يا عينى
جـانى فرج ربّى بالخـــير يراعيـنى
اتمنّى يا قلبى

حسنك يا روحي عليه

من أغاني فيلم « فتنة »

حسنك يا روحي عليه يا مشعللة نارى
محتار أقولك إيه يا شاغله أفكارى
حسنك يا روحي عليه

* * *

هزى قوام العود واسبي عقول الناس
واحكي أغانى العود بغصنك الميّاس
وفرّحى الموعود يا خمره من غير كاس
ونقّلى الرّجلين على نغم روحى
وصوّرى بالعين أحلامى وجروحى
يا جنتى ونارى حسنك يا روحى عليه
يا لحن أوتارى محتار أقولك إيه

* * *

صبا وجمال ودلال وقوام وعيون بتخلق نوروظلام
وروح بتسبح فى الأحلام سكرانه من خمر الأنغام
قوليلى أقول الك إيه يا مشعللة نارى
حسنك يا روحى عليه حيرلى أفكارى

موال

من أغـــانى فيـــلم « فتنة »

ياتاجر المرّ قطّر منه واسـقينى
وانسى دوا الصبر الا الصبر كاوينى
أنا بعت عمرى وكان الذل شـــارينى
وادى ختام قصتى دم ودموع وجراح
ومصير رياح العدم ياعين تطفينى

موال

من أغـــانى فيـــلم « فتنة »

ياجنة الحب مين بدّل نعيمك نار
اللى وهبته الحياة .. والاّ القضا جبـــار
صبحت بعدك شريد النـــوم ، طريد الدار
غريب ماليّاش إلاّ الدموعْ والليلْ
والسرّ مايعلموش غير عالم الأســـرار

أنت وأنا

من أغـــانى فيـــلم « فتنة »

انت وانـــا   والكون لنـــا

ومين يفـــــرق شـــملنا   والحب سرّه فى قلبنـــا

نغـــنى لحنه فى عشـــنا   ويطير معانا فى جونـــا

والدنيــــــا تفرح زيّنـــا   ونقـــول لهـــا وتقول لنـــا

انت   وانـــا

لما اتقابلنـــا فى أول يـــوم   كان الأمل سرّ لقــــانا

حسّيت بروحى تفوق م النوم   وصحيت على فجر هوانا

وبنينـــا بالعين أحـــلامنا   وسكرنا والحب مدامنـــا

وقلت لى انت   وقلت لك وانت

وانت   وانـــا

انت فى سمايا قمر نـــــوره بيهــــــدينى

ويهنّى أحــلامى

وانت فى أرضى شـــجر ظــــــــله بيحمينى

من حرّ آلامى

يا ريتنى أعيش العمر معاك   واسعد شبابى بسحر هـــواك

واقول لك انت   وتقول لى وانت

انت   وانـــا

هات كاسك

هات كاسك واشرب واسـقينى وبخمـــرة قربك اروينى
أدى جنّــة حبىّ وغـــرامى وادى أحـلامك وادى أحلامى
ووصالك فتّح لخيالى دنيا هنيّه

* * *

الزهـر بين صـاحى ونـايم والطّير على الأغصان هـايم
وادى القمـر فى الموج عايم ونوره فى عنيك وعنيّه
فين القمـر وبهـاه من فتنتك وبهـاك
خلّيـه يطير فى سماه وسيبنى أطير فى سماك

* * *

سحرك وجمالك فى عنيّــه
وصالك وأمالك فى ايديّــه
أرويها بحبّى وأحـــلامى وتشمّ عبيـرها فى أنغـامى
ووصالك فتّح لعنيّــه

حبيبى

حبيبى جــــانى وهنّــانى ونسيت فى قربه أشجانى
ما كانش ظنّه أشوفه تانى بعد اللى كان من هجرانى

* * *

حبّيته بعد ماشفت هــواه سبب نعيمى وهنــــايا
وكنت قبل ماعيش وياه أقاسى فى الوحده شــقايا
ولمّا حبيتـــه سقانى من كاس غرامه وروانى

* * *

روحه الجميــلة بتسعدنى وحسنُه بيفــرّح قلبى
ساعة ماشــوفه قريب منى أحسد فؤادى على حــبى
ولمــا يســمع ألحــانى يعطف علىّ ويهــــوانى

* * *

حبيبى مين زى حبيبى فى حســنه ولاّ فى كلامه
رضيت به م الدنيا نصيبى ورضيت بهجره وخصامه
ويوم ماجانى وهنّـــانى فرّحــنى بعد مابــكّانى

ردّ الجواب

رُدّ الجواب إن كنت صحيح حَيْـدُوم حبّك
ما تسيبشى قلبى جريح وتسيب قلبك
ردّ الجواب

أنا عارفه إنك مخلص ليّـه وانا مش هانساك
ووهبتْ لك روحى وعقلى ورضيت بهواك
ولمّا جيت ابنى أمالى زىّ الأَحباب
شغلت أفكارى وبالى بدلَال وغياب
ردّ الجواب

سؤال سأَلْتهلى بعينك وجاوبت عليه
وادى زهر أحلامى فى إيدك تقدر ترويه
لو كنت عايز تسعدنى ونعيش أحباب
ارحم شبابى وطمّنى وابعت لى جواب
ردّ الجواب

يا فتنى

يا فَتِنِّى بحســـنك وجمالك   طمِّن قلبى وارحم روحى
متّعنى بقـــربك ووصـــالك   ودَاوينى وجفف لى جروحى

يا فَتِنِّى

كان حبك روضه من الجنَّه   واحنا الاثنين طايرين فيها
يا ماسمع الكون من أَلحاننـــا   يا ما فِرْحت روحى بأَمانيهـــا
إيه اللى خلَّاه نار   علىَّ أنا لوحـــدِى
وليه فؤادى احتار   ويقاسى من وجدى

يا فَتِنِّى

الليل مهما يطول وأنا ســهرانه   والصبح فى عينى ليلَ ثانى
طول ما انت بعيد وأنا حـــيرانه   والفكر مزوّد أَشــــجانى
ارحمنى م الأَفـــكار   ومن ضنى سُــهدى
واطفى لهيب النَّار   يتمّ لى ســـعدى

يا فَتِنِّى

حنيت للقاك

حَنِّيت للقــاك بعــد مافُتَّــك
وحعيش ويّــاك وابْنِى ســعادتك
حنِّيت للقاك

إن كنت حلفت انك تِنْسى أَنا مش حانساك
وإن كنت أَسِيت والّاَ حتِتْسى حافــرح بأَساك
واسمــع نجواك وارحم شــكواك
وان جيت تعاتبنى راح أَقــــولك
حنِّيت للقاك

قلبك مع قلبى حيتــهنى وينول فى هواك اللى اتمنى
وبعــد النار حنشوف جنَّــه ونجدِّدْ فيها أَفراحنــــا
ومُنــــاى انى أَعيش وأَقولك
حنِّيت للقاك

* * *

ما اقدرشى أتحمّل بعدك   وازاى حقدر

وغرامك فى رضاك أوصدّك   كلّه مقدّر

واد قلبي معاك   ونعيمى هواك

بيغنّى لقلبك   ويقول لك

حنّيت للقاك

احلام

أحلام شبابى وغرامى كلّهـــا أوهـــام
بتطوف علىّ فى منامى وتزيدنى آلام

* * *

أشوف جمـــالك فى جمالها أشـــتاق رؤيـــاك
واشـــوف دلالك فى دلالها أتمنى رضــــــاك
وآجى أسألهـــا امتى يعودلى صفو الأيام
تبعد عنى وتعــلّمنى
إن الأحلام كلها أوهام

* * *

حلمت انك ضـــمّتنى بايديك الاتنين
وبكاس شفايفك وسقتنى خمرة حبيبين
وجيت اشوف عينى فى عينك قمت من النوم
ولقيت عيــدى راح من إيـــدى
وبكيت عليــه وعلى الأحلام

* * *

أنا روحى سكرانه بحبّــك   وفكرى سابح فى جمــالك

واللىّ جمع قلبى وقلبك   جمع آمالى وآمـــــالك

ليـــه تحرمنى فرح الأنغـام

وتعــــــــلّمنى ان الأحــلام

كلها أوهــام

يا هاجر

يا هـاجر والهوى فى قلبي يزيده نار على نـاره

طويت قلبي على حُبِّى ودمعى باح بأَسـراره

يا هاجر والهوى فى قلبي

أقضِّى الليلْ شجى سهران ودمعى فى الجفون حيران

وأَشرب خمرة الأَشـجان لوحدى والهوى فى قلبي

يزيده نار على نـاره

يا هاجر والهوى فى قلبي

* * *

غرامـك سـرّ نجـوايا وقربك فرحى ومنـايا

وبعـدك حـزنى وشقايا هايم والهـوى فى قـلبي

يزيده نار على نـاره

يا هاجر والهوى فى قلبي

* * *

سقيتني الكاس وخلّيتني   وأنا سكران وجافتني
ياريتك ا بعـد ماسقيتني   شفتني والهوى فى قلبي
يزيده نار على نـاره
ياهاجر والهوى فى قلبي

* * *

مين شغلك وشاغلني عليك   بتخبّى وباين فى عنيك
بتكون ويّاى وتتنسانى والفكر معاك
والأوّل كنت بتهـــــوانى
علّمني غرامك وغرامى   معنى الأوهــام
واتمنى أشوفك فى منامى   لو كنت أنام

علمى قلبى الحنان

علِّمى قلبى الحنــــــان   واعطفى ورقِّى لحـــــالى
يكفى تعــذيب الزَّمـــــان   يكفى تسهيـــــد الليـــالى

* * *

يا أمانى العمـــــر حنِّى   ليه تزيدينى أَسيَّـــــــــه
ياترى إيــــه شوَّقنى مـــن   غير دموع تكوى عنيَّـــه
اسمعى لحنى وغــــــنِّ   وعلِّمى قلـبى الحنـــــان
يكفى تعذيـــب الزمـــــان

* * *

اذكــرى الماضى الجميـــل   واحفظى وُدِّى وعـــــدِّى
وارحمى قلبى العليــــــل   يكفى آلامى ووجـــــدى
خفِّفى الهجــر الطويــــل   علِّمى قلبى الحنــنــــان
يكفى تعذيـــب الزَّمـــــان

* * *

كل ما تمـــرّ السنيــــن   كل مايزيــد الغـــــرام
وانتى يرضيكى الأنيــــن   والهنـــا فى حبّك حــرام

يامُنى الباكى الحـــزين   علِّمى قلبى الحنـــــان
يكفى تعذيـــب الزمـــــان

* * *

ويعـــــــود اللِّى مضى   وتكــونى لى وتصـــافينى
اروى من كاس الرضـــا   مهجتى وادفنى أشجـــانى
واللقا يمحى الهـــوان   علِّمى قلبى الحنـــــان
يكفى تعذيـــب الزمـــــان

مين أسعد منى يادنيا

مين أسعد منّى يا دنيــا   مين أبهج منّى يا دنيـــا
بعــد انشغــال البــال   ونوحي وسُهـدى ليــالى
عطفْ عليّ وقــــال   وجفّف دمعى الغـــالى
وسكـرنى بخمـرة حبـه   ووعدنى بجنـة قربـــه
ووصف لى حنينـــه لحبي   وحكيت له عـلى اللّى ضنانى
وعـــذاب قلبــه وقلبي   مقدرتش أدارى حنـــانى
وسكت له قبل ما أشكى   وبكيت له قبـــل ما يبكى
مين أسـعد منى يا دنيــــا

* * *

ما بين حنينــــه وتعذيبى   فى الحب نلـت نصيبى
والعمـر كلـه ثـــوانى   حيمـــوت بقـرب حنينى
فرحـان مشغـول متهـــنى   مين أسعـد منى يا دنيـا



القصة والمسرحية

مطعم التاريخ

« تمثيلية فى فصـــل واحـــد »

المنظر : « مطعم التاريخ » فى مكان لم تطأه قدم — التاريخ جالس يفكر وحوله فريق من مساعداته ... يخرج من صمته ويلتفت إليهن قائلا « فى تأثر واضح .. »

— وبعد ... ؟ أنا يائس . هذا مالاشك فيه ... يائس إلى حد أنى فكرت فى إغلاق المطعم ... ولم لا ؟ وهذه الأيام تمر بى عجلاتة . دون أن يطرق بابى أحدٌ من الزبائن ... حتى زبائنى القدامى ... تركوا أنصبتهم من الطعام حتى عفنت .. ولكنها طعام على كل حال .. بل وطعام نفيس ... لأنه مبارك بيد القدم والعراقة .. ومع ذلك .. فإن الصعاليك من أبناء أصحابه يأبون إلا أن ينقصوا منه فى كل حين... ويا ويلى من أبناء خوفو ورمسيس!... ويا ويلتا من أبناء عَمْرٍو وعُمر ، إنهم لم يَذَرُوا من طعام آبائهم إلا الفتات ، وما أراه إلا ذاهبا بفضل جوعهم

الطويل (ويلتفت إلى مساعدته « حُرِّيّة » هيه .. !
وأنت يا حرّية .. ؟ !
ألم يَعُدْ لك فى هذه الأرض عشاء كما كان لك ؟

حرّية : أنا ؟ — : أظنها لا تخلو من كثيرين من عشاق ، وأنت
يا سيدى تعلم أنها لم تخْلُ يوما من كثيرين .

— هذا صحيح .. ولكن .... إ .... لا شىء ....
إذن فما رأيك ؟ وأنت لست فى حاجة إلى أن أُنبّهك
إلى ما حلّ بنا من ضيق بسبب بطالتنا .

— رأيى ؟ ... (ترى أشباحًا من بعيد) إنهض يا سيدى ..
إنهض .... يا سلام ... ما أجمل الصبر ..
... انظر .... (ينهض التاريخ متثاقلا إنه ليس فردًا
واحدًا .. هذه وفود !)

التاريخ : (فى عظمة)

— بالضبط .. هذا ما كنت أنتظره على كل حال .. فمايئست
ولا شككت لحظة فى ....

حريّة : (ثائرة) كفى يا سيدى كفى .. لقد كدت تقذف بنا فى
هاوية الزمن التى لا تردّ هاويا
« يسمع لَغَطٌ فى الخارج » ....

التاريخ : (إلى مساعداته) ــ صه ، هاتوا السرفيس ..

(يطرق الباب الزجاجى للمطعم) أهلا وسهلا .. تفضَّلوا

(يُفتَح الباب ويدخل كثيرون من أجناسٍ مختلفة)

مرْحَى مرحَى ....

(تـأْخذ الوفودَ رهبةٌ شديدة فى البدء تنتهى بحالة من الأُنس اليسير) .

التاريخ : (فى وقار) بالطبع أنتم تعلمون ما الكون كلُّه فيه من ضنك وعسر .. ومنكم من كان يذهب إلى مُضيفه ومعه طعامه .. وهذه السياسة نفسها ... أرجو أن تكونوا منتبهين إلى أنها هى المتَّبعة معى من قديم .. فأَنا لا أُقدّم طعاما من عندى إلى أحد من زبائنى ... بل هو الذى يحضر طعامه لنفسه بنفسه ... وحسبه منى أن أحتفظ له ــ (بصورة طبق الأَصل) من طعامه يعرف أَبناؤه فيها ما كان عليه أبوهم من يسر وعسرٍ ، وبخل أَو جُود .. والآن أَرونى أَطْعِمَتَكم ..

« ينشُر كل منهم أَمامه ما معه من طعام »

لا أَنا لست جائعًا ... فقط ... أُريد أَن أَسأَل كلا عن بلده برغم ما فى سؤالى من فضول .

— لا ـ لا فضول ولا شيء . اسأل .

— هكذا ... طيب .. أكتفى بالقليل من الكلام (ويشير إلى أحدهم) ..

— مثلا ... أنت يا سيدى من أين . ؟

— أنا .. من انجلترا ! هل تعرفها . ؟

— أعرفها . ؟ أعرفها . ؟ حدثنى حدّث .. أو .. فانتظر ..

(ينادى ...) سياسة .. يا سياسة (تظهر)

— نعم ..

— هات الأطباق الذهبية (إلى الانجليزى) ياما أطيبه من طعام يا سيدى... ستراه... وستشمّ فيه عبق صاحبته .. وهى منكم ... أنتم الألَى قارعتم الأهوال .. حتى بنيتم قصور أمجادكم على أشلائكم ـ (ضاحكا) فى خبث وأشلاء غيركم بالطبع ..

(تظهر سياسة حاملة الأطباق)

— إنها جديدة .. وما أتيتك بها إلا لأن ذوقك فى تناول الطعام يهتف بمثل ما فيها من ألوان ..

(يرفع أغطيتها ويتنهّد) آه ياسيدى.. آه ... غفر الله لها ... وبارك فى أبنائها ...

الانجليزى : « فى اهتمام » من يا ترُى ؟

فيكتوريا : ... أُوه .. أَنت يا سيدى لستَ ذكيا كما يجب أن تكون ... لكن لا بأْس ... فأَنا أَعرفكم .. إنها صاحبة الطعام ... فيكتوريا وعندى من أمثالها كثيرات .. ولكنّها فوقهن بكثير ، كم أَنا سعيد بوجودك هنا . الذكريات والحوادث تنثال ، ويدى هذه ، كم سطرت لكم فى صفحاتى من مواعيد لوجبات ومآدب وأَنماط من الأَطعمة ، وأَنماط من الآكلين ، أَلف زبون وزبون ، وأَنت أَخيرًا طعامك جيّد بل (ينظر إلى أَطعمة الآخرين) إنه أَجود طعام رأَيته منذ اليوم شرّ ياسيّد ، اِطعم على بركة الله (ضاحكا) ومحبة فيكتوريا ..

(إلى غيره)

— وأَنت يا سيدى ... ما اسمك ؟ ... آسف .. أُريد .. من أَىّ بلد ؟ (فى أَناقة) من فرنسا ..

— هذا حق .. فقد رأَيتك تُحِدُّ النظر إلى صاحبتى (حرّية) (يلتفت إليها – ولعلها لم تزل على عهدك ..

(إلى حرية) أَليس كذلك (تهزّ كتفيها صامتة)

– لماذا سكتٍّ يا بنيّه ؟ وأنت يا سيدى ؟

ويحى .. صفرة وشحوب ! .. أحالُ عاشق هذا !؟ أم . .

الفرنسى : لا شىء يا سيدى على الإطلاق .. غاية مافى الأمر .. إ ...فَ

حُرّية : لا فأفأةَ .. ولا تلعثُم ... خير لك أن تصمت ... وأنت يا تاريخ ... سلامةَ عينيك .. انظر ... هذا الدم الكابى على ثوبه .. إنه دمُهْ ... وهاتان الشريحتان من اللحم الغريض ؟ إنى لأودُّ لوجفَّ عليهما حلقُه ..هاتان الشريحتان .. المصبوغتان بدمٍ أظنّه ليس دَمه .. وأظنه كريمًا ... أو هو كذلك .. فما فقد لونه بعد .. وما زال شاهدًا على جريمته ... إنه الجمل الذى استنوق فى واديه ... واستأسد فى غيره .. صحيح أنه من فرنسا ... وصحيح أنّه كان لى عبدًا ألّهتُه على كثيرٍ ممّن عشقونى ؛ أما اليوم ..

التاريخ : ما خطبُك يا بُنيّه .. عذرًا يا سيدى فما أظنها عرفتْك بعد ...

حرّية : (منفعلة) ... أنت تغالط نفسك .. أو فلأجْرؤ قليلا ... فأقولِ ... إنك لا تعرفه أكثر منى ، لقد حاول أن يخنقنى يومًا ... بعد أن فارقتُه وألقيت بنفسى بين أحضان قومٍ فارقتهم عن كره فترةً لم تطُل .. عادوا

بعدها أشد ما يكونون حرصًا عليّ وإيمانًا بى .. فلم
يكسِر شوكتهم عسفُهُ وطُغيانه وغدا تعلم صدق
ما أقول ...

التاريخ : أهذا ممكن ؟ .. أهذا جائز . ؟ ... أهذا معقول . ؟
يا بنية ... خيرٌ لك أن تصمتى فقد كدت تفسدين علىّ
الحديث ... وتُنْسيننَى بقيَّةَ الزبائن .. ما علينا
(إلى آخر)
فأنت مثلا ...
فى عظمة – من أمريكا –
أمريكا ... يا سماءُ أقلعى ... آه . ..تذكرت شيئا ...
شيئًا واحدا يا سيدى ... ومع ذلك فهو عظيم
« لنكولن » ... أنبت من آل لنكولن ...
(إلى حرية) إنه صديقك يا شقيّة

حرية : ولنا الفخر

– لك أم له .. ؟

– لكلينا

إذن فقومى على خدمته ... فهو زبون جديد .. ! ...
(ضاحكا) والغربال الجديد ...

– له (عُلاَّقة)

— وأَنت عُلاَّقته طبعا ... هأْ هأْ هَاى هذا جميل...

(إلى آخر)

والسيد ؟

— أَنا . ؟

— أَو شاربك

— (فى انفعال) من الروسيا البيضاء

— أَو السوداءُ ... هى الروسيا وكفى ... إن لكم عندى .. صحافا وصفحات ... إننى أَعرفكم ... ولى فى دياركم جولات كانت كثيرًا ما تنفع .. ولقد تركتكم منذ قليل .. والنار تتلهب تحت الْحَطَب فما حالها اليوم ...

— حالها ؟! أَنت أَبله يا سيدى ... لقد شبّت وأَحرقت ... وأَحالت الحطب الجافّ المُسْتَعْصِى على الأَكف . خبزًا مباركًا ... وماءً سائغا لكل ذى ساعد . ورأْس .. ولقد أَيقظت صيحتنا النائمين تحت تراب الزمن وما هى إلا أَيام أَو شهور ... حتى يؤمن كل جائع فى الأَرض بدَيْن بطنه هو ... لابطون الشَّرهين من عبيد الأَنانية والطمع .. حوِّل عينيك عنى حوِّل ... فستنقلب إلىّ بعد قليل .. فما ترى أَعزّ منى عليك .

التاريخ : أيكون ذلك ؟ أحقًا . ؟ لأكاد أصدّق .. فهذا الطعام
الذى أمامك ... أراه جديدا فى نوعه .. وصنعه وشميمه ..
مع أن مظهرك لا ينبئ عن ثراء ..

— هه .. ثراء !!؟ (مشيرًا إلى رأسه وساعده) .. الثراء هنا
يا سيدى ... وليس فى بذلة من حرير وقصر من ذهب ..
إننا فنينا عن ذواتنا ... وحيينا بفكرة واحدة — هى
(السعادة للجميع) ...

— السعادة للجميع . ؟ . . إن هذه الكلمة فى مفهومها
كانت حلمًا مخبولا لحالم مخبول من مخابيل الماضى ..
إن الإنسانية التى أعرفها أنا .. إنسانية النار والحديد
والدم .. كان فيها من ينادى انفسه بالسعادة .. على
حساب الآخرين .. فبذل من نفسه ونفيسه ... ولمّا لم
يقدر .. ألقى بقفّازه فى وجه الجميع .. ليحقق مثله
الأعلى .. « الشقاء للجميع » وصاحبك هذا النائم
بجانبك .. ما أظنك إلا أحد هؤلاء أ .. أ يقظه إن
شئت ...

الروسى : لا يا سيدى ... لا ... دعه حتى لا يقذفنا بنفسه فلم
يبق معه سلاحٌ يقذفنا به .. وبرغم هذا فإنه لا يفرغ من

معركة إلا ليقع فى أخرى ... وله النصر والغار فى البدء ..
وعليه الدائرة فى النهاية ...
وهذه ثيابه الممّزقة ... وجسمه المحطَّم .. وأعضاؤه
الجريحة ... شهود عدول .. والعجيب أنه كالقطِّ
بسبعة أرواح قابلة للزيادة .. فهو لا يموت ولا يترك
غيره ليذوق صفو الحياة ... إنه ألمانى ...
ألمانىّ ... ؟ ! ما أشقانى به .. وما أشقاه بى .. من
صاحب السجلات المزدانة بالكواكب الدامية والنجوم
الأوافل ... ألمانى ...
(يستيقظ النائم) فى تحمّس
من ؟ من ينادى ألمانيا ؟ المجد لألمانيا .. ! نموت ونحيا
أل .....

نحن معك يا سيدى ... نموت ونحيا ... أل .... نعم
نحن معك ... نَمْ واسترح ... فأنت متعب ... تحتاج
إلى راحة ...
(تسمع له غمغمة خفيفة ... يواصل بعدها نومه)
التاريخ : مسكين ... أنا أرثى له .. وأعجبُ منه ... وأُعْجَبُ به
أيضًا .. فهو يشغلنى بنفسه والسلام ... أما هؤلاء ...

هؤلاءِ الذين يُشْغَلُون بأَنفسهم عنى (يرى شبحًا خلف زجاج الباب)
سحنة غريبة (ترى من يكون صاحبها ..)
ينادى (كسل .. ! يا كسل) ... يظهر أنه نائم .. ولا تثريب عليه فهو (ينادى) كسل ... هِهْ ..
(يقوم متجهًا إلى الباب فيفتحه ... يبدو على الطارق كثير من الخوف ...)

الطارق : هذا مطعم التاريخ ؟ !

التاريخ : وأنا التاريخ فمن تكون ؟!

الطارق : لكن .. مالك ياسيدى هكذا ؟ جاهم الوجه ... ثائر الخطاب ؟
أنا . ؟ لا يا سيدى ... ومع ذلك ... ف ... لم لاتدخل ... أتنتظر شيئًا ... ولكن ... لا ... قف ... لقد سأَلتك من تكون .. ؟ .
أَنا . ؟ أَنت .. ؟ .. لا تعرفنى .. ؟ يا ربِّى ... وهل على ظهرها من لم يلهج بذكرى ويسبّح بحمدى ؟ .. أنا ..؟ عجيب ... قل لى أنت ... من أَنت .. ؟ بل آه ... تذكرت ... أَنت التاريخ ... معذرةً .. فقد حطَّم الجهاد

أَعصابى تُرى يا سيدى .. أى شقاء يكتب على الإنسان
حينما تختاره العناية ليتزعّم أُمةً .. ولو رغمًا عنها ...
ولو كره أكثرها ..

التاريخ : وكيف يكون زعيمها رغمًا عنها ؟ .

الطارق : سنعود إلى الجهل فى الخطاب ؟ يكفى أن تعلم أننى زعيم
حزب فى أُمّة ... أو أُمة فى حزب ... هيه ... عشرون
عامًا يا سيدى ... عمرٌ طويل ، وأنا أُجاهد لتحرير
وطنى .. حتى أقمت صرحه السّامق على أشلاء صحتى ..
وراحتى .. وشبابى .. آه .. (يتهالك على مقعد) وبرغم
هذا خرجت من المولد

- بلا حُمّص ...
- وبلا قشر أيضًا .. وياليت الأمر وقف عند هذا الحد ..
فها هى بطنى .... ! .
- بطنك ... أنت جوعا ؟ !
- أكاد أموت من الجوع ..
- مسكين .. على كل حال .. فأمامك فرصة لتتناول طعامك
.. عن إذنك يا سيدى هه .. (يقوم)
- عن إذنى ؟ إلى أين ؟ أنا ضيفك ... وما يحقّ لك أن
تتركنى هكذا بلاطعام ..

(التاريخ يجلس مشمّرًا عن ساعديه كالمتأهّب لعراك) ـ وبعد
يا حضرة الزائر العظيم ... كأنك أتيت إلى هنا لأُطعمك
أنا ؟ ... من قال لك ؟ والآن ... وقد أَجَزْتَنى حدّ
الصبر .. دون أن تقول لى ... من أين أقبلت ولا من
أنت .. أمامك الباب مفتوح .....

الطارق : تريد منى الخروج ؟ لن أخرج .. لن يكون هذا .. أنا
جوعان .. جوعان .... وعندك من طعام آبائى الكثير ..
فلا تأْكل علىّ حقى .. إن إن خوفو ورمسيس .! .

التاريخ : هِهْ .. ؟ . ماذا تقول . ؟ صه ويحك ... أنت إذن ...
فهمت .. خوفو ورمسيس ! أنت من أبنائهم ؟ ..
لا يا سيدى ... بل ... يا بُنَىّ إنّ آباءك المناكيد حينما
كانوا يأْتون إلى هنا كان كثير من زبائنى ينقصه
الشّبع ... فلا يفتأُ آباؤك يفيضون عليهم ممّا معهم حتّى
يكتظّوا شبَعًا وَرِيًّا ... أما أنت ... (مشيرًا إلى الزبائن
الآخرين) (اُنظر يا بنى .. انظر ... إنهم أصبحوا
والدنيا لهم .. وأصبحت واحسرتاه .... ولاحظ لك من
دنيا ولا آخرة ..

الطارق : وما ذنْبى ... وأنا وحدى مَن جاهد وضحّى ...

التاريخ : إن كل ذنبك محصور فى هذه !! (أنا) ... تقذفها
فى وجه غيرك .. فلا يردّها إلاّ بـ (أنا) أشد منها
وأنكى ..... وهكذا تمرُّ الأيام ... وتمضى السنون ،
وكلكم سيِّد أخيه ... وستظلون هكذا حتّى يقيِّض الله
لكم من تجوز روحه حدود الأنانية المهلكة .. لتنطلق
فى فسحات الأمل المُدَعَّم بأسانيد العمل .. إنكم يا بنىّ
تعيشون على فتات المائدة القديمة .. فما أحوجكم إلى
طعام جديد ..

(يقف الطارق الغريب)

– والآن يا سيدى ؟

التاريخ : لا شىء .. وحبّذا لو تفضلت فذهبت ..

الطارق : إذن فأنت تطردنى ؟

– آسف حقاً فقد فهمتنى خطأ ... كلُّ ما أُريدُهُ أن تأْتينى فيما
بعد ... وفى يدك .. ولو وجبة واحدة ... (ينادى)
(ينادى) – كسل .. يا كسل ... يا ملعون ...
يُقبل كسل فى إعياء (وهو يفرك عينيه)

– نعم ... يا ... سيدى ...

التاريخ : تعالَ فهذا صاحبٌ لك .. شيّعه إلى الباب ...

الطارق : لا يا سيِّدى ... دعْهُ يَنَمْ فقد أشقانى اسمُه .... فكيف به هو ... إنى ذاهب وحدى لأُطعم نفسى ....

– أرجو لك التوفيق ... « كأنما يحادث نفسه »

– يا حسرةً على الجائعين ... يعرفون أنهم جائعون ... ثم لا يسألون أين الطعام ؟ ....

البقر الآدمى

« من أساطير الواقع »

هى قصة عجيبة ما فى ذلك شك

ولكنك إذا سألت عن صاحبها

قيل لك إنه أصبح فى التراب حقيقة واقعة

تبدأ القصة من حيث تنتهى

وقد تعجب ثانية لهذا التناقض

ولكنه تناقض محبوب

لكنّها قصة الظلم والعدالة

فبدؤها موت ونهايتها كذلك

ولكن الموت الأول موت معنوى أليم

والموت الثانى موت مادى أشد إيلاما

نحن فى قرية (...) من أعمال مديرية (....)

الأرض ..... أرض الله

غصبها من عباده (فلان)

وسجّل على أفهام الناس أنها أرضه

لأنه مبعوث العناية الإلهية لإنقاذ مصر

هكذا زعم

وهكذا سوّلت له نفسه أن يفرض على أبناء هذا الوادى حكما لم تطمح

نفس «نيرون» يوما فى أن تباغ من الظلم بعض ما بلغه ظلم

هذا الغاصب

ولقد أشرق صباح

كان أشد حلكة من الخواطر السود

تنساب فى وجدان يائس محطم شريد

وأقبل على القرية الوادعة خيل ورجل

انظر معى

هاتان عيناه النضاختان بالاستبداد والقسوة

وهذا شاربه الذى تتحدى ذؤابتاه نور الجو فى الجو

وهذا وجهه الخنزيرى الأحمر

وجسمه المشبوح العظام

تنطق كل عضلة فيه بالجريمة

جريمة الغدر والغيلة وسفك الدماء

ينزل الفارس المغوار من فوق جواده المطهم

وينظر إلى رجاله ... أشباه الرجال

نظرة الآمر العجلان

فيهبطون إلى الأرض المنكودة

ويـأْخذون فى شدّ خيولهم إلى الشجر القريب
ثم يتناولون فيما بينهم حديثا
تعجب أَسماع الأَهلين من رطانته
ثم ... ثم ينزع كلٌّ منهم عن نفسه لباس الخديعة والمكر ، ويقتحمون
على القرية الآمنة سياج الطمأْنينة والسلام
وبالعصىّ والكرابيج
وبما هو أَقسى من العصى والكرابيج
من أَلفاظ السّباب والزجر
يتفرّق الناس .. إلا واحدا
هو ذالك العمدة .. المتهالك على نفسه
من شيخوخة وضعف
«يا عمــدة »
نداء رنَّ فى أُذن الشيخ
فأَجابته أَصلابه المرتجفة
وعيناه الزائغتان
ولسانه المعقود
«فين خفرا»
«تحت الإذن .... أفندم »

« يلّلا هات خفرا »
وإلى بيت الشيخ الضعيف
يذهب الجمع ... تراودهم الأحلام
ولم لا . ؟
ألم يكونوا فى ديارهم أشدّ مايكون البائس المحروم
جوعا .. وعُرْياً ... وضنكا
ويمضى شهران
والقرية تُمسى وتصبح
ولاحديث لهم « إن كان ثمة سماح بحديث »
إلا ابنة الشيخ فلان ... والشيخ علّان
وجدوا الأولى مطروحة فوق أرض الساحل
مجزورة بيد مجهول ... معروف
هو أبوها المنكوب فى عيشه ... برغم تفاهة هذا العيش
فقد عرف أن الحاكم الجديد ... أغراها وأغواها
وقدح الإباء زناده فى رأس الشيخ الفانى
فكان نصيب ابنته الهلاك
فأما الثانية ... فقد كان أبوها أضعف إيمانا بالكرامة.
أو قل إنه خشى العار ... فخشية العار وحدها

هى التى دفعته إلى أن يذهب بابنته بعيدا
هناك ... عند أهله الأبعدين
ولا يدرى أحد ... إلا الله ... ماذا قدّر لها من مصير
وأقبل الشيطان على القرية ذات يوم
ولكنه كان فى هذه المرة شيطان الدم .. لاشيطان الإثم ... وأسرّ فى
أذن الحاكم أن عذِّب هؤلاءِ الناس .. فما خلقوا إلا للعذاب
ونزل الحاكم من القصر ... يهزّ أعطافه
كقرد الطواويس
وأذَّن فى الناس بالمال فأتوه رجالا كالمقعدين.
ومن بينهم رجل
أراه فى فكرى .. فأكفكف الدمع .. وأحبس الآهة
مسكين
إنه لايجد المال الذى يدفعه ... فايعذَّب
«خذوه فغلُّوه .. ثم العذاب صلُّوه ... ثم فى سلسلة ذرعها سبعون
ذراعا فاسلكوه ... إنه كان لايؤمن بالإذلال .. ولايدفع ماعايه
من مال »
ويمضى الرجل إلى قاع السجن كاللَّقى المطروح
وهناك .. يراوده شبح الموت جوعاً

فتهتف به روحه الظامئة إلى ورد الحياة

«ماذا عليك ... إذا بعت البقرة»

وينادى المسكين سجّانه .. يا سيدى السجّان

«أنا عندى بقرة : وسأبيعها لأسدّد الديون»

ويذهب السجّان إلى سيده الأعلى

ويرجع السجّان إلى عبده الأدنى

ويخرج الرجل من سجنه مذ وما مدحورا

وفى البيت الساكن

تنشب المعركة .. معركة الحياة والموت

إن البقرة وجودهم وحياتهم .. وكل ما قسم الله لهم .. كيف يبيعونها ..

وعلى أىّ شىء بعدها يعيشون

قالت زوجته التعسة :

«بعنى أنا .. ولا تبع البقرة»

قال الزوج التّعس :

«لأن أبيعها هى لأعيش .. خير من أموت فى السجن .

وشبّ نزاع ..

أخذت بعده المرأة طريقها إلى بيت أبيها .. طالقا ..

وانطلق الرجل إلى بيت الحاكم ... وفى يده دنياه (بقرته)

فكان جزاؤه على وفائه بالوعد

جزاءُ المستضعفين الأَرقَّاءِ
صفعات ... وركلات ... وكرابيج

* * *

واطمأَنت به الحياة يوما أَوبعض يوم
حتى إذا آواه الليل
شبّ فى رأْسه أُوَارُ النقمة
فمضى قدُما .. إلى حيث يعلو خوار رزقه (بقرته)
وتحت ستار الظلمة .. تقدم إلى حيث شدّت قوائمها
ومضى بها إلى بيته خائفا ... يترقّب
وانحلّت عرا الظلام
وافتقد الحرّاس البقرة فلم يجدوها ... فأَخبروا الطاغية
وشاع الخبر فى القرية « إن فلانا سرق »
كأَنما سرق ما ليس له
وشمّ المسكين رائحة الدخان .. فخشى النار
وذهب إلى قصاب القرية يسأَله الرحمة
والرحمة هنا .. هى أن ينتهى بالبقرة إلى بطون الآكلين
وبات الناس هذه الليلة .. قريرى البطون والعيون
وعلم الظالم بما كان .... فماذا يصنع ؟

إن هذا المخلوق الذى سوّلت له نفسه (الخبيثة) أن يعصى أمر من لايعصى له الناس أمرًا .

لابدّ له من جزاء أوفى على هذه الفعلة النكراء

وليكن الجزاءُ من جنس العمل

وهتف الطاغية فيمن حوله : « هاتوا الجزار » ..

وأتى الجزار

وثار الطاغية فى وجهه : « أين القرمة ؟ »

قال الجزار : ها هى ذى

قال الطاغية : فأين الرجل؟

قال الرجل : « نعم سيّدى »

قال الطاغية : نم على القرمة

وامتثل المسكين .. وهل كان له إلا أن يمتثل

* * *

وهبّت الذئاب والكلاب من كل صوب وحدب

تنسل إلى بطن الوادى

لتدفن خياشيمها فى لحمه المنشور

* * *

والذى خلق الإنسان ليأكل لحم الحيوان

كذلك خلق الحيوان ليأكل لحم الإنسان

٢٤ مارس سنة ١٩٤٦

بنت الحاكم

« قصة حبٍّ مظلوم »

ـ ناظلك

ـ نعم يا ماما

ـ خوشِّى جوّه

ـ حاضر يا ماما « بعد لحظة » لكن يا ماما ... أنا مش باحبّه هوّه .. أنا بحب منظر جميل .

ـ معلهش ... لكن ... خُوشِّى جوّه .

دار هذا الحوار اليسير بين الأُم التركية وابنتها عن الحاكم التركى لقرية من قرى الريف المصرى فى عام ١٨٩٦

وكانت مصر فى هذا العهد كالدمية المحطَّمة فى يد لا ترحم الدُّمى لأنها لاتفهم قداسة الفنِّ الإلَهى حين يبدع فى ملكوته ما شاءت له القدرة على الخلق والإبداع .

وأَجّت فى صدر الفتاة زفرة محترقة ... لم تجد لها متنفَّسًا إلا بين جدران الغرفة المجاورة لمكان الأُم ...

وعرفت أُمها أنها لن تنتهى من آهاتها إلا إذا أَدخلت هى على نفسها

شيئا من السرور والدعابة ... فألقت ما كان بيدها من ملابس...
ووطّنت نفسها على تسلية الفتاة :

- يا بنتى ... انت لسّه صغيرة... ودا فلّاخ ... وبابا قلبه حاديد...
رحمه مافيش ... وأنا ... يخاف عليكى منه قوم قوم معايا ...
نروخ نزور جماعة قاراييب ... يللّا

* * *

لم تجب ناظلك ... فقد شقَّ عليها أن تجيب ... اللهم إلا بدمعة
صامتة سالت على خدها فى ذلَّة وانكسار ..

وتحامات على ذراعىْ أُمِّها ... وانثالت عليها الخواطر من كل
جانب ... كيف تذهبُ معها إلى هؤلاء (القاراييب) وتتركه
وحده ... يكدح ويشقُّ الأَرض بمحراثه الصدئ ... دون أَن
تخفف عنه آلام العمل بنظرة حانية ... أَو لفتة رقيقة ...
أَو ابتسامة شقراءَ ..

ولكنَّ أُمَّها لم تمهلها لتتِم هذه الخواطر ... فقد جذبتها من يدها..
دون أَن تعير ضجرها عناية أَو رعاية ..

* * *

وللحب قاموس لا توجد فيه أَلفاظ « الجاه والحسب والنسب والمال
والأَصل ... فكل هذه الأَوصاف إن هى إلا قيود لايعرفها منعرف
الحبّ الذى لا يعرف الحدود والقيود .. حقا إنه فلاح وابنفلاح..

وصحيح أنها ابنة الحاكم ... والحاكم (التركى) ... ولكن للنظر واللفتة والابتسامة من السحر والقوة والنفاذ ما تمّحى أمامه كل هذه الفروق ..

... ولقد رأته أوّل مارأته ... وهو جالس على شاطىء الترعة وأمامه منديله الباهت .. وفوق المنديل ترقد لقيمات عفنات ... وطبق مجرود فيه قليل من « المشّ » وبضع ورقات من «السِّريس» وهو يجيل فيها عينيه حائرا ... كأنما يخاف أن يغتالها كلها ... فلا يبقى لأخيه الصغير الذى يسقى الفحل من هذا (الطعام) نصيب .

رأته فانسربت من فمها كلمةٌ أغنت عن كل ما يُقال فى مثل هذا الموقف .. فقد قالت «مسكين» ولم تزد ... وأحسّ هو بوجودها قريبة منه فسالت على جبينه الملفوح قطرات من العرق ... زادته ارتباكا وزادته ألما ... ودفّت من مكانه ... فهبّ واقفا ينتفض ... لا جرأةً وانفعالا ... بل خوفا وإشفاقا.. فقد عرفها .. وكيف لايعرفها ؟ وإن جمالها وجلالها لينمّان عليها ... إنها ابنة الحاكم .. ورنّت فى أذنه الباطنة هذه الكلمة الأخيرة « الحاكم » ...

... يا للصاعقة .. إذن فقد دنا ميعاد الموت .. ولم لا ؟ . لنفرض

أن أباها أقبل فى هذه الساعة المشئومة ... ووجدها هكذا واقفةً بإزائه فماذا يظن ؟لا شك أن أول مايتبادر إلى فهمه أن بين ابنته وبين هذا «الفلاح» حباً .. أو قل ... إن وقوفها هنا مجرّدًا عن أى معنى من معانى الحب كفيل بإلقاء بذور الشك فى نفسه ... وحرىٌّ به الساعة «إذا كان حقا يخاف على نفسه وعلى أهله من أن تنصبّ عليهم لعنة الطاغية» حرىٌّ به أن يذهب .. وأن يذهب بعيدا إذا أمكن ... وحبَّذا لو انشقت الأرض فابتلعته قبل أن يحدث ما استقام فى الحسبان.

ولكنها أثبتته فى مكانه بنظرة آمرة متوسلة ... وقالت لها عيناه: «دعيني أذهب» . وقالت له عيناها: «بل ابق فى مكانك» واقتربت منه .. فزادته وهما على وهم ... ووهناً على وهن ... ودار بينهما حديث:

– مين يملك الأرض دا ؟

– سيدنا ... ياستى

– مين سيدك

– إ .... والد ... حضرتك

– بابا يملك دا كلّه ؟

– «ضاحكًا فى سذاجة» وأكثر من ده يا ست ... سيدنا الحاكم.

ربنا يزيده .. خد الأرض كلها مِنّنا ... واحنا كلنا بنشتغل عنده.

وأطرق - وأرسلت هى وجهها إلى مكان آخر ... ثم عاودته النظر .. فرأته يمطر الأرض بدموعه الواكفة ... دون أن يتنبه إلى هذه النظرات المسترخية اللينة الضارعة التى تطوّق بها شعره الفاحم الغزير .. وجسده الضامر القوى ووجهه الأسمر الفاتن ... وجبينه المسحور الأملس .. و .. جلبابه الأزرق رمز القوة والحياة والنماء.

ورأت هى أنها أطالت الوقوف ... فأخذت سمتها إلى البيت وفى عينيها من مَرآه آثار تلوح وتختفى ... كلما أخفق قلبها أو سكن.

وفى خلوة بعيدة عن العيون راودها حلم غريب من أحلامها الغريرة ... فقد تمثلته واقفاً إلى جانبها فى حفل أقيم لزواجهما وضحكت ملء شبابها لهذا الحلم الفكه ... ثم أخذتها رجفة طارئة كهذه الرجفة التى تنتاب إنساناً ملأ قلبه الحنان على إنسان آخر أقل منه شأنا، وأضأل نصيباً فى الوجود والحياة .. ومايضم كلاهما من متاع وزخرف

وقالت لنفسها :

وماذا يضيرنى من مثل هذه الصورة ... إنها حلم آثم ما فى ذلك شك .. ولكن ... أنىَّ لى أن أحكم على تصاريف القدر .. فقد يجعل منى أنا ... ناظك بنت محمود أغا ... زوجة ل.. ل ...

ولم تكمل ... فقد عاودتها النكسة ...

والعزّة بالإثم خبالٌ ما بعده خبال ... فهى تصوّر لصاحبها أنه

أسمى خلقا من غيره ... وأرق طبيعة من سواه .. وهى

وهى ابنة الحاكم ... وهو .. هو « ابن الفلاح » العار الآدمى الفظيع الذى يبرأ منه ... بل من ذكر اسمه على اللسان ... مثل هذه المغرورة من بنات الذوات .....

ومرّت الأيام ... وهى تزداد فى كل يوم ميلا وانعطافا ... إلى هذا الأبله الذى لا يعرف لغة العيون والقلوب ... بعد أن أنساه الفقر والجهل والمرض .. أن للعيون لغاتٍ تفهمها القلوب ... وله فى ذلك العذرُ كل العذر ...

فالفقر والجهل والمرض ... كلمات ثلاث إذا أخذت طريقها إلى قلب إنسان تركته هملاً لا يدرى من أُمور الحياة إلا أن يتمنى ... وحرامٌ عليه أن يتمنى غير ثلاثة .. هى الدرهم .. والقلم ... وقوة البنان .

* * *

ياما تحت جنحك ياليل ناسات مابينا موش

إلا وجمر الدموع تحت الخدود مفروش

وياما فُوج الحرير نايم ... ولا همُّوش

إن كان غيره حزين الجلب أوفرحان

« بكره يساوى التراب اللِّى له باللِّى مالوش »

« موّال أحمر » همس به حامد فى سمع الليل .. فتجاوبت أصداؤه فى كل مكان .. وهوّمت حول نافذة مفتوحة .. تجلس فيها الفتاة الشجيّة الخليّة ... وهى ترقب ركب النجوم يختفى حينا ويبدو حينا كما تختفى أحلامها وتبدو.

... واعتصرت قلبها لوعة مرّة .. وحزن شديد.... وحامت بعينيها حول المكان الذى سمعت منه الصوت ... فوجدته واقفا .... هناك ... حيث يغيب آخر الشاطىء فى أول النهر ... وهتفت فى نفسها ... ما أجمل الليل .. وما أروع صمته وما أبدع هذا الصوت الدافىء الحنون ... يغمر الكون بصفائه وقوته وجماله ... وما أطيب النزول إلى ساحة القمر ... حيث ينشر ضوءه الخفيف الناعم فى جنبات الوادى الأخضر !!

(وهمست) ... إنها ليلتى أنا ... وليلته هو ... أنا فى مكانى ... وهو فى مكانه ... ويا حبها من ليلة ... لو أننى أصبتُ من حديثه وبادلته الحديث ...

وهبّت من مكانها ... وألقت بشالها العذّاقّ الناعم فوق كتفيها الرقيقتين ... وهبطت الدّرج ... واستغرقتها نشوة الحلم الذاهب ... يوم رأته بجانبها كأنّه ... كأنّه عريس ... وانتبه حامد على وقع أقدامها ... وهى تخطو وتخطر فى ليونة واسترخاء ... وألّتى

بعينيه صوبها ... فرآها ... كأنها حورية من حوريات البحر ...
عشقت فى الحلم ... باكورة من بواكير الشباب البرى ... خلقه
الله للعشق والأحلام وتناولت بيديها عودًا أخضر... ثم قالت له :
يا حامد... تعمل إيش
- أسقى الزراعة
- وبعدين ؟
- أروّح
- لا ... مِرواح مافيش ... تعال اقعد جنبى
(جنبى) ؟! ... لعلها ليست هى ... بل إن هذا هو المحقق
فلا يستقيم فى العقل أن تقول ابنة سيده له ..(تعال والأدهى
من ذلك أن تردف هذا بقولها (اقعد جنبى) ؟! وفى هذه الساعة
من الليل ... لاسمح الله ...
- ولكنها أقبلت عليه إقبال الربيع على الأرض المجدبة .... ومدّت
يدها الناعمة ... فأمسكت بها يده الخشنة المكدودة وعلى البساط
الإلهى الأخضر ... أجلسته كما تُجلِسُ الأم طفلها الذى يهدف
نحو الصبا ..
إنه فى حيرة من أمره ... كيف يصدِّق ؟ وأنّى له أن يصدّق ؟
ومن له بأن يصدِّق ؟

– حامد

وأجابها – : نعم ياستّى

– أنتم عندكو أرض كتير

– لا يا ستى .. أنا جُلْت لسعادتك يوم ما كنت جاعد فى الأرض اللى غادى ... إن سيدنا خَد منِّنا الأرض وبيشغلنا عنده عمال ... « بعد لحظة » من غير أجر .

– وحياتك يا حامد ماتقولش « سيدنا » قول أبوكى

– عيب ياست

– عيب ؟ ... أنا بقول لك ماتقولش سيدنا

– أمرك يا ست

– قوللِّى يا حامد ... وإذا الأرض رجعت لكو تانى تعمل إيه ؟

– ترجع لنا تانى . ؟ مِشْ مَعجُول ياست .. وهوّ اللِّى راح يرجع ...

– إذا رجع ؟ ... انت مالك

– ياست والله دِى تِبْجَى كرامه

– وإيه اللّى هَيْرَجّعها .

– أنا

– إنْتِ ؟؟ ! إنتِ ؟؟!

ولم يتمالك نفسه .. فقد هب من مكانه هاتفًا

– الله يخلّيكى ياست .. ويبارك لنا فيكى وف سيدنا

– قلت لك بلاش سِيّدْنَا دِى ... اقعد يا حامد ... اقعد (بعد فترة) قوللى يا حامد ... أنت حبّيت ؟

– أنا ياست حبيت ؟ حبّيت يعنى آه ؟

– يعنى حبيت .. ما تعرفش الحب يعنى إيه ... يعنى عمرك ماشفتش واحده ... وقلبك ... يعنى طبّ لما شافها

– والله ياست ... أنا شفت كتير ... لكن

– وقلبك ماطبّش .. ؟ !

– دِلْوَجت بسّ ... قلبى طب

– (باسمة) عاوز تقول لما شفتنى

– (فى ضحكة خفيفة ساذجة) مش جَادِر أجول ياست

– انت مش عارف اسمى ... نادينى باسمى ... قول لى ياناظك .

– ما اجدرْش

– لأْ قول يا حامد ... أنا حبّيتك ... من يوم ماشفتك فى الغيط الثانى .. بتاكل ... بتاكل (تبْكى)

– ياست ... دَاخير من عند الله ... نحمده ... (واغرورقت عيناه بالدموع) ويتناول حامد بيديه المعروقتين يدها البضّة ... وفى

نشوة صوفية حالمة يطبع عليها قبلة يودّع فيها كل ما فى شبابه المحروم من حب نائم وأشواق ناعسة وحنان كريم ... وفى سبحة روحية ناسمة ... تطبع هى على شعره الفاحم الذى باركته شمس الكنانة قبلة محمومةً واجفة يهتز لها وجوده .. وتنتشى من خمرها أصلابه ... وترجف من حرارتها روحه الظامئة ونفسه الصافية وقلبه المحروم .

* * *

لم يعد حامد ذلك الشاب الفارغ البال ... التافه الأحلام الضائع اليوم بين أكل وعمل وحديث .. فقد استحالت دنياه إلى دنيا أخرى ... دنيا تملؤها الآمال والأمانى ... وخلق الحب منه إنسانًا يحسُّ ويشعر ... وإن كان لا يستطيع أن يعبّر عن إحساسه وشعوره بالتافه من القول أو النزر اليسير من الحديث... وجرفته موجة عاطفية عاتية ... فيها كثير من العزة والكبرياء والأنفة ... وكيف لا يكون كذلك ... وقد استأثر من دون الناس جميعا بهذه الدّرّة اليتيمة فى كنوز الجمال والجلال ... « ناظلك » وما أجمل الاسم وما أجمل صاحبته ... وما أقوى شعوره بنفسه ... وإحساسه بعظمته ... حين ينظر إلى من حوله من الناس ... فلا يجد إنسانًا مثله ... فى متعته الوافرة يحب ابنة الحاكم ...

تلك التى تتنازع هى والشمس عرش السمو والجلال ، ولم تعد ناظك ... تلك الفتاة الناعمة بالحياة وحدها ... بل أصبحت الفتاة الناعمة بالحياة والحب .. السعيدة فى كليهما ... وللحبّ نوع من القدرة على الخلق ... وفيه كذلك إرادة فنانة ... تحيل الجماد الجامد إحساسًا يحس وشعورًا يشعر ... وما هو فوق الإحساس والشعور .

لقد وجدت بجانبها قلبًا بكرًا ... لم تستأثر به من قبل امرأة أيًّا كانت هذه المرأة ... قلبًا عذريا نمته طبيعة عذراء ... طاهرًا كالندى الباسم فوق خدود الورد والياسمين .... ولئن كان صاحبها شقيًّا فى حياته ... معذَّبا فى عيشه فذلك رزقه المقسوم وحظُّه المقدور ... وحسبها هى منه هذهالبضعة من اللحم والدم التى تتدفَّق فيها سيول الإنسانية التى تهمى من فوق سبع سموات ... على أنها قد بنَت له فى نفسها قصورًا من الأَمانى تخيّلته صاحبها وشاركته فيها بالفكر والعاطفة والشعور وعلى هذا أصبحت وأمست لاهمّ لها ولاشَاغل إلا دنياها الجديدة التى انتقلت إليها على أجنحة الحب والغرام .

* * *

ورأتها أُمها ذات صباح تُحِدُّ النظر إلى مكان قريب ... وتأْتى من

الإشارات ذوات المعانى ما عجبت له ... ووقر فى نفسها أن الفتاة ممسوسة ... فاستطارت فكرا ...

وسألت الفتاة :

– ناظك ... إيه إشارات ... حركات

– إشارات إيه ياماما

– إشارات إيه ... عمى فى عينك ... أنا شايف

– مافى إشارات ياماما

– ما فى ... طيب ... أنا أشوف

وعطفت بعنقها المجعَّد إلى خارج الشرفة ... فلم تجد غير خلاء عريض .... يقف فى جانب منه فتى طوال ... فى يده أرغوله المرنان ينفخ فيه من حرارة الوجد أنفاسًا تستحيل فى الجو أنغاماً يهتز لها قلب الوجود ..

وعطفت بنظرها إلى وجه الفتاة .. فعجبت للشحوب الطارىء عليه وفهمت الأُم كل شىء ... واستدارت على عقبيها مهمومة وَجِلَة ... تدب على قدميها كأنها ملسوعة .. وعاودت الأُم سؤال الفتاة ... فألقى الحب على لسانها من نور البيان ما محت به من نفس الأُم ظلال الشكوك. وحدث فى المساء ما حدث فى الصباح .. فاستحال الشك إلى يقين .. دعَّم أركانه فى نفس الأُم سهوم الفتاة ووقفة الفتى طوال

اليوم أمام الشرفة وإن كان من بعيد ...

وأذّن مؤذن الفجر ذات يوم ... فأجاب نداءه المؤمنون من أهل القرية ... وأفاق الحاكم من نومه ثائرا ممتعضا . فقد آذاه صوت الأذان كما آذاه من قبل .... ولكنه اليوم ... وبعد أن نفد آخر سهم فى جعبة الصبر . فلا أقلّ من أن ينزل ليمنع المؤذن من أذانه . ولهُ الفضل والمنّة إن لم يمنع الناس من إقامة الصلاة ..

وأسرع إلى خارج القصر فهاله ما رأى.... ابنته «ناظلك» واقفة بجوار القصر ... وبجانبها « وحش آدمى » من هؤلاء الفلاحين «العبيد» هو حامد المنكوب في دنياه . والذى يوشك أن يكون منكوبا فى أخراه ... لم يتمهل جناب الحاكم ... بل أقبل على المسكين كالإعصار الأخرق ... وأهوى على رأسه بكلتا يديه... فندّت عن الفتاة صرخة جامحة ... أوهنت من عزيمة الحاكم وجعلته يترك المسكين بعد أن أجهده بقسوته وعسفه .. وفرّ البائس إلى حيث يخفى نفسه عن الناس جميعا ... ولتفتح عليه السماءُ بعد ذلك مغاليق اللعنة أو الرحمة الأبدية .

* * *

وفى جنازة صامتة رهيبة .. شيعت القرية كلها .. شبابها وشيبها جثمان العاشقة ... المحرومة من بعد أن كتبت فى قصة الحبّ سطورا من دموع ودماء .. ولكنها دموع الطهر... ودماء الشباب المسموم ..

ذهب وتراب

« هكذا قال فلاح مصرى فى يوم
عرف فيه نفسه ، وقدر بؤسه »

هنا الكوخ
كله نعيم ... وكله جحيم
وهذا هو الوادى المخضوضر بالعشب
ينبسط أمامه كأحلام العذراء فى فجر الهوى
والقمر الأبهر..
يطلّ علينا من خلل السحاب كأنه وجه الدرهم الجديد
وقد استدارت جوانبه استدارة الرغيف الطازج ..
وعن اليمين يقوم القصر المشيد
قصر السيد الغنى ... صاحب المزرعة .. ورب نعمتنا .....
وهو قصر نعرف ما فيه بالتوهّم
لأننا محرّمٌ علينا دخوله
خوفا على بُسُطِهِ الناعمة من أن تتأذى بوطء أرجلنا الشقيّة
الممتلئة بالأخاديد
وهذه ابنتى الصغيرة « سعاده »

يعلم الله أن حياتها على النقيض من اسمها
ترتدى قميصا من القطن الخشن
نسجته يد البلى
فهو لايقوى على مسِّ الراحة
وفى يديها عودٌ من قصب الأُذرة
أَرهقته من طول ماامتصَّت منه رحيقه
الذى لايسمن ولايغنى من ظمإٍ ولاجوع
ترى فيم تحلم هذه المسكينة ؟
اقتربى يا بنيتى ... وتعالى إلىّ
قالت الفتاة ... وفى عينيها دموعٌ تريد أن تنسكب :
أَبتـــاه ..
وتهاوت على الأَرض
كأَنها دمعة يتيم جائع ....
وانفرجت شفتاها المرتجفتان عن كلمة مالت سماعها
لأَنها تذكرنى بما أُريد أَن أَنساه
قالت :
لقد أَقبل العيد يا أَبتاه .. وليس عندى رداءٌ جديد
قلت وقد مزَّقت سمعى شكواها المُرّة

من قال لك يا بنيّتى إن العيد قد أقبل
قالت .. وقد زادها إنكارى إصرارًا على الشكوى :
لقد سمعت ابن سيدنا يقول لأُخته :
إنه سيذهب إلى القاهرة بعد يومين ليقيس ما اشتراه له أبوه من أكسية .
قلت يا بنيّتى ... إن هؤلاء لايعرفون للعيد يوما واحدا .
فكل أيامهم أعياد
أمّا نحن .....
وأمسكت عن الكلام
فقد أقبلت زوجتى « أم الخير »
لعنة السماء على يوم عرفتها فيه
فقد كان يوم سوءٍ لا زلت أذكره .. ففيه بعت فيه آخر قيراط من الأرض تركه لى أبى .
لا لشىء إلّا لأُتمّ نصف دينى كما حدّثونى
ولأنقص نصف دنياى كما عرفت فيما بعد
ونفضت «أم الخير» رداءها وفيه لقيمات
لاتقيم صلب الطفل المترنح على يدها من ألم الجوع
وأمسكت بطرف ردائها المهلهل

لتمسح به عيني الطفل الرمدانتين

ولم تزد على نظرةٍ ألقتها عليّ وعلى البنيّة

ثم أخذت تخطف في سيرها إلى شاطئ الترعة القريبة

وغمرت الطفل في مياهها الراكدة

ثم أخرجته كقطعة اللحم الغريض

بعد أن أزالت ما كان عالقا به من أقذار ، لتلبسه ثوبا من الطين جديدا

وعادت جذلانة الوجه قريرة العين

كأنما أتتني بهدية

ثم تمطّت في الهواء بيديها الناحلتين

فخيِّل إليّ أنها تريد أن تأخذ السماءَ من أقطارها

لتلقي بها في حجري

قلت يا رعناء ... إلى أين ؟

قالت : إلى قصر سيدنا

أمسح البلاط ... وأغسل الأواني ... وأحلب الأبقار

ثم أعود إليك كما تشتهي أن أعود

قلت في نفسي :

فلتذهب إلى الشيطان .. على شريطة أن تعود

وفى يدها من مائدة الآلهة ما يصلح طعاما للعبيد

وانطلقت تعدو

وانطلقتْ فى إثرها أمَان ثلاث

هى أمانينـــا

أنا ... والفتاةْ ... والطفل

جلباب ... وقميص ... ولُقَيمات

٢٣ مارس سنة١٩٤٦

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

استدراك

وقعت فى الديوان أخطاءٌ طباعية نوجه نظر القارىء إلى بعضهـــا

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤٥	٢٤	فى ذلك هو	فى ذلك الوقت هو
٩٣	الأَول	لقـــاءُ	لقـــاءً
١٠٥	١٦	بل أَحياه بالتحمد	بل أَحياه بالتحميد
٤٨٢	٨	سحر الموافى	سحر المُوَاتِ
٤٨٤	٨	أَنت لا زلت	أَنت ما زلت
٥٠٣	الأَول	وأَبكى معْهم	وأَبكى مَعَهُمْ أَو مَعْهُمُ
٥٠٥	٤	ملءَ سمائى	ملءُ سمائى
٥٠٥	٩	ملءَ الحمى	ملءُ الحمى
٥١٣	الهامش رقم ٦	الصمدانى : اسم من أَسماءِ الله	الصمدانى : منسوب إلى الصمـــد وهو إسم من أَسماءِ الله
٥١٩	٢	كأْسٌ	كَأْسُ

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥٢٨	١٤	النُّواس	النَّوَّاس : بفتح النون المضعفة فى لغة العوام وصوابه أَبو نُواس ، والشاعر يقصد ما أَثبت
٥٢٩	٨	فلن تحرق منى إلا ما	فلن تحرق منِّى (م) إلاما
٥٢٩	١٦	تالى منى	لن تنالى منى
٥٢٩	الهامش رقم ٢	الدّجنًى	الدُّجُنّة : هى الظلمة
٥٣٠	٢	وما أَحب	وما أَحبَّ
٥٣٨	١٤ ، ١٥	وأَنه ، وأَننى	وإنَّه ،وإنَّنى
٥٤٣	٨	وجنبى	وجنَّبنى



صالح الشرنوبى

أنا فى شـــعرى وشـــعرى قصتى	لسـت فى جسـمى ولا فى رسـمه
بـين كفيـك وجـودى خافقا	وفـؤادى غارقا فى دمــه
ويـح لى منـه ويا ويح له	ولمـن يسـبح فى عيلـمه
ربمـا احـزننى فى فرحتى	وشـدوت اللحن فى مأتمه

● ولد الشاعر فى ٢٦ من شهر مايو سنة ١٩٢٤ ، وتوفى فى يوم ١٧ من سبتمبر سنة ١٩٥١ .

● درس فى المعاهد الدينية حتى حصل على الثانوية الأزهرية ولكنه خرج قبل أن يتم دراسته العالية ، لأنه كان يطمح الى دخول كلية دار العلوم ولكنه لم يوفق الى ذلك .

● أنشد دواوينه فى الفترة مابين ١٩٤٤ و ١٩٥١ .. وهى « أصداف الشاطىء عبرات .. سبحات .. بسمات » « الأمواج » .. « نسمات وأعاصير » .. « فى موكب الحرمان » ... « وطنيات » .. « أقاصيص فى الحب والحياة » .. « أشعار ورسوم » .. « ظلال وألوان » .. والأخير « مع الريح » ..

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر
بالقاهرة

